٤٨٣

رياض السالكين

في شرح صحيفة

سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي

قدس سره

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ ق

الجزء الثالث

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٤٨٣

رياض السالكين

في

شرح صحيفة سيد الساجدين صلوات الله عليه

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

السيد علي خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي

قدس سره

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ ق

الجزء الثالث

شبكة الفكر
alfeker.net

يا علي يا فاطمة

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

سرشناسه: مدني، علي خان بن احمد، ١٠٥٢ ـ ١١٢٠ ق.
عنوان قراردادي: صحيفهٔ سجّاديه. شرح.
عنوان و نام پديدآور: رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين صلوات الله عليه / تأليف علي خان حسيني الحسني المدني الشيرازي، المحقّق محسن الحسيني الأميني.
مشخّصات نشر: قم: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٨ ـ ١٣٨٥.
مشخّصات ظاهري: ٧ ج.
فروست: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة. ٤٨٣.
شابك: دورة ٨ ـ ٢٩٣ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨؛ ج. ٣: ٦ ـ ٧٦٣ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨.
وضعيّت فهرست‌نويسي: فاپا. يادداشت: عربي.
يادداشت: ج. ١ـ٧ (چاپ سوم: ١٣٨٥). يادداشت: ج. ١ و ٤ و ٦ (چاپ پنجم: ١٣٨٥).
يادداشت: ج. ١، ٢، ٦ و ٧ (چاپ ششم: ١٤٢٨ ق. ١٣٨٦).
يادداشت: ج. ٢ و ٥ (چاپ پنجم: ١٤٢٧ ق. = ١٣٨٥). يادداشت: كتابنامه.
موضوع: علي بن حسين عليه السلام، امام چهارم، ٢٨ ـ ٩٤ ق. صحيفه سجاديه ــ نقد و تفسير.
موضوع: دعاها.
شناسه افزوده: حسيني اميني، سيد محسن، ١٣٢١ ـ، مصحّح.
شناسه افزوده: علي بن حسين عليه السلام، امام چهارم، ٢٨ ـ ٩٤ ق. صحيفهٔ سجاديه. شرح.
شناسه افزوده: جامعهٔ مدرّسين حوزهٔ علميهٔ قم. دفتر انتشارات اسلامي.
رده‌بندي كنگره: ١٣٦٨ ٣٠٢١٧ ص ٨ ع / ١ / ٢٦٧ Bp
رده بندي ديويي: ٢٩٧/٧٢٢
شمارهٔ كتابشناسي ملي: ٢١٢١ ـ ٦٨ م

رياض السالكين

في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام

(ج ٣)

■ المؤلّف: العلّامة الأديب السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ رحمه الله □
■ المحقّق: فضيلة السيّد محسن الحسينيّ الأمينيّ □
■ الموضوع: المعارف الإلهيّة □
■ طبع و نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ٦٠٠ □
■ الطبعة: الثامنة □
■ المطبوع: ٥٠٠ نسخة □
■ التاريخ: ١٤٣٥ هـ. ق □
■ شابك ج ٣: ٦ـ ٧٦٣ـ ٤٧٠ـ ٩٦٤ـ ٩٧٨ □
ISBN 978 - 964 - 470 - 763 - 6

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

الروضة الثالثة عشرة

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

اَللّٰهُمَّ يَا مُنْتَهَى مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ وَيَا مَنْ عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ وَ
يَا مَنْ لَا يَبِيعُ نِعَمَهُ بِالْأَثْمَانِ وَيَا مَنْ لَا يُكَدِّرُ عَطَايَاهُ بِالْاِمْتِنَانِ وَ
يَا مَنْ يُسْتَغْنَى بِهِ وَلَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَيَا مَنْ يُرْغَبُ إِلَيْهِ وَلَا يُرْغَبُ عَنْهُ
وَيَا مَنْ لَا تُفْنِي خَزَائِنَهُ الْمَسَائِلُ وَيَا مَنْ لَا تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسَائِلُ
وَيَا مَنْ لَا تَنْقَطِعُ عَنْهُ حَوَائِجُ الْمُحْتَاجِينَ وَيَا مَنْ لَا يُعَنِّيهِ دُعَاءُ الدَّاعِينَ
تَمَدَّحْتَ بِالْغَنَاءِ عَنْ خَلْقِكَ وَأَنْتَ أَهْلُ الْغِنَى عَنْهُمْ وَنَسَبْتَهُمْ
إِلَى الْفَقْرِ وَهُمْ أَهْلُ الْفَقْرِ إِلَيْكَ فَمَنْ حَاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِكَ
وَرَامَ صَرْفَ الْفَقْرِ عَنْ نَفْسِهِ بِكَ فَقَدْ طَلَبَ حَاجَتَهُ فِي مَظَانِّهَا
وَأَتَى طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهِهَا وَمَنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ
أَوْ جَعَلَهُ سَبَبَ نُجْحِهَا دُونَكَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْحِرْمَانِ وَاسْتَحَقَّ مِنْ
عِنْدِكَ فَوْتَ الْإِحْسَانِ اَللّٰهُمَّ وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ قَدْ قَصَّرَ عَنْهَا
جُهْدِي وَتَقَطَّعَتْ دُونَهَا حِيَلِي وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي رَفْعَهَا إِلَى مَنْ
يَرْفَعُ حَوَائِجَهُ إِلَيْكَ وَلَا يَسْتَغْنِي فِي طَلِبَاتِهِ عَنْكَ وَهِيَ زَلَّةٌ مِنْ
زَلَلِ الْخَاطِئِينَ وَعَثْرَةٌ مِنْ عَثَرَاتِ الْمُذْنِبِينَ ثُمَّ انْتَبَهْتُ بِتَذْكِيرِكَ لِي

مِن غَفلَتِي وَنَهَضتُ بِتَوفِيقِكَ مِن زَلَّتِي وَرَجَعتُ وَنَكَصتُ
بِتَسدِيدِكَ عَن عَثرَتِي وَقُلتُ سُبحَانَ رَبِّي كَيفَ يَسأَلُ مُحتَاجٌ
مُحتَاجًا وَأَنَّى يَرغَبُ مُعدِمٌ إِلَى مُعدِمٍ فَقَصَدتُكَ يَا إِلٰهِي
بِالرَّغبَةِ وَأَوفَدتُ عَلَيكَ رَجَائِي بِالثِّقَةِ بِكَ وَعَلِمتُ أَنَّ كَثِيرَ
مَا أَسأَلُكَ يَسِيرٌ فِي وُجدِكَ وَأَنَّ خَطِيرَ مَا أَستَوهِبُكَ حَقِيرٌ فِي وُسعِكَ
وَأَنَّ كَرَمَكَ لَا يَضِيقُ عَن سُؤَالِ أَحَدٍ وَأَنَّ يَدَكَ بِالعَطَايَا أَعلَى
مِن كُلِّ يَدٍ اَللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاحمِلنِي بِكَرَمِكَ
عَلَى التَّفَضُّلِ وَلَا تَحمِلنِي بِعَدلِكَ عَلَى الِاستِحقَاقِ فَمَا أَنَا
بِأَوَّلِ رَاغِبٍ رَغِبَ إِلَيكَ فَأَعطَيتَهُ وَهُوَ يَستَحِقُّ المَنعَ وَلَا
بِأَوَّلِ سَائِلٍ سَأَلَكَ فَأَفضَلتَ عَلَيهِ وَهُوَ يَستَوجِبُ الحِرمَانَ
اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكُن لِدُعَائِي مُجِيبًا وَمِن نِدَائِي
قَرِيبًا وَلِتَضَرُّعِي رَاحِمًا وَلِصَوتِي سَامِعًا وَلَا تَقطَع رَجَائِي عَنكَ
وَلَا تَبُتَّ سَبَبِي مِنكَ وَلَا تُوَجِّهنِي فِي حَاجَتِي هٰذِهِ وَغَيرِهَا إِلَى
سِوَاكَ وَتَوَلَّنِي بِنُجحِ طَلِبَتِي وَقَضَاءِ حَاجَتِي وَنَيلِ سُؤلِي قَبلَ
زَوَالِي عَن مَوقِفِي هٰذَا بِتَيسِيرِكَ لِيَ العَسِيرَ وَحُسنِ تَقدِيرِكَ لِي

فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلٰوةً دَائِمَةً نَامِيَةً
لَا انْقِطَاعَ لِأَبَدِهَا وَلَا مُنْتَهَى لِأَمَدِهَا وَاجْعَلْ ذٰلِكَ عَوْنًا لِي
وَسَبَبًا لِنَجَاحِ طَلِبَتِي إِنَّكَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ وَمِنْ حَاجَتِي يَا رَبِّ
كَذَا وَكَذَا

وتذكر حاجتك ثم تسجد وتقول في سجودك

فَضْلُكَ آنَسَنِي وَإِحْسَانُكَ دَلَّنِي فَأَسْأَلُكَ
بِكَ وَبِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا
تَرُدَّنِي خَائِبًا

إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ قَرِيبٌ مُجِيبٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ نسخة بدل

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله قاضي حاجات المحتاجين ومنيل طلبات الراجين، والصلاة والسلام على نبيّه الذي أرسله عصمة للناجين وعلى آله أشرف الداعين وأكرم المناجين.

وبعد فهذه الروضة الثالثة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، تتضمّن شرح الدعاء الثالث عشر، فتبيّن من مطاوي كنوزه ما اكتتم واستتر، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ علي صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، ختم الله له بالحسنى وختم له بالمقام الأسنى، إنّه وليّ الإجابة وإليه الإنابة.

شرح الدعاء الثالث عشر

وكـان مِنْ دُعائهِ عَلَيْهِ السّلامُ في طَلَب الْحَوائج إلَى الله تَعالى.

الحوائج: جمع حاجة على غير قياس، حتّى أنكرها بعضهم.

قـال المبرّد في الكامل(١): جمع الحـاجة حاج، وتقديره فـعلة، كما تقول: هامة وهام وساعـة وساع، وأمّا قولهـم في جمع حاجـة حوائج فليس من كلام الـعرب على كثرته على ألسنة المولّدين ولاقياس له انتهى.

وفي الصحـاح: كان الأصـمـعي ينـكـر جمع حـاجـة على حوائـج ويـقول: هو مولّد(٢).

وقال الحريري في درّة الغواص: يقـولون في جمع حاجة حوائج، فـيوهمون فيه كما وهم بعض المحدّثين في قوله:

فسيّان بـيت العنـكبوت و جـوسق رفـيـع إذا لم تـقض فـيـه الحـوائـج

والصـواب أنْ تجـمـع في أقلّ العدد على حـاجـات، وفي أكـثره على حاج مثل: هامة وهام(٣) انتهى.

وأثـبتها أكثر أئمّة اللغـة كالخليل بن أحمد، وأبي عـمرو بن العلاء، وابن دريد،

---

(١) لايوجد لدينا هذا الكتاب. (٢) الصحاح: ج١ ص٣٠٨.

(٣) درّة الغواص: لايوجد لدينا هذا الكتاب، بل وجدنا مفاد قوله في لسان العرب: ج٢ ص٢٤٣.

....

وسيبويه، وابن السكيت، والجوهري، وابن خالويه وابن جني، وابن برّي، وغيرهم، وتصدّى ابن برّي للرّد على من أنكرها، وأورد على ثبوتها من الحديث وأشعار العرب العرباء من الشواهد مالامجال للتوقّف معه، كقوله عليه السلام: استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان.

وقوله: إنّ لله عباداً خلقهم لحوائج الناس.

وقوله: اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه(١).

وقوله عليه السلام: التمسوا الحوائج على الفرس الكُمَيْت الأرثم المحجّل الثلاث المطلق اليمنى(٢).

قال: فهذا ممّا جاء من الشواهد النبوية، وروته الثقاة من الرواة المرضيّة، على صحّة هذه اللفظة.

وأمّا ماجاء من ذلك في أشعار العرب فكثير، كقول الأعشى:

الناس حول قبابه ... أهل الحوائج والمسائل(٣)

وقول الفرزدق:

ولي ببلاد السند عند أميرها ... حوائج جمّات وعندي ثوابها(٤)

وأنشد أبوعمرو بن العلاء:

من عفّ خفّ على الوجوه لقاؤه ... وأخو الحوائج وجهه مبذول(٥)

---

(١) اعلم أنّ الذي ذكره الماتن قدّس سرّه: «وأثبتها أكثر أئمّة اللغة إلى آخر الحديث، اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه». مذكور في لسان العرب: ج٢ ص٢٤٣- ٢٤٤ فراجع. هذا مع العلم بأنّ الحديث الأوّل مذكور في عوالي اللئالي: ج١ ص٢٨٥ والجامع الصغير: ص٤٠، والحديث الثاني مذكور في أمالي الطوسي: ج٢ ص٨.

(٢) مجمع البحرين: مادّة-دهم-ج٦ ص٦٥، ذكر بعضه.

(٣)و(٤) لسان العرب: ج٢ ص٢٤٣. (٥) لسان العرب: ج٢ ص٢٤٤ منسوباً إلى ابن الأعرابي.

....

وأنشد الفرّاء:

نهار المرء أمثل حين يقضي حوائجه من الليل الطويل(١)

وأنشد غير ذلك من أشعارهم الشاهدة على ذلك، ثمّ قال: فقد وجب ببعض هذا سقوط قول المخالف حين وجبت الحجّة عليه، ولم يبق دليل يستند إليه، وأنا اتبع ذلك بأقوال العلماء ليزداد القول في ذلك إيضاحاً وتبييناً(٢).

قال الخليل في كتاب العين: خفّفوا الحاجة من الحائجة، ألا تراهم جمعوها على حوائج(٣)، وكذلك ذكرها عثمان بن جني في كتاب اللمع(٤).

وحكى المهلبي عن ابن دريد أنه قال: حاجة وحائجة وحوجا والجمع حاج وحوائج وحوج(٥).

وذكر ابن السكيت في كتابه المعروف بالألفاظ قريباً من آخره باب الحوائج: يقال في جمع حاجة: حاجات وحاج وحوج وحوائج(٦).

وقال سيبويه في كتابه: إنه يقال: تنجّز حوائجه واستنجز حوائجه(٧).

وذهب قوم من أهل اللغة إلى أنّ حوائج يجوز أنْ يكون جمع حوجاء وقياسها حواجي مثل صحاري، ثمّ قدّمت الياء على الجيم فصارت حوائج، والمقلوب من كلام العرب كثير. وإنّما غلط الأصمعي في هذه اللفظة حتّى جعلها مولّدة كونها خارجة عن القياس؛ لأنّ ما كان على مثال الحاجة مثل غارة وحارة لا يجمع على غوائر وحوائر، فقطع لذلك على أنّها مولّدة غير فصيحة، على أنّه حكى الرقاشي

---

(١) لسان العرب: ج٢ ص٢٤٣ من دون نسبة إلى فرّاء.

(٢) اعلم أنّ الذي ذكره الماتن قدّس سرّه: «من متابعة أقوال العلماء إلى آخر الشرح» مأخوذ من لسان العرب: ج٢ ص٢٤٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) كتاب العين: ج٣ ص٢٩٣ في فصل «راح». (٤)و(٥) لسان العرب: ج٢ ص٢٤٤.

(٦) لسان العرب: ج٢ ص٢٤٤. (٧) كتاب سيبويه: ج ٢ ص٢٨٧

اَللّهُمَّ يامُنْتَهى مَطْلَبِ الْحاجاتِ ويا مَنْ عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِباتِ.

والسجستاني عن عبدالرحمن عن الأصمعي أنه رجع عن هذا القول، وإنّما هو شيء كان عرض له من غير بحث ولانظر، وهذا هو الأشبه به؛ لأنّ مثله لايجهل ذلك إذا كان موجوداً في كلام النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وكلام غيره من العرب الفصحاء، وكأنّ من أنكرها لم يمرّ به إلّا القول الأوّل المحكيّ عن الأصمعي، دون القول الثاني(١)، ولو أنّه سلك مسلك النظر والتسديد، وأضرب عن مذهب التسليم والتقليد، لكان الحقّ إليه أقرب من حبل الوريد.

منتهى الأمر: غايته وهو أقصى مايمكن أن يبلغه فلايتجاوزه.

والمطلب: يكون مصدراً واسم موضع كما مرّ، وكونه تعالى منتهى طلب الحاجات يمكن تقريره على وجوهٍ:

أحدها: ماتقرّر عند أرباب المعقول من أنّ كلّ موجود سوى الله عزّوجلّ فهو ناقص من وجه وفيه قوّة، كما أنّ له كمالاً وفعليةً؛ إذ كلّ ممكن فهو زوج تركيبيّ، فكلّ موجود فهو لأجل شعوره بالوجود الناقص طالب للموجود المطلق الكامل، الذي هو مطلوب ومؤثّر بالذات أوّلاً وبالذات، ولكلّ واسطة بينه وبين ذلك الوجود ممّا هو أعلى منه وأقرب إلى ذلك الوجود ثانياً وبالعرض؛ لأنّ الوصول إليه لايمكن إلّا بوصوله إليها ومروره عليها؛ إذ سلوك طريقه منحصر في ذلك، لما دريت أن الموجودات مترتّبة في الصدور بدءً وعوداً، ماتقدّم متقدّم ولا تأخّر متأخّر إلّا بالحقّ، فكلّ موجود فهو طالب لما فوقه، فإذا وصل إليه طلب ماهو أعلى منه، وهكذا إلى أن يصل إلى مطلوبه الحقيقي الذي لاأكمل منه وهو الله سبحانه، وعند ذلك يطمئنّ ويسكن شوقه وانزعاجه ويشتدّ عشقه وابتهاجه، فكان سبحانه منتهى مطلب الحاجات، ولهذه الجملة تفصيل ليس هذا محلّه.

---

(١) الى هنا منقول عن لسان العرب: ج٢ ص٢٤٤.

....

الثاني: ماتقرّر عند أرباب العرفان من كونه تعالى منتهى مقامات العارفين وغاية أطوار السالكين وأفكار المتفكّرين، فإنّهم لايزالون يترقّون من مقام إلى مقام، ومن رتبة إلى رتبة، حتّى ينتهوا إلى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم واندكاك جبال هوياتهم، فيتلو لسان حالهم «وأَنَّ إلى ربّكَ المُنْتَهىٰ»(١).

الثالث: أنّه المنتهىٰ إليه في طلب الحاجات عند اليأس من كلّ مطلوب إليه سواه، فإنّ الطالب إذا يئس من المخلوقين في قضاء حاجته انتهى إليه تعالى في طلبها.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: هو الذي يتألّه(٢) إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق، عند انقطاع الرجاء من جميع من هو دونه، وتقطع الأسباب من كلّ من سواه(٣).

الرابع: أنّ كلّ مطلوب إليه حاجة سواه، فلابدّ أن يكون له حاجة يطلبها من غيره، إلى أن ينتهي الطلب إليه تعالى، وهو الذي يطلب منه الكلّ ويفتقر إليه وهو الغنيّ الحميد.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: أنّ كلّ مترئس في هذه الدنيا ومتعظّم فيها، وإن عظم غناه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه إليه، فإنّهم سيحتاجون حوائج لايقدر عليها هذا المتعاظم، وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لايقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته(٤)، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وبالجملة: فهو تعالىٰ غاية كلّ موجود، ومنتهى كلّ غاية ومقصود، ومرجع كلّ مضطرّ ومطرود، لامقصد فوقه ولامطلوب وراءه، ولاملجأ إلّا هو، ولامنجىٰ منه إلّا إليه.

---

(١) سورة النجم: الآية ٤٢.

(٢) في (الف وج) يناله.

(٣) التوحيد ص٢٣١، ح٥.

(٤) لم نعثر عليه.

وَيا مَنْ لايَبيعُ نِعَمَهُ بِالأَثْمانِ وَيا مَنْ لايُكَدِّرُ عَطاياهُ بِالإمْتِنانِ.

قوله عليه السلام: «ويامن عنده نيل الطلبات». نال الشيء يناله نيلاً ـ من باب تعب ـ: أصابه وأدركه.

والطلبات: جمع طلبة بفتح الطاء المهملة وكسر اللام، وهي ماتطلبه من غيرك ، وتقديم الظرف للحصر، والألف واللام في الطلبات لاستغراق الأفراد، ونيل بعض الطلبات عند غيره لايتحقّق إلّا بإذنه وتوفيقه وإعانته، فكان في الحقيقة عنده وصحّ الحصر.

البيع في اللغة: مطلق المبادلة والمعاطاة، وهو إعطاء كلّ واحدٍ من المتبايعين مايريده من المال عوضا عمّا يأخذ من الآخر باتفاقهما على ذلك .

وفي الشرع: مبادلة المال المتقوّم بالمال المتقوّم بالإيجاب والقبول تمليكاً وتملكاً.

والمراد به هنا المعنى اللغوي.

والأثمان: جمع ثمن محرّكة وهو العوض.

والباء: للمقابلة نحو اشتريته بألف، وهذا كناية عن أنّه سبحانه لايطلب على نعمه وإحسانه عوضاً بوجهٍ من الوجوه، بخلاف كلّ منعم سواه، فإنّه طالب بنعمته عوضاً، وهو إمّا الثواب الآجل أو الثناء العاجل، وإمّا إزالة الرقّة الناشئة عن الجنسية، كمن رأى أحداً من بني جنسه في بليّة، فتألّم قلبه ورقّ له وخلّصه منها، فهو مزيل بالتخليص المذكور ذلك التألّم والانفعال الحاصل له.

و إمّا إزالة خسّة المال ورذيلة البخل الذي هو من أقبح الخصال وأشنع الرذائل، كمن يفرّق ماله في الناس تكميلاً لنفسه وتخليصاً لها من تلك الرذيلة.

والحاصل: إنّ نعمة المخلوق وعطاءه وإحسانه ليس إلّا في مقابلة عوض، بخلاف نعمه تعالى فإنّها محض تفضّل وتطوّل.

قوله عليه السلام: «ويا من لايكدّر عطاياه بالامتنان».

ويا مَنْ يُسْتَغنىٰ بِهِ وَلايُسْتَغْنىٰ عَنْهُ وَيا مَنْ يُرْغَبُ إِلَيْهِ وَلايُرْغَبُ عَنْهُ.

كدر الماء كدراً ـ من باب تعب ـ فهو كدر، وكدر كدورةً وكدراً ـ من بابي صعب وقتل ـ: زال صفاؤه، ويتعدّى بالتضعيف فيقال: كدّرته تكديراً.

والعطايا: جمع عطيّة، وهي ما تعطيه غيرك.

والامتنان: افتعال من المنّ، وهو إظهار الاصطناع واعتداد الصنائع، كأن تقول: ألم أُعطك كذا؟ ألم أُحسن إليك؟ ألم أُعنك؟ وهو تقرير وتعيير يكدّر المعروف وينغّصه؛ فلهذا نهىٰ الشارع عنه بقوله: «لا تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ والأذىٰ»(١). ومن هنا قيل:

سيّان مَن منح النائل ومنّ ومن منع السائل وظنّ

والمراد بنفي تكديره تعالى عطاياه بالامتنان نفي الامتنان عنه رأساً، فهو من باب نفي الشيء بنفي لازمه، أي: لاامتنان فلا تكدير.

وقد تقدّم بيان المبالغة في هذا النوع من النفي فليرجع إليه. ثمّ لمّا كان الامتنان بالمعنىٰ المذكور رذيلة ناشئة عن دناءة النفس وصغر الهمّة واستعظام النعمة والإحسان، كان تعالى منزّهاً عن الامتنان؛ لأنّ كلّ نعمةٍ من نعمه تعالى وإن عظمت، وكلّ عطيّة من عطاياه وإن جلّت بالنسبة إلى العبد المعطى والمنعم عليه، فهي حقيرة بالنسبة إلى عظمته جلّت قدرته ،وشأنه تعالى أجلّ من أن يكون لها عنده موقع فيمنّ بها ويعتدّها على من أعطاه وأنعم عليه.

وقول بعض العلماء: إنّ المنّ بالمعنى المذكور صفة مدح للحقّ سبحانه وإن كان صفة ذمّ للمخلوق، ليس بشيء، وعبارة الدعاء تشهد ببطلانه.

استغنيت بالشيء: اكتفيت به.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

وَيا مَنْ لا تُفْنِي خَزائنهُ الْمَسائلُ ويا مَنْ لا تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسائلُ.

ورغب إليه: ابتهل وتضرّع وسأل.

ورغب عنه: كرهه فلم يرده.

ولمّا كانت أزمّة الأمور بيده تعالى فلايقع منها شيء إلّا بإيجاده وإذنه، وكان كلّ من سواه مفتقراً إليه، صحّ الاستغناء به تعالى عن غيره في جميع الأمور وكلّ الأحوال، واستحال الاستغناء عنه في شيء منها. ولمّا كان هو المرغوب إليه دون من عداه؛ إذ كان هو المعطي المانع والضارّ النافع، لاجرم لم يكن من الرغبة إليه بدّ ولاللرغبة عنه مجال *.

فني المال يفنى-من باب تعب- فناء: نفد.

ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أفنيته، والمراد بخزائنه تعالى إمّا خزائن السماوات والأرض؛ إذ الكلّ منه وبيده، أو المعقول من سماء جوده وما تحويه قدرته من الخيرات الممكنة.

و إسناد الإفناء إلى المسائل من باب إسناد الفعل إلى السبب فهو مجاز عقليّ، وإنّما لم تفنِ خزائنه المسائل لأنّ مقدوراته تعالى غير متناهية، وما عنده لايدخله نقص ولافناء، بل يدخلان الفاني المحدود.

وفي الحديث القدسيّ: يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان مسألته، مانقص ذلك ممّا عندي شيئاً، إلّا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر(١).

أي: لاينقص شيئاً، وإنّما ضرب المثل بالمخيط والبحر؛ لأنّه وإن كان يرجع بشيء قليل محسوس، لكن لقلّته بالنسبة إلى أعظم المرئيّات عياناً لايُرى ولايعدّ شيئاً، فكأنّه لم ينقص منه شيء.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ج١٦ ص١٣٢ - ١٣٣.

....

قوله عليه السلام: «و يامن لا تبدّل حكمته الوسائل» حكمته تعالى. قيل: هي خلق مافيه منفعة العباد ورعاية مصالحهم في الحال أو في المال.

وقيل: هي علمه تعالى بالأشياء على ماهي عليه، والإتيان بالأفعال على ماينبغي.

وقيل: هي إتقانه وإحكامه في علمه وفعله.

والوسائل: جمع وسيلة، وهي مايتقرّب به إلى الشيء، من وسلت إلى الله بالعمل أسِلُ -من باب وعد-: رغبت وتقرّبت، وتوسّل إلى ربّه بوسيلة: تقرّب إليه بعمل.

والمعنى أنّ حكمته تعالى إذا اقتضت وقوع أمرٍ أو لاوقوعه، فلابدّ من تحقّق مااقتضته حكمته، ولا تغيّر ذلك الوسائل من الأعمال التي يتوسّل بها إليه كالدعاء وغيره.

و إلى هذا المعنىٰ أشار من قال: إنّ العلماء بالله لايتوسّلون إلى الله في أن يبدّل لهم جريان أحكامه بخلاف مايكرهون، ولاليغيّر لهم سابق مشيئته ومقتضىٰ حكمته، ولاليحوّل عنهم سائر سنّته التي قد خلت في عباده من الابتلاء والاختبار.

فإن قلت: قد ورد أنّ الدعاء والصدقة يدفعان البلاء المقدّر.

قلت: دفع ذلك البلاء بالدعاء والصدقة منوط بالحكمة الإلهية أيضاً، وقد كانت الحكمة في وقوعه مشروطة بعدم الدعاء والتصدّق، فلا منافاة.

روى الحميري في قرب الإسناد عن جعفر عن أبيه عليهما السلام، قال: قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا رسول الله رقى يستشفى بها هل تردّ من قدر الله؟ فقال: إنّها من قدر الله(١).

---

(١) قرب الإسناد: ص٤٥.

ويا مَنْ لا تَنْقَطِعُ عَنْهُ حَوائِجُ الْمُحْتاجينَ وَيا مَنْ لايُعَنّيه دُعاءُ الداعينَ.

وأمّا ما قاله بعض المعاصرين من أنّ المعنى أنه إذا توسّل أحد بغيره تعالى في قضاء حاجة أو تحصيل رزق، لايكون ذلك باعثاً على تبديل حكمته تعالى بأن يقطع عنه رزقه ويمنع مامنحه من النعم.

وما في الدعاء من قوله عليه السلام: «فقد تعرّض للحرمان واستحقّ من عندك فوت الإحسان»، لاينافيه.

فإنّ هذا يقتضي حرمانه ممّا توسّل لأجله، ولو توسّل به تعالى لمنحه وأعطاه، على أنّ التعرّض والاستحقاق قد لايقتضيان المنع، فهو بعيد جدّاً عن ظاهر العبارة كما لايخفى ه.

انقطع الشيء: ذهب بعد أن كان.

وانقطع كلامه: وقف، وأنقطع الغيث: احتبس، أي: لا تزال حوائج المحتاجين واردة عليه ومسؤولة من لديه، لا تقف أبداً عن سؤاله ولاتحتبس عن طلب نواله.

وعني يعنى ـ من باب تعب ـ: إذا أصابته مشقّة، ويتعدّى بالتضعيف، فيقال: عنّاه يعنّيه إذا كلّفه مايشقّ عليه، والاسم العناء بالفتح والمدّ، وقد يعدّى بالهمزة أيضاً فيقال: أعناه يعنيه، نصّ عليه صاحب القاموس(١) وصاحب المحكم(٢) أيضاً.

وأنشد عليه قول أُميّة:

و إنّي بليلىٰ والديار التي أرى　　　كالمبتلىٰ المعنى بشوق موكّل

وقد وردت الرواية في الدعاء بالوجهين، وفي رواية أُخرىٰ يعييه بالمثناة التحتيّة بعد العين المهملة، من أعياه الأمر إذا أتعبه فأعياه، وهو يستعمل لازماً ومتعدّياً.

---

(١) القاموس المحيط: ج٤ ص٣٦٧.　(٢) المحكم لابن سيده: ج٢ ص١٧٨.

تَمَدَّحْتَ بِالْغِناء عَنْ خَلْقِك وَأَنْتَ اَهْلُ الْغِنىٰ عَنْهُمْ وَنَسَبْتَهُمْ إِلَى الْفَقْرِ وَهُمْ اَهْلُ الْفَقْرِ إِلَيْكَ.

فَمَنْ حاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِك وَرَامَ صَرْفَ الْفَقْرِ عَنْ نَفْسِهِ بِكَ

والمعنى أنّ دعاء الداعين على كثرتهم وكثرة مطالبهم لايشقّ عليه، أو لايتعبه فيضجر من دعائهم ويتبرّم من سؤالهم، فيوجب ذلك حرمانهم وتخييبهم، أو يعسّر عليه إنجاح مأربهم مطالبهم وإسعاف مآربهم؛ لأنّ المشقّة والتعب من لواحق المزاج، والباري تعالى منزّه عنه فيتنزّه عن لواحقه.

تمدّح: على تفعّل، أظهر مدح نفسه.

وقال الزمخشري في الاساس: العرب تتمدّح بالسخاء، وهو يتمدّح إلى الناس: يطلب مدحهم(١).

والغناء بالفتح والمدّ: الكفاية، وبالكسر والقصر: عدم الحاجة، وقد وردت الرواية بالوجهين، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «يا أيُّها النّاسُ أنتُمُ الفُقَراءُ إلى اللهِ واللهُ هُو الغَنيّ الحَميدُ»(٢)، ويجب أن يحمل الغنى هنا على ماهو أعمّ من الغنى المتعارف، فيراد به سلب مطلق الحاجة، كما يجب أن يراد بالفقر مطلق الحاجة؛ إذ حقيقة الغنى هو استقلال الشيء بذاته في كلّ ماله من غير تعلّق له بالغير أصلاً، وهو بهذا المعنى لايكون إلّا لله تعالى، وحقيقة الفقر هو عدم استقلال الشيء بذاته وتعلّقه بالغير ولو في شيء، وما هو بهذا المعنى صفة لكلّ ممكن، فثبت أنه تعالى غنيّ عن خلقه من كلّ الوجوه، وتحقّق فقرهم إليه من كلّ وجه، لما تقرّر من أنّ كلّ فقير بالذات من وجهٍ مافهو فقير بالذات من جميع الوجوه، كما برهن عليه في محلّه.

الفاء: للسببيّة، أي: فبسبب ذلك من حاول إلى آخره.

وحاول الشيء حوالاً ومحاولةً: رامه وطلبه.

---

(١) أساس البلاغة: ص٥٨٥. (٢) سورة فاطر: الآية ١٥.

فَقَدْ طَلَبَ حاجَتَهُ في مَظانِّها وَاَتى طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهِها وَمَنْ تَوَجَّهَ بِحاجَتِهِ إِلى اَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ اَوْ جَعَلَهُ سَبَبَ نُجْحِها دُونَكَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْحِرْمانِ وَاسْتَحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَوْتَ الإحْسانِ.

وقيل: المحاولة طلب الشيء بحيلة.

وسدّ الثلمة سدّاً: أصلحها ووثقها.

والخَلّة بالفتح: الفقر والحاجة، وهي من الخلل بين الشيئين وهو الفرجة.

والثلمة: أُطلقت على الفقر والحاجة؛ لأنّه ثلمة في حال الإنسان، وفي الدعاء «اللّهمّ سادّ الخلّة»(١) أي: جابرها ومصلحها.

ومظانّ الشيء: جمع مظنّة بكسر الظاء المعجمة.

وقال الجوهري(٢): مظنّة الشيء موضعه ومألفه الذي يظنّ كونه فيه، والجمع المظانّ.

وقال الزمخشري في الفائق: المظنّة المعلم من ظنّ بمعنى علم(٣).

وأتيت الشيء من وجهه أي: من جهته التي يؤتى منها، وفي رواية «من وجهتها» وهي بكسر الواو بمعنى الوجه، وتوجّه إلى الشيء: أقبل بوجهه عليه.

وتعرّض له: تصدّى، ومنه تعرّضوا لنفحات الله.

والحرمان بالكسر: المنع، من حرمته كذا أحرمه ـ من باب ضرب ـ حرمة وحرماناً بالكسر فيهما: إذا منعته إيّاه.

واعلم أنّه لمّا كان له تعالى خزائن السماوات والأرض، وكان أمرها بيده لامعطي ولامانع إلّا هو، وقد أمر بالدعاء وتكفّل بالإجابة، فقال: «ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُم»(٤)، وحثّ الخلق على أن يسألوه ليعطيهم، فقال الله: «واسئلوا الله

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٧٢.

(٢) الصحاح للجوهري: ج٦ ص٢١٦٠.

(٣) الفائق: ج٢ ص٣٨١.

(٤) سورة غافر: الآية ٦٠.

....

مِن فَضْلِه»(١)، وكانت له القدرة التامّة التي لايعجزها شيء، وكان له الجود الذي لابخل فيه والغنى الذي لافقر معه، لاينقصه عطاء ولايعزّه منع، لاجرم كان من طلب إصلاح خلّته وجبر فاقته من عنده، ورام صرف الفقر عن نفسه به، طالباً لحاجته من موضعها الذي يعلم أنّها فيه، وقصد ماطلبه من جهته التي يقصد منها، فكان حريّاً بالنجح لما سأل وجديراً بالظفر بما طلب.

وأمّا مَن توجّه بحاجته إلى أحد من المخلوقين، وأناخ مطايا الرجاء والطلب في ساحة فقير عاجز مثله، أو جعله سبباً لنجاحها والظفر بها، معتمداً عليه دون الله تعالى، فقد تصدّى للمنع وفوت الإحسان منه تعالى؛ إذ لم يأت حاجته من الوجه الذي ينبغي أن يأتيها منه، ولم يطلبها من محلّها الذي هي فيه، ومَن التمس الشيء من غير محلّه وأتاه من غير جهته، لم يظفر إلّا بالحرمان ولم يحصل إلّا على خيبة المطلب، وإنّما حكم عليه باستحقاق فوت الإحسان منه تعالىٰ؛ لعدم استعداده لنفحات الله تعالى بالتوجّه إلى غيره واشتغال نفسه بذلك الغير، وقد ورد في الحديث مايدلّ على هذا المعنى صريحاً.

روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن الحسين بن علوان، قال: كنّا في مجلس يطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض أسفاري، فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً، فقال: إذن والله لايسعف حاجتك ولايبلغك أملك ولاينجح طلبتك، قلت: وما علمك رحمك الله؟ قال: إنّ أبا عبدالله عليه السلام حدّثني أنّه قرأ في بعض الكتب أنّ الله تعالى يقول: وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي، لأُقطعنّ أمل كلّ مؤمّل غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلّة عند الناس، ولأُنحّينّه من قربي، ولأُبعّدنّه من فضلي، أيُؤمّل

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٢.

....

غيري في الشدائد والشدائد بيدي؟ ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني؟ فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه منّي؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممّن لايملّ من تسبيحي وأمرتهم أن لايغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنّه لايملك كشفها أحد غيري إلّا من بعد إذني؟ فمالي أراه لاهياً عنّي؟ أعطيته بجودي مالم يسألني ثمّ انتزعته منه فلم يسألني ردّه وسأل غيري، أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثمّ أُسأل فلاأُجيب سائلي؟ أبخيل أنا فيبخّلني عبدي؟ أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محلّ الآمال؟ فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري؟ فلو أنّ أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثمّ أعطيت كلّ واحدٍ منهم مثل ماأمّل الجميع ماأنتقص من ملكي مثل عضو ذرّةٍ، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه؟ فيابؤساً للقانطين من رحمتي ويابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني(١).

وفي هذا المعنى أحاديث أُخر روتها الخاصّة والعامّة.

قال بعضهم: لايقال العالم عالم الأسباب، فكيف يذمّ من رجع إلى الغير لظنّه أنّه سبب؛ لأنّا نقول: الذمّ باعتبار أنّ قلبه تعلّق به واعتمد عليه، وأمّا من لم يركن إليه ولم يثق به ولم يعتمد عليه فالظاهر أنّه ليس بمذموم، والأولىٰ مع ذلك أن يرجع إلى الله تعالى، فإن شاء الله أن يكون قضاء حاجته على يد أحد جعله وسيلة له شاء أو لم يشأ.

وقال أبوالحسين الفارسي: من سكن إلى شيء دون الله فهلاكه فيه، سكن

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٦ ح٧.

اَللّهُمَّ وَلي إِلَيْكَ حاجَةٌ قَدْ قَصرَ عَنْها جُهْدي وَتَقَطَّعَتْ دُونها حِيَلي وَسَوَّلَتْ لي نَفْسي رَفْعَها إِلى مَنْ يَرْفَعُ حَوائجه إِلَيْك وَلايَسْتَغْني في طَلِباتِهِ عَنْك وَهِيَ زَلَّةٌ مِنْ زُلَلِ الْخاطِئين وَعَثْرَة مِنْ عَثَراتِ الْمُذْنِبينَ.

يوسف عليه السلام إلى عناية الذي ظنّ أنّه ناجٍ منهما وقال له: «اذكرني» «فَلَبِثَ في السِجن بِضْعَ سِنين»(١). وتوسّل موسىٰ بالفقر فقال: «ربِّ إنّي لِما أنْزَلتَ إلَيَّ مِن خَيرٍ فَقيرٌ»(٢)، فقيّض الله له شعيباً حتّى دعاه وآواه وبلغ أمره إلى مابلغ من هناك ، وحيث طلب الطعام مع الخضر منعا، كما حكى الله عنهما: «فَانْطَلَقا حتّى إذا أتَيا أهلَ قَرْيةٍ اَستَطْعَما أهلَها فَأبَوا أنْ يُضيِّفوهُما»(٣).

فكلّ ماتسكن إليه فهو تارك لك ، وكلّ ماتميل نحوه فهو مائل عنك ، وكلّ ماتعتمد عليه فهو ساقط بك ، فلا تسكن إلى شيء دون الله تعالى.

قصر عن الشيء -من باب قعد- قصوراً وقصر عنه تقصيراً: عجز، وعليه الرواية في الدعاء.

والجهد بالضمّ في الحجاز وبالفتح في غيرهم: الوسع والطاقة.

وقيل: المضموم: الطاقة، والمفتوح: المشقّة.

والجهد بالفتح لاغير: النهاية والغاية، وهومصدرمن جهدفي الأمرجهداً. من باب نفع، إذا طلب حتّى بلغ غايته في الطلب. وبالوجهين وردت الرواية في الدعاء، وهو يرجّح القول الأوّل.

والحيل: جمع حيلة، وهي الحذق في تدبير الأُمور، وهو تقليب الفكر حتّى يهتدي إلى المطلوب، ويروى حيلتي بالإفراد.

والتسويل: تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله.

وقيل: هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٤٢. (٢) سورة القصص: الآية ٢٤. (٣) سورة الكهف: الآية ٧٧.

....

والرفع: في الأجسام حقيقة في الحركة والانتقال، وفي المعاني محمول على مايقتضيه المقام، فرفع حاجته إلى فلان: ذكرها له ليقضيها، ورفع إليه الحديث: أخبره به، وقس على ذلك.

والزلّة: الخطيئة من زلّت قَدَمه ـ من بابي ضرب وتعب ـ زلاً و زللاً: إذا زلقت ودحضت في طين ونحوه.

والعثرة: السيّئة والخطيئة من عثر يعثر ـ من باب قتل ـ عثاراً بالكسر: إذا كبا وسقط؛ لأنّها سقوط في الإثم.

فإن قلت: كيف يجوز عليه صلوات الله وسلامه عليه وهو إمام معصوم أن تسوّل له نفسه رفع حاجته إلى غير الله تعالى، حتّى اعترف بأنّ ذلك زلّة من زلل الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين؟.

قلت: يمكن أن يكون قوله عليه السلام: «وسوّلت لي نفسي» من باب تعبيرهم بالفعل عن مشارفته، أي: شارفت أن تسوّل لي لاأنّ التسويل وقع، فهو كقوله تعالى: «وليَخشَ الّذينَ لَو تَركُوا مِن خَلفِهم ذُرِّيّةً ضِعافاً خافُوا عَليهم»(١)، أي: لو شارفوا أن يتركوا؛ ليصحّ وقوع خافوا جزاء؛ لانتفاء الخوف بعد الموت.

ومنه قول الشاعر:

إلى ملك كاد الجبال لفقده تزول و زال الراسيات من الصخر

فإنّ المراد شارفت الزوال، لاأنّ زوالها وقع وانفصل. وعلى هذا فلايبعد أن يقال: إنه عليه السلام لمّا عجز عن حاجته جهده وتقطّعت دونها حيله، شارفت نفسه أن تسوّل له التوصّل فيها إلى من يظنّ أنّه يساعفه ويقوم معه في نجاحها، فينضمّ(٢) إلى دعاء الله ورغبته إليه.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩.

(٢) (الف و ج): فيضمّ.

....

والاعتماد عليه: الاستعانة بمن يظنّ أن يكون سبباً لحصولها، وليس في ذلك شيء ينافي العصمة، هذا بالنظر إلى مقامه عليه السلام، وإلاّ فلو وقع من نفسه التسويل، بل لو وقع منه رفع الحاجة إلى غير الله تعالى على الوجه المذكور، لم يكن شيء منهما منافياً للعصمة، بل يكون كقول يوسف الصدّيق عليه السلام للذي ظنّ أنّه ناجٍ منهما: «اذكُرني عِندَ رَبِّكَ»(١)، فإنّه لو لم يكن من هذا القبيل لما جاز أن يقع منه هذا القول؛ لأنّه نبيّ مرسل معصوم.

فإن قلت: فكيف اعترف بأنّه زلّة من زلل الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين؟.

قلت: هذا من باب عدّهم للاشتغال بالمباحات ذنباً واعتقادهم كونه خطيئة؛ إذ كان فيه رائحة ممّا ينافي صدق الانقطاع إليه تعالى، مع مافي ذلك من كمال الخضوع والخشوع له تعالى والاعتراف بالتقصير في صدق التوكّل عليه سبحانه؛ إذ كانوا عليهم السلام لايخرجون أنفسهم عن حدّ التقصير أبداً في جميع الطاعات والعبادات.

كما روي عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنّه قال لبعض ولده: يابُنيّ عليك بالجدّ، لاتخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته، فإنّ الله لايعبد حقّ عبادته(٢).

وممّا يناسب إيراده هنا من الحكايات لمناسبة الفقرات المذكورة من الدعاء ماروواه جابر الجعفي، قال: قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: ضقت ضيقاً شديداً وكان عطاي من معاوية في كلّ سنةٍ مائة ألف درهم، فحبسها عنّي إحدى السنين، فدعوت بدواة وقرطاس لأكتب إلى معاوية ثمّ أمسكت، فرأيت

---

(١) سورة يوسف: الآية ٤٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص٧٢ ح١.

....

النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في منامي، فقال لي: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير، وخبّرته بما حُبس من المال عنّي، فقال: دعوتَ بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكّره حاجتك؟.

فقلت: ياأبت كيف؟ قال: قل اللّهمّ اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمّن سواك، حتّى لاأرجو أحداً غيرك، اللّهمّ ماضعفت عنه قوّتي، وقصر عنه أملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني، ممّا أعطيت الأوّلين والآخرين من اليقين، فاخصصني به يارب العالمين. قال الحسن عليه السلام: ماالحجت به أُسبوعاً حتّى بعث إليّ معاوية بألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، فقلت: الحمد لله الذي لاينسى مَنْ ذكره ولايخيب من دعاه ولايقطع رجاء من رجاه، فرأيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد ذلك في منامي، فقال: كيف أنت ياحسن؟ فقلت: بخير ياأبت، وحدّثته بحديثي، فقال: يابنيّ هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوقين(١).

وحكى أبو حمزة الخراساني عن نفسه، قال: بينا أنا أمشي في طريق الحجّ إذ وقعت في بئر، فنازعتني نفسي أن أستغيث، فقلت: لاوالله، فما استتمت هذا الخاطر حتّى مرّ برأس البئر رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعالى حتّى نطمّ هذا البئر لئلا يقع فيها أحد، فطمّا رأس البئر، فهممت أن أصيح، فقلت: إلى من هو أقرب منهما، فما مضت إلّا ساعة حتّى رأيت شيئاً كشف عن رأس البئر وأدلى رجله وجعل يهمهم فتعلّقت به فأخرجني، فإذا سبعٌ وهاتف: يا أبا حمزة أليس هذا أحسن؟ نجّيناك من التلف بالتلف(٢).

---

(١) البداية والنهاية: ج٨ ص٣٧ من دون نسبته إلى جابر الجعفي مع اختلاف يسير.

(٢) حياء علوم الدين: ج٤ ص٢٧٢. مع اختلاف يسير.

ثُمَّ انْتَبَهْتُ بِتَذْكِيرِكَ لِي مِنْ غَفْلَتِي وَنَهَضْتُ بِتَوْفِيقِكَ مِنْ زَلَّتِي وَرَجَعْتُ وَنَكَصْتُ بِتَسْدِيدِكَ عَنْ عَثْرَتِي.

وحُكي أنّه اشتمل حبس أبي جعفر المنصور على عدّة من الشيعة وفيهم رجل من الأندلس، واتّفق أنّ السجّان غاب عنهم ليلةً لعارض، فقيل لهم: من كانت له حاجة فليكتب بها رقعة إلى أهله فإنّ الباب يغلق، فعهد كلّ منهم إلى حاجته فكتب بها، وعمد الأندلسي إلى قطعة رقّ فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم إلى الله تبارك وتعالى من عبده وابن عبده فلان بن فلان، اللّهمّ اذكرني حيث نسيت وعافني من حيث بليت وصلني كما جفيت، قال: فما انتصف الليل حتّى أعيا قرع رسول المنصور الباب وأخرج الرجل وأدخل على المنصور، فقال له: أسهرتني فمن بك نوّر؟ قال: عليّ التنوير وعليك التغيير، حبستني في أن أحببت قوماً بهم جلست هذا المجلس، قال: إذهب إلى أيّ بلاد الله شئت.

الانتباه: القيام من النوم، ولمّا كانت الغفلة،وهي غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكّره له، حالةً شبيهة بالنوم في عدم تعقّل الشيء بالفعل، عبّر عن الخروج منها بالانتباه. والتذكير: إعادة ماقد استثبته القلب فانمحىٰ عنه بنسيان أو غفلة.

ونهض من سقطته: استوىٰ قائماً.

والتوفيق: جعل الله فعل عبده موافقاً لما يحبّه ويرضاه.

والنكوص: الإحجام عن الشيء، نكص على عقبيه ـمن بابي قعد وضربـ، نكصاً ونكوصاً.

قال الفيروزآبادي في القاموس: وهو خاصّ بالرجوع عن الخير، ووهم الجوهري في إطلاقه أو في الشرّ نادرٌ إنتهى(١).

---

(١) القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٢٠.

وَقُلْتُ سُبْحانَ رَبّي كَيْفَ يَسْأَلُ مُحْتاجٌ مُحتاجاً وَأَنّى يَرْغَبُ مُعْدِمٌ إِلَى مُعْدِمٍ.

قلت: وعبارة الدعاء تشهد للجوهري بصحّة إطلاقه.

والتسديد: تقويم إرادة الإنسان وحركاته نحو الغرض المطلوب ليهجم إليه في أسرع مدّة، مأخوذ من تسديد السهم نحو الغرض وهو توجيهه إليه.

والمراد بتذكيره تعالى له وتوفيقه وتسديده: لطفه به وإلهامه القيام بما آتاه من آداب الأوصياء وأخلاق الأصفياء، من صدق الانقطاع إليه والتوكّل عليه وقوّة اليقين به واطمينان القلب بفضله، فلم يلتفت إلى غيره ولاإلى نفسه، وهكذا من كان دائم المراقبة لربّه مدقّقا للحساب على نفسه، قد قام معها على ساق مقام الخصم الألدّ عند الشقاق، كان مستوجباً للعصمة من ربّه مطرحاً لأشعّة أنوار لطفه وحبّه ❊.

سبحان ربّي: تعجّب من سؤال المحتاج المحتاج ورغبة المعدم إلى المعدم، والأصل في ذلك أن يسبّح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه تنزيهاً له؛ إذ كانت له هذه القدرة عن جميع النقائص، ثمّ كثر حتّى استعمل في كلّ متعجّبٍ منه، أو تنزيه له تعالى من أن يترك المحتاج والمعدم سؤاله والرغبة إليه مع علمه بفناء المطلق، ويسأل محتاجاً ومعدماً مثله.

وكيف: للاستفهام الإنكاري، لابمعنى إنكار الواقع كما في قوله تعالى: «كَيفَ تَكفُرونَ باللهِ وكُنتُم أمواتاً»(١) الآية، بل بمعنى إنكار الوقوع والتعجّب منه كما في قوله تعالى: «كيفَ يَكونُ لِلمُشرِكينَ عَهدٌ عِندَاللهِ وَعِندَ رَسولِهِ»(٢) الآية.

وفي توجيه الإنكار إلى كيفيّة سؤال المحتاج المحتاج من المبالغة ماليس في توجيهه إلى نفس السؤال، بأن يقال: أيسأل محتاج محتاجاً؟ لأنّ كلّ موجود يجب أن يكون

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨.
(٢) سورة التوبة: الآية ٧.

فَقَصَدْتُكَ ياإلهي بِالرَّغْبَةِ وَأَوْفَدْتُ عَلَيْكَ رَجائي بِالثِّقَةِ بِكَ.
وَعَلِمْتُ أَنَّ كَثيرَ ماأَسْأَلُكَ يَسيرٌ في وُجْدِكَ وَأَنَّ خَطيرَ ماأَسْتَوْهِبُكَ حَقيرٌ في وُسْعِكَ.

وجوده على حال من الأحوال قطعاً، فإذا أنتفىٰ جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني، وهي -أعني كيف- في محلّ النصب على التشبيه بالحال أو الظرف، أي: على أيّ حال أو في أيّ حال يسأل محتاج محتاجاً.

وأنّى: مثلها في جميع ماذكر؛ إذ هي بمعناها.

و رغب إليه: سأله.

والمعدم: اسم فاعل من أعدم، أي: افتقر فهو معدم وعديم *.

قصدت الشيء وله وإليه قصداً -من باب ضرب-: طلبته بعينه.

و وفد على الملك ونحوه وفداً -من باب وعد-: قصده زائراً للاسترفاد والانتجاع، ويتعدّى بالألف فيقال: أوفدته.

و وثق به يثق بكسرهما ثقةً و وثوقاً: اعتمد على وفائه.

والباء: في الموضعين للملابسة.

والمعنى أنّي طلبتك بذاتك المقدّسة، غير ملتفت إلى شيء من الوسائط بيني وبينك، متلبّساً بالابتهال والتضرّع والسؤال لك، وأوردت رجائي عليك مسترفداً ومنتجعاً فضلك حال كونه متلبّساً بالاعتماد على وفائك بما وعدت الراجين لك من إنجاح مطالبهم و إسعاف مآربهم.

قالوا: من عرف الله بجوده وكرمه وغناه قصده ورجاه.

وعلامة رجائه رغبته في عبادته، وحبّه لطاعته، والاعتماد على فضله وخيره، وعدم الالتفات إلى غيره.

يسر الشيء يُسراً -مثل قرب قرباً-: قلّ فهو يسير، أي: قليل.

والوجد بالضمّ والكسر لغة بمعنى: الجدة وهي السعة في المال والغنى والقدرة،

وَأنَّ كَرَمَكَ لايَضيقُ عَنْ سُؤالِ اَحَدٍ وأنَّ يَدَكَ بِالْعَطايا اَعْلىٰ مِنْ كُلِّ يَدٍ.

وأنا واجد للشيء: قادر عليه.

وخطر الشيء خطراً ـ على وزن شرف شرفاً ـ: عظم قدره وارتفع فهو خطير.

وحقر الشيء بالضمّ حقارة: هان قدره فلايعبأ به فهو حقير.

والوسع بالضمّ: الطاقة والقوّة، ومنه قوله تعالى: «لايُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلّا وُسْعَها»(١)، والفتح لغة، وقرأ به ابن أبي عيلة، والكسر لغة أيضاً، وبه قرأ عكرمة، وقد يُطلق علىٰ الثروة والغنى، يقال: أوسع الرجل إذا صار ذا سعة من المال. ولمّا كانت مقدوراته تعالى غير متناهية وقدرته غير قاصرة عن شيء، لاجرم كان كثير مايسأل قليلاً في وجده، وخطير مايستوهب حقيراً في وسعه. وليس قوله «وقد علمت» لإفادة لازم الحكم كما يتبادر، بل إشارة إلى كمال الرجاء لحصول المطلوب *.

الكرم: يطلق على ضدّ اللؤم، ويطلق على الجود وهو المراد هنا.

قال ابن الأثير: من أسمائه تعالى الكريم، وهو الجواد المعطي الذي لاينفد عطاؤه(٢).

ولمّا كان الجود الإلهي لابُخل فيه ولامنع من جهته، لم يكن يضيق عن سؤال أحدٍ وإن عظم خطره وجلّ قدره؛ إذ لاأثر للنقصان في خزائن ملكه وعموم جوده، بل جوده غير متناهٍ وكرمه غير محدود.

حكى أبوالقاسم الدمشقيّ قال: كنت واقفاً على حلقة الشبلي في جامع المدينة، فوقف سائل على حلقته وجعل يقول: ياألله ياجواد، فتأوّه الشبلي وصاح فقال: كيف يمكنني أن أصف الحق بالجود ومخلوق يقول في مثله:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص١٦٦.

....

تعوّد بسط الكف حتّى لو انّه ثناها لقبض لم تعطه أنامله
تراه إذا ما جئته متهلّلاً كأنّك تعطيه الذي أنت آمله
ولو لم يكن في كفّه غير روحه لجاد بها فليتّق الله سائله
هو البحر من أيّ النواحي أتيته فلجّته المعروف والبرّ ساحله

ثم بكىٰ وقال: بلى ياجواد أنت الجواد، فإنّك أوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم، ثمّ مننت بعد ذلك على قومٍ بالاستغناء عنهم وعمّا في أيديهم، فأنت الجواد كلّ الجواد، فإنّهم يعطون عن محدود وعطاؤك لاحدّ له، ويفتقرون إذا أعطوا ولا تفتقر من العطاء ولا تعجز عن الجزاء.

فيا جواداً يعلو كلّ جواد وبه جاد كلّ من جاد

فإن قلت: مقتضى قوله عليهالسلام: «لايضيق عن سؤال أحد» أنه ينجح مسائل كلّ سائل ويعطي مطالب كلّ طالب، وكم من داعٍ دعا فلم يجب؟ وكم من آمل أمّل شيئاً فلم ينل ما أحبّ؟.

قلت: أمّا الجود الإلهي فحاشا أن يلمّ بساحته بخل أو منع لضيق أو نقص، ولكنّه مضبوط بنظام العدل والحكمة، فقد يكون المنع من جهة السائل وعدم استعداده لعدم قيامه بشرائط الدعاء، فإنّ للدعاء أركاناً وأجنحة وأسباباً وأوقاتاً، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار إلى السماء، وإن وافق مواقيته فاز، فإن، وافق أسبابه أُنجح. فأركانه إخلاص النيّة وحضور القلب والاستكانة والخشوع وتعلّق القلب بالله وقطعه عن الأسباب، وأجنحته الصدق والإلحاح وحسن الظنّ بالله، ومواقيته الأسحار وليلة الجمعة ويومها وعند نزول القطر، وأسبابه الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السلام. ولابدّ من شرطٍ هو الأصل وحده تناول حلّ قلما يتيسّر. وقد يكون لمصلحةٍ تقتضي ذلك، كما أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام، حيث قال:

....

ولايقنطنّك إبطاء إجابته، فإنّ العطيّة على قدر النيّة، وربّما أُخرّت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل، وربّما سألت الشيء فلا تؤتاه وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته(١) إنتهى.

فتراه عليه السلام كيف عدّد لتأخّر الإجابة أسباباً، ليلحظها السائل عند تأخّرها فلايقنط من رحمته تعالى.

قوله عليه السلام: «ويدك بالعطايا أعلى من كلّ يد».

الأعلى: يكون في المكان من علا يعلو -من باب قعد- علواً(٢).

وفي المكارم: من علي يعلي -من باب تعب- علاء بالفتح والمدّ(٣)، وهو المراد هنا، أي: يدك بالمواهب أرفع قدراً وأكرم من كلّ يد.

والمعنى أنّ جودك يعلو كلّ جود ويزيد عليه، وليس القصد إثبات اليد والعلوّ لها، بل هو من باب التمثيل كقوله تعالى: «وقالَتِ اليَهودُ يَدُ اللهِ مَغلولَةٌ غُلَّتْ أيدِيهِم ولُعِنوا بِما قالُوا بَل يَداهُ مَبسوطَتان»(٤). فأعلويّة اليد مجاز عن أكثريّة الجود، كما أنّ غلّ اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود.

قال الزمخشري: ولايقصد من يتكلّم بهذا إثبات يد ولاغلّ ولابسط، ولافرق عنده بين هذا الكلام وبين ماوقع مجازاً عنه كأنّهما كلامان معتقبان(٥) على حقيقة واحدة، حتّى أنّه يستعمله في ملك لايعطي عطاء قطّ ولايمنعه إلّا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزلاً لقالوا: ماأبسط يده بالنوال؛ لأنّ بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا معاقبتين للبخل والجود،

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩١ وصيّة ٣١.
(٢) أي: جلس مجلس عال.
(٣) لسان العرب: ج١٥ ص٨٥.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٥) هكذا في الأصل ولكن في الكشاف: متعقّبان. وهذا هو الصحيح.

اَللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاحْمِلْني بِكَرَمِكَ عَلَى التَّفَضُّلِ وَلا تَحْمِلْني بِعَدْلِكَ عَلَى الإسْتِحْقاقِ.

فَما أَنَا بِأَوَّلِ راغِبٍ رَغِبَ إِلَيْكَ فَأَعْطَيْتَهُ وَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْمَنْعَ وَلا بِأَوَّلِ سائِلٍ سَأَلَكَ فَأَفْضَلْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَوْجِبُ الْحِرمانَ.

وقد استعملوها حيث لايصحّ اليد، يقال: بسط اليأس كفّيه في صدري، فجعلت لليأس ـ الذي هو من المعاني لامن الأعيان ـ كفّان، ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصّر محجّة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية، ولم يتخلّص من يد الطاعن إذا عبثت به(١) إنتهى *.

حملته على الدابّة: أركبته عليها، ثمّ استعمل في المعاني فقيل: حملته على الفعل أي: أغريته به، وحملته على الفضل أي: عاملته به، كأنّه لم يكن قادراً على ذلك من نفسه فأقدرته عليه كما يفعل بالمحمول على الدابّة. والغرض سؤاله تعالى أن يحمله بكرمه على ابتدائه بالفضل، ولايحمله بعدله على استحقاقه بما عساه صدر عنه من ذنب، فإنّه لايستحقّ بمقتضى العدل إلّا الحرمان والمنع، وهذا من لطيف ماتعدّ به النفس لاستنزال الرحمة الإلهيّة.

الفاء: للتعليل، والمعنى: إفعل بي ذلك؛ إذ لست بأوّل راغبٍ رغب إليك إلى آخره. ووهم من قال: إنّها لمجرّد الترتيب.

وأفضل عليه إفضالاً: تفضّل وتطوّل. وهذا استعطاف بما جرى في العادةأن يستعطف به أهل العواطف والرحمة من الكلام، أي: إنّ إعطاءك للراغب إليك في حال استحقاقه المنع، وإفضالك على سائلك في حال استيجابه للحرمان، أمرٌ متعارفٌ جرت عادتك به وألفه منك عبادك ، ولستُ أوّل من تفعل به ذلك فأكون بدعاً سائلاً لأنْ تفعل بي مالم تفعله بأحدٍ قبلي.

---

(١) تفسير الكشاف: ج١ ص٦٥٤.

اَللّهُـمَّ صَلِّ عَـلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَكُنْ لِدُعائي مُجـيباً وَمِنْ نِدائي قَـريباً وَلِتَضَرُّعي راحِماً وَلِصَوْتي سامِعاً.

وَلا تَـقْطَعْ رَجائي عَنْكَ وَلا تَبُـتَّ سَـبَبي مِنْك وَلا تُوَجِّهني في حاجَتي هذِهِ وَغَيْرِها إلى سِواكَ .

مجيباً: أي مقابلاً لدعائي بالقبول والعطاء.

وقريباً: أي سريع الإجابة لندائي، وهو تمثيل بحال من قرب مكانه فإذا نُودي أسرع تلبية مناديه، وإلّا فهو تعالى منزّه عن القرب المكاني.

والتضرّع: التذلّل والابتهال والمبالغة في السؤال.

وراحماً: أي كاشفاً لبلواي منجّزاً لحاجتي؛ إذ ليس الرحمة للتضرّع بل للمتضرِّع، لكن لمّا كان التضرّع سبباً موجباً لرحمة المتضرّع نسب الرحمة إليه.

وقوله: «لصوتي سامعاً» مثل قوله: «لدعائي مجيباً»، وإلّا فهو سبحانه سامع لكلّ صوت. أي: كُن لصوتي قابلاً غير معرضٍ عنه ولاغير ملتفتٍ إليه.

ومنه الحديث: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من دعاءٍ لايسمع. قال في النهاية: أي: لايستجاب ولايعتدّ به، وكأنّه غير مسموع(١).

وفي دعاء الصلاة: سمِعَ الله لِمَنْ حَمِده، أي: أجاب من حمده وتقبّله(٢).

يقال: إسمع دعائي، أي: أجب؛ لأنّ غرض السائل الإجابة، ومِنْ ذلك قوله تعالى: «قَد سَمِعَ اللهُ قَولَ الّتي تُجٰدِلُك في زَوجِها»(٣)، أي: أجاب.

قطعته عن الشيء: حبسته ومنعته.

والرجاء بالفتح والمدّ: حالة نفسانيّة موجبة لفرحها بسبب توقّع أمر مطلوب مظنون حصوله.

وقطعه: عبارة عن اليأس من حصول ذلك المطلوب، أي: لا تؤيسني منك

---

(١)و(٢) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٤٠١.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١.

وَتَوَلَّني بُنْجحَ طَلِبَتي وَقَضاء حاجَتي وَنَيْلِ سُؤْلي قَبْلَ زَوالي عَنْ مَوْقِفي هذا بِتَيْسيركَ لِيَ الْعَسيرَ وَحُسْنِ تَقْديرِكَ لي في جَميعِ الأُمُورِ.

بعدم إجابتي بأن أعتقد جزماً أو ظنّاً عدم إجابتك لي، فأقنط من حاجتي ولاأتوقّع حصولها منك.

والبتّ: القطع، بتّه بتّاً -من بابي ضرب وقتل-، ومنه لاأفعله بتّة فما لارجعة فيه.

والسبب: الحبل، ثمّ استعير لكلّ مايتوصّل به إلى شيء.

قالوا: ولايسمّى الحبل سبباً حتّى ينزل ويصعد به، والمراد به هنا مايتوسّل به إليه تعالى من الدعاء والرجاء، أي: لا تردّ دعائي ولاتخيّب رجائي.

وقيل: المراد به لطفه تعالى وإحسانه، أي: لا تقطع عنّي نظر عنايتك ولطفك بي وإحسانك إليّ، فإنّ ذلك أعظم مايتوسّل به إليه سبحانه كما ورد في الدعاء مكرّراً، والأعمّ: هو الأتمّ.

ووجّهه إلى كذا: جعل وجهه إليه، أي: لاتجعلني متوجّهاً وقاصداً في حاجتي هذه وغيرها إلى غيرك، وهو دعاء بأن يغنيه عن مسألة غيره والتعرّض لنواله في كلّ حاجة له؛ لما في ذلك من بذل الوجه والذلّة، وينضاف إليهما المنّة إن أُعطي والحرمان إن منع *.

تولاه: صار له وليّاً، أي: معيناً قائماً بأمره كافلاً بمصالحه، ومنه تولّاك الله بحفظه، أي: كان لك وليّاً، أي: كافلاً بحفظه، وتولّني بنجح طلبتي أي: كن لي وليّاً، أي: معيناً وقائماً بأمري بنجح ما أطلبه منك.

والسؤال بالضمّ وسكون العين: ماتسأله من غيرك، فعل بمعنى مفعول.

وموقفي هذا: إشارة إلى مقامه بين يديه تعالى بهذا الدعاء.

والباء من قوله «بتيسيرك» للملابسة، متعلّقة بالنجح، أي: من غير كلفة ومشقّة، بل بتسهيل ماعسر منه ليكون بلا تعب ولاعناء.

وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلوةً دائِمَةً نامِيَةً لاَانْقِطاعَ لِأَبَدِها وَلامُنْتَهى لِأَمَدِها واجْعَلْ ذلِكَ عَوْناً لي وَسَبَباً لِنَجاحِ طَلِبَتي إِنَّكَ واسِعٌ كَريمٌ.

وحسن التقدير في جميع الأمور: عبارة عن إيجادها على وفق الحكمة والمصلحة، بحيث لو زاد على ذلك المقدار أو نقص عنه لاختلّت مصلحة ذلك المقدّر وتغيّرت منفعته، كذا قيل.

والظاهر أنّ المراد بحسن التقدير هنا أن يكون مايقدّره له حسناً نافعاً من غير قبح ولامضرّة؛ إذ كان التقدير تحديد كلّ موجود بحدّه الذي يوجد فيه من حسنٍ وقبحٍ ونفعٍ وضرٍّ وغيرها *.

دام الشيء يدوم دوماً ودواماً: ثبت واستمرّ ولم ينقطع.

ونمى ينمي -من باب رمى- نماء بالفتح والمدّ: كثر وزاد، وفي لغةٍ نمى ينمو نمواً -من باب قعد-.

والأبد: الدهر، وقيل: الدهر الطويل الذي ليس بمحدود.

وقيل: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدّرة غير متناهية في جانب المستقبل، ويقابله الأزل وهو استمرار الوجود في أزمنة مقدّرة غير متناهية في جانب الماضي.

والأمد: الغاية، أي: صلاة لاغاية لها تقف عندها، وقد تقدّم نحو هذه العبارة في الدعاء الأوّل، وبسطنا الكلام عليه فليرجع إليه(١).

والعون: المعين، وهو الظهير على الأمر.

والسبب: مايتوصّل به إلى المقصود، وفي ذلك إشارة إلى ماروي عن أبي عبدالله عليه السلام: لايزال الدعاء محجوباً حتّى يصلّى على محمد وآل محمّد(٢).

وعنه عليه السلام: من دعا ولم يذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم رفرف الدعاء على رأسه، فإذا ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم رفع الدعاء(٣).

---

(١) ج١ ص٣٩٩-٤٠٠.

(٢) و (٣) بحارالأنوار: ج٩٣ ص٣١٦.

وَمَنْ حاجَتي يارَبّ كَذا وكَذا، وتَذْكر حاجَتَك.

وعنه عليه السلام: من كانت له إلى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمّد وآله ثمّ يسأل حاجته، ثمّ يختم بالصلاة على محمّد وآل محمّد، فإنّ الله عزّوجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط؛ إذ كانت الصلاة على محمّد وآل محمّد لاتحجب عنه(١).

قوله عليه السلام: «إنّك واسع كريم» تعليل لاستدعاء إدامة صلاته واستمرارها وجعلها عوناً له وسبباً لنجاح طلبته، وتأكيد الجملة لغرض كمال قوّة يقينه بمضمونها.

والواسع من أسمائه تعالى: هو الذي وسع غناه كلّ فقير ورحمته كلّ شيء.

وقال بعضهم: الواسع مشتقّ من السعة، والسعة تضاف تارةً إلى العلم إذا اتّسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أُخرى إلى الإحسان وبَسط النعم وكيفما قدر وعلى أيّ شيء نزل، فالواسع المطلق هو الله تعالى؛ لأنّه إن نظر إلى علمه فلاساحل لبحره ولاجزر لمدّه، وإن نظر إلى إحسانه ونعمه فلانهاية لها، وكلّ نعمة تكون من غيره وإن عظمت فهي متناهية، والذي لاينتهي فهو أحقّ باسم السعة، ولاأوسع من علم الحقّ ولامن رحمته فهو الواسع المطلق، وكرمه تعالى يعود إلى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق، على كلّ من يقدر أن يقبله بقدر مايقبله ٭.

من: للتبعيض، ولمّا كانت حاجة العبد إلى الربّ غير محصورة ولامتناهية، أتى بمِن التبعيضيّة إيذاناً بأنّ حاجته إليه تعالى غير مقصورة على هذه الحاجة، بل هي بعض حاجته إليه.

وكذا: كناية عن اسم الحاجة، وهي مركّبة من كاف التشبيه وذا التي

---

(١) بحارالأنوار: ج٩٣ ص٣١٦.

....

للإشارة، إلّا أنّه لايحكم على ذا بأنّها في موضع جرّ ولاعلى الكاف بأنّها متعلّقة بشيء ولابأنّ فيها معنى التشبيه؛ إذ لامعنى له هنا فلاوجه لتكلّف ادّعائه؛ لأنّ التركيب كثيراً مايزيل معنى المفردين ويحدث لمجموعهما معنى لم يكن، ويحكم على مجموع الكلمتين بأنّه في موضع رفع أو نصب أو جرّ بحسب العوامل الداخلة عليها، وهو هنا في محلّ رفع على أنّه مبتدأ خبره الجارّ والمجرور قبله، والتقدير كذا وكذا من حاجتي.

وقال الفيومي في المصباح المنير: كذا: تكون كناية عن الأشياء، تقول: فعلت كذا وقلت كذا والأصل ذا، ثمّ دخل عليه كاف التشبيه بعد زوال معنى الإشارة والتشبيه، وجعل كناية عمّا يراد به، وهو معرفة فلايدخله الألف واللام(١). إنتهى.

والصواب ماذكرناه أوّلاً من أنّ معنى الإشارة والتشبيه إنّما زالا بالتركيب، كما نصّ عليه ابن هشام في فوح الشذا بمسألة كذا(٢).

وقوله عليه السلام: «تذكر حاجتك» أي: تسمّيها، لما ورد في الحديث من أنّه تعالى يحبّ أن تبثّ إليه الحوائج(٣).

روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الله تبارك وتعالى يعلم مايريد العبد إذا دعاه، ولكنّه يحبّ أن تبث إليه الحوائج، فإذا دعوت فسمّ حاجتك(٤).

وفي حديث آخر قال: قال: إنّ الله عزّوجلّ يعلم حاجتك وما تريد، ولكنّه يحبّ أن تُبثّ إليه الحوائج(٥).

---

(١) المصباح المنير: ص٧٢٥. (٢) مغني اللبيب ص٢٤٨.

(٣)و(٤) الكافي: ج٢ ص٤٧٦ ب١١ ح١. (٥) الكافي: ج٢ ص٤٧٦ ب١١ ح١.

ثُمّ تَسْجد وتَقُول في سُجودِك : فَضْلُكَ آنَسَني وإحْسانُكَ دَلَّني فَاَسْأَلُكَ بِكَ وَبِمُحمَّدٍ وآلِهِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِمْ أنْ لا تَرُدَّني خائباً.

ختم الدعاء بالسجود والدعاء فيه؛ لما ورد في الحديث النبوي: أقرب مايكون العبد مِنْ ربّه وهو ساجد(١).

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: أقرب مايكون العبد من ربّه إذا دعا ربّه وهو ساجد(٢).

وعن عبدالله بن هلال، قال: شكوت إلى أبي عبدالله عليه السلام تفرّق أموالنا وما دخل علينا، فقال: عليك بالدعاء وأنت ساجد؛ فإنّ أقرب مايكون العبد إلى الله وهو ساجد(٣).

والسرّ في ذلك أنّ السجود هيئة تشعر بكمال الاتّصاف بصفات الافتقار والخشوع والذلّة المستلزمة لاستنزال الرحمة، فيكون العبد في هذه الحالة أقرب إلى رحمة الله تعالى منه في غيرها من الحالات، وأيضاً فقد جرت العادة من الملوك في حقّ من يتواضع لهم، ويوفّيهم حقّهم من الإجلال والإكرام وحسن الانقياد، أن يقرّبوا منزلته ويرفعوا درجته ويسمعوا لقوله وينجحوا مآربه، فبالحري أن يكون المتواضع الخاشع للملك المطلق قريب المنزلة منه مسموع القول مستجاب الدعاء مقضى المرام.

والإيناس: خلاف الإيحاش من الأُنس بالضمّ. وهو سكون القلب وعدم نفرته.

وفضله وإحسانه تعالى عبارة عن إفاضة جوده وكرمه ابتداءً من غير استحقاق،

---

(١) بحارالأنوار: ج٩٣ ص٣٤٤ ح٧.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٨٣ ح١٠.

(٣) الكافي: ج٣ ص٣٢٤ ح١١.

....

فإذا عرف العبد سعة رحمة ربّه وفيضه ولطفه ورأفته وإحسانه وإجرائه نعمه عليه، ظاهرةً وباطنةً جليّة و خفيّةً ضروريّة وغير ضروريّة، منذ كونه جنيناً في بطن اُمّه بلاسبق استحقاق ولا تقدّم استيهال، كان ذلك موجباً لسكون نفسه إليه باعثاً على رجائه دليلاً له إلى توقّع قضاء حاجته منه ونجاح مطلوبه وإسعافه بمأموله، فلاجرم جعل ذلك سبباً لسؤاله، مقسماً عليه ومتوسّلاً إليه بذاته المقدّسة وبأكرم خلقه عليه، أن لايردّه ولايرجعه خائباً ممّا سأل غير ظافرٍ بما طلب، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثالثة عشر من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، وقد وفّق الله سبحانه لاجتناء أزهارها واقتطاف يانع ثمارها، عشيّة يوم الخميس المبارك لستٍّ بقين من ذي القعدة الحرام عام ثمان وتسعين وألف، ولله الحمد.

وكتب مؤلّفه العبد علي بن أحمد الحسينيّ كان الله لهما.

الروضة الرابعة عشرة

وكان من دعائه عليه السلام اذا اعتدي عليه او رأى من الظالمين ما لا يحب

يا من لا يخفى عليه انباء المتظلمين ويا من لا يحتاج في قصصهم الى
شهادات الشاهدين ويا من قربت نصرته من المظلومين ويا
من بعد عونه عن الظالمين قد علمت يا الهي ما نالني من فلان بن فلان
مما حظرت وانتهكه مني مما حجزت عليه بطرا في نعمتك
عنده واغترارا بنكيرك عليه اللهم فصل على محمد وآله وخذ
ظالمي وعدوي عن ظلمي بقوتك وافلل حده عني بقدرتك واجعل
له شغلا فيما يليه وعجزا عما يناويه اللهم وصل على محمد
وآله ولا تسوغ له ظلمي واحسن عليه عوني واعصمني من مثل
افعاله ولا تجعلني في مثل حاله اللهم صل على محمد وآله واعدني
عليه عدوى حاضرة تكون من غيظي به شفاء ومن حنقي عليه وفاء
اللهم صل على محمد وآله وعوضني من ظلمه لي عفوك وابدلني
بسوء صنيعه بي رحمتك فكل مكروه جلل دون سخطك و
كل مرزئة سواء مع موجدتك اللهم فكما كرهت الي ان اظلم
فقني من ان اظلم اللهم لا اشكو الى احد سواك ولا استعين بحاكم

غَيْرِكَ حَاشَاكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصِلْ دُعَائِي بِالْإِجَابَةِ وَاقْرِنْ
شِكَايَتِي بِالتَّغْيِيرِ اَللّٰهُمَّ لَا تَفْتِنِّي بِالْقُنُوطِ مِنْ إِنْصَافِكَ وَلَا تَفْتِنْهُ
بِالْأَمْنِ مِنْ إِنْكَارِكَ فَيُصِرَّ عَلَى ظُلْمِي وَيُحَاضِرَنِي بِحَقِّي وَعَرِّفْهُ عَمَّا قَلِيلٍ
مَا أَوْعَدْتَ الظَّالِمِينَ وَعَرِّفْنِي مَا وَعَدْتَ مِنْ إِجَابَةِ الْمُضْطَرِّينَ اَللّٰهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَوَفِّقْنِي لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِي وَعَلَيَّ وَرَضِّنِي بِمَا
أَخَذْتَ لِي وَمِنِّي وَاهْدِنِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَسْلَمُ اَللّٰهُمَّ
وَإِنْ كَانَتِ الْخِيَرَةُ لِي عِنْدَكَ فِي تَأْخِيرِ الْأَخْذِ لِي وَتَرْكِ الْاِنْتِقَامِ مِمَّنْ
ظَلَمَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ وَمَجْمَعِ الْخَصْمِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَيِّدْنِي
مِنْكَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَصَبْرٍ دَائِمٍ وَأَعِذْنِي مِنْ سُوءِ الرَّغْبَةِ وَهَلَعِ
أَهْلِ الْحِرْصِ وَصَوِّرْ فِي قَلْبِي مِثَالَ مَا ادَّخَرْتَ لِي مِنْ ثَوَابِكَ وَأَعْدَدْتَ
لِخَصْمِي مِنْ جَزَائِكَ وَعِقَابِكَ وَاجْعَلْ ذَلِكَ سَبَبًا لِقَنَاعَتِي بِمَا
قَضَيْتَ وَثِقَتِي بِمَا تَخَيَّرْتَ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر المظلومين وقـاهر الظالمين، والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين وعلى آله وعترته الهداة العالمين.

وبـعدُ فهذه الروضة الـرابـعة عشر من رياض السالـكين، تتضمّن شرح الدعاء الـرابـع عشر مـن صحيـفـة سـيّـد الـعابديـن، إمـلاء راجـي فضـل ربّه السنيّ علي صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، أحسن الله تعالى إليه وأفاض سجال نعمته عليه.

شرح الدعاء الرابع عشر

وَكانَ مِن دُعائِه علَيْـه السّلام إِذَا اعْتُدي عَلَيْه اَوْ رأىٰ مِنَ الظالِمينَ مالايُحِبُّ.

عدا عليه عـدواً وعدواً مثل فلس وفلوس، وعدواناً بالضمّ، وعداءً بالفتح والمدّ، واعتدىٰ اعتداءً، وتعدّىٰ تعدّياً: ظلمه وتجاوز الحدّ.

وقوله تعـالى: «فَاعْتَـدوا عَـليهِ بِمِـثلِ مااعـتَدىٰ عَليـكُم»(١) من بـاب المشاكلة سمّي جزاء الاعتـداء اعتداءً، كما سمّي جـزاء السيّئة سيّئة في قوله تعالى: «وجزٰؤُا سَيّئةٍ سَيّـئةٌ مِثلُهـا»(٢)؛ لوقوعه في صحبته وإلّا فجزاء الاعـتداء والسيّئة لايـكون اعتداءً وسيّئةً.

وقـال ابن سيده في المحكـم: سـمّـي مجازاة الاعـتداء بمـثل اسـمـه، لأنّ صورة الفعلين واحدة وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته، أي: جازيته بظلمه(٣).

لاوجه للظلم أكثر من هذا، وقوله تعالى: «لايحبُّ المعتدين»(٤) أي: المجاوزين لما أُمروا به.

والظلم قيل: هو وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤.
(٢) سورة الشورىٰ: الآية ٤٠.
(٣) المحكم لابن سيده: ج٢ ص٢٢٧.
(٤) المعتدون: المجاوزون ماأمروا به، والعدوى: الفساد.

قالَ صَلَواتُ الله وسَلامهُ عَلَيْه:

يامَنْ لايَخْفى عَلَيْهِ أنْباءُ الْمُتَظَلِّمين، ويا مَنْ لايَحْتاجُ في قَصَصِهِمْ إلى شَهاداتِ الشاهِدينَ.

وقيل: هو التصرّف في حقّ الغير.

وقيل: هو مجاوزة الحدّ. وعلى كلّ تفسيرٍ فلابدّ فيه من تعدّي ضرر، وهو إمّا عائد على نفس الظالم كالشرك العائد وباله على المشرك، وإمّا على نفسه وغيره كالعدوان على الخلق، فإنّ الظالم لغيره لايكون ظالماً له حتّى يظلم أوّلاً لنفسه.

فالمراد بقوله: «أو رأى من الظالمين مالايحبّ» هو الضرر المتعدّي منهم عليه أو على أحدٍ من شيعته عليه السلام.

وأمّا الضرر العائد منهم على أنفسهم وإن كان ممّا لايحبّه أيضاً، إلّا أنّ الظاهر أنّه ليس بمراد هنا على ماتقتضيه عبارة الدعاء*.

الأنباء: جمع نبأ محرّكة مهموزة، كخبر وأخبار وزناً ومعنًى.

قال الراغب في المفردات: النبأ خبر ذوفائدةٍ عظيمةٍ يحصل به علم أو غلبة ظنّ، ولايقال للخبر نبأ حتّى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب كالمتواتر وخبر الله وخبر النبيّ إنتهى(١).

وعلى هذا فاستعماله في خبر المتظلّمين لتعريته عن الكذب غالباً.

وتظلّم زيد من عمرو: شكى من ظلمه. وعبّر عن علمه تعالى بقوله: «لايخفى عليه» إيذاناً بأنّ أنباء المتظلّمين وإن كان منها مايخفى؛ فإنّ علمه سبحانه ليس من شأنه أن يكون على وجهٍ يمكن أن يقارنه شائبة خفاء بوجهٍ من الوجوه كما في علوم المخلوقين، بل هو في غاية الوضوح والجلاء.

وقصصت الخبر ـ من باب قتل ـ: حدّثته على وجهه، والاسم القصص بفتحتين،

---

(١) المفردات للراغب: ص٤٨١.

ويا مِنْ قَرُبَتْ نُصْرَتُهُ مِنَ الْمَظْلومينَ وَيا مِنْ بَعُدَ عَوْنُهُ عَنِ الظالِمينَ.

واشتقاقه من قصّ أثره إذا تبعه؛ لأنّ من يقصّ الحديث يتبع ما حفظه منه شيئاً فشيئاً.

وقيل: القصص بفتحتين فَعل بمعنى مفعول كالنبأ والخبر.

وقيل: مصدر سمّي به المفعول، فهو بمعنى الخبر المقصوص.

والشهادة لغة: اسم من المشاهدة، وهي الاطّلاع على الشيء عياناً.

وشرعاً: الإخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس الحكم، وإنّما لم يحتج تعالى إلى شهادة الشاهدين؛ لأنّه محيط بظواهر الأُمور وبواطنها عالم بحقائقها، وإنّما يحتاج إلى الشهادة في إثبات الدعوى من تخفى عليه جلية الأمر فلا يعلم حقيقته من بطلانه *.

النصرة بالضمّ: اسم من نصره ينصره على عدوّه نصراً - من باب قتل - إذا أعانه وقوّاه عليه.

والمراد بقرب النصرة هنا: قرب حصولها للمظلومين، كما قال تعالى: «إنّ رحمَت اللهِ قَريبٌ مِن المُحسِنينَ»(١).

وببُعد العون: عَدَم حصوله للظالمين؛ فإنّهم قد يعبّرون بالبعد عن العدم، فيقال: هذا الأمر بعيد، أي: غير حاصل.

قال الشاعر:

* بلى كلّ شيء لاينال بعيد *

ونظيره تعبيرهم بالقلّة عن العدم، يقال: فلان قليل الخير، أي: لايكاد يفعله، ويحتمل أن يكون من باب التمثيل، شبّه نصرته للمظلومين بمن قُرب مكانه فإذا دُعي أجاب وإذا نودي أقبل، وكذلك مثّل عونه عن الظالمين بمن بعد مكانه فإذا دُعي لم يسمع وإذا نودي لم يقبل.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

قَدْ عَلِمْتَ يا إلٰهي مانالَني مِنْ فُلانِ ابْنِ فُلان مِمّا حَظَرْتَ وَانْتَهَكَهُ مِنّي مِمّا حَجَزْتَ عَلَيْهِ بَطَراً في نِعْمَتِك عِنْدَه وَاغْتِراراً بِنَكيرِكَ عَلَيْهِ.

والألف واللام إذا دخلت على الجمع أفادت الاستغراق، فالمراد بالمظلومين كلّ مظلوم ولو كان كافراً، وبالظالمين كلّ ظالم ولو كان مؤمناً.

في الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ أوحىٰ إلى نبيٍّ من الأنبياء في مملكة جبّارٍ أن ائت هذا الجبّار فقل له: إنّي لم أستعملك على سفك الدماء واتّخاذ الأموال، وإنّما استعملتك لتكفّ عنّي أصوات المظلومين، فإنّي لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفّاراً(١).

وعنه عليه السلام قال: كان أبي يقول: إتّقوا الظلم فإنّ دعوة المظلوم تصعد إلى السماء(٢).

وعنه عليه السلام: من عذر ظالماً بظلمه(٣) سلّط الله عليه من يظلمه، وإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته(٤).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة*.

قد: للتحقيق، أي: قد تحقّق علمك ووقع بما نالني.

وناله يناله نيلاً: أصابه.

وفلان ابن فلان: كناية عن نحو زيد بن عمر.

وقال الرضيّ: يكنّى بفلان وفلانة عن أعلام الأناسي خاصّة، فيجريان مجرىٰ المكنّى عنه أي: يكونان كالعلم، فلا يدخلهما اللام، ويمتنع صرف فلانة، كما يجري أفعل بمعنى أحق مجرى المكنّى عنه في الامتناع من الصرف، ولا يجوز تنكير فلان كسائر الأعلام، فلا يقال: جاءني فلان وفلان آخر؛ إذ هو موضوع للكناية

---

(١) الكافي: ج٢، ص٣٣٣، ح١٤.
(٢) الكافي: ج٢، ص٥٠٩، ح٤.
(٣) (الف): لما يظلمه.
(٤) الكافي: ج٢ ص٣٣٤ ح١٨.

....

عن العلم، وإذا كنّي عن الكنىٰ قيل: أبو فلان وأُمّ فلان، وإذ اكتني بفلان وفلانة عن أعلام البهائم أسماءً كانت أو كنى أُدخل عليهما لام التعريف، فيقال: الفلان والفلانة وأبو الفلان وأُمّ الفلانة لقصد الفرق، وكأن كناية أعلام البهائم أولى باللام من كناية أعلام الأناسي؛ لأنّ أُنس الإنسان بجنسه أكثر، فهي عنده أشهر من أعلام البهائم، فكان فيها نوع تنكير(١) إنتهى.

وفي عبارة الدعاء دليل على استعمال فلان في غير الحكاية، خلافاً لابن السرّاج(٢) وابن الحاجب حيث قالا: لم يثبت استعمالها إلّا في الحكاية، تقول: قال زيد جاءني فلان، ولا تقول إبتداءً: جاءني فلان من غير أن تحكي ذلك عن أحد(٣).

ويدلّ على خلاف قولهما أيضاً ماروا الأصمعي من قول مرّار العبسي:

و إذا فلان مات عن اكرومة رقعوا معاوز فقده بفلان(٤)

وقال معن بن أوس: وردّ فلان حاجتي وفلان(٥).

وحظره حظراً -من باب قتل-: منعه.

وانتهك الرجل الحرمة: تناولها بما لايحلّ، وأصله من النهك وهو المبالغة في كلّ شيء.

والحجز والحجر بالمعجمة والمهملة كلاهما: بمعنى المنع، وقد وَردت الرواية في الدعاء بالوجهين، وفعلاهما معاً من باب قتل.

والبطر محرّكة: الطغيان بالنعمة والتجبّر وسوء احتمال الغنىٰ.

والاغترار بالشيء: عَدَم الخوف منه وترك التحفّظ منه.

---

(١) شرح الكافية في النحو للرضي: ج٢ ص١٣٧.

(٢) و(٣) شرح الكافية في النحو للرضي: ج٢ ص١٣٧ نقلاً بالمضمون.

(٤) شرح الكافية في النحو للرضي: ج٢ ص١٣٨.

(٥) شرح الكافية في النحو للرضي: ج٢ ص١٣٨.

اَللّهُمّ فَصلِّ عَلى مُحمّدٍ وَآلِهِ، وَخُذْ ظالِمي وَعَدوّي عَن ظُلْمي بِقُوّتِكَ، وَافْلُلْ حَدّهُ عَنّي بِقُدْرَتِكَ وَاجْعَلْ لَه شُغُلاً فيما يَليه وَعَجْزاً عَمّا يُناويهِ.

قال الفيومي في المصباح: اغتررت به: ظننت الأمن فلم أتحفّظ(١).

فمعنى اغتراراً بنكيرك: أمناً بنكيرك وعدم تحفّظ منه، ويحتمل أن يكون معناه اجتراءً على نكيرك من قولهم: ماغرّك به.

قال الجوهري في الصحاح(٢) والفارابي في ديوان الأدب(٣) والزمخشري في الأساس: ماغرّك بفلان أي: كيف اجترأت عليه(٤).

والنكير: فعيل بمعنى الإنكار، تقول: أنكرت عليه فعله إذا نهيته عنه أوعاقبته عليه.

ونصب بطراً واغتراراً يحتمل المصدريّة والحاليّة والمفعول لأجله. والتقدير على الأوّل: يبطر بطراً ويغترّ اغتراراً، أو نيل بطرٍ وانتهاك اغترارٍ وابن مالك(٥) يمنع الأوّل؛ لمنعه حذف عامل المصدر المؤكّد إلّا فيما استثني. وابن الحاجب(٦) يمنع الثاني؛ لأنّه يؤدّي إلى إخراج الأبواب عن حقائقها.

وعلى الثاني: بطراً ومغترّاً.

وعلى الثالث: لأجل البطر والاغترار*.

خذه عن ظلمي: أي احبسه وامنعه، يقال: أخذته عنه أي: حبسته، وأصله من أخذ الخطام أي: أمسكه.

وفلّ حدّ السيف:؛ ثلمه، أي: كسره، وفي الكلام استعارة مكنيّة تخييليّة، شبّه العدوّ بالسيف في الإضرار، فأثبت له الحدّ الذي لايكمل ذلك إلّا به، تحقيقاً

---

(١) المصباح المنير: ص٦٠٩.

(٢) الصحاح: ج٢ ص٧٦٩.

(٣) ديوان الأدب: ج٣ ص١٢٢.

(٤) أساس البلاغة: ص٤٤٧.

(٥) شرح ابن عقيل: ج١ ص٥٦٣.

(٦) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٩١.

....

للمبالغة في التشبيه، فتشبيه العدوّ بالسيف استعارة بالكناية، وإثبات الحدّ له استعارة تخييليّة، ويحتمل أنّه شبّه حدّ العدوّ، أي حدّته وسورة غضبه، بالسيف، فرشّحه بذكر الفلّ الذي يلائم السيف.

ووليه يليه بكسرتين ولياً كفلس: أي قرب منه، تقول: جلست فيمايليه، أي: يقاربه، هذه هي اللغة الفصحىٰ المشهورة. وفي لغة ولاه يليه -من باب وَعد- وهي قليلة الاستعمال، أي: اجعل له شغلاً فيما يقرب منه ويدانيه ليشتغل به عنّي، فالضمير في يليه راجع إلى العدوّ.

ويحتمل أن يكون المعنى: فيما تكون له الولاية عليه، من ولي الأمر يليه بكسرتين أيضاً وولي البلد ولايةً، أي: صار والياً عليه، فيكون الضمير في يليه عائداً إلى ما الموصولة المجرورة بـ«في».

والعجز: عدم القدرة عمّا من شأنه أن يقدر، فلايقال للجدار مثلاً إنّه عاجز.

وناواه مناواة بالهمزة -من باب قاتل-، ويجوز التسهيل فيقال: ناواه مناواة، وبه وردت الرواية في الدعاء، أي: عاداه.

قال الزمخشري في الأساس: ناوأت الرجل عاديته، ومعناه ناهضته للعداوة(١) إنتهى.

يريد أنّ أصله من ناء بالحمل إذا نهض به.

وقال في النهاية: أصله من ناء إليك ونؤت إليه إذا نهضتما(٢).

فإن قلت: فعلى هذا كان ينبغي أن يقول: وعجزاً عمّن يناويه بـ«مَن» التي للعقلاء دون «ما» التي هي لغيرهم؛ لأنّ المناواة والمناهضة للعداوة لا تكون إلّا بين عاقلين.

---

(١) أساس البلاغة: ص٦٥٦.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص١٢٣.

....

قلت: هو إمّا بناءً على القول بأن ما تستعمل للعقلاء كما تستعمل لغيرهم، نحو: ما سمع، سبحان ما سخّركنّ ،سبحان ما سبح الرعد بحمده، «والسَّماءِ وما بنىٰها»(١) الآية.

و إمّا بناءً على ما عليه جماعة من المحقّقين، من أنّ التفرقة بين من وما في اختصاص الأُولى بذوي العلم، واختصاص الثانية أو غلبتها في غيرهم، إنّما هي إذا أُريد الذات. أمّا إذا أُريد الوصف، كما تقول في الاستفهاميّة: مازيدٌ؟ أي: أفاضل أم كريم؟، وفي الموصولة: أكرم ماشئت من هؤلاء الرجال أي: القائم أو القاعد، أو نحو ذلك، فهو بكلمة «ما» دون «من» بحكم الوضع، على ماذكره الزمخشري والسكّاكي وغيرهما، و إن أنكره قوم.

ومن ثـمّ قال في الكشّاف في تفسير قوله تعالى: «فَانكِحُوا ماطَابَ لَكُم مِن النِّساء»(٢): وقيل: «ما» ذهاباً إلى الصفة(٣). فأشار بقوله «ذهاباً إلى الصفة» إلى أنّ المراد فانكحوا الموصوفة بأيّ صفة شئتم، من البِكر والثيّب والشابّة والجميلة والنسيبة وأضداد ذلك، إلى غير ذلك من الأوصاف. إذا عرفت ذلك فقوله: «وعجزاً عمّا يناويه» أراد به معنى الوصفيّة، أي: عجزاً عن الموصوف بأيّ صفة كانت يريد مناواته وعداوته، من صغير وكبير وشريف ووضيع وبعيد وقريب، إلى غير ذلك.

ويحتمل أن يكون معنى يناويه: يحاوله ويطلبه، من نويت الشيء إذا جدّيت في طلبه، ومنه ماورد في الحديث: من ينوالدنيا تعجزه(٤).

قال الزركشي: أي من يسع لها يخب، من نويت الشيء إذا جدّيت في

---

(١) سورة الشمس: الآية ٥.
(٢) سورة النساء: الآية ٣.
(٣) الكشاف: ج١، ص٤٦٧.
(٤) النهاية لابن الأثير: ج٥، ص١٣٢.

اَللّهُمّ وَصَلِّ عَلى مُحمّدٍ وَآلِه، وَلا تُسَوِّغْ له ظُلْمي، وَاَحْسِنْ عَلَيْهِ عَوْني، وَاعْصِمْني مِنْ مِثْلِ اَفْعالِه، وَلا تَجْعَلْني في مِثْلِ حالِه.

طلبه(١) إنتهى.

فيكون يناويه بمعنى ينويه، وأتى به من باب المفاعلة للمبالغة.

قال الرضي: سافرت بمعنى سفرت، أي: خرجت إلى السفر، ولابدّ في سافرت من المبالغة(٢) إنتهى.

وقد أتى فاعل بمعنى فعل كثيراً، فمنه حاول الشيء بمعنى طلبه، وناوله بمعنى أعطاه، وعافاه بمعنى شفاه، إلى غير ذلك، فتكون «ما» في قوله: «وعجزاً عمّا يناويه» على بابها.

لا تسوّغ له ظلمي: أي لا تسهّله وتيسّره عليه، من ساغ الشراب والطعام يسوغ سوغاً ـ من باب قال ـ: سهل مدخله في الحلق، ومن هنا قيل: ساغ فعل الشيء بمعنى الإباحة، وسوّغته: أي أبحته وجوّزته.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: لايسوغ لك أن تفعل كذا: لايجوز، وسوّغته ما أصابه: جوّزته له(٣) إنتهى.

وحمل التسويغ هنا بمعنى التجويز كما فعل بعضهم لاوجه له؛ لأنّ الله تعالى لايجوّز لأحد الظلم حتّى يطلب منه عدم التجويز له، بل المراد لاتجعل ظلمي له سائغاً، أي: سهلاً يسيراً، فيتمادى في ظلمه لي ويصرّ عليه، بل عجّل عليه النكير وخذه بالعقوبة كيما يكف ويتناهى عن ظلمي.

وأحسن عليه عوني: العون هنا: اسم بمعنى المعونة، أي: أوقع معونتي عليه على

---

(١) هذا المعنى مذكور في نهاية ابن الأثير: ج٥ ص١٣٢ وهكذا موجود في لسان العرب: ج١٥ ص٣٤٨ ولكن من دون النسبة إلى الزركشي فارجع إليهما.

(٢) شرح الشافية للرضي: ج١ ص٩٩.

(٣) أساس البلاغة: ص٣١٣.

اللّهمّ صَلِّ عَلى مُحمّد وآلِه، وَاَعْدِني عَلَيْهِ عَدوى حاضِرَة، تكونُ مِنْ غَيْظي بِهِ شِفاءً، وَمِن حَنَقي عَلَيْهِ وَفاءً.

الوجه الذي تقتضيه مصلحتي من الانتصار عليه وعدم التضرّر بظلمه؛ إذ الإحسان في الفعل إيقاعه على ماينبغي.

وعصمه يعصمه عصماً -من باب ضرب-: منعه ووقاه، واعتصمت بالله أي: امتنعت به، أي: امنعني وقني بعدم الإعداد لارتكاب مثل أفعاله، واحسم عنّي الأسباب التي أصير بها في مثل حاله، من ظلم العباد وتعاطي العدوان والفساد، كي لاأكون من المنكرين للمنكر الفاعلين له*.

أعداه عليه: نصره وأعانه، والعدوى بالفتح: النصرة والمعونة.

قال في المحكم(١) وقال ابن فارس(٢) والجوهري(٣): العدوى طلبك إلى والٍ ليعديك على من ظلمك، أي: ينتقم منه باعتدائه عليك. إنتهى.

والمعنى الأوّل أظهر، أي: انصرني عليه نصرة حاضرة، أي: حاصلة الآن، غير غائبة أنتظر حضورها وحصولها. وجملة تكون في محلّ نصب صفة ثانية للعدوى.

ومِنْ في قوله: «مِن غيظي»: متعلّقة بشفاء، وفي قوله: «من حنقي» متعلّقة بوفاء، أي: تكون شفاءً من غيظي به ووفاءً من حنقي عليه.

والغيظ: الغضب الشديد، وهو مصدر من غاظه الأمر -من باب سار-.

قال بعضهم: ولايكون الغيظ إلّا بوصول مكروه إلى المغتاظ، ولـمّا كان الغضب الكامن كالداء، فإذا زال مايطلبه الإنسان من عدوّه وزال غيظه به، كان كأنّه بريء من دائه؛ فلذلك جعل العدوى شفاء، وأصله من شفى الله المريض، يشفيه -من باب رمى-: شفاءً: أي أبرأه من مرضه.

---

(١) المحكم لابن سيده: ج٢ ص٢٢٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج٤ ص٢٥٠. (٣) الصحاح: ج٦ ص٢٤٢١.

اللّهمّ صَلِّ عَلى مُحمّدٍ وآلِه، وَعَوّضْني مِن ظُلْمِه لي عَفْوَكَ ، وَابْدِلْني بِسُوء صَنيعِه بي رَحْمَتَك ، فكُلّ مَكْروه جَلَلٌ دُونَ سَخَطِكَ ، وكُلُّ مَرْزَئَةٍ سَواء مَعَ مَوْجِدَتِك .

والحنق محرّكة: الغيظ، وقيل: شدّته، حنق حنقا ـ من باب تعب ـ.

والوفاء: مصدر وفاه حقّه إذا أعطاه إيّاه وافياً، كأوفاه إيفاءً، أي: تكون وفاءً لحقّي من شدّة غيظي عليه*.

عوّضته تعويضاً: إذا أعطيته بدل ما ذهب منه.

وأبدلته بكذا إبدالاً: نحّيت الأوّل وجعلت الثاني مكانه، أي: اعطني بدل ما ذهب منّي بظلمه عفوك عنّي، واجعل رحمتك لي مكان سوء صنيعه بي.

قال في القاموس: صنع إليه معروفاً كمنع صُنعاً بالضمّ، وصنع به صنيعاً قبيحاً: فعله(١).

وقال الجوهري: الصنع بالضمّ مصدر قولك صنع إليه معروفاً وصنع به صنيعاً قبيحاً، أي: فعل(٢) إنتهى.

والفاء من قوله: «فكلّ مكروه»: للسببيّة، أي: لأنّ كلّ مكروهٍ جللٌ دون سخطك.

والجلل محرّكة: الأمر العظيم، والهيّن: اليسير ضدّه، والمراد به هنا المعنى الثاني.

ومنه قول العبّاس:

القتل جلل ما عدا محمدا، أي: هيّن يسير

وقول الشاعر:

* ألا كلّ شيءٍ سواه جلل *(٣)

(١) القاموس المحيط: ج٣ ص٥٢. (٢) الصحاح: ج٣، ص١٢٤٥.

(٣) لسان العرب: ج١١ ص١١٧ منسوب إلى امرؤ القيس لمّا قتل أبوه. وصدرالبيت هكذا: بقتل بني أسدٍ ربّهم.

....

أي: كلّ مكروه هيّن غير سخطك، أو ما لم يتجاوز إلى سخطك.

وقد تقدّم الكلام على تحقيق معنى دون، فليرجع إليه(١).

والمرزئة بفتح الميم وكسر الزاي مهموزة: المصيبة.

وسواء بالفتح والمدّ على ما في النسخ المشهورة: أي سهلة، من قولهم: أرض سواء، أي: مستوية يسهل سلوكها، ومنه أرض الكوفة أرض سواء سهلة معروفة. أو هو على تقدير حذف المعطوف، أي: كلّ مرزئة سواء والعدم مع كلّ موجدتك، يقال: مررت برجل سواء والعدم، أي: وجوده وعدمه سواء. ودليل التقدير في عبارة الدعاء أنّ الاستواء لايكون إلّا بين شيئين، كما قيل في قوله تعالى: «لايَستَوي مِنكُم مَنْ أنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وقَـٰتَلَ»(٢)، أي: ومن أنفق من بعده، فحذف المعطوف لدلالة الاستواء على تقديره. وفي نسخة: وكلّ مرزئةٍ شوىً بالشين المعجمة والقصر، أي: هيّن يسير.

قال الجوهري: والشوى هو الشيء الهيّن اليسير(٣).

والموجدة بفتح الميم وكسر الجيم: الغضب، وجد عليه وجداً بالفتح وموجدةً: أي غضب.

وقيل: الموجدة: حال دون الغضب وفوق العتب، والعتب دون الغضب. ومع هنا لمجرّد الاجتماع من غير ملاحظة الزمان والمكان، أي: كلّ مصيبة سهل، أو عدمه ووجوده سواء لايعبأ به، أو هو هيّن حقير مع حصول غضبك. وفي نسخة: مع مغفرتك، فالمعنى كلّ مصيبة هيّنة عليّ مع حصول مغفرتك لي، أي: لاأُبالي بالمصائب إذا غفرت لي *.

---

(١) ج ١ ص ٤٣٢.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٠.

(٣) الصحاح: ج٦، ص٢٣٩٧.

اللّهمّ فكَما كَرَّهْتَ إليّ اَنْ اُظْلَمَ فَقِني مِنْ اَنْ اَظْلِم.
اللّهمّ لاأشْكُوا إلى اَحَدٍ سِواكَ ، وَلااَسْتَعينُ بِحاكِمٍ غَيرِكَ حاشاكَ .

كرّه الشيء إليه تكريهاً: أي مكروها، من كرهه ضدّ أحبّه، ولمّا كان في التكريه معنى إنهاء الكراهة وإيصالها إليه استعملها بكلمة إلى.

والرواية المشهورة ببناء اظلم الأوّل للمفعول والثاني للفاعل، أي: كما بغّضت إليّ أن يظلمني أحد فاحفظني من أن أظلم أحداً،وفي روايةٍ بالعكس،والمعنى ظاهر*.

حصر عليه السلام شكواه إليه تعالى واستعانته به؛ استنزالاً لرحمته سبحانه بالألتجاء بمقام الصبر، الذي هو ترك الشكوى إلى الخلق والاستعانة بهم؛ ودفعاً لتوهّم السامعين منافاة دعائه على ظالمه للصبر المحمود من مثله؛ فإنّ الشكوى إلى الله تعالى والاستعانة به دون أحدٍ من الخلق هو عين الصبر على البلوى حتّى يأذن الله بإزالة الشكوى.

وهذا كما حكى الله تعالى عن يعقوب عليه السلام حين قالوا له: «تَاللهِ تَفْتَؤا تَذكُرُ يُوسُف حتّى تكُون حَرَضاً أوْ تكُونَ مِن الهٰلِكين * قالَ إنّما أشكُوا بَثّي وحُزْني إلى الله»(١)، فإنّهم لمّا قالوا له عجباً من دعواك الصبر، وأنت لا تزال تذكر يوسف سرّاً وعلانيّة حتّى تكون دنف الجسم مخبول العقل أو تكون ميّتاً من الهالكين، قال: هذا الحزن والذكر لاينافيان الصبر؛ لأنّه ترك الشكوى إلى الخلق، وأنا لاأشكو إلى الخلق وإنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله؛ ليزيل عنّي الشكوى ويرحمني.

وقوله: «حاشاك»: أي سبحانك، أي: أُنزّهك تنزيهاً لائقاً بك عن أن أستعين بحاكم غيرك ، وقد مرّ نظير ذلك في الدعاء الثاني عشر(٢).

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٥ و ٨٦.
(٢): ج ٢ ص ٤٨٣ .

فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَصَلِ دُعائي بِالإجابَة، وَاقْرِنْ شِكايَتي بِالتَّغْيير.
اللّهمّ لا تَفْتِنّي بِالقُنُوطِ مِن إنْصافِك، وَلا تَفْتِنه بِالأمْنِ مِنْ

وصل الشيء بالشيء وصلاً -من باب وعد-: جعله متّصلاً به.

وقرنه به قرناً -من باب قتل- بمعناه، لكنّ المضبوط في نسخ الصحيفة وأقرن بكسر الراء -من باب ضرب- ولم أجد من نصّ عليه في كتب اللغة، وإنّما المنصوص عليه أنّه من باب قتل، إلّا أن يحمل على ماحكاه أبو حيّان عن بعض أصحابه، من أنّ الفعل المتعدّي الصحيح جميع حروفه إذا لم يكن للمبالغة ولاحلقي عينٍ ولامٍ، فأنت في مستقبله بالخيار إن شئت قلت: يفعل بضمّ العين، وإن شئت قلت: يفعل بكسرها، سواء سمع فيه الضمّ أو الكسر أو لم يسمعا(١).

وحكي عن أبي زيد(٢) أنّه قال: طفت سافلة قيس وعليا تميم، فما رأيت أحداً منهم يفصّل بينهما، ولم أجد لذلك حصراً، وكلّ يتكلّم به على مايريد من ضمّ المضارع أو كسره(٣).

ثمّ وقفت في كتاب تهذيب اللغات والأسماء للنووي على مانصّه: يقال: قرنت بين الشيئين أقرن بضمّ الراء في المضارع هذه اللغة الفصيحة، ويقال بكسرها في لغة قليلة(٤).

وغيّرت الشيء تغييراً: أزلته عمّا كان عليه فتغيّر هو. والمعنى واجعل دعائي متّصلاً بالإجابة حتّى لا تكون بينهما فترة واجعل شكايتي مقرونة بإزالتها، والغرض سؤال تعجيل إجابة دعائه وسرعة إزالة شكايته *.

الفتنة: المحنة والابتلاء بخير أو شرّ، قال تعالى: «ونَبلُوكُم بِالشَّرِّ والخَير

(١) كتابه غير موجود.
(٢) كتابه غير موجود.
(٣) لم نعثر عليه.
(٤) تهذيب اللغات والأسماء: القسم الثاني ج٢ ص٩١.

إنْكارِك ، فَيصِرَّ عَلى ظُلْمي وَيُحاضِرَني بِحَقّي .

فِتنةً»(١)، وأصله من فتنت الذهب بالنار إذا أحرقته ليعلم أنّه خالص أو مشوب.

والقنوط: اليأس.

والإنصاف: مصدر أنصفت الرجل إذا عاملته بالعدل والقسط، والاسم النصفة بفتحتين.

والأمن: عدم توقّع مكروه، فهو بمعنى الاطمينان، ويحتمل أن يراد به هنا معنى السلامة، من أمن زيد الأسد وأمن منه بمعنى سلم منه وزناً ومعنى.

والإنكار هنا: مصدر أنكرت عليه فعله إذا زجرته عنه وعاقبته عليه، ومن المنكر قول بعض المترجمين: الإنكار هنا بمعنى الجهل من نكره بمعنى جهله، والجهل كناية عن تأخير العقوبة، إنتهى.

وهو جهل صريح، والمعنى لا تمتحنّي باليأس من إنصافك لي منه، ولا تمتحنه بعدم الخوف أو بالسلامة من عقوبتك وانتقامك.

واستشكل بعضهم ذلك بأنّ عدم إنصاف المظلوم من الظالم محال على الله تعالى، فكيف يجوز اليأس من إنصافه سبحانه؟.

وأجاب بحمله على اليأس منه في الدنيا.

وقال آخر: القنوط من إنصافه تعالى عبارة عن طول مدّة الظلم وتماديه، فكأنّه عليه السلام سأل أن لايبتليه بامتداد الظلم وتأخير الانتقام من ظالمه. ولايخفى أنّ الاستشكال ساقط رأساً؛ لأنّ القنوط من إنصاف الله تعالى كفر، ولامانع من أن يدعو الإنسان ربّه أن لايبتليه بالكفر، فإن كان الاستشكال نظراً إلى منصب الإمامة ومقام الداعي عليه السلام، المقطوع له بأنّ الله لايبتليه بذلك أبداً، فغير ممتنع أن يدعو النبيّ أو الإمام بأن يفعل الله به مايعلم أنّه لابدّ من أن يفعله، كقوله

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

....

تعالى: «قل رَبِّ احْكُم بِالحقِّ»(١)، وبأن لايفعل به مايعلم أنّه واجب أن لايفعله تعالى، كقول ابراهيم عليه السلام: «ولاتُخْزِني يَومَ يُبعَثونَ»(٢)، ذلك كلّه على سبيل الانقطاع إليه تعالى وإظهار الفقر إلى مسألته والإستعانة به على كلّ حال، فلاإشكال أصلاً.

قوله عليه السلام: «فيصرّ على ظلمي ويحاصرني بحقّي» الفاء: سببيّة عاطفة، والمضارع بعدها منصوب بأن مضمرة وجوباً، لوقوعه بعد فاء السببيّة مسبوقة بطلب محض، وأن وصلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيّد من الفعل السابق، والتقدير: لايكن منك فتنة له بالأمن من إنكارك، فإصرار منه على ظلمي ومحاصرة بحقّي، هذا قول الجمهور.

واختار الرضي أن تكون الفاء للسببيّة دون العطف؛ لأنّ فاء العطف لا تفيد السببيّة إلّا إذا عطفت جملة على جملة، وقال: إنّ ما بعد الفاء من أن وصلتها في تأويل مصدر مبتدأ محذوف الخبر وجوباً(٣).

والتقدير: لا تكن منك فتنة له بالأمن فاصراره على ظلمي ثابت.

وردّ بأنّه يلزم عليه حذف الخبر وجوباً من غير شيء يسدّ مسدّه، وهو ممتنع.

وأصرّ على فعله إصراراً: داومه ولازمه، أي: فيدوم على ظلمي ويلازمه.

ويحاضرني: يروى بالحاء المهملة والضاد المعجمة من المحاضرة.

قال في القاموس: والمحاضرة المجادلة والمجاثاة عند السلطان، وأن يغالبك على حقّك فيغلبك(٤)، إنتهى.

وكلّ من هذه المعاني محتمل هنا، والأخير أنسب. وفي رواية يحاصرني بالحاء والصاد المهملتين، من الحصر بمعنى التضييق والحبس، ومنه محاصرة العدوّ.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١١٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٨٧.

(٣) شرح الكافية في النحو للرضي ج٢، ص٢٤٦.

(٤) القاموس المحيط: ج٢، ص١٠.

وَعَرِّفْه عَمّا قَليلٍ ماأوْعَدْتَ الظالِمينَ، وَعَرِّفْني ماوَعَدْتَ مِن إجابَةِ المُضْطَرّين.

وفي رواية يخاضرني بالخاء والضاد المعجمتين، أي: يذهب بحقّي باطلاً، من قولهم: ذهب دمه خضراً مضراً بكسرهما وككتف أي: هدراً باطلاً أي: لاقود فيه، أو يأخذه بلاعوض من قولهم: أخذه خضراً مضراً أي: بغير ثمن.

ويروى يخاصرني بالخاء المعجمة والصاد المهملة، من المخاصرة وهو أن يأخذ صاحبك في طريق وتأخذ أنت في غيره حتّى تلتقيا في مكان، أي: يأخذ هو في طريق الظلم بحقّي وآخذ أنا في طريق الانظلام حتّى نلتقي في المحشر.

أو هو من خاصر الرجل صاحبه إذا أخذ بيده في المشي أو مشى إلى جنبه، أي: يأخذ بيدي ماشياً لي وهو ملتبس بحقّي ،أويمشي إلى جنبي ولا أستطيع الانتقام منه *.

عرّفه الأمر تعريفاً إعلمه إيّاه، ومعنى عرّفه ما أوعدت الظالمين أي: أذقه إيّاه وأنزله به ليعرفه ويعلمه يقيناً.

وعمّا قليل: أي عن زمان قليل قصير، وما: مزيدة بين الجارّ والمجرور لتأكيد معنى القلّة.

وقيل: هي نكرة موصوفة، أي: عن شيء قليل.

وقيل: بمعنى زمن، وقليل بدل منها.

وأوعدت الظالمين: أي تهدّدتهم من العذاب والعقاب، وقد تقدّم الكلام على الفرق بين الإيعاد والوعد. ومن أعظم ماتوعّد الله به الظالمين وتهدّدهم، قوله تعالى: «وسَيَعلَمُ الّذينَ ظَلمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون»(١)، فإنّه تأكيد شديد ووعيد أكيد؛ لما في «سيعلم» من تهويل متعلّقة، وفي «الذين ظلموا» من الإطلاق والتعميم، وفي «أيّ منقلب ينقلبون» من الإبهام والتهويل.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

اللّهُمّ صَلِّ عَلى مُحمّد وآلِه، وَوفّقْني لِقَبولِ ماقَضيْتَ لي وَعَليّ، وَرَضّني بِما اَخَذْتَ لي وَمنّي، واهْدني لِلّتي هي أقْوَم، وَاسْتَعْمِلْني بِما هوَأسلَمْ.

قال الزمخشري في الكشّاف: إنّها آية ناطقة بما لاشيء أهيب منه وأهول ولا أنكى (١) لقلوب المتأمّلين ولاأصدع لأكباد المتدبّرين، وكان السلف يتواعظون بها ويتناذرون شدّتها، ومعناه أنّ الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله، وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب وهو النجاة(٢).

ووعده في إجابة المضطرّين إشارة إلى قوله تعالى: «أمَّنْ يُجيبُ المضْطَرَّ إذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء»(٣)، فإنّه تعالى لمّا أنكر كون هذه الصفة والقدرة لغيره، كأنّه وعد المضطرّين بأنّه المتكفّل المتفرّد بإجابتهم *.

ووفّقني: أي اجعلني موافقاً غير مخالف لقبول ماحكمت وقدّرت.

وقبول الشيء: الرضا به وتحيته والميل إليه.

ولي وعليّ: عبارة عمّا يؤثره ويكرهه، يقولون: هذا لك وهذا عليك، فتستعمل اللام فيما يؤثر، وعلى فيما يكره.

قال الشاعر:

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساء ويوم نُسرّ (٤)

وإنّما استعملت على ذلك لأنّ الكلف والمشاقّ تخفض الإنسان وتضعه، فكأنّها تعلوه وتتفرعه، أي: وفّقني للرضا بما قضيته ممّا أُحبّه وأكرهه.

ورضّني: أي اجعلني راضياً بما أخذت لي من غيري، وأخذت منّي ممّا لاأُحبّ أخذه منّي، حتّى أكون راضياً بالقضاء في السرّاء والضرّاء. والأخذ والعطاء: وهو سؤال لمقام الرضا بالقضاء الذي هورأس الطاعة وأرفع مقامات السالكين.

---

(١) في (الف): انكار وفي (ج): انكاء.
(٢) الكشّاف: ج٣، ص٣٤٥.
(٣) سورة النمل: الآية ٦٢.
(٤) أنوار الربيع للمؤلف: ج٢، ص٣٦.

....

فعن علي بن الحسين عليهما السلام -وهو صاحب الدعاء-: الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله(١).

وعن الصادق عليه السلام: رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كره(٢).

وعن علي بن الحسين عليهما السلام: الزهد عشرة أجزاء، أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا(٣).

فأشار عليه السلام إلى أنّ الرضا فوق الجميع، ومن ثمّ كان مقام الرضا فوق جميع مقامات السالكين.

تنبيهان

الأوّل: إعلم أنّ رضاء العبد ومحبّته لما يؤثره ويحبّه سهل؛ لأنّه موافق لطبعه، وأمّا رضاه بما يكره(٤) فصعب؛ لأنّه مخالف لطبعه وميله إلى شيء، وضدّه مشكل.

ومن ثمّة ذهب جماعة إلى أنّ الرضا بما يستكرهه الطبع ويخالف هوى النفس كالمحن والمصائب غير ممكن، وغاية مايمكن هو الصبر عليه.

وأُجيب بأنّ الرضا ثمرة المحبّة الكاملة، ومحبّة العبد للربّ إذا بلغت حدّ الكمال يمكن أن يرجّح إرادته على إرادة نفسه، بل يمكن أن لايرى لنفسه مراداً غير مراده تعالى؛ لاستقراره في بحر المحبّة، أو لأنّ فعل المحبوب مثله محبوب، أو لأنّه لايجد في

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٠، ح٣.

(٢) الكافي: ج٢، ص٦٠، ح١.

(٣) الكافي: ج٢، ص١٢٨، ح٤.

(٤) (الف): يكرهه.

....

نفسه ألم مايكرهه؛ لاستغراق قلبه في محبّته تعالى وغفلته عن نفسه فضلاً عن الأُمور الموافقة أو المخالفة لها، كما أنّ المجاهد لتوغّله في الجهاد قد لايجد ألم الجراح.

وبالجملة: هو أمر ممكن إلّا أنّه صعب نادر.

الثاني: الرضا بالشيء لاينافي الدعاء لرفعه، خلافاً لطائفة من المتصوّفة المبتدعة حيث قالوا: إنّ شرط الرضا ترك الدعاء لرفع البلاء وطلب النعماء؛ لأن طلب رفع أمر وارد منه تعالى وحصول غيره ينافي الرضا بما حكم به. وهؤلاء في طرف الإفراط، كما أنّ الجماعة الأُولىٰ في طرف طلب التفريط.

وأُجيب عنه أوّلاً: بالنقض، وهو أنّ دعاء الأنبياء والأوصياء وحثّهم عليه أمر مشهور، وفي الكتب السماويّة وغيرها مسطورمذكورلا ينكره أحدمن أهل الإسلام.

وثانياً: بالمنع، لأنّا لانسلّم أنّ الطلب المذكور ينافي الرضا، وإنّما المنافي له استكراه النفس للواردات من عندالله تعالى، والطلب لايستلزم الاستكراه.

وثالثاً: بالحلّ، وهو أنّ الدعاء عبادة أمر الله تعالى بها غير مرّة؛ لتضمّنها انكسار القلب وتواضعه وخشوعه، ومخالفة أمر الله تعالى تنافي الرضا، وسيأتي تمام الكلام على الرضا في محلّه إن شاء الله تعالى.

قوله عليه السلام: «اهدني للتي هي أقوم» أي: للحالة أو الخصلة أو الطريقة أو الحكمة التي هي أقوم الحالات أو الخصال أو الطرائق أو الحكم، أي: أعدلها وأكثرها استقامة من قام الأمر واستقام بمعنى اعتدل. وفي حذف الموصوف فخامة وبلاغة لا توجد مع الإثبات؛ لما في إبهام الموصوف بخلافه من التعميم وذهب الوهم كلّ مذهب وذلك مفقود مع إيضاحه، وهو اقتباس من قوله تعالى: «إِنَّ هٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»(١).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

اللّهُمّ وَ إنْ كانَتْ الخِيَرة لي مِنْ عِنْدَكَ في تَأخيرِ الأخذِ لي وَتَرْكِ الإنْتِقام مِمّنْ ظَلَمَني إلى يَوْمِ الْفَصْلِ وَمَجْمَعِ الخَصْم، فَصَلِّ عَلى مُحمّد وآلِه، وَأيّدْني مِنْكَ بِنيّةٍ صادِقَةٍ وَصَبْرٍ دائِمٍ.

وقوله: «واستعملني بالذي(١) هو أسلم» أي: اجعلني عاملاً بالعمل الذي هو أكثر الأعمال سلامةً من الآفات المبطلة للعمل. وحذف الموصوف هنا ليس لقصد التعميم كما في الفقرة السابقة، بل للإيذان بالغنى عن التصريح به لغاية ظهوره، لاسيّما بعد ذكر الاستعمال ❊.

الخيرة بكسر الخاء وسكون الياء المثناة من تحت: اسم من الاختيار، كالفدية اسم من الافتداء، وبفتح الياء بمعنى الاختيار.

وقيل: هي بالسكون اسم من خار الله لك أي: أعطاك ماهو خير لك، وبالفتح اسم من اختاره الله.

وقيل: هما بمعنى واحد، أي: إن كان الخير لي أو الاختيار لي عندك ، أي: في حكمك .

قال الفيومي في المصباح: وتكون عند بمعنى الحكم، يقال: هذا عندي أفضل من هذا، أي: في حكمي(٢).

في تأخير الأخذ لي: أي استرجاع حقّي منه أو عقابه لأجلي، مِن أخذه الله بذنبه عاقبه عليه.

وترك الانتقام: أي إسقاط المعاقبة. وأصل الترك استعماله في الأعيان، يقال: تركت المنزل تركاً: رحلت عنه، وتركت الرجل: فارقته، ثمّ استعير للإسقاط في المعاني، فقيل: ترك حقّه: إذا أسقطه، وترك ركعة من الصلاة: لم يأت بها؛ فإنّه إسقاط لما ثبت شرعاً.

---

(١) هكذا في الأصل ولكن في المتن «واستعملني بما هو أسلم». (٢) المصباح المنير: ص٥٩٠.

....

ويوم الفصل: يوم القيامة؛ لأنّ الله تعالى يفصل فيه الحكم بين الخلائق، أو لوقوع الفصل فيه بين الحقّ والباطل، أو للفصل فيه بين أعمال الخير وأعمال الشرّ.

والمجمع: محلّ الجمع أو زمانه.

والخصم: المدّعي على غيره حقّاً من الحقوق المنازع له فيه، ويعبّر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد؛ لأنّ أصله المصدر، فيقال: رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم، وفي لغةٍ يطابق في التثنية والجمع فيقال: خصمان، وخصوم وقد ورد التنزيل في اللغتين.

قال تعالى: «وَهَلْ أَتاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ * إِذْ دَخَلوا عَلى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُم قَالوا لاتَخَفْ خَصْمانِ بَغىٰ بَعضُنا عَلى بَعْضٍ»(١).

والمراد به في الدعاء الجماعة، أي: مجمع الخصوم.

والتأييد: التقوية، وتأييد الله تعالى عبده تقويته أمره من داخلٍ بالبصيرة ومن خارجٍ بقوّة البطش، والأوّل هو المطلوب هنا.

ومنه قوله تعالى: «إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ»(٢).

والنيّة بالتشديد: اسم من نواه ينويه، أي: قصده.

والتخفيف لغة فيها، حكاه الأزهري(٣) واللحياني(٤)، وهي على حذف اللام وتعويض الهاء عنها، كما قيل في ثبة وظبة، ثمّ خصّت النيّة في غالب الاستعمال بعزم القلب على أمرٍ من الأُمور.

وصادقة: أي حسنة جميلة، ويعبّر عن كلّ فعل فاضل ظاهراً و باطناً بالصدق؛ لأنّ الصدق في الحديث مستحسن جيّد، فصاروا يستعملونه في مطلق الجودة، ومنه

---

(١) سورة ص: الآية ٢١ و٢٢. (٢) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري: ج١٥ ص٥٥٦. (٤) لسان العرب: ج١٥، ص٣٤٧.

وَاَعِذْني مِن سُوء الرغْبَة وَهَلِعَ أهْلِ الحِرْصِ.

وَصَوِّرْ في قَلْبي مِثالَ مَـا ادَّخَرْتَ لي مِنْ ثَوابِكَ وَاَعْدَدْتَ لِخَصْمي مِن جَـزائِكَ وَعِقـابِـكَ ، وَاجْعَلْ ذلِـكَ سَبَباً لِقَناعَتي بِما قَضَيْتَ وَثِقَتِي بِما تَخَيرْتَ.

رجل صدق ولسان صدق ومقعد صدق. أي: قوّني منك بعزم حسن على الكفّ عن طلب حقّي منه إلى ذلك اليوم، فلا تنازعني نفسي إلى طلبي له في الدنيا.

والصبر: حبس النفس عن الجزع.

والدائم: الثابت من دام يدوم دوماً ودواماً ثبت. أي: وأيّدني بصبرٍ ثـابت على ظلمه لي فلاأجزع منه *.

عاذ بالله: اعتصم وامتنع، وأعاذه الله: عصمه ومنعه.

وساء الشيء يسوء سوءً بالضمّ: قبح.

والرغبة: السؤال والطلب، ومنه كيف أنتم إذا مرج الدين وظهرت الرغبة.

قال ابن الأثير في النهاية: أي قلّت الـعفّة وكثر السؤال، يقال: رغب يـرغب إذا حرص على الشيء وطمع فيه، والرغبة السؤال والطلب(١) إنتهى.

وقد تطلق الرغبة على الشره والحرص، ومنه الرغب شوم، أي: الشـره والحرص على الدنيا. وقيل: سعة الأمل وطلب الكثير.

والهلع بالتحريك: الحرص، وقيل: الجزع وقلّة الصبر.

وقيل: هو أشدّ الجزع والضجر.

والحرص بالكسر: الاجتهاد في الطلب والرغبة المذمومة. أي: وأفض عليّ منك قوّة باطـنيـة أقوى بها على الامـتنـاع من قبيح الطـلب وسيّء الرغبـة والسؤال وشدّة الجزع والضجر، كما يفعله أرباب الحرص المجتهدون في طلب الدنيا *.

صوّرت الشيء: مثّلت صورته وشكله.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٢٣٧.

آمِينَ رَبَّ الْعالَمينَ.

والمراد بالقلب هنا: العقل؛ لأنّه محلّ التصوّر، وكثيراً مايطلق عليه لغةً وعرفاً.

والمثال بالكسر: في الأصل اسم مِن ماثله مماثلةً إذا شابهه، ثمّ استعمل بمعنى الصورة والشكل، فقالوا: هذا مثاله أي: صورته وشكله.

وادّخرت الشيء على افتعلت: أي ذخرته إذا أعددته لوقت الحاجة إليه.

وأعددته إعداداً: هيّأته.

وقنع بالشيء-من باب تعب- قناعةً: رضي به.

ووثق به يثق بكسرهما ثقةً ووثوقاً: اعتمد على وفائه.

وتخيّر الشيء: اختاره.

والمعنى: إجعل صورة ما أعددته لي وقت الحاجة إليه من ثوابك وجزائك على الصبر على مظلمتي، وهيّأته لظالمي من عقابك وانتقامك، حاصلة في عقلي، وصيّر ذلك سبباً لحصول رضاي بالذي قضيته وحكمت به لي، واعتمادي على مااخترته لي من تأخير الأخذ لي وترك الانتقام ممّن ظلمني، إلى يوم الفصل ومجمع الخصم.

حكى الزمخشري في ربيع الأبرار: أنّ عامر بن بهدلة مرّ برجل قد صلبه الحجّاج، فقال: ياربّ إنّ حلمك عن الظالمين قد أضرّ بالمظلومين، فرأى في منامه أنّ القيامة قد قامت، وكأنّه قد دخل الجنّة فرأى المصلوب فيها في أعلى علّيين، وإذا مناد ينادي: حلمي عن الظالمين أحلّ المظلومين في أعلى علّيين(١)».

أي: إفعل ذلك أو استجب وأعطنا ماسألناك أو كذلك فافعل -على الخلاف في معناها كما مرّ- ياربّ العالمين.

وحذف حرف النداء استشعاراً لإقباله تعالى عليه، أو لقربه منه إذا كان أقرب من حبل الوريد. وقد أسلفنا الكلام مبسوطاً على هذه العبارة في آخر الروضة الثانية

---

(١) ربيع الأبرار: مخطوط، ص١٣٩.

إِنَّكَ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدير.

عشرة*.

تعليل للدعاء والسؤال، أو لإعطاء المسؤول ومزيد استدعاءٍ للإجابة.

وذو: بمعنى صاحب أي: صاحب الفضل العظيم، لكنّ ذو تقتضي تعظيم ما أُضيفت إليه والموصوف بها، بخلاف صاحب فيهما.

والفضل: الإحسان ابتداءً، ولمّا كان كلّ خير منه تعالى، وإحسان في الدين والدنيا إبتداءً منه وتفضّلاً من غير استحقاق من المحسن إليه، صدق أنّه ذو الفضل العظيم والمنّ الجسيم.

وقوله: «وأنت على كلّ شيءٍ قدير» تعليل لإعطاء المسؤول؛ فإنّ اتّصافه سبحانه بالقدرة الذاتيّة الشاملة لجميع المقدورات، بحيث لايشذّ من ملكه شيء من الأشياء، يستدعي اندراج قدرته على اعطاء هذا المسؤول وإبلاغ هذا المأمول في تلك الكلّية، فلا غرو إن أجاب وأعطى وأثاب، والله تعالى أعلم.

هذا آخر الروضة الرابعة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، وفّق الله تعالى لإتمامها واقتطاف ورود إكمالها من أكمامها، آخر يوم السبت لتسع خلون من محرّم الحرام مفتتح عام تسع وتسعين وألف، ولله الحمد.

الروضة الخامسة عشرة

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا مَرِضَ أَوْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ وَبَلِيَّةٌ

اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلٰى مَا لَمْ اَزَلْ اَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلَامَةِ بَدَنِي وَلَكَ
اَلْحَمْدُ عَلٰى مَا اَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي فَمَا اَدْرِي يَا اِلٰهِي اَيُّ
الْحَالَيْنِ اَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ وَاَيُّ الْوَقْتَيْنِ اَوْلٰى بِالْحَمْدِ لَكَ اَوَقْتُ الصِّحَّةِ
الَّتِي هَنَّاْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ وَنَشَّطْتَنِي بِهَا لِابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ
وَفَضْلِكَ وَقَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلٰى مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ اَمْ وَقْتُ
الْعِلَّةِ الَّتِي مَحَّصْتَنِي بِهَا وَالنِّعَمِ الَّتِي اَتْحَفْتَنِي بِهَا تَخْفِيفًا لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلٰى
ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ وَتَطْهِيرًا لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَتَنْبِيهًا
لِتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ وَتَذْكِيرًا لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمِ النِّعْمَةِ وَفِي خِلَالِ ذٰلِكَ مَا
كَتَبَ لِيَ الْكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيِّ الْاَعْمَالِ مَا لَا قَلْبٌ فَكَّرَ فِيهِ وَلَا لِسَانٌ نَطَقَ
بِهِ وَلَا جَارِحَةٌ تَكَلَّفَتْهُ بَلْ اِفْضَالًا مِنْكَ عَلَيَّ وَاِحْسَانًا مِنْ صَنِيعِكَ
اِلَيَّ اَللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَبِّبْ اِلَيَّ مَا رَضِيتَ لِي وَيَسِّرْ
لِي مَا اَحْلَلْتَ بِي وَطَهِّرْنِي مِنْ دَنَسِ مَا اَسْلَفْتُ وَامْحُ عَنِّي شَرَّ مَا
قَدَّمْتُ وَاَوْجِدْنِي حَلَاوَةَ الْعَافِيَةِ وَاَذِقْنِي بَرْدَ السَّلَامَةِ وَاجْعَلْ
مَخْرَجِي عَنْ عِلَّتِي اِلٰى عَفْوِكَ وَمُتَحَوَّلِي عَنْ صَرْعَتِي اِلٰى تَجَاوُزِكَ وَخَلَاصِي

مِنْ كَرْبِي إِلَىٰ رَوْحِكَ وَسَلَامَتِي مِنْ هٰذِهِ الشِّدَّةِ إِلَىٰ فَرَجِكَ

إِنَّكَ الْمُتَفَضِّلُ بِالْإِحْسَانِ الْمُتَطَوِّلُ بِالْإِمْتِنَانِ

الْوَهَّابُ الْكَرِيمُ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود في العافية والبلاء، المشكور علىٰ اللاواء والآلاء، والصّلاة والسّلام علىٰ نبيّه أشرف الأدلاّء وعلىٰ آله وعترته السّادة الأجلاّء.

وبعد فهذه الروضة الخامسة عشرة من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الخامس عشر من صحيفة سيّد العابدين صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاّهرين، إملاء راجي فضل ربّه السنّي علي صدرالدّين الحسيني الحسنيّ، بلّغه الله تعالى غايات آماله، ووقاه شرّ نفسه وسيّئات أعماله.

شرح الدعاء الخامس عشر

وكان من دعائه عليه السلام إذا مرض أو نزل به كربٌ أو بليّة:

اللّهُمَّ لَكَ الحَمدُ علىٰ مالم أزَلْ أتصرّفُ فيه مِنْ سَلاَمَة بَدَني، ولَكَ الحَمْد علىٰ ما أحْدَثْتَ بي من علَّةٍ في جَسَدِي.

مرض الحيوان مرضاً -من باب تعب-، والمرض قيل: حالة خارجة عن الطبع ضارّة بالفعل، ويعلم من هذا أنّ الآلام أعراض عن المرض.

وقيل: هو مايعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص.

وقيل: هو هيئة بدنيّة تكون الأفعال بها لذاتها مؤوفة، ولابدّ من كون الآفة محسوسة؛ لأنّ الإحساس بضرر الفعل شرط في كون الهيئة مرضاً، وإلّا كان جميع الناس في مرض دائماً بالقياس إلى أفضل الهيئات.

والكرب: الهمّ يأخذ بالنفس، وكربه الأمر يكربه- من باب قتل-: شقّ عليه وأهمّه، وهو رجل مكروب: مهموم، والكربة بالضمّ اسم منه.

والبليّة: البلاء، وهو الإصابة بالمكروه *.

قدّم الجارّ والمجرور والذي هو خبر من قوله «لك الحمد» في الموضعين للحصر، أي: لك الحمد وحدك من غير شريك أصلاً ولا مدخل فيه لأحد.

....

ولم أزل: أي لم أبرح، يقال: مازال يفعل كذا مثل مابرح وزناً ومعنىً والمراد بها ملازمة الشيئ والحال الدائم، ولذلك قيل: هي لثبوت خبرها لاسمها على الاستمرار مذ قبله.

وأتصرّف: أي أتقلّب.

قال في القاموس: صرّفته في الأمر تصريفاً فتصرّف: قلّبته فتقلّب(١).

ومن: في الموضعين بيانيّة.

والسلامة لغةً: الخلوص من الآفات، واصطلاحاً: هيئة يكون بها بدن الإنسان في مزاجه وتركيبه بحيث يصدر عنه الأفعال كلّها صحيحة، فهي بهذا المعنىٰ مرادفة للصحّة.

وحدث الشيئ حدوثاً ـ من باب قعد ـ: تجدّد وجوده بعد أن لم يكن فهو حادث وحديث، ومنه يقال: حدث به عيب إذا تجدّد وكان معدوماً، ويتعدّىٰ بالألف فيقال: أحدثته.

والعلّة: عبارة عن معنىً يحلّ بالمحلّ فيتغيّر به حال المحلّ، ومنه سمّي المرض علّة؛ لأنّه بحلوله يتغيّر حال الشخص من القوّة إلىٰ الضعف.

والبدن والجسد قيل: هما مترادفان بمعنىٰ جسم الإنسان. قال الجوهري: بدن الانسان: جسده(٢)، من الجسد: وقال صاحب العين(٣) ـ وتبعه صاحب القاموس ـ: البدن من الجسد: ما سوىٰ الشوىٰ والرأس، والشوىٰ كالنوى: اليدان والرجلان(٤) وكلّ ما ليس مقتلاً كالقوائم.

وقال في البارع: لايقال الجسد إلّا للحيوان العاقل وهو الإنسان والملائكة

---

(١) القاموس المحيط: ج٣، ص١٦٢.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص٢٠٧٧.

(٣) كتاب لعين: ج٦، ص٢٩٨.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٠٠.

فَما أدْري يا إلٰهي أيُّ الحَالَيْن أَحَقُّ بالشّكْرِ لك ، وأيُّ الوقْتَيْنِ أولىٰ بالحَمْدِ لَكَ .

والجن، ولايقال لغيره جَسَد(١)*

الفاء: للترتيب الذكري.

والمراد به كون ما بعدها كلاماً مرتّباً على ماقبلها، لاأنّ مضمون مابعدها عقيب مضمون ماقبلها في الزمان؛ فإنّ التردّد في حال(٢) السلامة والعلّة ووقتيهما أيّهما أحق بالشكر وأولىٰ بالحمد يصحّ بعد جري ذكرهما.

ودرى درياً ـ من باب رمى ـ ودراية: علمه.

وأيّ اسم استفهام وهو مبتدأ، وأحقّ خبره، والجملة في محلّ نصب مفعولاً لأدري؛ لأنّ وقوعه ـ أعني أدري ـ قبل ما لَه صدر الكلام وهو استفهام هنا أوجبَ تعليقه، أي: إبطال عمله لفظاً مع بقائه محلاً.

وقولهم: هو أحق بكذا وأولىٰ بكذا يستعمل بمعنيين.

أحدهما: اختصاصه بذلك من غير مشاركة، نحو زيد أحقّ أو أولىٰ بماله، أي: لاحقّ لغيره فيه.

والثاني: أن يكون أفعل تفضيل، فيقتضي اشتراكه مع غيره وترجيحه علىٰ غيره، كقولهم: زيد أحسن وجهاً من فلان، ومعناه ثبوت الحسن لهما وترجيحه للأوّل، قاله الازهري وغيره(٣).

والمعنىٰ الثاني هو المراد هنا. وإنّما تردّد عليه السّلام في ترجيح أحد الحالين ووقتيهما على الآخر في الشكر والحمد؛ لاقتضاء كلّ منهما شكره تعالىٰ وحمده لماترتّب عليه من الرغائب والفوائد، كما شرحه عليه السّلام بقوله(٤)* .

---

(١) المصباح المنير نقلاً عن البارع: ص١٣٨.

(٢) (الف) و(ج): حالتي.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري: ج ٤ ص٣١٨.

(٤) أي الدعاء المذكور في المتن.

أَوقْتُ الصَّحَّةِ الَّتي هَنَّأتني فِيها طَيِّباتِ رِزقِك، ونَشَّطتني بِها لابْتِغاءِ مَرْضاتِكَ وَفضلِكَ، وقوّيتَني مَعَهَا عَلَىٰ ماوفَّقْتَني لَهُ من طاعَتكَ، أمْ وقْتَ العِلَّة الّتي مَحّصْتَني بها والنّعَم الّتي أتْحفتَني بِهَا.

وقت: مرفوع علىٰ البدليّة من قوله: «وأيّ الوقتين»، وهو بدل كلّ من كلّ، وقرن بهمزة الإستفهام لتضمّن المبدل منه معناها.

قال ابن مالك في التسهيل: ويقرن البدل بهمزة الإستفهام إن تضمّن متبوعه معناها(١).

ولا يخفىٰ أنّ البدل في الحقيقة هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه ـ أعني قوله: «أوقت الصحّة أم وقت العلّة» ـ لا كلّ واحد من شقّي التفصيل، كما توهمه عبارة النحويّين من قولهم: بدل الكلّ يطابق متبوعه في الإفراد وضدّيه، مالم يقصد التفصيل كمررت برجلين قائم وقاعد، وأنّ قائم وقاعد مجموعهما هو البدل لا كلّ منهما، فالمطابقة حاصلة مع التفصيل أيضاً.

لكن قال الدماميني في شرح التسهيل: ويأتي هنا بحث وهو أنّه إذا كان مجموعهما هوالبدل، فما هو العامل في كلّ واحد منهما مع أنّه بمفرده غير بدل؟ وهذا في البَدَل كقولهم في الخبر: الرمّان حلو حامض(٢) إنتهىٰ.

وهنّأني الطعام يهنّؤني ـ من باب نفع ـ: ساغ ولذّ، وهنّأه بالتثقيل: سوّغه.

وطيّبات الرزق: مستلذّاته، وفسّر قوله تعالىٰ: «كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مارزقْنَٰكُمْ(٣)» بالشهي اللذيذ، وقيل: المباح الحلال.

وقيل: المباح الذي يستلذّ أكله.

والضمير المؤنث من قوله «فيها» يحتمل عوده إلى الوقت؛ لاكتسابه

---

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك: ص١٧٣.

(٢) شرح التسهيل: لايوجد هذا الكتاب لدينا. (٣) سورة طه: الآية ٨١.

....

التأنيث من المضاف إليه، كقول الشاعر:

طول الليالي أسرعت في نقضي(١)

وقول الآخر:

وما حبّ الديار شغفن قلبي(٢)

وهو كثير في فصيح الكلام. ويحتمل كونه للصحّة.

قال ابن هشام في المغني: ويحتمل أن يكون من ذلك «وكنتم علىٰ شفا حفرة من النّار فانقذكم منها» أي: من الشفا، ويحتمل أنّ الضمير للنار.(٣).

ونشط ينشط -من باب تعب-: خفّ وأسرع وطابت نفسه لعمله، ويتعدّىٰ بالتثقيل فيقال: نشّطه تنشيطاً.

والباء من «بها»: إمّا للظرفيّة أو للسببيّة أو الاستعانة.

وبغيت الشئ أبغيه بغياً وابتغيته ابتغاءً: طلبته.

والمرضاة: الرضوان، كالمغفرة بمعنىٰ الغفران.

والفضل: هنا بمعنىٰ الخير والرزق، وفسّر قوله تعالىٰ: «فإذا قُضِيَتْ الصّلوٰةُ فَانْتَشِروا في الأرْضِ وابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ»،(٤) أي: واطلبوا الرزق في الشراء والبيع.

وعن الحسن وابن جبير: المراد بقوله: «وابتغوا من فضل الله» طلب العلم، وقيل: صلاة التطوّع(٥).

---

(١) مغني اللبيب: ص٦٦٦. وتكملة البيت: نقضن كلّي ونقضن بعضي.

(٢) مغني اللبيب: ص٦٦٦. وتكملة البيت: ولكن حبّ من سكن الديارا.

(٣) مغني اللبيب: ص٦٦٦.

(٤) سورة الجمعة: الآية ١٠.

(٥) مجمع البيان: ج(٩-١٠)، ص٢٨٨.

....

وعن ابن عباس: لم يؤمروا بطلب شيئ من الدنيا، إنّما هو عيادة المرضىٰ وحضور الجنائز وزيارة أخٍ في الله (١).

وروى عمر بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إنّي لأركب في الحاجة التي كفاها الله ما أركب فيها إلّا التماس أن يراني الله أُضحي في طلب الحلال، أما تسمع قول الله عزّ اسمه: «فإذا قُضِيت الصّلوٰة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله»(٢).

وقوّيتني معها: أي مقارنا لها، أي: لوقت الصّحة أو للصحّة. و«أم» متّصلة؛ لوقوعها بعد همزة الإستفهام.

والتمحيص: التخليص من الذنوب.

قال الزمخشري في الأساس: محّص الشيئ محصاً ومحّصه تمحيصاً: خلّصهُ من كلّ عيب، ومحص الذهب بالنار: خلّصه ممّا يشوبه ومن المجاز محّص الله التائب من الذنوب ومحّص قلبه وتمحّصت ذنوبه(٣) إنتهىٰ.

وفي الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: ما من مسلم عرض له مرض إلّا حطّ الله خطاياه كما تحطّ الشجرة ورقها(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام أن المرض يحطّ السيّئات ويحتّها حَتَّ الأوراق(٥).

---

(١) الدّرالمنثور: ج٦، ص ٢٢٠.

(٢) تفسير نورالثقلين: ج ٥، ص ٣٢٧.

(٣) أساس البلاغة: ص٥٨٣.

(٤) المستطرف: ج ٢ ص ٢٩١ وفيه «ما من مسلم يمرض مرضاً».

(٥) نهج البلاغة: ص٤٧٦، ح ٤٢.

....

وعن أبي عبدالله عليه السلام: حمّىٰ ليلة كفارة لما قبلها وما بعدها(١).

وفي خبر: مايزال الأوصاب والمصائب بالعبد حتّىٰ تتركه كالفضة المصفّاة(٢).

وفي خبر آخر: أنّ المريض يخرج من مرضه نقيّا من الذنوب كيوم ولدته أُمّه، ويتساقط عنه خطاياه كما يتساقط الورق من الشجر في الخريف(٣).

قال بعض العلماء: تمحيص الذنوب بالمرض باعتبار أمرين:

أحدهما: أنّ المريض تنكسر شهوته وغضبه اللذان هما مبدأ للذنوب والمعاصي ومادّتها.

والثاني: أنّ من شأن المرض أن يرجع الإنسان فيه إلىٰ ربّه بالتوبة والندم على المعصية والعزم علىٰ ترك مثلها، كما قال تعالى: «وإذا مَسَّ الإنسٰن الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أوْ قاعِداً أوْ قائماً»(٤) الاية.

فما كان من السيّئات والذنوب حالات غير متمكّنة من جوهر النفس فإنّه يسرع زوالها منها، وما صار ملكة فربّما يزول على طول المرض ودوام الإنابة الى الله تعالى(٥) إنتهىٰ.

وأتحفتني بها: أي بررتني وأكرمتني يقال: أتّحفه إذا وصله بتحفة بالضمّ، وهي البرّ واللطف.

وأراد عليه السّلام بالنعم: المثوبات والأُجور المترتّبة على المرض المتسبّبة عنه.

---

(١) الكافي: ج٣، ص١١٥. وفيه: «ولما بعدها».

(٢) المستطرف: ج ٢ ص ٢٩١ وفيه لا تزال. والدّرالمنثور: ج ٢ ص ٢٢٩ سطر ٢٤ مع اختلاف يسير في صدر الخبر.

(٣) لم نعثرعليه.

(٤) سورة يونس: ١٢.

(٥) شرح نهج البلاغه لابن ميثم البحراني: ج ٥ ص ٢٦٥.

....

وفي الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: أيّكم يحبّ أن يصحّ فلا يسقم؟ قالوا كلّنا يا رسول الله، قال: تحبّون أن تكونوا كالحمير الصوّالة، ألا تحبّون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفّارات؟ والذي بعثني بالحقّ إنّ الرجل ليكون له الدرجة في الجنّة فلا يبلغها بشيءٍ من عمله، فيبتليه الله ليبلغ درجة لايبلغها بشيءٍ من عمله(١).

وفي كلام بعض السلف: أنّ في العلل لنعماً لاينبغي للعقلاء أن يجحدوها منها تمحيص الذنوب، والتعرّض لثواب الصبر، واليقظة من الغفلة، واذكار النعمة في حال الصّحة، واستدعاء التوبة وحثّها على الصدقة.

فان قلت: قد روي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قال لبعض أصحابه في علّة إعتلّها: جعل الله ماكان من شكواك حطّاً لسيّئاتك فإنّ المرض لا أجر فيه ولكنّه يحط السيّئات ويحتّها حتّ الأوراق، وإنّما الأجر في القول باللسان والعمل بالأيدي والأقدام، وإنّ الله يدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنّة(٢).

فإنّ هذا الكلام منه عليه السّلام نصّ علىٰ أنّه لامثوبة ولا أجر في المرض، فكيف تترتّب عليه المثوبات وتتسبّب عنه الأجور التي عبّر عنها بالنعم؟

قلت: ترتّب المثوبات والأجور عليه يكون باحتساب المشقّة فيه لله تعالىٰ بصدق نيّة العبد مع صلاح سريرته؛ فإنّ ذلك يكون معداً لإفاضة الأجر والثواب عليه، ويدخل ذلك في عداد الملكات المقرونة بنيّة القربة إلى الله تعالىٰ. وإلىٰ هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله: وإنّ الله يدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة من

---

(١) الدّر المنثور: ج٢، ص٢٢٨ وكنز العمّال: ج٣ ص٣١٤ ح ٦٧٢٠.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٧٦ ح٤٢.

تَخْفِيفاً لماثَقُلَ على ظَهْري مِنْ الخَطيئاتِ، و تطهيراً لما انْغَمَسْتُ فيهِ مِنْ السَّيِّئاتِ، وتنبيهاً لتَناول التَّوبةِ وتذكيراً لِمحو الحَوبةِ بقديم النّعمةِ.

يشاء من عباده الجنّة(١)، وقد تتسبّب أيضاً عنه باعتبار الصبر عليه والتضرّع إلى الله تعالى فيه، كما ورد في حديث آخر.

وهو ماروي عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن مولانا الحسين بن علي عليهما السّلام، قال: عاد أميرالمؤمنين عليه السّلام سلمان الفارسي فقال: ياابا عبدالله كيف أصبحت من علّتك؟ فقال: يا أميرالمؤمنين أحمدالله كثيراً وأشكو إليك كثرة الضجر، قال: فلاتضجر ياابا عبدالله، فما من أحد من شيعتنا يصيبه وجع إلّا بذنب قد سبق منه وذلك الوجع تطهير له، قال سلمان: فإن كان الأمر على ماذكرت وهو كما ذكرت فليس لنا في ذلك شيء خلا التطهير، قال: بلىٰ يا سلمان لكم الأجر بالصبر عليه والتضرّع إلىٰ الله عزّ اسمه والدعاء، بهما تكتب لكم الحسنات وترفع لكم الدرجات، وأمّا الوجع خاصّة فهو تطهير وكفّارة، فقبّل سلمان مابين عينيه وبكىٰ وقال: من كان يميّز لنا هذه الأشياء لولاك يا أميرالمؤمنين(٢).

فهذا الحديث صريح في المطلوب. ويحتمل أن يكون المراد بالنعم الآلام التي هي اعراض عن العلّة، عدّها نعما لما يترتّب عليها من الفوائد، من تخفيف الذنوب والتطهير من السيّئات والتنبيه علىٰ الإنابة إلىٰ غير ذلك، كما أشار إليه عليه السّلام بقوله(٣)؛.

أي: لأجل التخفيف، فهو مفعول له، ويحتمل النصب على المصدريّة، أي: تخفّف تخفيفاً أوانخاف تخفيف.

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٧٦ ح٤٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٦٢٥ ح ٢٠.

(٣) أي الدعاء المذكور في المتن.

....

لايقال: هذا يعيّن كون المراد بالنعم الآلام والانتقام، لأنّها التي يحصل بها التخفيف والتطهير والتنبيه والتذكير لا المثوبات والأُجور.

لأنّا نقول: المثوبات والأُجور تقتضي التخفيف والتطهير أيضاً، كما قال تعالىٰ: «إنّ الحسنٰات يُذهبنَ السيّئاتِ»(١) وبها يحصل التنبيه للإنابة والتذكير لمحو الخطيئة أيضاً؛ فإنّ من صبر علىٰ بلواه محتسباً أجره عندالله فلا بدّ أن يتنبّه للتوبة علىٰ مافرّط منه، وبتذكّر قديم نعمة الله عليه من العافية فيتدارك سيّئاته بالندم عليها والرجوع عنها.

واللام في قوله عليه السّلام «لماثقل» يحتمل أن تكون للتعليل، أي: تخفيفاً عنّي لأجل ماثقل على ظهري، وأن تكون مقوّية للعامل لكونه فرعاً في العمل، مثل ضربي لزيد حسن.

وجملة الصلة من قوله: «ثقل علىٰ ظهري» إستعارة تمثيليّة، مثّل حاله في تحمّل الخطيئات بحال من حمل علىٰ ظهره أعباء ثقيلة فثقلت عليه، والتخفيف من ترشيح الاستعارة.

وفي قوله «لما انغمست» محتملة للتعليل أيضاً، أي تطهيراً لي لأجل ما انغمست فيه، وأن تكون بمعنىٰ من، أي: تطهيراً ممّا انغمست فيه.

وأمّا التقوية فبعيدة؛ لأنّ التطهير لايكون لما انغمس فيه إلّا إذا أُريد به معنى الإزالة. وأصل الإنغماس في الماء، استعاره لارتكاب الذنوب والسيّئات بجامع التوغّل في التلبّس، وهي استعارة تبعيّة تصريحيّة.

وفي قوله «لتناول التوبة» إمّا للتعليل أيضاً، أي: تنبيهاً لي لأجل تناول التوبة، وإمّا بمعنىٰ علىٰ، أي: تنبيهاً علىٰ تناول التوبة.

---

(١) سوره هود الآية ١١٤.

....

وفي قوله: «لمحو الحوبة» للتعليل، والحوبة بالفتح: الخطيئة من حاب حوباً ـ من باب قال ـ إذا اكتسب الإثم، والاسم الحوب بالضمّ.

وقيل المضموم والمفتوح لغتان، فالضمّ لغة الحجاز والفتح لغة تميم.

والباء من قوله «بقديم النعمة»: متعلّقة بالتذكير، أي: تذكير بقديم النعمة لأجل محو الحوبة.

يقال: ذكّرته ما كان وذكّرته بما كان، قال تعالىٰ «وذَكِّرْهُمْ بأيّـٰم الله»(١).

والمراد بقديم النعمة: العافية المتقدّمة على المرض؛ لأنّ الإنسان لايذكر العافية ولايعرف قدرها إلّا عند المرض، كما ورد في الحديث: نعمتان مجهولتان الأمن والعافية.(٢).

وقيل: مرارة السقم توجد حلاوة العافية.

ولما كان جهل النعمة خطيئةً وكفراً بها، وكان ذكرها شكراً لها وإزالةً للجهل بها، كان التذكير بها سبباً لمحو الحوبة التي هي عبارة عن جهلها.

قال عمر لأويس القرني رضي الله عنه: أُخرج بك وضح فدعوت الله أن لايذهبه عنك، وقلت: اللّهمّ دع في جسدي ما أذكر به نعمك عليّ، قال: وما أدراك وما أطّلع علىٰ هذا بشر؟. قال: أخبرنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم(٣).

وأمّا ما قيل: إنّ الباء من قوله: «بقديم النعمة» للسببية، وهي متعلّقة بقوله «أتحفتني بها» أي: اتحفتني بتلك النعم بسبب نعمتك القديمة وقول آخر: هي متعلّقة بمحو التوبة، أي: بقديم النعمة الّتي وفّقتني بها لدفع الشبهات، وقول من قال: إنّ

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٥.

(٢) الخصال: ص ٣٤. وفيه «نعمتان مكفورتان».

(٣) كنز العمّال: ج ١٤ ص ١٠ ح ٣٧٨٣٠.

وفي خِلاَلِ ذَلِكَ ما كَتَبَ لي الكـاتِبانِ من زكيّ الأعمالِ مـالا قلبٌ فكَّـرَ فيه ولا لِسانٌ نَطَقَ بِـهِ ولا جـارحـةٌ تكلَّفتـهُ بَـلْ إفْضالاً مِنك عَليَّ وإحْسَاناً من صَنيعِكَ إليَّ.

المراد بقديم النعمة العنايات المندرجة في هذه المحنة؛ لأنّها نعمة قديمة مقدّرة من الأزل، فهي أقوال لا تصيب شاكلة الصواب ولايكشف لها عن وجه القبول حجاب*.

الواو: للحال.

والخلال: جمع خلل بفتحتين مثل جبل وجبال، وهو الفرجة بين الشيئين، ويكون مفرداً ايضاً بمعنىٰ بين.

قال الفارابي في ديوان الأدب في باب فعال بكسر الفاء : يقال: خلال ذلك، أي: بين ذلك(١).

وفي القاموس: هو خللهم وخلالهم بكسرهما وبفتح الثاني:بينهم(٢)أي :وفي أثناء.ماذكر من العلّة والنعم التي أتحفتني بها.

«ما كتبه(٣) لي الكاتبان من زكيّ الأعمال»: أي طاهرها، من زكىٰ بمعنىٰ طهر، ومنه قوله تعالى: «مازكىٰ منكم من أحد»(٤)، أي: ما طهر، ومنه نفساً زكيّة أي: طاهرة لم تأتِ ما يوجب قتلها، أو صالح الأعمال من زكى الرجل يزكو إذا صلح، زكيّة بالتثقيل: نسبة الى الزكاء وهو الصلاح فهو زكيّ.

و«ما» في «مالا قلب»: بدل من «ما» التي قبلها.

ولا: إما لنفي الجنس ومابعدها مرفوع بالابتداء علىٰ أنّها ملغاة لتكرّرها، ولا الثانية والثالثة إمّا زائدتان أو ملغاتان كالأُولىٰ ومابعد كلّ منهما مبتدأ معطوف

---

(١) ديوان الأدب للفارابي: ج٣، ص٩٣.
(٢) القاموس المحيط: ج٣، ص٣٧٠.
(٣) هكذا في الأصل ولكن في الدعاء ماكتب لي الكاتبان.
(٤) سورة النور: الآية ٢١.

....

علىٰ مبتدأ، أو عاملة عمل ليس في المواضع الثلاثة، فما بعد كلّ منها مرفوع بها. ولك جعل الأُولىٰ عاملة عمل ليس، والثانية والثالثة زائدتان أو مهملتان وبالعكس والتفريق. فظهر أنّ ماحكم به بعضهم من تعيّن كون «لا» عاملة عمل ليس ليس بشيء.

وفكر في الشيء -من باب ضرب- وأفكر بالألف وتفكّر وفكّر تفكيراً: أعمل فيه الفكر بالكسر، وهو ترتيب أُمور معلومة في الذهن لتؤدّي إلىٰ مطلوب يكون علماً أو ظنّاً.

وقيل: التفكّر تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب.

ونطق ينطق -من باب ضرب-: تكلّم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، ويقال: نطق اللسان كما يقال: نطق الرجل.

والجارحة من الإنسان: مايكتسب به من أعضائه كاليد والرجل والجمع جوارح.

وتكلّف الشيء: فعله وتحمّله علىٰ مشقّة.

وبل: حرف إضراب، ومعناه هنا الانتقال من غرض إلىٰ اخرلاالإبطال. وهي حرف إبتداء لاعاطفة علىٰ الصحيح؛ لكون متلوّها جملة.

وإفضالاً: منصوب على المصدريّة أي: بل أفضلت إفضالاً كائناً ابتداءً منك عليّ، وأحسنت إحساناً كائناً من صنيعك إليّ.

قيل: وفيه شاهد علىٰ مجيء صنيع مصدراً لصنع المتعدي بإلىٰ كالصنع بالضمّ، فلا يختصّ بالمتعدّي بالباء كما تفهمه عبارة الجوهري في الصحاح حيث قال: الصنع بالضمّ مصدرقولك صنع إليه معروفاً وصنع به صنيعاًقبيحاً أي:فعل انتهى (١).

---

(١) الصحاح: ج ٣، ص ١٢٤٥.

....

وتبعه صاحب القاموس فقال: صنع إليه معروفاً ـ كمنع ـ صنعاً بالضمّ، وصنع به صنيعاً قبيحاً: فعله(١) إنتهىٰ.

ولا شاهد فيه، لاحتمال أن يكون الصنيع هنا بمعنىٰ الصنيعة وهو ما أصطنع من خير.

قال في القاموس: ما أحسن صنع الله بالضمّ وصنيع الله عندك (٢).

وقال الزمخشري في الأساس: نِعم الصنيع صنيعك وما أحسن صنع الله عندك (٣).

فـ «مِن» في قوله: «من صنيعك» يحتمل أن تكون ابتدائية وأن تكون تبعيضية، وحرف المجاوزة متعلّق بالإحسان كما أنّ حرف الإستعلاء متعلّق بالإفضال. وقد ورد بمضمون هذه العبارة من الدعاء أحاديث كثيرة منها:

ماروواه ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله رفع رأسه إلىٰ السماء فتبسّم، فقيل له: يا رسول الله رأيناك رفعت رأسك إلىٰ السماء فتبسّمت، قال: نعم عجبت لملكين هبطا من السماء إلى الأرض يلتمسان عبداً صالحاً مؤمناً في مصلّىٰ كان يصلّي فيه ليكتبا له عمله في يومه وليلته، فلم يجداه في مصلاّه فعرجا إلىٰ السماء، فقالا: ربّنا عبدك فلان المؤمن التمسناه في مصلاّه لنكتب له عمله ليومه وليلته فلم نصبه فوجدناه في حبالك، فقال الله عزّوجلّ: أُكتبا لعبدي مثل ماكان يعمله في صحّته من الخير في يومه وليلته مادام في حبالي، فإنّ عليّ أن أكتب له أجر ماكان يعمله إذ حبسته عنه(٤).

---

(١)و(٢) القاموس المحيط: ج ٣، ص ٥٢.

(٣) أساس البلاغة: ص ٣٦٢.

(٤) الكافي: ج ٣ ص ١١٣ ح ١.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلىٰ مُحمَّدٍ وآلِهِ، وَحبِّبْ إلَيَّ ما رضَيْتَ لي، وَيَسرْلي ما أحْلَلْتَ بي، وطهرني مِنْ دَنَسِ ما أسْلَفْتُ، وامح عنّي شرَّ ماقدَّمْتُ.

وعنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يقول الله عزّوجلّ للملك الموكّل بالمؤمن إذامرض اكتب له ماكنت تكتب له في صحّته، فإنّي أنا الذي صيّرته في حبالي(١).

وعنه عليه السّلام قال: إذا صعد ملكا العبد المريض إلىٰ السماء عند كلّ مساء يقول الربّ تبارك وتعالىٰ: ماذا كتبتما لعبدي في مرضه؟ فيقولان: الشكاية، فيقول: ما أنصفت عبدي إن حبسته في حبس من حبسي ثمّ أمنعه الشكاية، أكتبا لعبدي مثل ما كنتما تكتبان له من الخير في صحّته، ولا تكتبا عليه سيّئة حتّىٰ أطلقه من حبسي، فإنّه في حبس من حبسي(٢) *.

الفاء: فصيحة، أي: إذا كان الأمر كذلك فصلّ على محمّد وآله، وحبّب إليّ: أي اجعل ما رضيته لي واخترته لي محبوباً عندي، حتّىٰ أوثره على سواه وأميل إليه طبعاً؛ لما فيه من الفوائد المذكورة. وإنّما سأل ذلك عليه السّلام؛ لأنّ المرض علىٰ خلاف هوىٰ النفس ومحبّة الإنسان للعافية والسّلامة وكراهيّته للمرض والبلاء بحسب الطبع، والعقل وإن حكم بترجيح المرض علىٰ الصحّة لما فيه من الفائدة، لكن الحبّ الطبيعي النفساني أشدّ من الحب العقلي، فسأل عليه السّلام أن يكون طبعه تابعاً لعقله في حبّه، فلايكره بالطبع ما رضي الله تعالىٰ واختاره له.

ويسّر الشيءتيسيراً: سهّله.

وأحللته به: أنزلته، من حلّ بالمكان نزل به. وطلب التيسير هنا يحتمل معنيين:

أحدهما: إفاضة قوّة عليه يستعدّ بها لتحمّل ما أحلّه به من المرض بجميل الصبر وحسن الثبات، فلا يضجر من مقدوره تعالىٰ؛ بل يرىٰ ذلك هيّناً يسيراً في جنب

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ١١٣ ح ٣. (٢) الكافي: ج ٣، ص ١١٤، ح ٥.

وأوجدني حَلاَوَةَ العَافيةِ، وأذِقني بَرَدَ السَّلاَمةِ، واجْعَلْ مخرجي عن عِلّتي إلىٰ عَفوِكَ ، ومُتَحوَّلي عن صَرْعَتِي إلىٰ تجاوزك ، وَخَلاصِي من كَرْبي إلى رَوحِك ، وسلاَمَتِي من هَذهِ الشِّدّةِ إلىَ فَرَجِكَ .

مايتصوّره من الفوائد المترتّبة عليه.

الثاني: إفاضة قوّة مزاجيّة لايتأثّر معها مزاجه وبدنه ممّا أحلّه به كثير تأثّر، بل يقوىٰ عليه ولا يضعف عنه، كما يقوىٰ الرجل القوي على الحمل الثقيل.

وفي زيادة كلمة «لي» ـ مع انتظام الكلام بدونها ـ تأكيد لطلب التيسير بإبهام الميسّر أوّلاً وتفسيره ثانياً.

وبيانه: أنّه أبهم أوّلاً بقوله: «ويسّرلي» فعلم أنّ ثمة ميسّراً، ثمّ بيّن فرفع الإبهام بذكر الميّسر وهو قوله: «ما أحللت بي»، فكان أوكد؛ لأنّه تكرير للمعنىٰ الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل.

قوله عليه السلام: «وطهّرني من دنس ما أسلفت» طهّر الشيءتطهيراً: نقّاه من الدنس والنجس، والدنس محركة: الوسخ، وهو استعارة للمعاصي والذنوب؛ لأنّ عرض المقترف لها يتلوّث ويتدنّس بها كما يتلوّث بدنه بالأوساخ، والتطهير ترشيح.

وأسلفته: قدّمته، من سلف سلوفاً ـ من باب قعد ـ إذا مضىٰ وتقدّم. ومحاه محواً ـ من باب قتل ـ: أزاله وأذهب أثره.

والمراد بالشرّهنا القبيح، أي: قبيح ماقدّمته من الاعمال *.

أوجده الله مطلوبه: أظفره به.

وحلاوة العافية: أي راحتها ولذّتها. استعار لفظ الحلاوة التي هي حقيقة في الكيفيّة المخصوصة بالأجسام، للراحة الحاصلة من العافية بجامع التلذذ، وهي استعارة مطلقة.

والعافية: اسم من عافاه الله، محاعنه الأسقام، وقد توضع موضع المصدر فيقال: عافاه الله عافية، وهي مصدر جاءت على فاعلة، ومثله ناشئة الليل أي: نشوء الليل،

....

والخاتمة بمعنىٰ الختم، والعاقبة بمعنىٰ العقب، ومنه «لَيسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ»(١) أي: ليس لأجَل وقوعها وفي حقّها كذب أصلاً، بل كلّ ماورد في شأنها من الأخبار حقّ صادق لاريب فيه.

قال النووي: العافية متناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن والدين والدنيا والآخرة(٢).

وقال الطيّبي: هي لفظ جامع لأنواع خير الدارين(٣).

والذوق: إدراك طعم الشيء بواسطة الرطوبة المنبثّة بالعصب المفروش علىٰ جرم اللسان.

يقال: دقت الطعام أذوقه ذوقاً وذوقاناً ومذاقاً: إذا عرفته بتلك الواسطة، ويتعدّى إلىٰ ثانٍ بالهمزة فيقال: أذاقني الطعام. والأصل فيه أن يتعلّق بالأجسام، ثمّ استعمل في المعاني مجازاً استعمالاً فاشياً.

وبرد السلامة: استعارة لطيبها وهناءَتها بجامع اللذّة.

قال الزمخشري في الفائق: والأصل في وقوع البرد عبارة عن الطيب والهناءة، أنّ الهواء والماء لما كان طيبهما ببردهما خصوصاً في بلاد تهامة والحجاز، قيل: هواء بارد وماء بارد على سبيل الاستطابة، ثمّ كثر حتّىٰ قيل عيش بارد وغنيمة باردة(٤) إنتهىٰ.

والمخرج: مصدر ميمي، يقال: خرج من المكان خروجاً ومخرجاً ووجدت للأمر مخرجاً أي: مخلصاً. شبّه الابلال من العلّة بالخروج من المكان بجامع الخلاص،

(١) سورة الواقعة: الآية ٢.

(٢) لم نعثرعليه.

(٣) لايوجد كتابه.

(٤) الفائق: ج ١ ص ٩١.

إنَّكَ المُتَفَضِّلُ بالإحْسانِ، المُتَطَوِّلُ بالإمْتِنانِ، الوَهّابُ الكريمُ ذوالجَلالِ والإكْرام.

وإنّما قال: عن علّتي ولم يقل: من علّتي، مع أنّ المعروف خرج منه، لأنّه قصد الإنفصال.

قال الرضيّ: إذا قصدت بـ «من» مجرّد كون المجرور بها موضعاً انفصل عنه الشيءوخرج منه، لا كونه مبدأ لشيَءممتدّ، جاز أن يقع موقعه «عن»؛ لأنّها لمجرّد التجاوز، تقول: إنفصلت منه وعنه ونهيت من كذا وعن كذا(١) إنتهى.

والمتحوّل: مصدر ميمي أيضاً، من تحوّل من مكانه بمعنى انتقل عنه.

والصرعة بالفتح: المرّة من الصرع وهو الطرح على الأرض، وبالكسر: للنوع منه، وقد وردت الراوية في الدعاء بالوجهين.

والمرادبها هنا انطراحه وسقوطه على الأرض بسبب المرض.

والخلاص: مصدر خلص الشيءمن التلف خلاصاً وخلوصا ومخلصاً: سلم ونجا.

والكرب: المشقّة، والغمّ يأخذ بالنفس.

والروح بالفتح: الراحة والرحمة.

والفرج بفتحتين: اسم من فرّج الله الغمّ بالتشديد: كشفه *.

المتفضّل: المبتدئ بما لايلزمه، من تفضّل عليه وأفضل إفضالاً إذا فعل معه من الجميل مالا يلزمه ابتداءً، وكذلك تطوّل عليه.

ولمّا كان الله تعالى مبتدئاً بما لايلزمه كان إحسانه وامتنانه تفضّلاً وتطوّلاً.

والامتنان: افتعال من المنّة وهي النعمة الثقيلة.

والوهّاب: من أبنية المبالغة، من الهبة وهي العطيّة الخالصة من الأغراض

---

(١) شرح الكافية في النحو للرضي: ج ٢ ص ٣٢١.

....

والأعواض، فإذا كثرت العطايا والصلات سميّ صاحبها وهّاباً ولم تتصوّر الهبة الخالصة إلّا من الله تعالىٰ؛ لأنّه وهب لكلّ محتاجٍ مايحتاج من غير عوض.

قال بعض أرباب القلوب: من تحقّق باسمه الوهاب لم يجد في باطنه حاجة إلى مخلوق، ولايخطر بباله سؤال غير الله تعالىٰ، ولا يلقى بباطنه إلّا الله تعالىٰ.

والكريم: الجواد المعطي الذي لاينفذ عطاؤه.

وذوالجلال والإكرام: أي ذوالعظمة والتكريم.

وقيل: معناه ذوالاستغناء المطلق والفضل التام.

وقيل الذي عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده.

وقيل: ذوالعظمة والكبرياء، واستحقاق الحمد والمدح بإحسانه الذي هو في أعلىٰ مراتب الإحسان، وإنعامه الذي هو أصل كلّ إنعام، والمكرم لأنبيائه وأوليائه بألطافه مع عظمته وجلاله.

وقيل: معناه أنّه أهل أن يعظّم وينزّه عمّا لايليق بصفاته، كما يقول الإنسان لغيره: أنا أُجلّك عن كذا وأُكرمك عنه، كقوله تعالى: «هُوَ أَهلُ التّقوىٰ»(١) أي: أهل أن يتّقىٰ.

وقيل: ذوالجلال أي صفات التنزيه، نحو لا جوهر ولا عرض ولا شريك له ولا جهة. والإكرام صفات الوجود، مثل العلم والقدرة.

وقيل: الجلال صفة ذاته، والإكرام صفة فعله.

وبالجملة: فهذه الصفة من عظائم صفاته تعالى.

فعنه صلّى الله عليه وآله وسلم: ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام(٢). أي: أكثروا

---

(١) سورة المدثر: الآية ٥٦.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٤، ص ٢٥٢، وبحارالأنوار: ج ٩٣ ص ٢٣٥.

....

من قوله وثابروا عليه.

وعنه عليه السّلام: أنّه مرّ برجلٍ وهو يصلّي ويقول: ياذا الجلال والإكرام، فقال: قد استجيب لك.(١).

وقيل: إنّه اسم الله الأعظم، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الخامسة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين. وقد وفّق الله تعالى لإتمامها واجتلاء حسن ختامها، آخر يوم الأربعاء لثلاث بقين من محرّم الحرام أوّل شهور سنة تسع وتسعين وألف، ولله الحمد.

(١) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٤٤٧.

الروضة السادسة عشرة

وكان من دعائه عليه السلام إذا استقال من ذنوبه أو تضرع في طلب العفو عن عيوبه

اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون ويا من إلى ذكر إحسانه
يفزع المضطرون ويا من لخيفته ينتحب الخاطئون يا أنس كل
مستوحش غريب ويا فرج كل مكروب كئيب ويا غوث كل
مخذول فريد ويا عضد كل محتاج طريد أنت الذي وسعت كل
شيء رحمة وعلما وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهما
وأنت الذي عفوه أعلى من عقابه وأنت الذي تسعى رحمته أمام
غضبه وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه وأنت الذي اتسع
الخلائق كلهم في وسعه وأنت الذي لا يرغب في جزاء من أعطا
وأنت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه وأنا يا إلهي عبدك الذي
أمرته بالدعاء فقال لبيك وسعديك ها أنا ذا يا رب مطروح
بين يديك أنا الذي أوقرت الخطايا ظهره وأنا الذي أفنت الذنوب
عمره وأنا الذي بجهله عصاك ولم تكن أهلا منه لذاك هل
أنت يا إلهي راحم من دعاك فأبلغ في الدعاء أم أنت غافر لمن
بكاك فأسرع في البكاء أم أنت متجاوز عمن عفر لك وجهه تذللا

أم أنت مغن من شكا إليك فقره توكلا إلهي لا تخيب من لا يجد معطيا
غيرك ولا تخذل من لا يستغني عنك بأحد دونك إلهي فصل على
محمد وآله ولا تعرض عني وقد أقبلت عليك ولا تحرمني وقد رغبت
إليك ولا تجبهني بالرد وقد انتصبت بين يديك أنت الذي وصفت
نفسك بالرحمة فصل على محمد وآله وارحمني وأنت الذي
سميت نفسك بالعفو فاعف عني قد ترى يا إلهي فيض دمعي من خيفتك
ووجيب قلبي من خشيتك وانتقاض جوارحي من هيبتك كل ذلك
حياء منك لسوء عملي ولذلك خمد صوتي عن الجأر إليك وكل
لساني عن مناجاتك يا إلهي فلك الحمد فكم من عائبة سترتها علي
فلم تفضحني وكم من ذنب غطيته علي فلم تشهرني وكم من شائبة ألممت بها فلم
تهتك عني سترها ولم تقلدني مكروه شنارها ولم تبد سوآتها لمن يلتمس معايبي
من جيرتي وحسدة نعمتك عندي ثم لم ينهني ذلك عن أن جريت إلى سوء ما عهدت
مني فمن أجهل مني يا إلهي برشده ومن أغفل مني عن حظه ومن
أبعد مني من استصلاح نفسه حين أنفق ما أجريت علي من رزقي
فيما نهيتني عنه من معصيتك ومن أبعد غورا في الباطل و

أَشَدُّ إِقْدَاماً عَلَى السُّوءِ مِنِّي حِينَ أَقِفُ بَيْنَ دَعْوَتِكَ وَدَعْوَةِ
الشَّيْطَانِ فَأَتَّبِعُ دَعْوَتَهُ عَلَى غَيْرِ عَمًى مِنِّي فِي مَعْرِفَةٍ بِهِ وَلَا نِسْيَانٍ
مِنْ حِفْظِي لَهُ وَأَنَا حِينَئِذٍ مُوقِنٌ بِأَنَّ مُنْتَهَى دَعْوَتِكَ إِلَى الْجَنَّةِ وَ
مُنْتَهَى دَعْوَتِهِ إِلَى النَّارِ سُبْحَانَكَ مَا أَعْجَبَ مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَى
نَفْسِي وَأُعَدِّدُهُ مِنْ مَكْتُومِ أَمْرِي وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَاتُكَ عَنِّي وَ
إِبْطَاؤُكَ عَنْ مُعَاجَلَتِي وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَمِي عَلَيْكَ بَلْ تَأَنِّياً
مِنْكَ لِي وَتَفَضُّلاً مِنْكَ عَلَيَّ لِأَنْ أَرْتَدِعَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ الْمُسْخِطَةِ
وَأُقْلِعَ عَنْ سَيِّئَاتِيَ الْمُخْلِقَةِ وَلِأَنَّ عَفْوَكَ عَنِّي أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي
بَلْ أَنَا يَا إِلَهِي أَكْثَرُ ذُنُوباً وَأَقْبَحُ آثَاراً وَأَشْنَعُ أَفْعَالاً وَأَشَدُّ فِي
الْبَاطِلِ تَهَوُّراً وَأَضْعَفُ عِنْدَ طَاعَتِكَ تَيَقُّظاً وَأَقَلُّ لِوَعِيدِكَ انْتِبَاهاً
وَارْتِقَاباً مِنْ أَنْ أُحْصِيَ لَكَ عُيُوبِي أَوْ أَقْدِرَ عَلَى ذِكْرِ ذُنُوبِي وَإِنَّمَا أُوَبِّخُ
بِهَذَا نَفْسِي طَمَعاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ وَرَجَاءً
لِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ اللَّهُمَّ وَهَذِهِ رَقَبَتِي قَدْ
أَرَقَّتْهَا الذُّنُوبُ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعْتِقْهَا بِعَفْوِكَ وَهَذَا ظَهْرِي
قَدْ أَثْقَلَتْهُ الْخَطَايَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَخَفِّفْ عَنْهُ بِمَنِّكَ يَا إِلَهِي

لو بكيت اليك حتى تسقط اشفار عينيّ وانتحبت حتى ينقطع صوتي
وقمت لك حتى تتنشّر قدماي وركعت لك حتى ينخلع صلبي وسجدت
لك حتى تتفقأ حدقتاي واكلت تراب الارض طول عمري وشربت
ماء الرماد آخر دهري وذكرتك في خلال ذلك حتى يكلّ لساني
ثم لم ارفع طرفي الى آفاق السماء استحياء منك ما استوجبت بذلك
محو سيئة واحدة من سيئاتي وان كنت تغفر لي حين استوجب
مغفرتك وتعفو عني حين استحق عفوك فان ذلك غير واجب لي
باستحقاق ولا انا اهل له باستيجاب اذ كان جزائي منك في اول ما
عصيتك النار فان تعذبني فانت غير ظالم لي الهي فاذ قد تغمدتني
بسترك فلم تفضحني وتأنيتني بكرمك فلم تعاجلني وحلمت عني
بتفضلك فلم تغير نعمتك علي ولم تكدر معروفك عندي
فارحم طول تضرعي وشدة مسكنتي وسوء موقفي اللهم صل
على محمد وآله وقني من المعاصي واستعملني بالطاعة وارزقني حسن
الانابة وطهرني بالتوبة وايدني بالعصمة واستصلحني بالعافية
واذقني حلاوة المغفرة واجعلني طليق عفوك وعتيق رحمتك

وَاكْتُبْ لِي أَمَاناً مِنْ سَخَطِكَ وَبَشِّرْنِي بِذَلِكَ فِي الْعَاجِلِ دُونَ الْآجِلِ بُشْرَى أَعْرِفُهَا وَعَرِّفْنِي فِيهِ عَلَامَةً أَتَبَيَّنُهَا

إِنَّ ذَلِكَ لَا يَضِيقُ عَلَيْكَ فِي وُسْعِكَ

وَلَا يَتَكَأَّدُكَ(١) فِي قُدْرَتِكَ إِنَّكَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

---

(١) وَلَا يَتَصَعَّدُكَ فِي أَنَاتِكَ وَلَا يَؤُدُكَ فِي جَزِيلِ هِبَاتِكَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا آيَاتُكَ إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَتَحْكُمُ مَا تُرِيدُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله مقيل عثرات المذنبين، وراحم عبرات المنيبين، وغافر ذنوب المستقيلين، وساتر عيوب المستغفرين، والصّلاة والسّلام علىٰ أشرف النّبيّين وعلىٰ آله وعترته الهداة المهديّين.

وبعد فهذه الروضة السادسة عشرة من رياض السالكين، في شرح الدعاء السادس عشر من صحيفة سيد العابدين صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء العبد راجي فضل ربّه السنيّ علي صدرالدين الحسنيّ الحسينيّ، وفقه الله لرضوانه وهداه سبل(١) عرفانه.

---

(١) (الف): سبيل.

شرح الدعاء السادس عشر

وكان من دعائه عليه السلام إذا استقال من ذنوبِهِ، أو تضرّع في طلبِ العفوِ عن عُيوبِهِ:

اللَّهُمَّ يَامَنْ بِرَحْمَتِهِ يَسْتَغِيثُ الْمُذْنِبُونَ، وَيامَنْ إِلَىٰ ذِكْرِ إِحْسَانِهِ يَفْزَعُ الْمُضْطَرُّونَ، وَيَامَنْ لِخِيفَتِهِ يَنْتَحِبُ الخَاطِئُونَ.

استقال: أي سأل الإقالة، وهي التجاوز عن الذنب. وأصلها من أقال عثرته: إذا رفعه من سقوطه، ومنه الإقالة في البيع؛ لأنّها رفع العقد. وإقالة العثرة إستعارة للتجاوز عن الذنوب ومنه: أقيلوا ذوي المروّات عثراتهم.

والذنوب: جمع ذنب وهو الإثم، وعرّف بأنّه مايحجب العبد عن الله.

وتضرّع: تذلل وابتهل وبالغ في السؤال، من ضرع له يضرع بالفتح فيهما ضراعةً أي: ذلّ.

والعفو: المحو، وعدّي بـ«عن» لتضمينه معنى التجاوز.

والعيوب: جمع عيب وهو الوصمة، وهو في الأصل مصدر عابه يعيبه، لكنّه استعمل اسماً فجمع علىٰ عيوب.

قدّم الجارّ والمجرور علىٰ الفعل في المواضع الثلاثة لافادة القصر. واستغاث به: طلب إغاثته أي: نصره وإعانته وكشف شدّته،يقال اغاثهم الله برحمته أي: كشف شدّتهم.

....

وخصّ الرحمة إمّا لأنّها بمعنىٰ ترك عقوبة من يستحقّها، فناسب استغاثة المذنبين بها، وإمّا بمعنىٰ إرادة إيصال الخير، فهي متقدّمة على المغفرة والعفو، فلا يغفر ولايعفو حتّى يرحم، فاستغاثوا بها لترتّب المغفرة عليها.

والذكر في اللغة: التنبّه لشيء(١)، وإذا ذكرت شيئاً فقد نبهت له، ومَنْ ذكّرك شيئاً فقد نبّهك عليه.

قال الواحدي: معنىٰ الذكر حضور المعنىٰ في النفس، ثمّ يكون تارةً بالقلب وتارةً بالقول، وليس شرطه أن يكون بعد نسيان(٢) إنتهىٰ.

وإحسانه تعالىٰ تفضّله وتطوّله.

وفزع إليه يفزع -من باب فرح-: لجأ إليه واعتصم به.

وقال في المحكم: فزع إلى القوم استغاثهم، وفزع فلان القوم وأفزعهم أغاثهم، قال زهير:

إذا فزعوا طاروا إلىٰ مستغيثهم طوال رماح لاضعاف ولاعزل.

وفزع إليه: لجأ(٣) إنتهىٰ.

والمضطّر: مفتعل من الضرورة، وهو الذي اشتدّ ضرّه وبلغ منه كلّ مبلغ.

والمعنىٰ: أنّ كلّ مضطرّ لايفزع ولا يلجأ إلّا إلىٰ ذكر إحسانه تعالىٰ إليه بكشف ضرّه، كما قال سبحانه: «ثُمَّ إذا مَسَّكُم الضُّرُّ فَإلَيهِ تجْـٔرُونَ(٤)، أي تتضرّعون.

والجؤار: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة.

والخيفة: الخوف، أصلها خوْفة قلبت الواو ياءً لانكسار ماقبلها.

---

(١) (الف): للشيء.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص ١١١.

(٣) المحكم لابن سيده: ج ١ ص ٣٣٠. (٤) سورة النحل: الآية ٥٣.

يا أُنْسَ كُلِّ مُسْتَوحِشٍ غَرِيبٍ، ويا فَرَجَ كُلِّ مَكْرُوبٍ كَئيبٍ، وياغَوثَ كُلِّ مَخْذُولٍ فَرِيدٍ، ويا عَضُدَ كُلِّ مُحتاجٍ طَرِيدٍ.

والانتحاب: أشدّ البكاء، يقال: نحب نحباً -من باب منع- وانتحب انتحاباً، والاسم النحيب.

والخاطئون: أصحاب الخطايا من خطئ- من باب علم- إذا تعمّد الذنب، من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد.

يقال: خطأ إذا تعمّد مانهي عنه فهو خاطئ، وأخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره فهو مخطئ.

وقال أبوعبيدة: خَطِئَ خَطَأً- من باب علم- وأخطأ بمعنىٰ واحد(١) لمن يذنب علىٰ غير عمد.

وقال غيره: خَطِئَ في الدّين وأخطأ في كلّ شيءٍ عامداً كان أو غير عامد.

وقال في القاموس: خَطِئَ في دينه وأخطأ: سلك سبيل خطأ عامداً أو غيره، والخاطئ متعمّده(٢)٭.

أنس يأنس أُنساً -من باب علم وفي لغة من باب ضرب-: إذا سكن قلبه ولم ينفر، والأُنس بالضمّ اسم منه.

واستوحش: وجد الوحشة وهي خلاف الأُنس.

والغريب: فعيل بمعنىٰ فاعل، من غرب الشخص بالضمّ غرابة بعدُ عن الوطن، والاسم الغربة بالضمّ.

والفرج بفتحتين: انكشاف الكرب والهمّ، من فرّج الله الهمّ: كشفه.

ورجل مكروب: محزون مهموم.

وكئب -من باب تعب- كآبة بمدّ الهمزة: حزن أشدّ الحزن فهو كئيب.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٣١٨.
(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣.

....

والغوث: اسم من أغاثه إذا أعانه ونصره. وإطلاق لفظ الأُنس والفرج والغوث عليه تعالىٰ وإن كان ذلك به مجاز، من باب إطلاق اسم المسبّب علىٰ السبب.

وخذله يخذله ـ من باب قتل ـ: ترك نصره وإعانته فهو مخذول، والاسم الخذلان بالكسر.

والفريد: المنفرد.

والعضد: ما بين المرفق إلىٰ الكتف، ثمّ استعير للمعين والناصر، والجامع الاستعانة، وهي استعارة تبعيّة، وفي التنزيل «ما كُنتُ مُتَّخِذَ المضِلّينَ عَضُداً»(١).

يقال: هو عضدي وهم عضدي وهم أعضادي.

والطريد فعيل بمعنىٰ مفعول، من طَرَدَه طرداً ـ من باب قتل ـ إذا أبعده.

وهذه الاعتبارات الأربعة راجعة إلىٰ معنىٰ واحد، هو كونه تعالىٰ ملجأ كلّ مضطرّ في ضرورته، من وحشة وغربة وكآبة وكربة وخذلان وإنفراد. وإحتياج وإبعاد. فالمستوحش الغريب إذا ضاق به الأمر فزع إليه في إيناس وحشته وغربته، والمكروب الكئيب إذا أمضّه الهمّ لجأ إليه في كشف كآبته وكربته، والمخذول الفريد إذا بلغت منه الشدّة ضرع إليه في نصرته وإعانته، والمحتاج الطريد إذا تناهت به الحال عوّل عليه في كفايته وإعانته، فعلم من كلّ نجواه وكشف بلواه. وهذه الإعتبارات تستلزم كمال القدرة لله تعالىٰ؛ لشهادة فطرة كلّ ذي ضرورة بنسبة جميع أحوال وجوده إلى جوده، وتستلزم كمال العلم له سبحانه؛ لشهادة فطرته باطّلاعه على ضرورته، وكلّ مفزع وملجأ غيره فلمضطرّ ما لا لكلّ مضطرّ ومجاز لاحقيقة، وإضافي لاحقيقي. وقد تفسر هذه الفقرات بمعنى هو من مشرب أهل

---

(١) سورة الكهف: الآية: ٥١.

أَنْتَ ٱلَّذِي وسِعتَ كُلَّ شيءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، وأَنْتَ ٱلَّذِي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ في نِعَمِكَ سَهْماً.

التوحيد والعرفان أقرب، فيقال: إنّ كلّ ما يتصوّر أن يأنس به كلّ ذي وحشة، ويفرّج به كرب كلّ ذي كرب، ويغاث به كلّ مخذول، ويعضد به كلّ طريد، إنّما هو لُمعة من نور رحمته ورشحة من بحار لطفه ورأفته؛ إذ ليس في الوجود إلّا ذاته وصفاته وآثاره، فتحقّق أنّه أنس كلّ مستوحش وفرج كلّ مكروب وغوث كلّ مخذول وعضد كلّ مطرود، والله أعلم.

وسع الإناء المتاع بالكسر يسعه بالفتح: أي اتّسع له.

قال الزمخشري: فإن قلت: تعالىٰ الله عن المكان، فكيف صحّ أن يقال: وسع كلّ شيءٍ؟ قلت: الرحمة والعلم اللذان وسعا كلّ شيءٍ في المعنىٰ، والأصل وسع كلّ شيءٍ رحمتك وعلمك، ولكن أُزيل الكلام عن أصله بأن أُسند الفعل إلىٰ صاحب الرحمة والعلم، وأُخرجا منصوبين علىٰ التميز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم، كأنّ ذاته رحمة وعلم واسعان كلّ شيءٍ(١) إنتهىٰ.

والمعنىٰ أنّه لا اختصاص لرحمتك بشيءٍ دون شيءٍ، بل شملت جميع الأشياء، ولا يختصّ علمك بمعلوم دون آخر، بل أنت تفسير عالم بكلّ معلوم. وتقديم الرحمة لأنّها المقصودة بالذّات هاهنا، كما في آية المؤمن المقتبس منها، وهي قوله تعالى: «رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمةً وعِلماً»(٢).

قال أكثر المحقّقين: معنىٰ اتّساع رحمته لكلّ شيءٍ أنّ رحمته تعالىٰ في الدنيا نعمّ الكلّ، فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص بل ما من مكلّف وغيره إلّا وهو متقلّب في نعمته، وأمّا في الآخرة فهي مختصّة بالمؤمنين.

وقيل: الرحمة عبارة عن إرادة الخير، ولا حيّ إلّا وقد خلقه الله تعالىٰ للرحمة

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ١٥٣. (٢) سورة غافر: الآية: ٧.

....

والخير واللذّة، وإن حصل هناك ألم فله أعواض كثيرة.

والسهم: النصيب، وهو في الأصل واحد السهام التي يضرب بها في الميسر وهي القداح، ثمّ سمّي مايفوز به الفالج سهماً تسميته بالسهم المضروب به، ثمّ كثر حتّىٰ سميّ كلّ نصيب سهماً، قاله الزمخشري في الفائق(١).

قيل: ولمّا كان سبوغ نعمه تعالىٰ دائماً لآثار قدرته التي استلزمت طبائعها الحاجة إليه، فوجب لها فيض جوده؛ إذ كلّ ممكن مفتقر إلىٰ كرمه وجوده في حال وجوده، صدق أنّه تعالىٰ جعل لكلّ مخلوق في نعمه سهماً.

وقيل: الوجود خير من العدم؛ فلا موجود إلّا وهو مشمول بنعمته.

والظاهر أنّ المراد بالفقرة الثانية أخصّ من المراد بالفقرة الأولىٰ، فيكون المراد بقوله: «وسعت كلّ شيء رحمةً» الرّحمة العامّة، أعني إفاضة الوجود على الممكنات، وبقوله: «جعلت لكلّ مخلوق في نعمك سهماً» تخصيص كلّ ممكن بحصّة من كلّ تلك الرحمة، أعني الوجود الخاصّ ومايتبعه من وجود كمالاته، كما قال تعالىٰ: «رَبُّنا الَّذي أعطىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَه ثُمَّ هَدىٰ»(٢).

أو يكون المراد برحمته التي وسعت كلّ شيئ مايعمّ الكلّ في الأطوار كلّها، حسبما في قوله تعالى: «ورَحْمَتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيء»(٣)، وبجعله لكلّ مخلوق في نعمه سهماً مايفيض على الكلّ بعد الخروج إلىٰ طورالوجود من النعم، كما يدلّ عليه لفظ كلّ مخلوق، فبيّن أنّه تعالى خالق لجميع الأشياء منعم عليها بجميع مايليق بها بطريق التفضّل. وأتىٰ بلفظ النعم مجموعاً إيذاناً بتنوّعها؛ لأنّ منها ماهو محسوس وغير محسوس، ومعلوم وغير معلوم، إلىٰ غير ذلك. وجاء بالعائد في خبر الموصول مخاطباً، وإن كان الأكثر لكونه غائباً كما في الفقرات الآتية- استلذاذاً بالخطاب *.

---

(١) الفائق: ج ٢ ص ٢١٢. (٢) سورة طه الآية: ٥٠. (٣) سورة الأعراف: الآية: ١٥٦.

وأَنْتَ ٱلَّذِي عَفْوُهُ أَعْلَىٰ مِنْ عِقَابِهِ، وَأَنْتَ الَّذِي تَسْعَىٰ رَحْمَتُهُ أَمَامَ غَضَبِهِ.

أعلىٰ: أي أغلب، من علا فلان فلاناً بمعنىٰ غلبه وقهره، ومنه قوله تعالى: «لاتَخَفْ إنّكَ أنتَ الأعلىٰ»(١)، أي: أنت الغالب عليهم والقاهر لهم. ولمّا كان العفو خيراً وهو مطلوب بالذّات، والعقاب شرّاً وهو مطلوب بالعرض، وما بالذّات راجح غالب، كان عفوه تعالىٰ أعلىٰ من عقابه.

روي أنّ حبيب بن الحرث قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إني رجل مقراف للذنوب فقال له: فتب إلى الله يا حبيب، فقال إنّي أتوب ثمّ أعود، قال: كلّما أذنبت فتب، حتّىٰ قال عفو الله أكثر من ذنوبك يا حبيب(٢).

وهو نصّ في أنّ الذنوب والمعاصي المقتضية للعقاب والانتقام لا تغلب العفو وإن كثرت، بل هو غالبها، فكان عفوه تعالى أعلىٰ من عقابه، وفي التنزيل: «وما أصٰبَكُم مِن مُصيبةٍ فبِما كَسَبتْ أيدِيْكُم وَيَعفُو عَن كَثيرٍ»(٣).

وفي الحديث: ليغفرنّ الله تعالىٰ يوم القيامة مغفرة ما خطرت قطّ علىٰ قلب أحد، حتّىٰ أنّ إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه(٤).

وسعىٰ يسعىٰ سعياً ـ من باب أبىٰ ـ: عدا في مشيه. والأمام بالفتح: نقيض الوراء.

وسعي الرحمة أمام الغضب عبارة عن سبقها له، كماورد في دعاء آخر «سبقت رحمتك غضبك»(٥).

---

(١) سورة طه: الآية: ٦٨.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري: مخطوط ص٤٣ باب الجناية والذنوب.

(٣) سورة الشورى: الآية ٣٠.

(٤) إحياء علوم الدين: ج ٤ ص١٥١.

(٥) صحيح البخاري ج ٩ ص١٦٥ وفيه «سبقت رحمتي غضبي».

وأنْتَ الَّذِي عَطَاؤُهُ أَكْثَرُ مِنْ مَنْعِهِ، وَأنْتَ الَّذِي إتّسَعَ الخلائقُ كُلّهم في وسعِهِ.

قال شارح الفصوص في معنى سبق الرحمة للغضب: إعلم أنّ الغضب في الجناب الإلهي ليس إلّا إفاضة الوجود علىٰ حال غير ملائم للمغضوب عليه في المغضوب عليه بحيث يتضرّر ويتألّم، ولا شكّ أنّ تلك الإفاضة أمر وجودي يطلب الوجود الذي هو الرحمة، فما لم يتعلّق الوجود الذي هو الرحمة لم يتحقّق الغضب فهو مسبوق بالرحمة. وأيضاً إفاضة الوجود مطلقاً هو الرحمة، لكن قد ينصبغ باعتبار متعلّقه بصبغ الغضب، ولا شكّ أنّ انصباغها بهذا الصبغ متأخر عنها، فهذا معنىٰ آخر لسبق الرحمة على الغضب. وقد يجعل السبق بمعنىٰ الغلبة، فسبق الرحمة الغضب باعتبار غلبتها عليه آخراً (١)انتهىٰ.

وقيل: لمّا كانت الرحمة مقصودة أوّلاً وبالذّات، والغضب مقصوداً بالعرض والتبع؛ لأنّه مقتضىٰ معاصي العباد، وما بالذات متقدّم علىٰ ما بالتبع، كانت الرحمة سابقة للغضب.

والظاهر أنّ المراد هنا أنّ من كان من أهل الرحمة والغضب، توجّهت إليه الرحمة قبل الغضب وسبقته إليه، كما يدلّ علىٰ ذلك إيثار صيغة الإستقبال الدالّة على التجدّد والإستمرار، وأنّها سنّته الجارية على مرّ الدهور.

العطاء بالمدّ ويقصر: اسم من أعطيته الشيء إذا سمحت له به، ويطلق علىٰ المعطي نفسه أيضاً.

والمراد هنا المعنىٰ الأوّل؛ لمقابلته بالمنع وهو ضدّ العطاء. ولمّا كانت نعم الله تعالىٰ المستفيضة عن جوده وعطائه علىٰ خلقه غير منحصرة ولا معدودة، كما قال سبحانه: «وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوها»(٢)، وكان منعه لا عن بخل ولاضيق،

---

(١) شرح القيصري على فصوص الحكم: ص٣٧٧ـ ٣٧٨ نقلاً بالمعنىٰ. (٢) سورة النحل: الآية: ١٨.

....

بل لحكمة ومصلحة ظاهرة أو خفيّة، لاجرم كان عطاؤه أكثر من منعه. وبيان ذلك: أنّ ما من فرد من أفراد الناس وإن كان في أقصىٰ مراتب الفقر والإفلاس، ممنوّاً بأصناف العناء مبتلىٰ بأنواع البلاء، إلّا وهو بحيث لوتأمّلته ألفيته متقلّباً في نعم لاتحدّ ومنن لاتحصىٰ ولا تعدّ، كأنّه قد أُعطي كل ساعةوآن من النعماء ماحواه حيطة الإمكان. وإن كنت في ريب من ذلك فقدّر أنّه مَلِكٌ مَلَك أقطار العالم، ودانت له جميع الأُمم، وأذعنت لطاعته القلوب، وخضعت لهيبته الرقاب، وفاز بكلّ مرام، ونال كلّ منال، وحاز جميع ما في الدنيا من أصناف الأموال، من غير ند يزاحمه، ولا شريك يساهمه، بل قدّر أنّ جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفايس درر، ثمّ قدّر أنّه وقع من فقد مشروب أو مطعوم إلىٰ حالة بلغت نفسه الحلقوم، فهل كان يشتري- وهو في تلك الحال- بجميع ماله من الملك والمال لقمة تنجيه أو شربة ترويه؟ أم يختار الهلاك فتذهب الأموال والاملاك بغير بدل تبقىٰ عليه ولانفع يؤول إليه؟ كلاّ بل يبذل لذلك كلّ ماتحويه اليدان كائناً ماكان، وليس في صفقته شائبة خسران، فإذن تلك اللقمة أو الشربة خير ممّا في الدنيا بألفي رتبة، مع إنّهما علىٰ طرف التمام ينالهما متىٰ شاء من الليالي والأيّام. أو قدرّ أنّه احتبس منه النفس فشاهد الموت وأيقن بالفوت، أمّا كان يعطي ذلك كلّه بمقابلة نفس واحد، بل يعطي وهو لرأيه حامد، فإذن هو خير من أموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمّتها، مع أنّه قد أُبيح له في كلّ آن من غير منع ولا حرمان، هذا من الظهور والجلاء بحيث لايخفىٰ علىٰ أحد من العقلاء، وكم له سبحانه من نعم جليلة ودقيقة لايحيط بها نطاق التعبير ولا يعلمها إلّا العليم الخبير. فاتّضح أنّه تعالىٰ يعطي كلّ آن عطايا لا تتناهى. وأمّا منعه سبحانه وإن كان هو في الظاهر منعاً، فهو -لكونه لاعن بخل ولاضيق بل لحكمة بالغة- عين العطاء والإحسان والفضل والإمتنان؛ لما ورد في الحديث القدسي: إنّ من عبادي المؤمنين من لايصلحه إلّا

....

الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك (١).

وفي حديث آخر: وإن من عبادي المؤمنين لعباداً لايصلح لهم أمر دينهم إلّا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم، فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح عليه أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين(٢).

فتراه سبحانه كيف بيّن من حكمة منعه مايقضي العقل أنّه عين الجود. ومع ذلك فالاستقراء دالّ علىٰ أنّ الخير غالب كالصّحة والشبع والسمع والبصر إلىٰ غير ذلك، حتّىٰ أنّه ما أحلّه سبحانه لعباده أكثر ممّا حرّم عليهم، فإنّ الواجب والمندوب والمباح والمكروه يصدق علىٰ جميعها اسم الحلال، وهي أكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الأحكام، وما ذلك إلّا لجوده الكامل وعطائه الشامل، فسبحان من لا تزيده كثرة العطاء إلّا كرماً وجوداً.

قوله عليه السلام: «وأنت الّذي اتّسع الخلائق كلّهم في وسعه» اتسع مطاوع وسع الإناء المتاع فاتّسع هو فيه، مثل قولنا: كسرت الإناء فانكسر، فقولنا: انكسر مطاوع لكسرت، ومعناه أنّه قبل الفعل أي: الأثر وهو الكسر ولم يمتنع من قبوله، فكأنّه طاوع الأوّل.

قال في القاموس: هذا الإناء يسع عشرين كيلاً أي يتّسع لعشرين، وهذا يسعه عشرون كيلاً أي: يتّسع فيه عشرون.(٣).

والوسع مثلّثة: الجدة والغنى كالسعة، والهاء عوض عن الواو. ومن الأسماء الحسنىٰ الواسع أي: الذي وسع رزقه جميع خلقه ورحمته كلّ شيء.

(١) الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة: ص ١٦٠ وفيه: إلّا الفاقة.

(٢) الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة: ص١١٦.

(٣) القاموس المحيط ج ٣ ص٩٣.

وَأنْتَ ٱلَّذِي لايَرْغَبُ فِي جَزاءِ مَنْ أَعَطاهُ، وَأَنْتَ ٱلَّذي لاَ يُفْرِطُ فِي عِقابِ مَنْ عَصاهُ.

الجزاء بالمدّ: المكافاة علىٰ الشيء.

ولما كان تعالىٰ هو الغنّي المطلق في كلّ شي عن كلّ شيء، صدق أنّه لم يعط من أعطاه رغبة في جزائه، بل بمحض جوده وهو فيضان الخير عنه علىٰ كلّ قابل بقدر ما يقبله، من غير بخل ولا منع ولا شائبة غرض ولا ضميمة علّة. وبهذا الإعتبار كان كلّ شيء مربوباً له وهو ربّ كلّ شيء، وكلّ عبد فقير وهو مغنيه. وفيه تنزيه له تعالىٰ عن صفة المخلوقين؛ لأنّ الرغبة في الجزاء من لوازم الاحتياج الّذي هو من صفات المخلوق لاالخالق، وإذ لااحتياج فلا رغبة في الجزاء.

وأفرط في الأمر يفرط إفراطاً: أسرف وتجاوز الحدّ.

ولمّا كان تعالىٰ قائماً بالقسط عدلاً في الحكم، لم يكن ليفرط في عقاب من عصاه ويشتط في الانتقام منه فعل من يريدالتشفّي من عدوّه بضرر ألمٍ لحقه بتعدّيه عليه، وذلك محال في صفة الله تعالى، بل عقابه بقدر المعصية حسبما يقتضيه عصيان العاصي، كما قال سبحانه: «مَنْ جاءَ بِالحَسَنةِ فَلَه عَشرُ أمثالِها وَمن جاءَ بِالسَّيِّئةِ فلايُجزىٰ إلّا مِثلَها وَهُم لايُظلَمونَ»(١)، وذلك من عظيم فضله تعالىٰ وجزيل إنعامه على عباده؛ حيث لايقتصر في الثواب علىٰ قدر الاستحقاق بل يزيد عليه، وربّما يعفو عن ذنوب المؤمن منّاً منه عليه وتفضّلاً، وإن عاقب عاقب على قدر الإستحقاق عدلاً منه وقسطاً.

فإن قلت: كيف يكون عقابه علىٰ قدر الإستحقاق، وكفر الكافر منقطع وعذابه مؤبّد؟.

قلت: إنّ الكافر كان على عزم الكفر لوعاش أبداً، فاستحق العقاب الأبدي

---

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٦٠.

....

بناءً على ذلك الاعتقاد. وأيضاً الذي جهله الكافر وهو ذات القديم سبحانه وصفاته شيء لانهاية له، فيكون جهله لايتناهى فكذا عقابه.

وفي رواية ابن إدريس «لايفرّط في عقاب من عصاه» بتشديد الراء، من فرط في الأمر تفريطاً أي: قصّر فيه وضيّعه حتّى فات.

والمعنى على هذا أنّه سبحانه لايترك عقاب من عصاه إهمالاً وتقصيراً منه بل يجازي العاصي بمعصيته، كما قال في محكم كتابه: «لَيسَ بأمانيِّكُم ولا أمانِيِّ أهلِ الكتٰبِ مَن يَعملْ سُوءً يُجزَ بِهِ ولايجدْ لَه مِن دُونِ اللهِ وَليّاً ولانَصيراً»(١).

لايقال هذا يدلّ على ماذهب إليه المعتزلة من القطع بوعيد الفسّاق ونفي الشفاعة في درء العقاب، لأنّا نقول: هو مخصوص بالكفّار، وعلى تسليم عمومه فهو مخصوص بآيات العفو والمغفرة، كقوله تعالى: «ويَغفرُ مادُونَ ذلكَ لِمَن يَشاءُ»(٢)، أو يكون عقابه وجزاؤه الآلام والأسقام والهموم والغموم الدنيويّة.

روي أنّه لمّا نزلت الآية المذكورة بكى المسلمون وحزنوا، وقالوا: يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أمّا والذي نفسي بيده إنّها لكما نزلت، ولكن أبشروا وقرّبوا وسدّدوا إنّه لايصيب أحداً منكم مصيبة إلّا كفّر الله بها حتّى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه(٣).

وعن أبي جعفر عليه السّلام: أنّ الله إذا كان من أمره أن يكرم عبداً له وله ذنب ابتلاه بالسقم، فإن لم يفعل ذلك به ابتلاه بالحاجة، فإن لم يفعل ذلك به شدّد عليه الموت ليكافئه بذلك(٤).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله

---

(١) سورة النساء: الآية: ١٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية: ٤٨.

(٣) الدّر المنثور: ج ٢ ص ٢٢٧.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٤٤ ح ١.

....

تعالىٰ: وعزّتي وجلالي لا أُخرج عبداً من الدنيا وأنا أُريد أن أرحمه حتّىٰ أستوفي منه كلّ خطيئة عملها، إمّا بسقم في جسده وإمّا بضيق في رزقه وإمّا بخوف في دنياه، فإن بقيت عليه بقيّة شددت عليه عند الموت.(١)

والروايات في هذا المعنىٰ كثيرة. سلمّنا أن العقاب والجزاء إنّما يصل إليه في الآخرة لكنّه روي عن ابن عبّاس رضي الله عنه: أنّه لما نزلت الآية شقّت على المسلمين، وقالوا: يا رسول الله وأيّنا لم يعمل سوء فكيف الجزاء؟ فقال صلّى الله عليه وآله: إنّه تعالىٰ وعد علىٰ الطاعة عشر حسنات وعلىٰ المعصية الواحدة واحدة، فمن جوزي بالسيّئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلبت آحاده أعشاره.(٢)

أمّا حديث نفي الشفاعة، فإذا كانت شفاعة من هو أهل للشفاعة بإذن الله تعالىٰ، صدق أنّه لا وليّ لأحد ولا نصير إلّا الله جلّ جلاله.

وفي رواية أُخرى «يفرط في عقاب من عصاه» من فرط في الأمر يفرط فرطاً ـ من باب كتب ـ وله معنيان:

أحدهما: أن يكون بمعنىٰ فرّط في الأمر تفريطاً بمعنىٰ قصّر فيه وضيّعه كما مرّ، يقال: فرّط في الأمر فرطاً وفرّط تفريطاً بمعنىٰ.

والثاني: أن يكون بمعنى عجل وبادر، ومنه قوله تعالىٰ: «إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفرُطَ عَلينا»(٣) أي: يبادر بعقوبتنا ويعجّل علينا بها.

والمعنىٰ على هذا أنّه سبحانه لا يعجل ولا يبادر في عقاب من عصاه، بل يحلم ويتأنّى عليه ليراجع التوبة تفضّلاً منه، أولما في ذلك من المصلحة التي هو أعلم بها.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٤٤ ح ٣.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١١ ص ٥٣. (٣) سورة طه: الآية: ٤٥.

وأنا يا إلهي عَبْدُكَ ٱلَّذِي أَمَرْتَهُ بِالدُّعاء ، فَقَالَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ هَا أَنَا ذا يا رَبِّ مَطْرُوحٌ بينَ يَدَيْكَ .

ومن أسمائه الحسنىٰ الحليم أي: الذي لايستخفّه شيءمن معاصي العباد ولايستفزّه الغضب عليهم، ولكنّه جعل لكلّ شيءأمداً فهو منتهٍ إليه.

وفي الحديث أنّ الله يمهل ولا يهمل(١). قال الله تعالىٰ «ولَو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِما كَسَبوا ما تَرَكَ علىٰ ظَهرِها مِن دابّةٍ وَلكِن يُؤخِّرُهم إلىٰ أجَلٍ مُسمّىً فإذا جاءَ أجَلُهم فإنَّ اللهَ كانَ بِعبادِهِ بَصيراً»(٢)﴾.

أمرته بالدعاء إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: «ادعُوني أسْتَجِب لَكُم» (٣).

ولبيّك: مثنىٰ مصدر لبّ بالمكان إذا أقام به، وجوّز أن يكون مصدر ألبّ بمعنىٰ لبّ، فيكون محذوف الزوائد. والوجه الأوّل؛ لأنّ الأصل عدم الحذف، فالأصل إذن ألُبُّ لك لبّين، أي: أُقيم علىٰ طاعتك لبّاً كثيراً متتالياً متكرّراً، وليس المراد خصوص الاثنين، وجعلت التثنية دالّة على التكثير لأنّها أوّل تضعيف للعدد.

وزعم يونس أنّ لبيّك مفرد كـ«لديك»، والأصل لبّب كجعفر قلبت الباء الأخيرة ياء لثقل التضعيف، ثمّ قلبت الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، ثمّ صارت ياء بالإضافة إلى الضمير كلديك وعليك(٤).

وسعديك: تابعة لبيّك، أي: أُسعدك إسعاداً بعد إسعاد، أي: كلّما دعوتني أجبتك وساعدتك، ولا تستعمل بدونها وتستعمل لبيّك بدونها. وهما منصوبان بعامل محذوف واجب الحذف لوجود القرينة وهي النصب المشعر بالحذف وقيام التكرير مقام المحذوف، كذا قيل.

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: ج ١ ص٣٣.

(٢) سورة فاطر: الآية ٤٥. (٣) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٤) راجع لسان العرب: ج١ ص٧٣٢، وتاج العروس: ج ١، ص٤٦٥.

....

ودفع بأنّ التكرير لايصلح لذلك، لكونه أمراً معنوياً فلا ينوب عن اللفظ المحذوف ثمّ يردّ نحو «ثُمّ ارجعْ البَصَرَ كَرَّتَين»(١)؛ لأنّه مصدر مثنّىٰ فيه معنىٰ التكرير ولم يجب حذفه.

قال الرضيّ: ليس وقوع المصدر مثنّىٰ من المصادر التي يعرف بها وجوب حذف فعله، سواء كان المراد بالتثنية التكرير نحو «ثمّ ارجع البصر كرّتين» أي: رجعاً كثيراً مكرراً، أو كان لغير التكرير نحو ضربته ضربتين أي: مختلفتين، بل الضابط لوجوب الحذف في هذا وأمثاله إضافة إلىٰ الفاعل أو المفعول (٢).

وبيانه: **أنّه** لمّا كان حقّ الفاعل والمفعول به أن يعمل فيهما الفعل ويتّصلا به، واستحسن حذف الفعل في **هذا وأمثاله**، بقي المصدر مبهماً لايدرى ما تعلّق به من فاعل أو مفعول، فذكر **ما هو مقصود** المتكلّم من أحدهما بعد المصدر ليختصّ به، فلمّا تبيّن بعد المصدر **بالإضافة** قبح إظهار الفعل بل لم يجز ويقدّر عامل لبيّك من معناها وعامل سعديك من لفظها. والكاف فيهما في موضع المفعول؛ لأنّ المعنىٰ لزوماً **وانقياداً لإجابتك** ومساعدة لما تحبّه.

وزعم **الأعلم أنّ** الكاف حرف الخطاب لاموضع لها من الإعراب كهي في **ذلك، وحذفت** النون لشبه الإضافة؛ ولأنّ الكاف تطلب الاتّصال بالاسم **كاتّصالها** باسم الإشارة والنون تمنعها من ذلك فخذفت (٣).

وردّ **بأنّ** وقوع الإسم الظاهر وضمير الغائب موضع الكاف في قوله: قلبي يدي **مسود، وقوله** لبيّه: لمن يدعوني، يبطل كونها حرفاً.

قوله عليه السّلام: «ها أنا ذا يا ربّ مطروح بين يديك» هذه الجملة يحتمل أن

---

(١) سورة الملك: الآية ٤.

(٢) شرح الكافية في النحو للرضي: ج ١ ص ١٢٥. (٣) راجع الحدائق الندية: ص ٢١١.

أنا ٱلَّذي أوْقَرَتِ الخَطَايَا ظَهْرهُ، وَأنَا ٱلَّذي أفْنَتِ ٱلذّنُوبُ عُمَرهُ.
وَأنَا ٱلَّذِي بَجِهلِهِ عَصَاكَ ، وَلَمْ تكُنْ اَهلاً مِنْهُ لِذَاكَ .

تكون محكيّة بالقول أيضاً فتكون في محلّ نصب، ويحتمل أن تكون كلاماً مستأنفاً، فتكون جملة مستأنفة منقطعة عمّا قبلها لامحلّ لها من الإعراب.

وطرحته طرحاً ـمن باب نفع ـ: رميّت به وألقيته فهو مطروح. وبين اليدين: عبارة عن الأمام بمعنىٰ قدّام؛ لأنّ ما بين يدي الإنسان أمامه وقدّامه، وهو من باب التمثيل كما مرّ بيانه.

أو قرت: أي أثقلت من الوقر بمعنى الثقل، يقال: أوقره الدين إذا كثر عليه.

وتوهّم بعضهم أنّه من الوقر بمعنىٰ الحمل، وليس بصحيح، إذ يكون المعنى حينئذٍ أنا الذي حملت الخطايا ظهره وقراً. والخطايا هي الوقر فهي المحمولة، فكيف تكون هي الحاملة؟.

والصحيح ماذكرناه. وهو استعارة مكنيّة تخييليّة، شبّه الخطايا في نفسه بالأعباء الثقيلة فيما يترتّب عليها من الجهد والمشقّة، ثمّ أثبت لها الإيقار أي: الإثقال الذي هو مختصّ بالمشبّه به، وهذا هو التخييل.

وفني الشيُ كرضي فناءً بالمدّ: عُدِم، ويعدّىٰ بالهمزة فيقال: أفنيته. وإسناد الإفناء إلى الذنوب مجاز عقلي لتلبّس الفاعل بها؛ إذ المعنىٰ أنا الذي صرف وأذهب في اكتساب الذنوب عمره.

بجهله: متعلّق بعصاك .

والباء: للسببيّة، أي: بسبب جهله. وليس المراد بالجهل هنا عدم العلم، بل عَدَم التفكّر في العاقبة كما يفعله الجاهل، ويعبّر عن هذا المعنى للجهل بالسفه، وهو خفّة تعرض للإنسان من رغبة أو رهبة أو غضب ونحوه، تحمله علىٰ عدم التفكّر في العاقبة، فيعمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع. وبهذا المعنىٰ فسر اكثر

....

المفسّرين قوله تعالى: «إنّما التَّوبَةُ علىٰ اللهِ للَّذينَ يَعمَلونَ السُّوء بجهٰلة»(١).

قال القاضي: أي متلبّسين بها سفهاً؛ فإنّ ارتكاب الذنب سفه وتجاهل(٢).

وقال قتادة: اجتمع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله فرأوا أنّ كلّ شيءٍ عصىٰ به العبد ربّه فهو جهالة، عمداً كان أو خطأً(٣).

وعن مجاهد: من عصىٰ الله تعالىٰ فهو جاهل حتّىٰ ينزع عن جهالته(٤).

قال العلاّمة الطبرسي في مجمع البيان: وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السّلام، فإنّه قال: كلّ ذنب عمله عبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف في إخوته: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون» فنسبهم إلىٰ الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله تعالىٰ (٥).

وقال النيسابوري: قال أكثر المفسّرين: كلّ من عصىٰ الله فهو جاهل وفعله جهالة؛ ولهذا قال موسىٰ: «أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين»؛ لأنّه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكأنّه لاعلم له، وبهذا التفسير تكون المعصية مع العلم بأنّها معصية جهالة. وقيل المراد أنّه جاهل بعقاب المعصية(٦) انتهىٰ.

وأمّا حمل الجهل علىٰ عدم العلم فذهب إليه الجبائي في الآية، وقال: معناه أنّهم يجهلون أنّها ذنوب ومعاصي فيفعلونها، إمّا بتأويل يخطؤون فيه، وإمّا بأن

---

(١) سورة النساء: الآية: ١٧. (٢) أنوار التنزيل وأسرارالتأويل: ج ١ ص ٢٠٩.

(٣) الدرّالمنثور: ج ٢ ص ١٣٠ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ٢٠٩.

(٥) مجمع البيان: ج ٣ـ ٤ ص ٢٢.

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٤١٣و٤١٤.

هَلْ أَنْتَ يَا إلهي رَاحِمٌ منْ دَعَـاكَ فَأُبلغَ في الـدُّعاء؟ أَمْ أَنْتَ غَافِرٌ لِمَنْ بَكَاكَ فَأُسْرِعَ في البُكاءِ؟.

يفرّطوا في الاستدلال علىٰ قبيحها(١).

وضعّف الرمّاني ذلك بأنّه خلاف ماأجمع عليه المفسّرون؛ ولأنّه يوجب أن لايكون لمن علم أنّها ذنوب توبة؛ لأنّ قوله تعالى: «إنّما التوبة» يفيد أنّها لهؤلاء دون غيرهم. (٢)

قوله عليه السلام: «ولم تكن أهلاً منه لذاك ».

الواو للحال أي: والحال أنّك لم تكن مستوجباً منه للعصيان.

يقال: هو أهل لكذا أي: مستوجب له، للواحد والجمع.

ويقال: هو أهل كذا أيضاً بالإضافة، قال تعالى: «وَكَانُوا أحَقَّ بِها وأهلَها» (٣).

وفي الحديث: أهل الثناء والمجد(٤)، أي: مستحقّهما، وأصله من الأهل بمعنىٰ عشيرة الرجل وذوي قرباه*.

هذا الإستفهام يمتنع حمله علىٰ حقيقته، فالمراد منه طلب إيجاب الرحمة وسؤال تحقّقها سريعاً.

قال الزمخشري: في قوله تعالىٰ: «وقِيْلَ لِلنّاسِ هَلْ أنتُم مُجتمِعون» (٥) المراد منه: إستعجالهم واستحثاثهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرّك منه ويحثّه على الانطلاق، ومنه قول تأبّط شرّاً:

* هل أنت باعث دينارٍ لحاجتنا *

---

(١) و (٢) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٢٢.

(٣) سوره الفتح: الآية: ٢٦.

(٤) المصباح المنير: ص ٣٩. وراجع الملحق من إحياء العلوم، كتاب عوارف المعارف ص ١٦٤.

(٥) سوره الشعراء الآية: ٣٩.

....

يريد إبعثه لنا سريعاً ولا تبطئ به (١) إنتهىٰ ملخّصاً.

وقول بعض المترجمين: إنّ الإستفهام هنا للتقرير ليس بشيء؛ لأنّ معنىٰ التقرير حملك المخاطب على أن يقرّ بأمرٍ يعرفه، نحو «هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ ما كانُوا يَفعَلونَ» (٢) أي: ألم يثوب، وهذا المعنى ليس مراداً هنا قطعاً، إلّا أن يراد بالتقرير التحقيق والإثبات نحو «هَل في ذٰلكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْر» (٣).

وأبلغ في الشيء: إذا فعله بمبالغة.

قال الزمخشري في الأساس: أبلغت إلىٰ فلان إذا فعلت به ما بلغ به الأذىٰ والمكروه البليغ (٤).

والرواية المشهورة «فأُبلغ» بإسناده إلىٰ المتكلّم، وهو فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء السببية في جواب الإستفهام.

وفي رواية ابن إدريس «فأبلغ» بإسناده إلى ضمير الغائب، فهو فعل ماض معطوف بالفاء علىٰ دعاك .

قوله عليه السلام: «أم أنت غافر لمن بكاك».

أم: حرف عطف، وهي هنا منقطعة ومعناها الإضراب كـ «بل»، وتقتضي مع ذلك استفهاماً، والتقدير: أم هل أنت غافر لمن بكاك ؟.

وبكىٰ يبكي وبكاً وبكاءً بالقصر والمدّ مع ضمّ الباء فيهما.

وقيل: القصر مع خروج الدموع، والمدّ على إرادة الصوت. وقد جمع الشاعر اللغتين فقال:

بكت عيني وحقّ لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٣١١.

(٢) سورة المطفّفين: الآية: ٣٦.

(٣) سورة الفجر: الآية: ٥.

(٤) أساس البلاغة: ص ٥٠.

أَمْ أَنْتَ مُتَجَاوِزٌ عَمَّنْ عَفَّرَ لَكَ وَجْهَهُ تَذَلُّلاً؟ أَمْ أَنْتَ مَغْنٍ مَنْ شَكَىٰ إِلَيْكَ فَقْرَهُ تَوَكُّلاً؟.

يقال: بكاه وبكىٰ له وبكّاه بالتشديد بمعنىٰ.

والمراد من البكاء على الله البكاء على ما فاته من طاعته أو علىٰ ما ارتكبه من عصيانه. ويحتمل أن يكون علىٰ حذف الجارّ، يقال توسّعاً أي: بكا إليك، كما يقال شكاه حاله أي: شكىٰ إليه حاله، فحذف وأوصل. وهو كثير واقع في فصيح الكلام، كقوله تعالى: «فاستَبَقوا الصِّراطَ»(١) أي: إليه، و«سَنُعيدُها سِيرَتَها»(٢). أي إليها، «والقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ»(٣) أي: قدّرنا له منازل. وأسرع في مشيه وغيره إسراعاً: عجّل. قيل: الأصل أسرع مشيه و«في» زائدة. وقيل الأصل أسرع الحركة في مشيه.

وقيل: أسرع الحركة لازم كسرع، نصّ عليه ابن سيدة(٤) فيكون الظرف حالاً أي. أخذاً في البكاء.

وفي رواية «وأسرع» بالواو العاطفة مسنداً إلى ضمير الغائب علىٰ انّه فعل ماض معطوف علىٰ بكاك *.

«أم» هذه كالتي قبلها، إلّا أنها تحتمل أن تكون هنا مقتضية مع الإضراب استفهاماً كما تقدّم ويحتمل أن تكون لمحض الإضراب، والمعنىٰ: بل أنت متجاوز من غير تقدير «هل».

والتجاوز: العفو والصفح، وقد تقدّم الكلام عليه.

وعفّر وجهه عفراً ـ من باب ضرب ـ وعفّره بالتثقيل للمبالغة: مرّغه في العفر، وهو وجه الأرض، ويطلق على مطلق التراب.

---

(١) سورة يس: الآية: ٦٦.
(٢) سورة طه: الآية: ٢١.
(٣) سورة يس: الآية: ٣٩.
(٤) لم نعثر عليه.

إلهي لا تُخيِّبْ مَنْ لا يَجِدُ مُعْطِياً غَيْرَكَ ، وَلاَ تَخْذُلْ مَنْ لا يَسْتَغْني عَنْكَ بأَحَدٍ دُونَكَ .

وتذللاً وتوكّلا: يحتمل نصبها أن يكون على المصدريّة، أي: فتذلّل تذلّلاً وتوكّل توكّلاً، وأن يكون على الحاليّة، أي: متذلّلاً ومتوكّلاً، وأن يكون على المفعول لأجله، أي: لأجل التذلّل والتوكّل. ومثل ذلك قوله تعالىٰ: «يُرِيكُم البَرْق خَوفاً وطَمَعاً»(١)، أي: فيخافون خوفاً وتطمعون طمعاً، أو خائفين وطامعين، أو لأجل الخوف والطمع.

وعُرّف التوكّل بأنّه الثقة بما عند الله واليأس عمّا في أيدي الناس.

وقيل: هو صدق الانقطاع إلىٰ الله، وصدق الانقطاع إلى الله أن لا يكون لك حاجة إلى غيرالله.

وقيل: هو أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله، ولا لرزقك قاسماً غير الله، ولا لعلمك شاهداً غير الله.

وقيل: هو نفي الشكوك والتفويض إلىٰ مالك الملوك *.

خاب يخيب خيبةً: لم يظفر بما طلب، وخيّبه الله بالتشديد: جعله خائباً.

وخذله ـ من باب قتل ـ: ترك نصره وإعانته والاسم الخذلان بالكسر.

واستغنيت بالشيء: اكتفيت به. وهذا من قبيل الدعاء بما يعلم الإنسان أنّه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله، إمّا لاستدامته، وإمّا لاعتداد تلك النعمة، وإمّا لإظهار الإنقطاع إليه وبثّ الفقر إلى مسألته، ويجري ذلك مجرىٰ قوله تعالى: «رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأناً»(٢)، «قالَ رَبِّ احْكُمْ بالحَقِّ»(٣)، «رَبّنا وَءاتِنا ماوَعَدتَنا علىٰ رُسُلِكَ»(٤).

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١١٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٤.

إلهِـي فَصَلِّ عَلىٰ مُحـمَّدٍ وآلِـهِ، ولا تُعرِضْ عَنِّي وَقَـدْ أقْبَلْتُ إلَيْكَ، ولاتحْرمـنِي وَقـد رَغِبْتُ إلَـيْكَ، وَلا تَـجْبهْـنِي بـالرَّدِّ وقَدْ انتَصَبْتُ بيْنَ يَدَيْكَ

اذ من المعلوم المحقّق أنّ الله سبحانه لايخيّب ولايخذل المنقطع إليه، بنصّ «ومَنْ يَتوَكَّل عَلىٰ اللهِ فَهو حَسْبه»(١) أي: كافيه في جميع أُموره؛ لأنّ المعبود الحقيقي القادر علىٰ كلّ شيءالغنيّ عن كلّ شيءالجواد بكلّ شيءإذا انقطع عبده إليه لايهمله البتّة.

وفي رواية «لايخيب ولايخذل» بالياء المثناة من تحت في أوّل الفعلين، وبناء الأوّل للمعلوم والثاني للمجهول، علىٰ أن «لا» نافية، أي: لايكون خائباً ولامتروك الإعانة.

أعرض عنه: صدّ وولّىٰ.

قال الفيومي: وحقيقته جعل الهمزة للصيرورة أي: أخذ عرضاً أي: جانباً غير الجانب الذي هوفيه(٢). والإعراض هنا مجاز عن الإستهانة والسخط، كما أنّ الالتفات والإقبال مجاز عن الإكرام والإحسان؛ لأنّ الالتفات من لوازم الإكرام فتركه من لوازم الإهانة.

وأقبل إليه: توجّه إليه. والإقبال إليه تعالىٰ كناية عن الإنابة والرجوع إليه سبحانه. وحرمه: منعه.

ورغب إليه: سأله.

وقال في القاموس: رغب إليه رغباً محرّكة: ابتهل، أو هو الضراعة والمسألة(٣).

وجبهه يجبهه جبها -من باب منع-: استقبله بما يكره، وأصله من جبهته إذا أُصيبت جبهته.

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٣. (٢) المصباح المنير: ص ٥٥٠. (٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٧٤.

أَنْتَ الَّذي وَصفْتَ نَفْسَكَ بِالرَّحْمَةِ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَارْحَمْني، وأَنْتَ الَّذي سَمَّيْتَ نَفْسَكَ بالعَفُوِّ فَاعْفُ عَنّي.

وفي القاموس: جبهه كمنعه ضرب جبهته وردّه، أو لقيه بما يكره(١). وهو هنا مجاز عن السخط والغضب.

وانتصب: أي قام، وهو مطاوع نصب، يقال: نصبته فانتصب أي أقمته فقام. وقد يتكلّم بالمطاوع وإن لم يكن معه مطاوع، كقولك: انكسر الإناء، وهو في كلامهم كثير*.

الوصف: لغة ذكر ما في الموصوف من الصفة أي: المعنىٰ القائم به. وهذا المعنى لايصحّ في الواجب تعالى؛ لأنّ صفاته ليست معاني قائمة به، خلافاً للأشاعرة في الصفات الذاتيّة واجماعاً في غيرها، فالمراد بوصف نفسه بالرحمة إثبات الرحمة لنفسه باعتبار غايتها علىٰ ماهو المشهور.

وسميّته زيداً وسميّته بزيد: جعلته اسماً له.

والعفوّ كصبور: الكثير العفو؛ لأنّ فعولاً من صيغ المبالغة. فإن قلت: ما الفرق بين أسمائه تعالىٰ وصفاته؟.

قلت: الفرق بينهما كالفرق بين المركّب والبسيط؛ فإنّهم صرّحوا بأنّ الذات مع اعتبار صفته(٢) من الصفات هو الاسم؛ ولذلك قال عليه السّلام: «وصفت نفسك بالرحمة وسميّت نفسك بالعفوّ».

وفي رواية «بالعفو» مخفّفاً، وهو على تضمين سمّيت معنىٰ وصفت .وإنّما قال: أنت الذي وصفت نفسك وسميّت نفسك، ولم يقل وصف نفسه وسمّى نفسه، مع أنّه الأكثر فيما إذا كان الموصول او موصوفه خبراً عن مخاطب؛ تلذّذ بخطابه تعالىٰ فحمل على المعنىٰ، وهو جائز كثير وإن كان كون العائد غائباً أكثر*.

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٨٢. (٢) (الف): صفة.

قَدْ تَرىٰ ياالهي فَيْضَ دَمْعِي من خِيفتِكَ، وَوَجيبَ قَلبِي من خَشْيَتِكَ، وٱنْتِفَاضَ جَوارِحِي مِنْ هَيْبَتِك.

قد: هنا للتكثير، مثلها في قوله تعالىٰ: «قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّماءِ»(١). قال الزمخشري: أي ربّما نرىٰ، ومعناه كثرة الرؤية، كقوله:

قد أترك القرن مصفرّاً أنامله(٢)

وفاض السيل يفيض فيضاً: كثر حتّىٰ سال من شفّة الوادي، وفاض الماء والدمع قطراً، وفاض كلّ سائل: جرىٰ.

والخيفة: الخوف، وأصلها خوفة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

ووجب القلب يجب وجباً ووجيباً رجف وخفق.

والخشية: الخوف.

قال المحقّق الطوسيّ طاب ثراه في بعض مؤلّفاته ما حاصله: أنّ الخوف والخشية وان كانا في اللغة بمعنىٰ واحد، إلّا أنّ بين خوف الله وخشيته في عرف أرباب القلوب فرقاً، هو أنّ الخوف تألّم النفس من العقاب المتوقّع بسبب إرتكاب المنهيّات والتقصير في الطاعات، وهو يحصل لأكثر الخلق وان كانت مراتبه متفاوتة جداً، والمرتبة العليا منه لاتحصل إلّا للقليل. والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحقّ وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه الحالة لاتحصل إلّا لمن اطّلع علىٰ جلال الكبرياء وذاق حلاوة القرب؛ ولذلك قال سبحانه: «إنّما يخشىٰ اللهَ من عباده العلماءُ»، فالخشية خوف خاص، وقد يطلقون عليها الخوف أيضاً(٣) إنتهىٰ كلامه.

والانتفاض بالفاء والضاد المعجمة ـ كما في إحدىٰ الروايتين ـ: التحرّك، من

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٢) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٢٠١.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٠٧.

....

نفض الثوب نفضاً ـ من باب قتل ـ فانتفض: حرّكه ليزول عنه الغبار. أي: ارتعاش جوارحي.

وأمّا الانتقاض بالقاف والضاد المعجمة ـ كما في الرواية الأخرى ـ: فهو بمعنىٰ الانفكاك والانحلال، من نقض الحبل نقضاً ـ من باب قتل ـ: حلّ برمه فانتقض هو، ومنه نقضت ما أبرمه إذا أبطلته، وانتقضت الطهارة: بطلت، وانتقض الجرح بعد برئه: نكس، والأمر بعد إلتيامه: فسد، والثغر بعد أمانه: أُخيف، كلّ ذلك أصله من نقض الحبل.

ومعنىٰ انتقاض جوارحي ضعفها وإنحلالها بعد القوّة. وأمّا قول أكثر المحشّين والمترجمين: إنّه بمعنىٰ التصويت من النقيض وهو صوت الرحال والمحامل والأصابع والأضلاع والمفاصل، أي: تصويت جوارحي، فليس بصحيح؛ لأنّه بهذا المعنىٰ لايقال في فعله إلّا أنقض إنقاضاً أو تنقّض تنقّضا كتعلّم، كما يشهد به استقراء كتب اللغة، وأمّا قوله تعالى: «الّذي أنْقَضَ ظَهرَك»(١) فقيل: معناه أثقل.

قال الفارابي في ديوان الأدب: أنقضت الذنوب ظهره أي: أثقلته (٢).

وقال الزمخشري: أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والإنفكاك (٣)، انتهىٰ.

ومن العجيب قول بعض المحشين: يحتمل أن يكون انتقاض الجوارح من تنقّضت الأرض عن الكماة أي: تفطّرت.

والهيبة قيل: هي بمعنى الخوف، هابه يهابه هيبة: خافه. وقال ابن فارس: الهيبة الإجلال(٤).

---

(١) سورة الشرح: الآية ٣.

(٢) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٧٧٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ج ٦ ص ٢٢.

كلُّ ذَلِكَ حَيَاءً مِنّي بِسوءِ عَمَلِي ، وَلِذلك خَمدَ صَوْتي عَنْ ٱلْجَأرِ إلَيْكَ ، وكَلّ لِساني عَنْ مُنَاجَاتِكَ .

وقال العارفون: الهيبة حالة فوق الخوف مقتضاها غيبة القلب عن علم مايجري من أحوال الخلق بل من أحوال نفسه، بما يرد عليه من الحقّ إذا عظم الوارد واستولىٰ عليه سلطان الحقيقة.

قالوا: وهي لا تسكن إلّا في كلّ قلب منيب أوّاب، ولا تلمّ إلّا بساحة كلّ مصلح توّاب ※.

ذا: إسم إشارة واللام عمادجيءبها للدلالة على بُعد المشار إليه، والكاف: للخطاب. والمشار إليه ما ذكر من فيض الدمع ومابعده.

وتجوز الإشارة إلى المتعدّد بتأويل ماذكر وتقدّم ومافيه من معنى البُعد مع قُرب العهد بالمشار إليه باعتبار المقتضي؛ فإنّه في حكم المتباعد. وهذا في كلّ كلام يحدّث الرجل بحديث ثمّ يقول: وذلك مالا شكّ فيه، ويحسب الحاسب ثمّ يقول: فذلك كذا وكذا، وقال الله تعالى: «لافارِضٌ ولابِكْرٌ عَوانٌ بينَ ذٰلِكَ»(١)، وقال: «ذٰلِكما مِمّا عَلَّمَني رَبّي»(٢).

والحياء: انقباض النفس من أمر حذراً من اللوم فيه، وهو نوعان:

نفساني: وهو الذي خلقه الله في النفوس كلّها، كالحياء عن كشف العورة والجماع بين الناس.

وإيماني: وهو أن يمنع المؤمنين من فعل المعاصي خوفاً من الله تعالى، وهو المرادهنا.

فإن قلت: كيف أخبر عن فيض دمعه ومابعده بأنّه حياء، وليس المبتدأ عين الخبر.

قلت: هو إمّا علىٰ حذف مضاف مقدرمع الخبر، والتقدير: كلّ ذلك مقتضي

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٦٨.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٣٧.

....

حياء منّي، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى: «ذلكَ إفكُهُمْ»(١) أي: أثر إفكهم، وقوله: «الحجُّ أشْهُرٌ مَعلوماتٌ»(٢)أي: حجّ أشهر معلومات، **وإنّما لم نقدّر المحذوف مع** المبتدأ كأن نقول مثلاً: باعث كلّ ذلك حياء منّي، لأنّ الحذف من آخر الجملة أولىٰ.

وإمّا من باب إطلاق المسبّب على السبب، كاطلاق الضرب على التأديب في قولك لمن ضربته تأديباً: هذا الضرب تأديب.

وفي رواية «حياء» بالنصب على أنّه مفعول لأجله، فيكون خبر المبتدأ محذوفاً، أي كلّ ذلك كائن منّي لأجل الحياء.

وفي رواية ابن أبي الحديد «وخجلاً منك لكثرة ذنوبي» وهي تعيّن رواية النصب في حياء، والمشار إليه بقوله عليه السّلام «ولذلك» الحياء المذكور.

وخمد خموداً ـ من باب قعد وعلم ـ: سكن، من خمدت النار إذا سكن لهبها ولم يطف جمرها.

وجأر مهموز العين جأراً وجؤاراً بالضمّ ـ من باب منع ـ: رفع صوته بالدعاء وتضرّع واستغاث.

وقال الزمخشري: جأر الداعي إلى الله: ضجّ ورفع صوته(٣).

وفي الحديث: كأنّي أنظر إلى موسىٰ له جُؤارٌ إلىٰ ربّه بالتلبية(٤).

وكَلَّ السّيف كلولاً ـ من باب ضرب ـ إذا لم يقطع قال في الأساس: ومن المجاز كَلَّ بَصَره ولسانه وهو كليل البَصر واللسان(٥).

وناجيته مناجاة: ساررته، والاسم النجوى *.

---

(١) سورة الاحقاف: الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٣) أساس البلاغة: ص ٨٠.

(٤) النهاية لابن الاثير: ج ١ ص ٢٣٢.

(٥) أساس البلاغة: ص ٥٥.

يا إلهي فَلَكَ الحَمْدُ فكَمْ مِنْ عائبَةٍ سَتَرتَها عَلَيّ فَلَمْ تَفْضَحْني، وَكَمْ مِنْ ذَنْبٍ غَطيْتَهُ عَلَيَّ فَلَم تَشهَرني، وكَمْ مِنْ شَائِبَةٍ أَلمَمْتُ بِهَا فَلَمْ تَهْتِك عَنِي سِتْرَها، وَلَمْ تُقَلِّدْنِي مَكْرُوه شَنَارِها، وَلَمْ تُبْدِسَوْآتِها لِمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَائبي مِنْ جِيْرَتي، وَحَسَدَةِ نَعْمتِكَ عِنْدي.

الفاء الأولىٰ: للترتيب الذكري، والثانية: للسببيّة؛ إذ المعنى لك الحمد بسبب كثير ما عاملتني به من ستر معائبي. وكم: خبريّة، بمعنىٰ كثير.

ومن: لبيان الجنس على الصحيح، لا زائدة كما زعم بعضهم، حتّىٰ ذهب الفرّاء إلىٰ أنّها إذا لم تكن مذكورة لفظاً فخفض التميز بها تقديراً لا بالإضافة، وعمل الجارّ المقدّر وإن كان في غير هذا الموضع نادراً، إلّا أنه لمّا كثر دخول «من» علىٰ مميّز الخبريّة نحو «وكَمْ مِن قَريَةٍ»(١) و«كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ مِنْ ءَايَة»(٢)ساغ عمله مقدّراً، لأنّ الشيء إذا عرف في موضع جاز تركه لقوّة الدلالة عليه،(٣) على أنّ المشهور من مذهب النحويّين ما عدا الأخفش(٤) أنّ «من» لا تزاد في غير الإيجاب.

وفي راوية ابن إدريس «فكم عائبة» من دون «من» بإضافة كم إلىٰ عائبة، فالجرّ بالإضافة عند الجمهور حملاً لـ «كم» على ما هي مشابهة له من العدد والمميّز فيه إنّما يخفض بالإضافة.

وكم: في موضع رفع على الإبتداء، كما في قولك: زيد ضربته، وجملة سترتها هو الخبر. ويجوز أن تكون في موضع نصب بفعل محذوف مماثل لسترتها مفسّر به فيكون من باب الاشتغال، والتقدير: كم من عائبة سترت سترتها، أو سترت كم من عائبة سترتها. والتقدير الأوّل أولىٰ؛ للزوم كم التصدّر، والثاني لا مانع منه؛ لأنّ

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١١.

(٣) شرح الكافية في النجو: ج ٢ ص ٩٧.

(٤) مغني اللبيب: ص ٤٢٩.

....

المقدّر معدوم لفظاً، والتصدّر اللفظي هو المقصود كما نصّ عليه الرضيّ(١). والوجه الأوّل -أعني الرفع- أرجح؛ لسلامته من التقدير بلامقتض، ومن ثمّة أوجبه بعض النحويّين في نحو زيد ضربته. ويردّه أنّه قرئ «سُورَةً أَنزَلْنَاها»(٢) بالنصب.

ومن العجيب قول بعض من تصدّى لإعراب الصحيفة الشريفة: إنّ كم هنا خبريّة، واشتغال الفعل بعدها أوجب تقدير عامل لها من جنسه. وهو غلط فاحش فاحذره.

والعائبة: مصدر بمعنى العيب، جاء على فاعلة كعافية وعاقبة. وفي رواية ابن أبي الحديد «كم من عيب سترته عليّ فلم تفضحني».

والفاء من قوله «فلم تفضحني» عاطفة سببيّة، كقوله تعالى: «فَوَكَزَه مُوسىٰ فَقَضىٰ عَليه»(٣).

وشهره شهرة بالضمّ -من باب منع-: أظهره وأعلنه.

وقال في القاموس: الشهرة بالضمّ: ظهور الشيء في شنعة(٤). وفي النّهاية: الشهرة: الفضيحة(٥).

والشائبة: واحدة الشوائب، وهي الأقذار والأدناس، قاله الجوهري(٦). وفي نسخة قديمة «وكم من شائنة» وهي فاعلة من الشين بمعنى العيب والقبيح(٧).

قال في الأساس: هو فعل شائن، وهذه شائنة من الشوائن. ووجهك شين ووجهي زين(٨).

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص٩٨. (٢) سورة النور: الآية ١.

(٣) سورة القصص: الآية ١٥. (٤) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٦٥.

(٥) لم نعثر عليه في النهاية، بل وجدناه في الاساس للزمخشري: ص٣٤٢ حيث قال: ومن المجاز شهرت فلاناً: استخففتُ به وفضحته.

(٦) الصحاح: ج ١ ص١٥٩. (٧) (الف): القبح. (٨) اساس البلاغة: ص٣٤٤.

....

وألَمّ بالذنب إلماماً: فعله.

وهتك الستر ـ من باب ضربَ: خرقه.

وقال الزمخشري: هو أن تجذبه حتّىٰ تنزعه من مكانه، أو تشقّه حتّىٰ يظهر ماوراءه، ومن المجاز هتك الله ستر الفاجر فضحه(١).

وقلّدت المرأة قلادة: جعلتها في عنقها، وقلّدته السيف: ألقيت حمائله في عنقه.

قال الزمخشري: وقُلّد فلان قلادة سوء: هُجي بما بقي عليه وسْمه(٢).

وفي أمثالهم: تقلّدها طوق الحمامة(٣) إذا جاء بسيّئة يسبّ بها ويذمّ، وهو كناية عن كون السيئة لازمة لزوم الطوق للعنق بحيث لاينفكّ عنه بحال، يستعمل في الشرّ اللازم الظاهر يشتهر به صاحبه.

والمعنىٰ: لم تلزمني مكروه شنارها فأشتهر به، وإن كنت مستحقاً لإلزامي إيّاه الزام القلادة للعنق.

والشنار بالفتح: العيب والعار، وقيل: عيب فيه عار.

وقال في القاموس: هو أقبح العيب، والعار، والأمر المشهور بالشنعة (٤).

ومكروه شنارها من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف، والأصل شنارها المكروه، فقدّم الصفة وجعلها نوعاً مضافاً إلى الجنس للتبيين؛ إذ المكروه يحتمل أن يكون من الشنار ومن غيره.

والسوآت: جمع سوأة بالفتح.

قال في القاموس: السوأة: الفرج، والفاحشة، والخُلّة القبيحة(٥). وقال ابن الأثير في النهاية: السوأة في الأصل الفرج، ثمّ نقل إلى كلّ مايستحيا منه إذا ظهر

---

(١) أساس البلاغه ص ٦٩٤.

(٢) أساس البلاغة: ص ٥١٩.

(٣) مجمع الأمثال: ج ١، ص ١٤٥.

(٤) القاموس المحيط: ج ٢، ص ٦٤.

(٥) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٨.

ثُمَّ لَمْ يَنْهَنِي ذٰلِكَ عَنْ أَنْ جَرَيْتُ إِلَىٰ سُوءِ ما عَهِدْتَ مِنِّي.

من قول وفعل(١).

والتمس الشيء: طلبه.

والمعايب بلا همزة: العيوب، جمع معابة وهي العيب، كمنائر جمع منارة.

قال في القاموس: العيب والعاب: الوصمة، كالمعاب والمعابة(٢).

والجيرة: جمع جار، وهوالمجاور في السكن، ويجمع علىٰ جيران أيضاً. وإنما خصّ الجيرة بالتماس المعايب؛ لأنّ الحسد فيهم أكثر.

وقد قيل: الحسد في ثلا ثة أجناس من الناس، الجيران في المنزل، والشركاء في العمل، والقرابات في النسب؛ وذلك لمايكون بين هؤلاء من المناظرة والمباهاة وطلب تفوّق كلّ واحد منهم علىٰ الآخر.

والحسدة: جمع حاسد، وهو المتمنّي زوال النعمة من المحسود إليه.

وقولة: «عندي» في محلّ نصب علىٰ الحال من النعمة*.

ثمّ هنا: لاستبعاد عدم النهي، بعد وضوح ما ذكره من حسن صنيعه تعالىٰ إليه من ستر معايبه الكثيرة، وقد كان مقتضاة أن ينتهي ويقف عن كلّ مالايرضاه سبحانه.

قال الرضيّ: قد تكون ثمّ في الجمل خاصّة لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ماقبلها وعدم مناسبته له، كقوله تعالى: «خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ والأرضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمٰتِ والنُورَ ثُمَّ ٱلَّذينَ كَفَروا بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ»(٣)، فالإشراك بخالق السماوات والأرض مستبعد غير مناسب، وهذا المعنىٰ فرع التراخي ومجازه(٤) إنتهىٰ.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٤١٦ وفيه «من قول أو فعل».

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٠٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١.

(٤) شرح الكافية للرضي: ج ٢ ص ٣٦٧.

فَمَنْ أَجْهَلُ مِنّي يا إلهي بِرُشْدِهِ وَمَنْ أَغْفَلُ مِنّي عَنْ حَظِّهِ، وَمَنْ أبعدُ مِنّي عَنْ ٱسْتِصْلاَحِ نَفْسِهِ حِيْنَ أُنْفِقُ ما أَجْرَيْتَ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ فِيْمَا نَهيْتَني عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ.

ونهاه عن الشيء ينهاه نهياً فانتهىٰ: كفّه عنه.

وفي نسخة قديمة «لم ينهني» أي: لم يكفني ولم يزجزني، يقال: نهنه فتنهنه أي كفّه وزجره فكفّ.

وذلك: إشارة إلىٰ ما ذكر من ستر العوايب وتغطيته الذنوب والشوائب، وما فيه من معنىٰ البعد للإيذان ببُعد منزلته في الإحسان، وعلوّ درجته في الرحمة، وكمال رتبته في التفضّل.

وجريت إلىٰ كذا أجري جرياً: قصدت وأسرعت.

وعهدته عرفته، والأمر كما تعهد أي: تعرف، وهو قريب العهد بكذا أي: قريب العلم والحال؛ فقوله: «ما عهدت منّي» أي: ما علمته منّي؛ لأنّ المعرفة لا تطلق عليه سبحانه. وايراد المضاف إليه موصولاً لزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام؛ فإنّه أدلّ علىٰ الاعتراف بسوء الأفعال من أن يقول: إلىٰ سوء فعلي وعملي، ومثله قول: المعرّي:

أعباد المسيح يخاف صحبي ونحن عبيد مَنْ خلق المسيحا(١)

فإنّه أدلّ على عدم خوفهم النصارى من أن يقول: ونحن عبيد الله ﷻ.

الفاء: فصيحة، أي: إذا كان هذا حالي فمن أجهل منّي.

والجهل: هنا بمعنىٰ فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يفعل.

قال الراغب: الجهل علىٰ ثلاثة أضرب:

الأوّل: خلوّ النفس عن العلم، هذا هو الأصل.

---

(١) ديوان سقط الزند للمعرّي: ص٢٩.

....

الثاني: إعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً، أو فاسداً كمن ترك الصلاة متعمّداً، وعلىٰ ذلك قوله تعالىٰ حكايةً عن موسىٰ عليه السّلام: «أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين»، فجعل فعل الهُزو جهلاً(١) إنتهىٰ.

والاستفهام للإنكار والاستبعاد لأن يكون أحد أجهل وأغفل وأبعد منه أو مساوياً له، وإن لم يكن سبك التركيب متعرّضاً لإنكار المساواة، يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرّد، فإذا قيل: من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان، فالمراد به حتماً أنّه أكرم من كلّ كريم وأفضل من كلّ فاضل.

والرشد بالضمّ: الصلاح، وهو خلاف الغيّ، والرشد بفتحتين مثله.

والغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكّره له، وقد تستعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً، كقوله تعالىٰ: «وهُمْ في غَفْلَةٍ مُعرِضُونَ»(٢) يقال فيه: غفلت عن الشيء غفولاً -من باب قتل-.

والحظّ: النصيب، قيل مطلقاً، وقيل: خاصّ بالنصيب من الخير والفضل، وهو المراد هنا.

واستصلح الشيء: طلب صلاحه، وهو خلاف الفساد.

والإنفاق: إخراج المال، وهو والإنفاد اخوان، خلا أنّ في الثاني بمعنىٰ الإذهاب بالكلية دون الأوّل.

وأجريت عليه رزقاً: جعلته جارياً اي: دارّاً متّصلاً.

واعلم: أنّ انفاق الرزق في معصية الله تعالىٰ من كفران النعمة؛ فإنّ شكر

---

(١) المفردات للراغب: ص ١٠٢.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: ١.

ومَنْ أبْعَدُ غوْراً فِي البَاطِلِ وأشَدُّ إقْدَاماً عَلىٰ السُّوءِ مِنّي، حِيْنَ أقِفُ بين دَعْوَتِكَ وَدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، فَأَتّبعُ دَعْوَتَهُ عَلىٰ غَيْر عَمًى مِنّي في مَعْرِفَةٍ بِهِ، وَلا نِسْيَانٍ مِنْ حِفْظِي لهُ، وأنا حِيْنَئِذٍ مُوقِنٌ بِأنَّ مُنْتَهىٰ دَعْوَتِكَ إلىٰ الجَنَّةِ وَمُنْتَهىٰ دَعْوَتِهِ إلىٰ النّار.

الإنسان نعمة الله عليه بأن لايستعين بها علىٰ معصيته.

حدّث الجنيد قال: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلّمون في الشكر، فقال لي: ياغلام ماالشكر؟ فقلت: أن لايعصى الله بنعمه، فقال: يوشك أن يكون حظّك من الله لسانك، قال الجنيد: فلا أزال أبكي علىٰ هذه الكلمة التي قالها السري (١).

وفي نهج البلاغة من كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: أنّ أقل مايلزمكم الله أن لاتستعينوا بنعمته على معصيته(٢). وذلك أنّ العدل أن يستعان بنعمته على طاعته، فإن لم يفعل ذلك فلا أقلّ من أن تستعمل في الأُمور المباحة دون الاستعانة بها علىٰ معصيته؛ فإنّ ذلك ممّا يعدّ لسخطه تعالىٰ، نعوذ بالله منه.

غور كلّ شي: قعره وعمقه، وغار في الأمر إذا دقق النظر فيه كأنّه وصل إلى غوره.

يقال: فلان بعيد الغور إذا كان متعمّق النظر عارفاً بالأُمور. فغوراً في الدعاء يحتمل أن يكون اسماً بمعنىٰ القعر والعمق، ويحتمل أن يكون مصدراً بمعنىٰ الوصول إلىٰ الغور، وعلىٰ الأوّل فالظرف متعلّق بأبعد، وعلىٰ الثاني متعلّق بغوراً.

وقال ابن الأثير في النهاية: في الحديث: «أنّه سمع ناساً يذكرون القدر، فقال: إنّكم قد أخذتم في شِعبين بعيدي الغَور» غَوْر كلّ شيء: عمقه وبعده؛ أي: يبعد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ج ١ ص٣٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٣٣، حكمة ٣٣٠.

....

أن تدركوا حقيقة علمه، كالماء الغائر الذي لايقدر عليه. ومنه حديث الدعاء «ومن أبعدُ غوراً في الباطل منّي»(١) إنتهىٰ.

وقدم علىٰ قومه إقداماً: اجترأ عليه، وهذا المعنىٰ هوالمراد هنا، أي: أشدّ اجتراءً على السوء.

قال الفيومي: أقدم علىٰ العيب إقداماً كناية عن الرضابه(٢). والسوء في الأصل: مصدر ساءه يسؤوه سوءً إذا حزنه، يطلق علىٰ جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب؛ لاشتراكها كلّها في أنها تسوء صاحبها بعواقبها.

والمراد بالوقوف بين الدعوتين استعداده لقبول كلّ منهما؛ فإنّ الإنسان خلق مستعداً للهداية والضلال.

فقول بعضهم: إنَّ المرادبه التحيّر بينهما لاوجه له، بعد قوله تعالى: «وهَدَيْنٰهُ النَّجْدَين»(٣)، وقد صرّح بذلك الداعي عليه السّلام بقوله: «علىٰ غير عمىً منّي في معرفة به»، فكيف يفسّر بالتحيّر؟ والحيرة عدم الاهتداء لوجه الصواب لعدم العلم به.

والدعوة: اسم من دعاه إذا طلب إقباله.

والمراد بدعوته تعالىٰ: الأدلّة العقليّة والشرعيّة التي بيّنها للمكلّفين ليهتدوا بها إلىٰ معرفته وتوحيده وطاعته، وبدعوة الشيطان تسويله ووسوسته وتزيينه ماحرّم الله. والفاء من قوله «فأتبع»: للعطف والتعقيب.

وتبعت القوم تبعاً بالتحريك واتبعتهم علىٰ افتعلت: مشيت خلفهم، أو مرّوا

(١) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٣٩٣.

(٢) المصباح المنير: ص٦٧٦.

(٣) سورة البلد: الآية: ١٠.

....

بك فضيت معهم. وهو هنا كناية عن إجابة الدعوة، كما قال: «ومَا كانَ لي عَلَيكُم مِن سُلْطَنٍ إلاّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبتُم لي»(١). وحقيقة دعوة الشيطان واتّباعها أنّ الإنسان بينا هو ذاهل عن الشيء ذكّره الشيطان ذلك، فيحدث له ميل جازم يترتّب الفعل على حصول ذلك الميل؛ فكانت دعوة الشيطان هو ذلك التذكير، وإجابتها حصول ذلك الميل الذي هو من شأن النفس.

و«على» من قوله: «على غير عمى منّي» بمعنى مع، أي: مع غير عمى منّي، كقوله تعالى: «وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ على ظُلْمِهِم»(٢).

والمراد بالعمى هنا الجهل، وهو عمى البصيرة، استعارة من عمى البصر؛ إذ العمى حقيقةً عبارة عن عدم ملكة البصر، ووجه الشبه أنّ الأعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدمه، كذلك أعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده المعقولة لعدم عقله لوجوه رشده.

وقوله «منّي»: صفة لعمى، أي كائنٌ منّي، «وفي معرفة» صفة أُخرى له.

ويحتمل أن يكون حالاً منه أيضاً، دون الظرف الأوّل؛ لتخصّص النكرة بالصفة الأُولى.

والنسيان: هو الغفلة عن الشيء مع انمحاء صورته أو معناه عن خزانة الخيال أو الذكر.

والحفظ يقال تارةً: لقوّة النفس التي بها يثبت مايؤدّي إليه الفهم، وتارةً لضبط الشيء في النفس، وتارةً: لاستعمال تلك القوّة.

والمراد به هنا المعنى الأوّل - أعني القوّة الحافظة - والظرف صفة لنسيان، أي: نسيان كائن من حفظي. «وله»: متعلّق بنسيان، أي: نسيان له، وهذه اللام هي

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٢٢. (٢) سورة الرعد: الآية ٦.

....

المسّماة لام التقوية، وهي المزيدة لتقوية عامل ضعيف وهو هنا النسيان؛ فإنّه مصدر وعمل المصدر ضعيف؛ لكونه فرعاً في العمل عن الفعل، فهو كقولك: ضربي لزيد حسن والمعنىٰ: أنّ اتّباع دعوته لم يكن عن جهل منّي بمعرفتي به، ولا عن نسيان له من حافظتي، بل عن علم وذكر. ومن جعل قوله «له» متعلّق بحفظي، وجعل الحفظ متعلّق النسيان فقد أعزب(١). وأغرب منه من جعل الحفظ بمعنىٰ المحفوظ، وفسّره بَعَدم النسيان لمحفوظه ممّا ورد في ذم الشيطان، ولم يهتدوا الى أنّ النسيان لايتعدّىٰ بمن، وكلّ ذلك خبط عشواء، نسأل الله الهداية إلىٰ سواء السبيل.

والواو من قوله: «وأنا حينئذٍ موقن» للحال، والجملة حال من ضمير اتبع. وحينئذٍ: أي حين أتبع دعوته، فحذفت الجملة للعلم بها، وعوّض عنها التنوين، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك مستوفىً.

وأيقن بالشيء: علمه علماً لاشكّ معه.

والمنتهى: مصدر ميمي بمعنى النهاية.

يقال: انتهىٰ الأمر أي: بلغ النهاية، وهوأقصىٰ مايمكن أن يبلغه.

والمعنى: أنّ غاية دعوتك المصير إلىٰ الجنّة، وغاية دعوته المصير إلى النار.

وبيان ذلك: أنّه لمّا كان الغاية من وجود الخلق أن يكونوا عباد الله، كما قال تعالىٰ: «وَما خَلَقتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا لِيعْبُدون»(٢)، وكان المقصود من العبادة إنّما هو الوصول إلىٰ جناب عزّته، والطيران في حظائر القدس بأجنحة الكمال مع الملائكة المقرّبين، كان ذلك هو غاية الإنسان المطلوبة منه والمقصودة له والأمور بالتوجّه إليها بوجهه الحقيقي. فإن سعىٰ لها سعيها باتباع دعوة الله تعالىٰ أدركها وفاز

---

(١) في (ألف) فقد أعزب.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْجَبَ مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِي، وأُعَدِّدُه مِنْ مَكْتُوم أَمْرِي.

بحلول جنّات النعيم وكانت غايته، وإن قصر في طلبها وانحرف عن سواء الصراط الموصل إليها باتّباع دعوة الشيطان، كان في النار من الهاوين وكانت غايته فدخلها مع الداخلين*.

سبحانك: تعجّب من شدّة اجترائه على الله بما ذكره من نفسه واعترف به سابقاً، وتنزيه لساحة كبريائه وجبروته عمّا لايليق به من ذلك، وقد تقدّم بيان استعمال سبحان في مقام التعجّب في الروضة الثالثة عشرة(١).

ثمّ كرّر التعجّب صريحاً لفظاعة ما شهد به علىٰ نفسه.

وعدّده من مكتوم أمره ممّا سبق، وعدّده تعديداً: مبالغة في عدّه عدّاً بمعنىٰ أحصاه، وكأنّه لاحظ كثرة المعدود.

واعلم أنّ السبب في التعجّب من الأمر هو عدم اطّلاع النفس علىٰ أسبابه لغموضها؛ ولذلك قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب؛ ومن أجل ذلك وضع أهل اللغة قولهم: ما أفعله صيغة للتعجّب نحو ما أحسن زيداً، إذ التقدير فيها السؤال عن أسباب حُسنه، وكلّما كان الأمر أغرب وأسبابه أخفىٰ كان أعجب؛ ولذلك جاء بصيغة التعجّب من العجب، فقال: «ما أعجب ما أشهد به علىٰ نفسي». إذا عرفت ذلك فحاله ـ في إفناء الذنوب عمره وعصيان ربّه، وستر الله عليه عوائبه وذنوبه وشوائبه، ثمّ كون ذلك لم ينهه عن الإسراع إلىٰ المعاصي، ثمّ شدّة جهله برشده وغفلته عن حظّه وبعد استصلاح نفسه حين ينفق نعمة الله في معصيته، وبعد غوره في الباطل وشدّة إقدامه علىٰ السوء، حين يجيب دعوة الشيطان دون دعوة الله، مع معرفته بالشيطان وذكره له، وهو عالم علم يقين بأنّ دعوة الله تنتهي به

---

(١) ج ٢ ص ٢٨.

وأعْـجَـبُ مِنْ ذَلِكَ أنَـاتُـكَ عَنِّي، وإبْطاؤكَ عَـنْ مُـعَاجَلَتِي، وَلَيْسَ ذَلِـكَ مِنْ كَرَمِي عَلَيْـكَ، بَلْ تَأنِّياً مِنْكَ لِـي، وَتَفضُّلاً مِنْكَ عَليَّ، لِأَنْ أرتَدِعَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ المُسْخِطَـةِ، وَأُقْلِعَ عَنْ سَيِّـئَـاتِي المُخْلِـقَةِ، ولأَنَّ عَفْوَكَ عَنِّي أحَبُّ إلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي.

إلىٰ الجنّة، ودعوة الشيطان تنتهي به إلى النار-من العجب العجاب الذي لايهتدي لسببه. وكلّ ذلك منه عليه السّلام استنزال لرحمة الله تعالىٰ بالإقرار المستلزم للعفو، فقد قيل: من أقرّ فقد استوجب العفو.

وقد أسلفنا الكلام مبسوطاً في وجه اعتراف المعصومين عليهم السّلام بالذنوب والمعاصي في الروضة الثانية عشر(١) فلاوجه لإعادته.

ذلك: إشارة إلىٰ ما شهد به علىٰ نفسه وعدّده من مكتوم أمره، ومافيه من معنىٰ البُعد إشعار بفخامته وفظاعته وبُعده في مرتبة العجب.

والأناة: علىٰ وزن حصاة اسم من تأنّىٰ في الأمر إذا تمكّث ولم يعجل، وعدّاها بعن لتضمينها معنىٰ الصفح أو التجاوز.

وعاجله بذنبه: عاقبه عليه سريعاً ولم يمهله.

وكرم الشيء كرماً: عزّ فهو كريم.

ومن: للتعليل، والظرف في محلّ نصب خبر لليس، وتأنّياً: عطف عليه، أو نصب على أنّه خبر لكان مقدّرةً والتقدير: بل كان ذلك تأنّيا، أو علىٰ أنّه مفعول مطلق أي: بل تأنيّت تأنياً.

واللام في لأنّ: للتعليل، وأن: مصدريّة ناصبة.

وردَعته عن الشيء-من باب نفع- منعته وزجرته فارتدع.

والمسخطة: اسم فاعل من أسخطه بمعنىٰ أغضبه، ويحتمل أن تكون من أسخطه

---

(١) ج ٢، ص ٤٧١.

....

أي عرّضه للسخط ونصبه له، كما تقول أبعته أي: عرّضته للبيع ونصبته له، والتقدير علىٰ الأوّل: المسخطة لك، وعلىٰ الثاني: المسخطة لي.

وأقلع عن الأمر إقلاعاً: تركه، ومنه أقلعت عنه الحمّىٰ.

والمخلقة: اسم فاعل من أخلق الثوب إذا لبسه حتّى أبلاه.

يقال: أخلقت الذّنوب وجهه كأنّها أذهبت نضارته وبهجته.

كما يقال للسائل: أخلق السؤال وجه، وهو كناية عن الإذلال والإهانة.

وإنّما كان عفو الله تعالىٰ أحبّ إليه من عقوبته؛ لأنّ العفو مقتضىٰ الرحمة وهي ذاتيّة له تعالىٰ، والعقوبة مقتضىٰ الغضب، وهو مطلوب بالعرض؛ لأنّه من تبعات أفعال العباد ولوازم سيّئاتهم ومعاصيهم، حتّى لولم يكن كفر ولا معصية لم يكن غضب ولم يخلق جحيم، فهو سبحانه يمهل عبده ولا يبادر بعقوبته ليقلع عن سيّئاته، ويتوب إليه فيستحق بذلك عفوه وغفرانه، فلا يعاقبه لكون العفو أحبّ إليه من العقوبة.

فان قلت: كيف جعل الارتداع والإقلاع غاية لأناته تعالىٰ عليه، وجعل كون العفو أحبّ إليه من عقوبته غاية.

أُخرىٰ لها، والغاية إنّما هو الثاني دون الأوّل، والأوّل إنّما هو وسيلة إلىٰ الثاني لاغاية لأناته؟.

قلت: لمّا كان كلّ من التخلية والتحلية غرضاً صحيحاً للشارع ومطلوباً له، صحّ أن يجعل الارتداع والإقلاع غاية برأسها وحبّ العفو غاية أُخرىٰ.

فإن قلت: كيف تعجّب من أناته سبحانه عليه مع علمه بسببها الذي ذكره، والعجب إنّما يكون لخفاء السبب؟.

قلت: ليس تعجّبه من أناته تعالىٰ لخفاء سببها، بل لخفاء سبب استيهاله لها منه سبحانه مع عظم ذنبه المستلزم لخلافها، كما سيصرّح به عليه السّلام في أثناء

بَلْ أنَا يَا إلهي أكْثَرُ ذُنُوباً، وأقْبَحُ آثاراً، وَأشْنَعُ أفْعَالاً، وأشَدُّ فِي البَاطِلِ تَهَوّراً وأضْعَفُ عِنْدَ طَاعَتِكَ تيقُّظاً، وأقلُّ لِوَعِيْدِكَ انْتِبَاهاً وارتقاباً، من أن أُحْصِي لَكَ عيُوبِي أو أقْدِرَ عَلىٰ ذِكْرِ ذُنُوبِي.

هذا الدعاء، فهو في الحقيقة تعجّب من عظيم حلمه تعالىٰ وجليل كرمه وسعة رحمته.

بل: هنا حرف ابتداء؛ لأنّ تاليها جملة، لاعاطفة علىٰ الصحيح ومعنىٰ الإضراب فيها الانتقال من غرض إلى آخر.

والآثار: جمع أثر كسبب وأسباب، وهو هنا إمّا اسم من أثرت الحديث أثراً بالسكون- من باب قتل- بمعنىٰ نقلته، فتكون الآثار بمعنىٰ الأشياء المأثورة عنه، وأمّا بمعنىٰ العلامة والسمة أي: أقبح سمات، والمراد بها ما اتّسم به من الأعمال.

وقيل: الآثار هي الأعمال التي تبقىٰ بعد عاملها سنّة يقتدى فيها به، حسنةً كانت كعلمٍ علمه أو كتابٍ ألّفه أو مسجدٍ بناه أو غير ذلك من وجوه البر، أو السيّئة كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادئ الشرّ والفساد، وبذلك فسّر قوله تعالى: «وَنكتُبُ ماقدَّمُوا وَآثارَهُم»،(١) وأصله من الأثر الذي هو بقيّة الشيء.

وشنع الشيء بالضمّ شناعةً: قبح فهو شنيع.

والباطل: هو الذي لايكون صحيحاً بأصله؛ ولذلك أُطلق علىٰ كلّ ما خالف الحقّ. وأصله من بطل الشيء بمعنىٰ فسد. وتهوّر الرجل تهوّراً: وقع في الأمر بقلّة مبالاة.

وتيقّظ للأمر: تنبّه له وفطن.

والوعيد: التهديد.

وارتقبه ارتقاباً: انتظره.

وانتصاب ذنوباً وما بعده على التميز، وأنّ من قوله: «من أن أُحصي»: مصدرية

---

(١) سورة يس: الآية ١٢.

....

متأوّلة هي والفعل بعدها بمصدر، والتقدير: من إحصائي لك عيوبي.

فإن قلت: ما معنىٰ هذا التفضيل؟ فإنّ ظاهره تفضيل نفسه في كثرة الذنوب، وقبح الآثار، وشناعة الأفعال، وشدّة التهوّر في الباطل، وضعف التيقّظ عند الطاعة، وقلّة الانتباه والارتقاب للوعيد، علىٰ إحصائه لعيوبه وقدرته علىٰ ذكر ذنوبه، وهذا لامعنىٰ له.

قلت: نظائر هذا التركيب كثيرة مشهودة الاستعمال، كقولهم: زيدٌ أعقل من أن يكذب، وقول العلماء: هذا أظهر من أن يخفىٰ، وقلّ من يتنبّه لإشكالها، وقد وجّهه جماعة من علماء العربيّة بوجوه.

قال محمّد بن مسعودبن الزكي في كتابه البديع ـ وهو كتاب خالف فيه أقوال النحويّين في أُمور كثيرة ـ: إنّ الذي وأن المصدرية يتقارضان فتقع الذي مصدريّة كقوله:

أتفرح أكباد المحبّين كالذي أرىٰ كبدي من حبّ ميّة تقرح

وتقع أن بمعنىٰ الّذي، كقولهم: زيد أعقل من أن يكذب، أي من الذي يكذب(١) إنتهىٰ. وتعقّبه إبن هشام فقال: أمّا وقوع الّذي مصدريّة فقال به يونس والفرّاء والفارسي، وارتضاه ابن خروف وابن مالك، وجعلوا منه «وخضتم كالّذي خاضوا»، وأمّا عكسه فلم أعرف قائلاً به، والذي جرّأه عليه اشكال هذا الكلام.

قال: وظهر لي توجيهان:

أحدهما: أن يكون في الكلام تأويل علىٰ تأويل، فيؤوّل أنْ والفعل بالمصدر ويؤوّل المصدر بالوصف، فيؤول إلى المعنىٰ الذي أراده ولكن بتوجيهٍ يقبله العلماء، الا ترىٰ أنّه قيل في قوله تعالىٰ: «وَما كانَ هٰذا القُرآن أنْ يُفتَرىٰ»(٢): إنّ التقدير

---

(١) مغني اللبيب لابن هشام: ص٧٠٨ـ ٧٠٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٧.

....

ماكان افتراءً ومعنىٰ هذا ماكان مفترىً. وهذا الوجه عندي ضعيف؛ لأنّ التفضيل علىٰ الناقص لافضل فيه، كقوله.

إذا أنت فضّلت أمرأً ذا براعة علىٰ ناقص كان المديح من النقص

التوجيه الثاني: أنّ أفعل ضمّن معنىٰ أبعد فمعنى المثال زيدٌ أبعد الناس من الكذب لفضله علىٰ غيره، فمن المذكورة ليست الجارّة للمفضول، بل متعلّقة بأفعل؛ لما ضمّنه من معنىٰ البعد، لا لما فيه من المعنىٰ الوضعي، والمفضّل عليه متروك أبداً مع أفعل هذا لقصد التعميم(١) إنتهىٰ.

وقال الرضي: أمّا نحو قولهم: أنا أكبر من أن أشعر، وأنت أعظم من أن تقول كذا، فليس المقصود تفضيل المتكلّم علىٰ الشعر والمخاطب على القول، بل المراد بعدهما عن الشعر والقول، وأفعل التفضيل يفيد بعد الفاضل من المفضول وتجاوزه عنه، فمن في مثله ليست تفضيلية بل هي مثل مافي قولك: بنت من زيد، تعلّقت بأفعل المستعمل بمعنى متجاوز وبائن بلا تفضيل، فمعنىٰ قولك: أنت أعزّ عليّ من أن أضربك، أنت بائن من أن أضربك من فرط عزّتك عليّ. وإنّما جاز ذلك لأنّ من التفضيليّة متعلّقة بأفعل التفضيل بقريب من هذا المعنىٰ، ألا ترىٰ أنّك إذا قلت: زيد أفضل من عمرو، فمعناه زيد متجاوز في الفضل عن مرتبة عمرو، فمن فيما نحن فيه كالتفضيليّة إلّا في معنىٰ التفضيل. ومنه قول أميرالمؤمنين عليه السّلام في وصف الدنيا: ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوّتك أصدق وأوفى من أن تكذّبك أو تغرّك. أي: هي متجاوزة من فرط صدقها عن الكذب(٢) إنتهىٰ.

إذا عرفت ذلك فمعنىٰ قوله عليه السّلام: «أنا أكثر ذنوباً من أن أحصي لك

---

(١) مغني اللبيب لابن هشام: ص٧٠٩- ٧١٠. (٢) شرح الكافية للرضي: ج ٢ ص ٢١٥ و٢١٦.

وَإنَّما أُوَبِّخُ بِهٰذَا نَفْسِي طَمَعاً في رأفَتِكَ الّتي بها صَلاحُ أمرِ المذْنِبين، ورَجاءً لِرَحْمَتِكَ الّتي بها فكاك رقاب الخَاطِئينَ.

عيوبي» على توجيه ابن مسعود: وأنا أكثر ذنوباً من الذي أُحصي لك عيوبي، وهو مشكل؛ لأنّه لوكان كذلك لوجب أن يقال: من الذي يحصي بالياء؛ لتكون الصلة متحمّلة لضمير غيبة يعود إلىٰ «أن» التي هي أسم بمعنىٰ «الذي»، وكذا الكلام في نظائره المشتملة علىٰ التكلّم والخطاب، وعلىٰ التوجيه الأوّل من توجيهي ابن هشام: أنا أكثر ذنوباً من مُحصٍ لك عيوبي، وعلىٰ التوجيه الثاني منها: أنا أبعد الناس من الإحصاء لعيوبي لكثرة ذنوبي، وعلى توجيه الرضي: أنا متجاوز وبائن من كثرة ذنوبي عن إحصائي لك عيوبي*.

إنّما: للحصر عند الجمهور؛ لتضمّنها معنىٰ «ما و إلاّ»، وأنكر قوم إفادتها إيّاه، والصحيح الأوّل. وهو هنا إمّا علىٰ توجيهه إلىٰ نفس الفعل، على معنىٰ ما أقصد بهذا إلاّ توبيخ نفسي لاغيره، كما قاله بعض المفسّرين في قوله تعالى: «يا قوم إنّما فُتِنتُم بِهِ»(١): إنّ القصر متوجّه إلىٰ نفس الفعل لاإلىٰ قيده، على معنىٰ إنّما فعل بكم الفتنة لاالإرشاد، لاعلى معنى إنّما فتنتم بالعجل لابغيره. وإمّا علىٰ توجيهه إلى المفعول لأجله أعني طمعاً، على معنىٰ ما أوبّخ بهذا نفسي إلاّ طمعاً. وأمّا توجيه إلىٰ قيد الفعل أو إلىٰ المفعول به فلا يصحّ، أذ ليس الغرض ما أوبّخ نفسي إلاّ بهذا لابغيره، ولا ما أوبخ بهذا إلاّ نفسي لاغيرها.

قال بعضهم في نظير هذا المقام: لو قيل: إنّ «إنّما» هنا لتأكيد الحكم لاللقصر، لم يبعد؛ لأنّ الحصر يقتضي أن يكون للمخاطب حكم مشوب بصواب وخطأ، فيثبت صوابه ويرّد خطأه، والمخاطب هنا هوالله سبحانه وهو منزّه عن ذلك.

---

(١) سورة طه: الآية ٩٠.

....

لايقال: فلا يحتاج إلى التأكيد؛ لأنّه لدفع الشكّ وردّ الإنكار.

لأنّا نقول: قد نصّ الزمخشري: وعبد القاهر أنّ له فوائد أُخرىٰ غيرهما، منها: الاهتمام بمضمون الكلام وتقريره وإظهار كمال العناية به، كما في «إنّا فتحنا»(١) و«إنّا أعْطَيناكَ»(٢) وكم مثلها إنتهىٰ.

قلت: قد وقع في مواضع من القرآن المجيد خطابه سبحانه بما هو نصّ في الحصر إجماعاً، كقوله تعالىٰ حاكياً عن الملائكة: «لاعِلْمَ لَنا إلّا ما عَلَّمتَنا»(٣) وقوله تعالىٰ حاكيا عن موسى: «إنْ هِيَ إلّا فِتنَتُكَ»(٤)، «رَبِّ إنّي لا أمْلِكُ إلّا نَفْسِي وأخِي»(٥)، والحصر فيها لمجرّد توكيد الحكم قطعاً وإيثاره للمبالغة في توكيده؛ إذ الحصر ليس إلّا تأكيداً للحكم علىٰ تأكيد كما قرّر في محلّه، فلا حاجة إلى إنكار إفادة «إنّما» للحصر تفادياً عن المحذور المذكور وإرتكاب خلاف الجمهور.

ووبختة توبيخاً: لُمتُه وعَنّفته وعتبتُ عليه كلّها بمعنى(٦). وقال الفارابي: وبخّته: عيّرته(٧).

وطمعاً: نصب علىٰ المفعول له، والطمع أكثر ما يستعمل في تعلّق النفس بمحبوب يقرب حصوله.

والرأفة: أشدّ الرحمة.

والصلاح: حصول الشيءعلىٰ الحالة المستقيمة النافعة. وهو نقيض الفساد وهو خروج الشيءمن أن يكون منتفعاً به.

والرجاء: تعلّق النفس بمحبوب في المستقبل.

وفككت الرّهن: خلّصته، والاسم الفكاك بالفتح، والكسر لغة حكاها ابن

(١) سورة الفتح: الآية: ١.
(٢) سورة الكوثر: الآية: ١.
(٣) سورة البقرة: الآية: ٣٢.
(٤) سورة الأعراف: الآية: ١٥٥.
(٥) سورة المائدة: الآية: ٢٥.
(٦) و(٧) المصباح المنير: ص٨٨٨.

....

السكيت(١)، وأثبتها صاحب القاموس(٢)، ومنعها الأصمعي(٣) والفراء،(٤) وفكاك الرقاب استعارة في خلاصها من العذاب. وقد تقدّم وجه إطلاق الرقبة علىٰ جميع الذات في الروضة الخامسة(٥) فليرجع إليه.

هداية

إعلم أنّ توبيخ النفس ومعاتبتها باب عظيم من أبواب المرابطة في سبيل الله، فإنّ للعارفين في سلوك سبيل الله. ومرابطتهم مع أنفسهم مقامات خمسة، وهي المشارطه، ثمّ المراقبة، ثمّ المحاسبة، ثمّ المعاتبة، ثمّ المعاقبة، وضربوا لذلك مثالاً فقالوا: ينبغي أن تكون حال الإنسان مع نفسه كحاله مع شريكه إذا سلّم إليه مالاً ليتجربه، فالعقل هو التاجر في طريق الآخرة، ومطلبه وربحه تزكية النفس؛ إذ بها فلاحها كما قال تعالى: «قَد أفلَحَ مَن زَكّٰها»(٦)، فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستسخرها فيما يزكّيها كما يستعين الإنسان بشريكه، وكما أنّ الشريك يصير خصماً منازعاً يحاذيه في الربح، فيحتاج أن يشارطه أوّلاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويعاتبه او يعاقبه رابعاً، فكذلك العقل يحتاج إلى هذه المقامات الخمس.

الأولىٰ: المشارطة، وهي أن يشارط النفس أوّلاً، فيوظّف عليها الوظائف ويأمرها بسلوك طريق الحقّ ويرشدها إليه ويحرم عليها سلوك غيره، كما يشترط التاجر على شريكه.

الثانية: المراقبة، وهي أن لا يغفل عنها لحظة فلحظة عند خوضها في الأعمال ويلاحظها بالعين الكالئة، فإنّ الإنسان إن غفل عن نفسه وأهملها لم يَرَ منها إلّا

---

(١)و(٣)و(٤) المصباح المنير: ص٦٥٦. (٢) القاموس المحيط: ج٣ ص٣١٦.

(٥) ج٢ ص ١٤٥. (٦) سورة الشمس: الآية: ٩.

....

الخيانة وتضييع رأس المال، كالعبد الخائن إذا انفرد بمال سيّده.

الثالثة: المحاسبة، وهي أنّ يحاسبها بعد الفراغ من العمل، ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها أوّلاً؛ فإنّ هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلىٰ، فتدقيق الحساب في هذا أهمّ من التدقيق في أرباح الدنيا؛ لحقارتها بالنسبة إلىٰ نعيم الآخرة، فلاينبغي أن يترك مناقشتها في ذرّة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها؛ فإنّ كلّ نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لاعوض لها، يمكن أن يشتري به كنز من كنوز الآخرة لايتناهى نعيمه ولايظعن مقيمه. قالوا: وينبغي للإنسان أن يخلو عقيب فريضة كلّ صبح بنفسه، ويقول لها: أي نفس مالي بضاعة إلّا العمر، ومهما فنى فقد فني رأس مالي ووقع اليأس من التجارة وطلب الربح، وهذا يوم جديد قد أمهلني الله فيه، ولو توفّاني لقُلتُ: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلّي أعْمَلُ صَالِحاً فِيْماً تَرَكْتُ»(١)، فاحِسبي أنّك توفيّت ثمّ رردت، فإيّاك وتضييع هذا اليوم والغفلة فيه.

الرابعة: المعاتبة والتوبيخ، وقد علمت أنّ لك نفساً أمّارة بالسوء ميّالة إلىٰ الشّر، وقد أُمرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربّها وطاعة خالقها، فسبيل المعاتبة والتوبيخ أن تعدّد للنفس عيوبها، وتذكّرها ماهي عليه من الجهل في ارتكاب المعاصي وإنحرافها عن سلوك سبيل الله، لتذلّ وتنكسر فتضعف سورة شهوتها،وتستعدّ بذلك إلىٰ استنزال رحمة الله تعالىٰ ورأفته، كما أرشد إليه سيد العابدين وإمام المتقين في هذا الدعاء.

قال بعض العارفين: إعلم أنّ النفس شرد جموح(٢)، فإن أهملتها لم تظفرها بعد ذلك، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة واللائمة كانت نفسك هي النفس اللوّامة.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: ٩٩ و١٠٠.

(٢) الجموح: هو الراكب هواه، المصباح المنير: ص١٤٧.

اللَّهُمَّ وَهَذِهِ رَقَبَتِي قَد أرَقَّتْهَا الذُّنُوبُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَأعتِقهَا بِعَفْوِكَ ، وَهذا ظَهْرِي قَدْ أَثْقَلَتْهُ الخَطَايَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَخَفِّفْ عَنْهُ بِمَنِّكِ .

الخامسة: المعاقبة والمجاهدة، وذلك إذا رآى نفسه قد قارفت(١) معصية أو همّت بها، فينبغي أن يعاقبها بالتضييق عليها في الأُمور المباحة ويأخذها بالصبر عنها. وإذا رآها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الأوراد، فينبغي أن يؤدّبها بتثقيل ألاوراد عليها ويلزمها فنوناً من الطاعات جبراً لمافات.

قال بعض أرباب العرفان: إنّ هذه النفس في غاية الخساسة والدناءة ونهاية الجهل والغباوة، وينبّهك على ذلك أنّها همّت بمعصية أو انبعثت بشهوة، لوتشفّعت إليها بالله سبحانه ثمّ برسوله وبجميع أنبيائه ثمّ بكتبه والسلف الصالح من عباده، وعرضت عليها الموت والقبر والقيامة والجنّة والنار، لا تكاد تعطي القياد ولا تترك الشهوة، ثمّ إن متّعتها رغيفاً سكنت وذلّت ولانت بعد الصعوبة والجماح(٢) وتركت الشهوة».

الرّق بالكسر: العبوديّة، وهو مصدر رقّ الشخص يرق -من باب ضرب-فهو رقيق، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أرقّه فهو مرقّ، وقد يتعدّى بالحركة أيضاً فيقال: رقّه يرقّه- من باب قتل- فهو مرقوق.

وأعتقه: خلّصه من الرقّ فهو معتق، ولايقال: عتقه فهو معتوق. ولفظ الإرقاق إستعارة في تمكّن هيئات الذنوب من نفسه، والإعتاق استعارة لمحو تلك الهيئات منها، وكذا الكلام فيما بعده.

ولمّا كان المعتاد في الأثقال حملها على الظهر خصّ الظهر بأثقال الخطايا له،

---

(١) اقتراف الذنب: فعله (المصباح المنير) ص ٦٨٥.

(٢) جمح يجمح جماحاً وجموحاً: استعصى حتّى غلبه فهو جموح بالفتح (المصباح المنير) ص ١٤٧.

يَا إلهي لَوْبَكَيْتُ أَلَيْكَ حَتىٰ تَسْقُطَ أشفارُ عيْنيَّ، وٱنْتَحَبْتُ حَتّىٰ يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لَكَ حَتّىٰ تَتَنَشَّرَ قَدَمَاي، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتّىٰ يَنْخلعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتى تَتَفَقّأ حَدَقَتَاي، وأَكَلْتُ تُرابَ الأَرْضِ طُولَ عُمْرِي، وشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمادِ آخِرَ دَهْرِي، وَذَكَرْتُكَ فِي خلالِ ذَلِكَ حَتّىٰ يَكِلَّ لِسَانِي، ثُمَّ لَمْ أرفَعْ طَرْفِي إلىٰ آفاقِ السَّمَاءِ ٱسْتِحْياءً مِنكَ، ما ٱسْتَوْجَبْتُ بِذَلك مَحْوَسَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَيّئاتي.

كما قال تعالىٰ: «وَهُم يَحمِلونَ أوزارَهُم علىٰ ظُهورِهم»(١).

قال في الكشاف: هو كقوله تعالى: «فبما كَسَبَتْ أيدِيكُم»؛ لأنّه اعتيد حمل الأثقال على الظهور كما أُلف الكسب بالأيدي.(٢) والخطايا: جمع خطيئة، وهي الذنب.

وقيل: الفرق بينهما أنّ الذنب قد يطلق علىٰ مايقصد بالذات، والخطيئة تغلب على ما يقصد بالعرض لأنّها من الخطأ. وأصل خطايا خطائي كخطايع(٣)، فأبدلت الهمزة ياء، فعند سيبويه أنّه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف، فاجتمعت همزتان، فأُبدلت الثانية ياء، ثمّ قلبت ألفاً، وكانت الهمزة بين ألفين فأُبدلت ياء(٤). وعند الخليل قُدّمت الهمزة على الياء، ثمّ فعل بها ماذكر(٥)*.

«إلىٰ» من قولة: «بكيت إليك»: إمّا بمعنىٰ اللام، كما قيل في قوله تعالى: «والأمرُإلَيك»(٦)أي: بكيت لك، وإمّا على تضمين بكيت معنىٰ الإنابة، اي: بكيت منيباً إليك. وقد سبق منّا الكلام على حقيقة التضمين في أوائل الكتاب.

وأشفارالعين: منابت الهدب، جمع شفر بالضمّ كقفل وأقفال، وقد يفتح.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣١. (٢) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٧. (٣) (الف): كخطائع.
(٤) و(٥) الجامع لأحكام القرآن: ج ١ ص ٤١٤، وشرح الشافية ابن الحاجب: ج ٣ ص ٥٩.
(٦) سورة النمل: الآية ٣٣.

....

قال ابن قتيبة: والعامّة تجعل أشفار العين الشعر، وهو غلط، وإنّما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر، والشعر الهدب(١).

والنحب والنحيب والانتحاب: البكاء بصوت طويل ومدّ، قاله في النهاية(٢).

وقال في القاموس: النحيب أشدّ البكاء، وانتحب تنفّس شديداً(٣). وفي الأساس: نحب الباكي ينحب نحيباً وانتحب إنتحاباً: جدّ في بكائه(٤).

وانتشر العصب وتنشّر: انتفخ.

وقال في الصحاح: الإنتشار انتفاخ في عصب الدابّة ويكون ذلك من التعب»(٥).

والخلع ويحرّك: زوال المفاصل من غير بينونة، خلع مفصله فانخلع أي: أزاله عن مكانه.

والصلب بالضمّ: الظهر.

وفي القاموس: هو عظم من لدن الكاهل إلىٰ العجب(٦). وفقأ عينه ـ من باب منع ـ خسفها فانفقأت وتفقّأت. والحدقة: سواد العين، وتطلق علىٰ جملة العين.

وطول عمري: منصوب على الظرفيّة، أي: مدّة امتداد عمري، من طال الشيء بمعنى امتدّ.

وماء الرماد: أي المشوب بالرماد، وماء رمد أي كدر صار علىٰ لون الرماد.

وإنّما خصّ الرماد بالذكر لوجهين:

أحدهما: تجفيفه الذي هو خلاف الغرض المطلوب من شرب الماء وهو الترطيب، فلا يكون في شربه غناء للشارب. فإنّ الرماد بأنواعه مجفّف.

---

(١) أدب الكاتب: ص ٢١.
(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٧.
(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣٠.
(٤) أساس البلاغة: ص ٦٢٢.
(٥) الصحاح: ج ٢ ص ٨٢٩.
(٦) القاموس المحيط: ج ١ ص ٩٣.

....

الثاني: تكديره الماء تكديراً لايكاد يصفو معه أبداً.وآخر دهري: أي أبداً.

قال الجوهري: قولهم: لاأفعله أُخرىٰ الليالي أي: أبداً، وأُخرىٰ المنون أي: آخر الدهر(١).

وقال الزمخشري في الأساس: لاأُكلّمه آخر الدّهر(٢) أي: أبداً وإنّما فسّروا آخرالدهر بمعنى أبداً وإن كان الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدّرة غير متناهية في جانب المستقبل؛ لأنّهم لايريدون بالأبد في مثل هذا المقام إلّا مدّة العمر.

قال الرماني: إذا قلت: لاأُكلّمه أبداً، فالأبد من لدن تكلّمت إلى آخر عمرك (٣).

ونصبه قيل: على حذف إلىٰ، أي: إلىٰ آخر دهري. وقيل: على الظرفية؛ لأنّه بمعنىٰ أبداً. والطرف: نظر العين.

قال الخليل: لايثنّىٰ ولايجمع؛ لأنّه مصدر طرف إذا حرّك جفونه في النظر(٤)

وفي القاموس: الطرف العين، واسم جامع للبصر(٥).

والآفاق: جمع أُفق بضمّتين، وهو الناحية من السماء والأرض. وعدم رفع النظر إلىٰ آفاق السماء، إمّا كناية عن غضّ الطرف والإطراق من الحياء؛ فإنّ الإنسان إذا استحيا كسر طرفه وأطرق برأسه رامياً ببصره إلىٰ الأرض، وإمّا لأنّ السماء موضع عرشه سبحانه ومسكن ملائكته ومصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح، فهو يستحي أن ينظر إلى آفاقها.

كما روي أنّ بعض الصالحين صلّىٰ يوماً خارج المسجد، فقيل له:لم لادخلت المسجد فصلّيت فيه؟ فقال: أستحي أن أدخل بيته وقد عصيته (٦).

---

(١) الصحاح: ج ٢ ص٥٧٦. (٢) أساس البلاغة: ص١٣. (٣) المصباح المنير: ص١.

(٤) كتاب العين للخليل: ج٧ ص٤١٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) القاموس المحيط: ج ٣ ص١٦٦. (٦) لم نعثر عليه.

وإنْ كُنْتَ تَغْفِرُلي حِيْنَ أَسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، وتَعْفُو عَنِّي حِيْنَ أَسْتَحِقُّ عَفْوَكَ، فإنَّ ذَلِكَ غَيرُ واجبٍ لِي بِاُسْتِحْقَاقٍ، وَلَا أَنَا أَهلٌ لَهُ بِاسْتِيجَابٍ، إذ كَانَ جَزَائِي مِنْكَ فِي أَوَّلِ مَاعَصَيْتُكَ النّارَ، فَإنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِي.

واستوجب الشيء :استحقّه، من وجب الحقّ إذا لزم وثبت. والسيّئة: أصلها سيوءه علىٰ فيعلة من ساء يسوؤه سوءً ومساءةً، قلبت الواو ياءً كراهة إجتماعهما لجريانهما مجرى المثلين، وأُدغمت في الياء قبلها. وهي من الصفات الغالبة تتناول جميع المعاصي صغّرت أو كبّرت.

وواحدة: صفة مفادها التوكيد كنفخة واحدة.

واعلم أنّ مفاد هذا الفصل من الدعاء نفي استيجاب العبد عفوه تعالىٰ على كلّ حال؛لأنّه إذا انتفىٰ مع ثبوت الأسباب والوسائل، التي هي فوق الجهد في التبتّل والتضرّع إليه تعالىٰ، فانتفاؤه مع عدمها أولى، فـ «لو» هنا للدلالة علىٰ أنّ الجزاء لازم الوجود دائماً.

كنت: هنا تفيد الاستمرار والدوام؛ فإنّ كان تختصّ باستمرار خبرها لاسمها.

وأستوجب مغفرتك: أي استيجاب تفضّل وكرم وإحسان، وكذلك قوله: «حين أستّحق»؛ فإنّه سبحانه أوجب للعبد علىٰ نفسه قبول توبته تفضّلاً منه وكرماً، كما قال تعالىٰ: «إنّما التّوبة علىٰ اللهِ للّذينَ يَعمَلونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمّ يَتوبُونَ مِن قريب»(١)؛ فإنّ «على» هنا مفادها الوجوب، أي: واجبة على الله وجوب كرم، لا وجوباً يستحقّ بتركه الذمّ فالعبد بهذا الاعتبار يستوجب منه تعالىٰ المغفرة ويستحقّ العفو، لاباعتبار أنّ ذلك له حقّ واجب استوجبه ويستحقّه، فلا منافاة

---

(١) سورة النساء:الآية ١٧.

....

بين نفي الاستيجاب أوّلاً وإثباته ثانياً.

والفاء من قوله: «فإنّ ذلك» رابطة لجواب الشرط.

والتحقيق في مثل ذلك أنّ الجواب محذوف لامذكور؛ لأنّ الجواب مسبّب عن الشرط، وذلك غير واجب له سواء أوجد المغفرة والعفو أولم يوجدهما، وإنّما الأصل فقد تفضّلت فإنّ ذلك غير واجب لي، ومثله قوله تعالىٰ: «مَنْ كانَ يَرجُوا لِقآءَالله فَإنَّ اَجَلَ الله لآتٍ»(١) فليبادر إلى العمل فإنّ أجل الله لآت؛ لأنّ أجل الله آت سواء أوجد الرجاء أم لم يوجد، فلم يكن مسبّباً عن الشرط ليكون جواباً، فوجب أن يكون الجواب محذوفاً.

وإذ: لتعليل نفي وجوب ذلك له، أي: أنّ ذلك غير واجب لي باستحقاق؛ لأجل كون جزائي في أوّل ما عصيتك النار. وهل «إذ» هذه حرف بمنزلة لام العلّة؟ أو ظرف والتعليل مستفاد من قوّة الكلام لامن اللفظ؟ قولان؛ اختار ابن مالك الأوّل (٢)،ورجحه الرضي حيث قال: يجئ إذ للتعليل (٣).والأولىٰ حرفيّتها إذن؛ إذ لامعنىٰ لتأويلها بالوقت حتّىٰ تدخل في حدالاسم.

وإختار الشلوبين الثاني، وكان تحتمل النقصان والزيادة(٤).

ورواية ابن إدريس «النار» بالرفع، إمّا أنّها اسم كان علىٰ النقصان، وإمّا أنّها خبر المبتدأ على الزيادة.

وما: مصدريّة زمانيّة، أي: في أوّل زمان عصياني، وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: «ومَن يَعصِ اللهَ ورَسولَه وَيتَعدّ حُدودَه يُدخِلْهُ ناراً خالِداً فيها وَلَه عَذابٌ

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٥.

(٢) تاج العروس: ج٢ ص٥٥٣.

(٣) الكافية في النحو: ج٢ ص١٠٨.

(٤) مغني اللبيب ص١١٥.

إلهي فَإذْ تَغَمَّدْتَنِي بِسِتْرِكَ فَلَمْ تَفْضَحْنِي، وتَأَنَّيْتَنِي بِكَرَمِكَ فَلَمْ تُعَاجِلْنِي، وحَلُمْتَ عَنِّي بِتَفَضُّلِكَ فَلَمْ تُغَيِّرْ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ، وَلَمْ تُكَدِّرْ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي، فارْحَمْ طُولَ تَضَرُّعِي وَشِدَّةَ مَسْكَنَتِي وَسُوءَ مَوْقِفِي.

مهين»(١)، وإنّما كان الجزاء في أوّل وقت العصيان النار؛ لأنّ الجزاء مسبّب عن العمل؛ فمتى وجد السبب وجب وجود المسبّب، فكان مقتضى العدل أنّه متى حصل العصيان حصل جزاؤه، لكنّه سبحانه تأنّى عباده وأمهلهم ليستغفروه وينيبوا إليه، فيغفر لهم بمقتضى رحمته التي وسعت كلّ شيء.

والفاء من قوله: «فإن تعذّبني»: فصيحة، أي: إذا كان الأمر هكذا فإن تعذّبني فلا لوم عليك؛ فأنت غير ظالم لي. وإنّما قدّرنا الجواب محذوفاً لما ذكرناه آنفاً *.

تكرير النداء مراراً في هذا الدعاء للتضرّع، وإظهار لكمال الخضوع، وعرض للاعتراف بأُلوهيّته مع الإيمان به.

والفاء من قوله: «فإذ تغمّدتني»: للترتيب الذكري، كالتفصيل بعد الإجمال المفهوم من معاملته سبحانه له بخلاف مقتضى الجزاء وقت العصيان.

وقول بعضهم: إنّها للتعقيب غلط، كأنه لم يفرّق بين الترتيب والتعقيب، ولم يعلم أنّ المراد بالترتيب أن يكون المعطوف بها متأخراً عن المعطوف عليه، وبالتعقيب أن يكون متّصلاً بالمعطوف عليه بلا تراخ.

وإذ في مثل هذا المقام قيل: حرف للتعليل كما مرّ.

وقيل: ظرفيّة.

وتغمّده الله برحمته: ستره بها، مأخوذ من غمد السيف وهو غلافه.

في القاموس: تغمّده الله برحمته غمره بها، وفلاناً ستر ما كان منه(٢).

---

(١) سورة النساء: الآية: ١٤.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٢١.

....

وتأنّى في الأمر: تمكّث ولم يعجل، وعدّاه بنفسه لتضمينه معنى أمهلتني وأنظرتني.

وحلم بالضمّ حلماً بالكسر: صفح وستر؛ ولذلك يعدّى تارة بـ «عن» فيقال: حلم عنه لأنّه بمعنى صفح، وتارة بـ «على» فيقال: حلم عليه لأنّه بمعنى ستر.

وغيّرت الشيء تغييراً: أزلته عمّا كان عليه.

وكدر الماء يكدر مثلّثة: زال صفاؤه، ويتعدّى بالتضعيف فيقال: كدّرته.

قال في الأساس: ومن المجاز كدر عيشه وتكدّر، وصفا أمري فكدّره فلان(١) إنتهى.

والمعروف: الجود والإحسان.

وقيل: هو اسم ما تبذله وتعطيه، أضمر تشبيهه بالماء الصافي، وأثبت له التكدير الذي هو من لوازم المشبّه به، فالكلام استعارة مكنيّة تخييليّة.

والفاء من قوله: «فارحم»: زائدة على القول بأنّ «إذ» من قوله: «فإذ تغمّدتني» حرف تعليل، وأمّا على القول بأنّها ظرفيّة فهي رابطة؛ لاجراء الظرف مجرى كلمة الشرط، كما ذكر سيبويه في نحو زيد حين لقيته فأنا أكرمه.(٢)

وقال الرضي: يجوز أن يكون ممّا أضمر فيه أمّا (٣) والتقدير على هذا: فأمّا إذ تغمّدتني فارحم.

وطول تضرّعي: أي امتداده من طال الشيء بمعنى امتدّ. والمسكنة قيل: مشتقة من لفظ المسكين، كما اشتقّوا منه الفعل فقالوا تمسكن.

وقيل: هي مفعلة من السكون كالمنجلة من النجل، ومعناها الخضوع والذلة.

والموقف: هنا مصدر ميمي بمعنى الوقوف، وإنّما أضاف السوء إليه لأنّه موقف

---

(١) أساس البلاغة: ص٥٣٨.

(٢)و(٣) شرح الكافية في النحو للرضي: ج ٢ ص ٣٩٩.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِنِي مِنَ المَعَاصِي، واَسْتَعْمِلْنِي بالطّاعةِ، واَرْزُقْني حُسْنَ الإنابَةِ، وَطَهِّرْني بالتَّوْبَةِ، وَأَيِّدْني بالعِصْمَةِ، واَسْتَصْلِحْنِي بالعافِيَةِ، وأذِقْني حَلاَوَةَ اَلْمَغْفِرَةِ، واَجْعَلْني طَلِيقَ عَفْوكَ وَعَتيقَ رَحْمَتِكَ، واَكْتُبْ لِي أَمَاناً مِنْ سُخْطِكَ، وَبَشِّرْني بِذلِكَ فِي العاجل دُونَ الآجلِ بُشرىٰ أعرفُها، وعَرِّفْني فِيهِ عَلاَمَةً أتبيَّنُها.

عاص خائف من مولاه، وهو وقوف يسوء صاحبه*.

وقاه الله السوء يقيه وقايةً: حفظه منه، وعدّاه إلى الثاني بـ «من» لتضمينه معنىٰ الحفظ والصون.

واستعملني: أي وفّقني للعمل بالطاعة.

والإنابة: الرجوع إلىٰ الله تعالى.

والتوبة قيل: بمعناها، وقيل: هي الندم علىٰ فعل المعصية، وحلّ عقدة الإصرار عن القلب، ثمّ القيام بجميع حقوق الربّ، وسيأتي في دعائه عليه السّلام في ذكر التوبة وطلبها أنّ التوبة هي الندم، والإنابة ترك المعاصي، حيث قال: «اللهمّ إن يكن الندم توبةً إليك فأنا أندم النادمين، وإن يكن الترك لمعصيتك إنابةً فأنا أوّل المنيبين»(١).

وأيّده تأييداً: قوّاه.

والعصمة في اللغة: اسم من عصمه الله من المكروه يعصمه ـ من باب ضرب ـ بمعنىٰ حفظه ووقاه(٢).

وفي العرف: فيض إلهي يقوىٰ به العبد علىٰ تحرّي الخير وتجنّب الشرّ، ذكره الراغب(٣).

---

(١) بحارالأنوار: ج ٩٤ ص ١٤٢، المناجاة الأُولىٰ مناجاة التائبين.

(٢) المصباح المنير: ص٥٦٦. (٣) فيض القدير: ج ٢ ص ١١٢ نقلاً عن الراغب.

....

وعند المتكلّمين: عبارة عن أن لايخلق الله في العبد ذنباً، وهذا قريب منه.

وقال الحكماء: هي ملكة تمنع الفجور ويحصل بها العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.

وقيل: هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكّن منها.

واستصلحه: طلب صلاحه، والمرادهنا أرد صلاحي «وقدّره لي بالعافية»: والعافية لفظة متناولة لدفع جميع المكروهات، الظاهرة في البدن، والباطنة في الدين.

والمغفرة: اسم من غفرالله له غفراً وغفراناً - من باب ضرب - صفح عنه. وفي الكلام استعارة مرشّحة؛ فإنّه استعار الحلاوة لثمرة المغفرة بجامع اللذّة، ثمّ فرّع عليها ما يلائم الحلاوة من الإذاقة.

والطليق: فعيل بمعنىٰ مفعول، من أطلقت الأسير إذا حللت أساره وخليّت عنه فانطلق.

والعتيق: مثله، من أعتقت العبدإذا خلّصته من الرقّ.

واكتب لي: أي أوجب لي وحقّق وأثبت، وأصله من الكتابة بالقلم.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: كتب عليه كذا قضي عليه، وكتب الله الأجل والرزق، وكتب على عباده الطاعة وعلىٰ نفسه الرحمة(١).

وآثر لفظ الكتابة ولم يقل: «واجعل لي» أو «أوجب لي»؛ لأنّ الكتابة أثبت وأدوم.

يقال: كتب رزق فلان في الديوان، فيدلّ ذلك علىٰ دوامه وثبوته علىٰ مرور الأزمان.

---

(١) أساس البلاغة: ص ٥٣٥.

....

والتبشير: الإخبار بما يسرّ المخبر به إذا كان سابقاً لكلّ خبر سواه، ولهذا قال علماء الجمهور: إذا قال لعبيده: أيّكم بشرني بقدوم فلان فهو حرّ، فبشروه فرادى، عتق أوّلهم؛ لأنّه هو الذي سرّه بخبره سابقاً، ولو قال مكان بشّرني: أخبرني، عتقوا جميعاً. واشتقاقه قيل: من البشر وهو السرور، فيختصّ بالخبر الذي يسر.

وأمّا قوله تعالىٰ: «فَبشِّرهُم بَعذابٍ أليم»(١)، «وإذا بُشّر أحَدُهم بالأُنثىٰ ظَلَّ وَجْهُه مُسوّداً»(٢)، فمن باب التهكّم والإستهزاء.

وقيل: من البشرة وهو ظاهر الجلد؛ لتأثيره في تغيير بشرة الوجه، فيكون في ما يسرّ ويغمّ؛ لأنّ السرور كما يوجب تغيير البشرة فكذلك الحزن يوجبه، فوجب أن يكون لفظ التبشير حقيقة في القسمين، لكنّه عند الإطلاق يختّص في العرف بما يسرّ، وإن أُريد خلافه قُيّد، قال تعالىٰ: «فَبشِّر عِبادِي»(٣)؛ وفي الثاني: «فبشّرهم بعذاب أليم»(٤).

والبشرىٰ بالضمّ فعلىٰ اسم منه.

والعاجل والآجل: وصفان لمحذوف.

ودون: بمعنىٰ قبل، أي: في الوقت العاجل قبل الوقت الآجل، يريد في الدنيا قبل الآخرة.

وعرّفه الأمر تعريفاً: أعلمه به، وعرّفه:بيّنه، أعلمه بمكانه. والعلامة: الأمارة التي يعرف بها الشيء.

وتبيّن فلان الشيء:عرفه معرفة واضحة من باب الأمر إذا اتّضح وانكشف.

فإن قلت: ما المراد بهذا التبشير والتعريف في العاجل؟

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢١ والتوبة: الآية ٣٤، والانشقاق: الآية ٢٤.

(٢) سوة النمل: الآية ٥٨. (٣) سورة الزمر: الآية ١٧.

(٤) سورة آل عمران الآية ٢١ والتوبة: الآية: ٣٤،والانشقاق: الآية ٢٤.

....

قلت: يحتمل أن يريد به أن يرىٰ في منامه ما يتحقّق(١) به إجابة دعوته؛ فإنّ الرؤيا الصالحة مبشّرة.

وقد روي عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله تعالى: «الذين آمنوا وكانوا يتّقون لهم البشرىٰ في الحياة الدّنيا وفي الآخرة»: أنّ البشرىٰ في الدنيا الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن لنفسه أو ترىٰ له، وفي الآخرة بالجنّة، وهي ما تبشّرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنّة يبشّرونهم بها حالاً بعد حال(٢).

وعن أبي الدرداء، سألت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن قول الله تعالى: «لهم البشرىٰ في الحياة الدّنيا»، قال: ما سألني أحدقبلك ،هي الرؤيا الصالحة يرٰها المسلم أو ترىٰ له (٣).

قال بعض العلماء: وإنّما كانت الرؤيا الصالحة توجب البشارة؛ لأنّها دليل صفاء القلب، واتّصال النفس إلىٰ العالم القدسيّ، والاطّلاع على بعض ما هنالك

ويحتمل أن يكون مراده أن يوفّقه سبحانه للاستعداد إلى مشاهدة أحواله وسعادته التي يؤول إليها في الآخرة فيراها بعين بصيرته وهو في هذه الدار، فيتحقّق أنّه سبحانه قد أطلق ربقته وأعتق رقبته وأوجب له أمانه وبلّغه رضوانه. وعبّر عن هذا المعنىٰ با لتبشير؛لما يقتضيه من السرور الذي لاأسرّ منه، ومن هنا قالوا: إنّ العارف وإن كان في الدنيا بجسده، فهو في مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنّة وسعادتها وأحوال النار وشقاوتها، كالذين شاهدوا الجنّة بعين جسمهم وتنعّموا فيها، وكالذين شاهدوا النار وعذّبوا فيها، وهي مرتبة عين اليقين، والله أعلم بمطالب أوليائه ✲.

---

(١) (الف): مايحقّق به. (٢) تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٩١. (٣) الدّرالمنثور: ج ٣ ص ٣١١.

إنَّ ذلِكَ لايَضيقُ علَيكَ فِي وسْعِكَ، وَلاَ يَتَكأدُكَ فِي قُدْرَتِكَ وَلاَ يَتَصَعَّدُكَ في أنَاتِكَ، وَلاَ يَؤُدُكَ فِي جَزِيلِ هِبَاتِكَ الّتي دَلّتْ عَلَيْهَا آيَاتُكَ إنَّكَ تَفْعَلُ ماتَشاءُ وَتَحْكُمُ مَا تُرِيدُ، إنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِير.

هذه الجمل تعليل للدعاء وإجابة المسؤول.

وضاق عليه الأمر: شقّ وتعسّر.

والوسع بالضمّ: الطاقة والقوّة، ومنه «لايُكلّف اللهُ نَفساً إلّا وُسعَها»(١).

وتكأده الأمر على تفاعل وتفعّل،وتصعّده وتصاعده كذلك: اشتدّ عليه وصعب، من قولهم: عقبة كؤود وعقبة صعود أي: صعبة لايجوزها إلّا المخف.

وفي رواية «يتصعّبك» بالباء من الصعوبة.

والأناة: الحلم.

وأده الشيء:ثقل عليه.

وجزل الخطب بالضمّ: إذا عظم وغلظ فهو جزل وجزيل، ثمّ استعير للعطاء، فقيل:أجزل له في العطاء:إذا أوسعه،وهو جزيل العطاء:وسيعه،وله عطاء جزل وجزيل.

والهبة: العطيّة بلاعوض، أصلها وهبه بالكسر، استثقلت الكسرة علىٰ الواو فنقلت إلىٰ العين، ثمّ حذفت الواو، ولزمت تاء التأنيث كالعوض.

والآيات: جمع آية وهي العلامة، يحتمل أن يراد بها هنا الآيات القرآنيّة المتضمّنة لبيان سعة جوده وكرمه، وسمّيت الآية القرآنيّة آية لكونها علامة على صدق من أتىٰ بها، ويحتمل أن يكون المراد بها العلامات والآثار الدالّة على جزيل إحسانه وجميل امتنانه، وهي أكثر من أن تحصىٰ وأوفر من أن تستقصى، كما مرّ بيانه في شرح صدر هذا الدعاء عند قوله عليه السّلام «وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه»(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٨٦.

(٢) مرّ سابقاً ص ١١٤.

....

إنّك تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد: أي تفعل ما تشاء من الأفعال وتحكم ماتريد من الأحكام، حسبما تقتضيه المشيئة والإرادة المبنيّتان على الحِكَم البالغة لايمنعك مانع ولا يعوقك عائق، فيدخل في ذلك -إن شاء وأراد- إبلاغ الداعي مأموله وإيتاؤه مسؤوله، وقد تقدّم الكلام على المشيئة والإرادة والفرق بينهما في الروضة الأولى(١)، فأغنى عن الإعادة.

وقوله: «إنّك على كلّ شيءٍ قدير» تعليل وتقرير لمضمون الجملة قبله، فإنّ القادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل. والقدير: هو الفعّال لما يشاء الحاكم بما يريد، لأنّ الحكم بالقضاء يرجع إلى القدرة، والله أعلم.

هذا آخر الروضة السادسة عشرة من رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، وقد وفقّ الله سبحانه لإتمامها قبيل العصر من يوم الجمعة لاحدى عشرة خلون من ذي القعدة الحرام عام مائة وألف، ولله الحمد.

---

(١) ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٦.

الروضة السابعة عشره

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا ذُكِرَ الشَّيْطَانُ فَاسْتَعَاذَ مِنْهُ وَ مِنْ عَدَاوَتِهِ وَ كَيْدِهِ

اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَ مَكَائِدِهِ وَ مِنَ
الثِّقَةِ بِأَمَانِيِّهِ وَ مَوَاعِيدِهِ وَ غُرُورِهِ وَ مَصَائِدِهِ وَ أَنْ يُطْمِعَ نَفْسَهُ
فِي إِضْلَالِنَا عَنْ طَاعَتِكَ وَ امْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِكَ أَوْ أَنْ يَحْسُنَ عِنْدَنَا
مَا حَسَّنَ لَنَا أَوْ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرَّهَ إِلَيْنَا اَللّٰهُمَّ اخْسَأْهُ عَنَّا بِعِبَادَتِكَ
وَ اكْبِتْهُ بِدُءُوبِنَا فِي مَحَبَّتِكَ وَ اجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ سِتْراً لَا يَهْتِكُهُ
وَ رَدْماً مُصْمَتاً لَا يَفْتُقُهُ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ اشْغَلْهُ عَنَّا
بِبَعْضِ أَعْدَائِكَ وَ اعْصِمْنَا مِنْهُ بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ وَ اكْفِنَا خَتْرَهُ
وَ وَلِّنَا ظَهْرَهُ وَ اقْطَعْ عَنَّا إِثْرَهُ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ أَمْتِعْنَا
مِنَ الْهُدَى بِمِثْلِ ضَلَالَتِهِ وَ زَوِّدْنَا مِنَ التَّقْوَى ضِدَّ غَوَايَتِهِ وَ
اسْلُكْ بِنَا مِنَ التُّقَى خِلَافَ سَبِيلِهِ مِنَ الرَّدَى اَللّٰهُمَّ لَا تَجْعَلْ
لَهُ فِي قُلُوبِنَا مَدْخَلًا وَ لَا تُوطِنَنَّ لَهُ فِيمَا لَدَيْنَا مَنْزِلًا اَللّٰهُمَّ وَ مَا
سَوَّلَ لَنَا مِنْ بَاطِلٍ فَعَرِّفْنَاهُ وَ إِذَا عَرَّفْتَنَاهُ فَقِنَاهُ وَ بَصِّرْنَا مَا نُكَائِدُهُ
بِهِ وَ أَلْهِمْنَا مَا نُعِدُّهُ لَهُ وَ أَيْقِظْنَا عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ بِالرُّكُونِ إِلَيْهِ
وَ أَحْسِنْ بِتَوْفِيقِكَ عَوْنَنَا عَلَيْهِ اَللّٰهُمَّ وَ أَشْرِبْ قُلُوبَنَا إِنْكَارَ

عَمَلِهِ وَالْطُفْ لَنا فِي نَقْضِ حِيَلِهِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَوِّلْ
سُلْطانَهُ عَنّا وَاقْطَعْ رَجاءَهُ مِنّا وَادْرَأْهُ عَنِ الْوُلُوعِ بِنا اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ آباءَنا وَاُمَّهاتِنا وَاَوْلادَنا وَاَهالِيَنا وَذَوِي
اَرْحامِنا وَقَراباتِنا وَجِيرانَنا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ مِنْهُ فِي حِرْزٍ
حارِزٍ وَحِصْنٍ حافِظٍ وَكَهْفٍ مانِعٍ وَاَلْبِسْهُمْ مِنْهُ جُنَناً واقِيَةً وَ
اَعْطِهِمْ عَلَيْهِ اَسْلِحَةً ماضِيَةً اَللّٰهُمَّ وَاعْمُمْ بِذٰلِكَ مَنْ شَهِدَ
لَكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَاَخْلَصَ لَكَ بِالْوَحْدانِيَّةِ وَعاداهُ لَكَ بِحَقِيقَةِ
الْعُبُودِيَّةِ وَاسْتَظْهَرَ بِكَ عَلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الرَّبّانِيَّةِ اَللّٰهُمَّ
احْلُلْ ما عَقَدَ وَافْتُقْ ما رَتَقَ وَافْسَخْ ما دَبَّرَ وَثَبِّطْهُ اِذا عَزَمَ وَانْقُضْ ما
اَبْرَمَ اَللّٰهُمَّ وَاهْزِمْ جُنْدَهُ وَاَبْطِلْ كَيْدَهُ وَاهْدِمْ كَهْفَهُ وَاَرْغِمْ
اَنْفَهُ اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنا فِي نَظْمِ اَعْدائِهِ وَاعْزِلْنا عَنْ عِدادِ اَوْلِيائِهِ لا
نُطِيعُ لَهُ اِذَا اسْتَهْوانا وَلا نَسْتَجِيبُ لَهُ اِذا دَعانا نَأْمُرُ بِمُناواتِهِ مَنْ
اَطاعَ اَمْرَنا وَنَعِظُ عَنْ مُتابَعَتِهِ مَنِ اتَّبَعَ زَجْرَنا اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ
خاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلىٰ اَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطّاهِرِينَ
وَاَعِذْنا وَاَهالِيَنا وَاِخْوانَنا وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ مِمَّا اسْتَعَذْنا

مِنْهُ وَلَجِّئْنَا مِمَّا اسْتَجَرْنَا بِكَ مِنْ خَوْفِهِ وَاسْمَعْ لَنَا مَا دَعَوْنَا بِهِ وَاَعْطِنَا

مَا اَغْفَلْنَاهُ وَاحْفَظْ لَنَا مَا نَسِيْنَاهُ وَصَيِّرْنَا بِذٰلِكَ فِي دَرَجَاتِ الصَّالِحِيْنَ

وَمَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِيْنَ اٰمِيْنَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله العليّ العظيم، والصّلاة والسّلام علىٰ نبيّه الكريم، المنزل عليه في الذكر الحيكم، «وإمّا يَنْزَغَنَّكَ مِن الشَّيطانِ نَزْغٌ فاستَعِذ بِاللهِ إنّهُ هو السَّميعُ العَليم»(١)، وعلىٰ آله الداعين الى الدين القويم الهادين إلىٰ الصراط المستقيم.

وبعد فهذه الروضة السابعة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، إملاء العبد الراجي فضل ربّه السنيّ علي صدرالدين الحسينيّ الحسنّي، شرح الله صدره ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٠.

شرح الدعاء السابع عشر

وكان من دعائه عليه السّلام في الاستعاذة من الشيطان وكيده:

الاستعاذة: طلب العوذ، وهو الالتجاء أو الاعتصام أو التحصّن.

والشيطان: فيعال من الشطن وهو البعد؛ لبعده عن الله تعالىٰ أو عن الخير، يريد إبعاده المتقرّب إلى الله لكونه ابعد من أجله، أو فعلان من الشيط وهو البطلان والهلاك والاحتراق؛ لأنّه باطل في نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من ابطل من أجله هالك باللعنة، يريد إهلاك من لعن لأجله، محترق غضباً عليه إذا راه يتقرّب إلىٰ ربّه، والمستعاذ منه وسواسه وإغواؤه وجميع شروره، بل نفسه لأنّه بذاته شرّ يستعاذ منه. وهنا مسائل لابأس بالتعرّض لها.

الأولىٰ: اختلف في وجود الشياطين، فأنكره قوم لوجوه.

الأوّل: لوكانت موجودة فإمّا أن تكون أجساماً لطيفة أو كثيفة، وكلاهما باطل.

أمّا الأوّل فلأنّه يلزم أن لا تقدر على الأعمال الشاقّة التي ينسبها إليهم المثبتون؛ ولوجب أن تتلا شىٰ وتتمزّق بأدنىٰ قوّة وسبب يصل إليها من خارج كالريح العاصفة، وهو خلاف ما يعتقده المثبتون.

....

وأمّا الثاني فلأنّه يوجب أن يراهم كلّ من كان سليم الحسّ لكنّا لانراهم؛ ولوجوّزنا أجساماً كثيفة لانراها لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وتلال لانراها، وبُوقات وطبول لانسمعها، وهو سفسطة محضة.

والجواب: أنّ لطفها بمعنى الشّفافية أعني عدم اللون، فلا يلزم أحد الأمرين؛ لجواز أن يقوى الشفّاف الذي لالون له على الأعمال الشاقّة ولاينفعل بسرعة، ومع ذلك فلا نراها، ألا ترى أنّ الريح تدحرج الأحجار العظيمة من الشواهق، وتكسّر الأشجار الباسقة، وتخرّب العمارات الهائلة، مع كمال لطافتها؟

وبالجملة: فإذا أردتم باللطافة الشّفافية، فنختار أنّها لطيفة ولا يلزم عَدَم قوّتها، وإن(١) أردتم بها سرعة الانفعال والانقسام ورقّة القوام، فنختار أنّها غير لطيفة ولايلزم رؤيتها كالأفلاك، كيف؟ وقد يفيض عليها القادر المختار - مع لطافتها ورقتها - قوّة عظيمة؛ فإنّ القوّة لاتتعلّق بالقوام في الرقّة والغلظ، ولا بالجثّة في الصغر والكبر، ألا ترى أنّ قوام الإنسان دون قوام الحديد والحجر، ويرى بعضهم يفتل الحديد ويكسر الحجر ويصدر منه ما لايمكن أن يسند إلى غلظ القوام؟ ونرى الحيوانات مختلفة في القوة اختلافاً ليست بحسب اختلاف القوام والجثّة، كما في الأسد مع الحمار.

الثاني: لوكان لها وجود في العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم العداوة والصداقة وليس كذلك، وأهل التعزيم إذا تابوا من صنعتهم يكذّبون أنفسهم فيما ينسبون إليهم. ومجال المنع في هذا الوجه لايخفى ضعفه؛ لثبوت الاختلاط والعداوة منهم بالنسبة إلى كثيرين، قال تعالى: «وإذْ صَرفنا إليكَ نَفَراً مِن الجِنّ»(٢)، «ومِن الجِنّ مَنْ يَعملُ بينَ يدَيه»(٣).

---

(١) (الف): وإذا.
(٢) سورة الأحقاف: الآية ٢٩.
(٣) سورة سبأ: الآية ١٢.

....

وقال عليه السّلام: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم(١).

وقد تواترت الأخبار برؤية جمّ غفير من الأنبياء صورته وسماعهم صوته، وأيضاً فقد علم من سنّة الله أنّه لايفعل شيئاً إلّا بسبب يخصّه، ولهذا إذا استنارت حيطان البيت واسودّ سقفه علم أنّ سبب الإستنارة غير سبب الاسوداد، فكذلك أسباب استنارة القلب واسوداده يقع فيه أفكار وأذكار يستبصر بها تارةً ويتحيّر أُخرىٰ فالمبصر مَلَكٌ خلق لإفاضة المنافع في العاقبة وكشف الحقّ والوعد بالمعروف، والمحيّر شيطان خلق لضدّ ذلك.

الثالث: أنّ وجودهم يخلّ بالوثوق بالمعجزات؛ إذ يجوز أن يقال كلّما أتىٰ به الأنبياء فإنّما(٢) حصل بإعانة الجن أو الشياطين، فمن الجائز أن حنين الجذع كان بسبب نفوذ جنّي أو شيطان في الجذع، وكلّ فرع ادّىٰ إلىٰ إبطال الأصل فهو باطل.

والجواب: أن الفرق بين المعجزة وغيرها ينفي الجواز المذكور كما قرّر في محلّه، والدليل الدالّ علىٰ صحّة نبوّة الأنبياء يدلّ علىٰ صدق أخبارهم، ومن جملة ما أخبروا به وجود الجنّ والشياطين فصحّ وجودهم.

الثانية: اختلف المثبتون لوجود الشياطين والجنّ في حقيقتهم. فقال المتكلّمون: هي أجسام شفّافة تتشكّل بأيّ شكل شاءت، وتقدر علىٰ الولوج في بواطن الحيوانات، وتنفذ في منافذها الضيّقة نفوذ الهواء المستنشق، وظاهر بعض الأخبار يعضد هذا القول.

وقال قوم: هي النفوس الأرضيّة المدبّرة للعناصر.

وقيل: هي النفوس الناطقة التي فارقت أبدانها، فالخيّرة منها تتعلّق بالنفوس

---

(١) سفينة البحار: ج ١ ص٦٩٨، الجامع الصغير: ج ١، ص ٨٢.

(٢) (الف) وإنّما.

....

الخيّرة المتعلّقة بالأبدان نوعاً من التعلّق، فتعينها وتمدّها علىٰ الخير والسداد وهي الجنّ والشرّيرة منها تتعلّق بالنفوس الشرّيرة، وتعاونها علىٰ الشرّ والفساد وهي الشياطين.

وقيل: هي نفوس مجرّدة، تتصرّف بالتعلّق، وتدرك بآلة هي كرة الأثير وأوّل به خلقهم من نار.

وقال جمهور الفلاسفة: إن الشيطان عبارة عن الوهم المعارض للعقل، وجنوده سائر القوىٰ التابعة له في معارضة العقل في اشخاص الكفّار والفاسقين عن أوامر الله سبحانه، والوهم رئيس القوىٰ البدنيّة، فهي إذن ـ معارضتها للعقل ومتابعتها له ـ جنود إبليس وقبيله. قالوا: والمراد بكونه خلق وقبله من نار، أنّ الأرواح الحاملة لهذه القوىٰ أجسام لطيفة تتكوّن عن لطافة الاخلاط، وهي حارّة جدّاً مائلة إلى الأفراط، والناريّة والهوائيّة عليها أغلب، وتولّدها عنها أسهل، وهي أحرّ أجزاء البدن، وكذلك القلب الذي هو منبعها، فكانت تلك الأرواح كالأبدان لهذه القوىٰ فلذلك نُسبوا إلىٰ النار.

الثالثة: قد يسأل وجه الحكمة في خلق الشيطان وتسليطه على آدم وذريّته، وهي مسألة مهمّة لا بأس بذكر ما حضرنا فيها.

فنقول: نقل الشهرستاني في كتاب الملل والنحل: أنّ أوّل شبهة وقعت في البريّة شبهة إبليس لعنه الله، مصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النصّ واختياره الهوىٰ في معارضة الأمر، واستكباره بالمادّة التي خُلِقَ منها وهي النار على مادّة آدم وهي الطين، وانشعبت هذه الشبهة سبع شبهات، وسرت في أذهان الناس حتّىٰ صارت مذاهب بدعة وضلال، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة، ومذكورة في التوراة ومتفرّعة علىٰ شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه، قال ـ كما نقل عنه ـ: إنّي سلّمت أنّ الباري تعالىٰ إلهي

....

وإله الخلق، عالم قادر، وأنّه مهما أراد شيئاً قال له كن فيكون، وهو حكيم في فعله، إلّا أنّه يتوجّه علىٰ وجه حكمته أسئلة، قال الملائكة: ماهي وكم هي؟ قال لعنه الله: هي سبع:

الأُولىٰ منها: أنّه علم قبل خلقي أنّه أي شيء يصدر عنّي ويحصل منّي، فلِمَ خلقني أوّلاً؟ وما الحكمة في خلقه إيّاي؟

الثانية: إذ(١) خلقني علىٰ مقتضىٰ إرادته ومشيّته فلِمَ كلّفني بمعرفته وطاعته؟ وما الحكمة في التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرّر بمعصية؟

الثالثة: إذ(٢) خلقني وكلّفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت، فلِمَ كلّفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة في هذا التكليف علىٰ الخصوص، بعد أن لايزيد ذلك في معرفتي وطاعتي؟

الرابعة: إذ خلقني وكلّفني على الإطلاق، وكلّفني بهذا التكليف علىٰ الخصوص، فإذ لم أسجد فلِمَ لعنني وأخرجني من الجنّة؟ وماالحكمة في ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحاً إلّا قولي لا أسجد إلّا لك؟

الخامسة: إذ خلقني وكلّفني مطلقاً وخصوصاً فلم أطع فلعنني وطردني، فلِمَ طرقني إلى آدم؟ حتّىٰ دخلت الجنّة ثانياً وغدرته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهيّ عنها وأخرجه من الجنّة معي، وماالحكمة في ذلك بعد أنّه لومنعني من دخول الجنّة استراح منّي آدم وبقي خالداً فيها؟.

السادسة: إذ خلقني وكلّفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثمّ طرقني إلىٰ الجنّة وكانت الخصومة بيني وبين آدم، فلِمَ سلّطني علىٰ أولاده حتّىٰ أراهم من حيث لايروني، وتؤثّر فيهم وسوستي ولايؤثّر حولهم وقوّتهم وقدرتهم واستطاعتهم؟ وماالحكمة

---

(١) و(٢) (الف) لوخلقني.

....

في ذلك بعد أن لوخلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشون طاهرين سامعين مطيعين كان أحرىٰ بهم وأليق بالحكمة؟.

السابعة: سلّمت هذا كلّه، خلقني وكلّفني مطلقاً ومقيّداً، فإذ لم أُطع لعنني وطردني، وإذ أردت دخول الجنّة مكّنني وطرقني، إذ عملت عملي أخرجني، ثمّ سلّطني على بين آدم، فلِمَ إذ(١) استمهلته أمهلني فقلت: «انظرني،إلى يومِ يُبعثون * قالَ إنّكَ مِن المنظَرينَ * إلى يومِ الوَقتِ المعلومِ»(٢)؟ وماالحكمة في ذلك بعد أن لوأهلكني في الحال استراح الخلق منّي ومابقي شرّ مافي العالم؟ أليس بقاء العالم على بقاء الخير خيراً من امتزاجه بالشرّ؟

قال: فهذه حجّتي علىٰ ما أدّعيه في كلّ مسألة.

قال شارح الإنجيل: فأوحىٰ الله إلىٰ الملائكة عليهم السّلام قولوا له: إنّك في تسليمك الأوّل أنّي إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص؛ إذلو صدّقت أنّي إله العالمين ما حكمت عليّ بـ «لِمَ»، فأنا الله لا إله إلّا انا لا أُسأل عمّا أفعل والخلق مسؤولون(٣).

قال الفخر الرازي: لواجتمع الأوّلون والآخرون من الخلائق، لم يجدوا عن هذه الشبهات مخلصاً إلّا الجواب الإلهي(٤) إنتهىٰ.

وتعقّبه بعض المتأخّرين من علمائنا المتبحّرين، فقال: إنَّ غرض الفخر الرازي إثبات مذهب أصحابه، من القول بالفاعل المختار ونفي التخصيص في الأفعال، وذلك ممّا ينسدّ به باب إثبات المطالب بالبراهين، كاثبات الصانع وصفاته وأفعاله وإثبات البعث والرسالة، إذ مع تمكين هذه الإرادة الجزافيّة لم يبق اعتماد

---

(١) (الف) إذا.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٦ و٣٧ و٣٨.

(٣) الملل والنحل: ج ١ ص ١٦- ١٨.

(٤) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج ١ - ٢، ص ٦٦ مامضمونه.

....

علىٰ شيءٍ من اليقينيّات، فيجوز أن يخلق الفاعل المختار بالإرادة التي يعتقدها هؤلاء الجدليّون فينا أمراً يرينا الأشياء لا علىٰ ماهي عليه.

فأقول: إنّ لكل شبهة من هذه الشبهات التي أوردها اللعين جواباً برهانيّاً حقّاً، ينتفع به من له قلب سليم أو ألقىٰ السمع وهو شهيد، ولا ينفع المريض النفس والجدلي الذي غرضه ليس إلّا المماراة والمجادلة، فلا يمكن إلزامه إلّا بضرب من الجدل، ولهذا أُجيب اللعين من قبل الله تعالىٰ بما يسكته، وهو بيان حاله وما عليه من كفره وظلمة جوهره عن إدراك الحقّ كما هو، وأن ليس غرضه في إبداء هذه الشبهات إلّا الاعتراض وإغواء من يتبعه من الجهّال الناقصين، أو الغاوين الذين هم جنود إبليس أجمعين، فقيل له: إنّك لست بصادق في دعواك معرفة الله تعالى وربوبيّته، ولو صدقت فيها لم تكن معترضاً علىٰ فعله.

وأمّا الأجوبة الحِكَميّة عن تلك الشبهات علىٰ التفصيل، لمن هو أهلها ومستحقّها فهي هذه:

أمّا الشبهة الأُولىٰ، وهي السؤال عن الحكمة والغاية في خلق إبليس.

فالجواب عنها: أنّه من حيث إنّه من جملة الموجودات علىٰ الإطلاق، فمصدره وغايته ليس إلّا ذاته تعالىٰ التي تقتضي وجود كلّ ما يمكن وجوده، ويفيض عنها الوجود علىٰ كلّ قابل ومنفعل، وأمّا حيثيّة كونه موجوداً ظلمانيّاً وذاتاً شرّيرةً وجوهراً خبيثاً فليس ذلك بجعل جاعل، بل هو من لوازم هويّته النازلة في آخر مراتب النفوس، وهي المتعلّقة بمادون الأجرام السماويّة، وهو الجرم الناري الشديد القوّة، فلاجرم غلبت عليه الأنانيّة والاستكبار والافتخار والإباء عن الخضوع والانكسار.

وأمّا الشبهة الثانية، وهي السؤال عن حكمة التكليف بالمعرفة والطاعة.

فالجواب عنها: أنّ الغاية في ذلك تخليص النفوس من أسر الشهوات وسجن

....

الظلمات، ونقلها من(١) حدود البهيميّة والسبعيّة إلىٰ حدود الإنسانيّة والملكيّة، وتطهيرها وتهذيبها بنورالعلم وقوّة العمل عن درن الكفر والمعصية ورجس الجهل والظلمة، ولاينافي عموم التكليف عدم تأثيره في النفوس الجاسية والقلوب القاسية، كما أنّ الغاية في إنزال الغيث إخراج الحبوب وإنبات الثمار والأقوات منها، وعدم تأثيره في الصخور القاسية والأراضي الخبيثة لاينافي عموم النزول، والله أجل من أن يعود إليه فائدة في هداية الخلق، كما في إعطائه أصل خلقه، بل هو الذي أعطىٰ كلّ شيءٍ خلقه ثمّ هدىٰ، من غير غرض أو عوض في فضله وجوده.

وأمّا الشبهة الثالثة، وهي السؤال عن فائدة تكليفه بالسجود لآدم والحكمة فيه.

فالجواب عنها: أوّلاً: ينبغي أن يعلم أنّ للّه سبحانه في كلّ مايفعله أو يأمر به حكمةً بل حِكَماً كثيرة؛ لأنّه تعالىٰ منزّه عن فعل العبث والاتّفاق والجزاف، وإن خفي علينا وجه الحكمة في كثير من الأُمور على التفصيل، بعد أن علمنا القانون الكلّي في ذلك علىٰ الإجمال، وخفاء الشيءعلينا لايوجب انتفاؤه، وهذا يصلح للجواب عن هذه الشبهة ونظائرها.

وثانياً: أنّ التكليف بالسجود كان عامّاً للملائكة، وكان هو معهم في ذلك الوقت، فعمّه الأمر بها تبعاً وبالقصد الثاني، لكنّه لمّا تمرّد وعصىٰ واستكبر وأبى، بعد ما اعتقد بنفسه أنّه من المأمورين، صار مطروداً ملعوناً.

وثالثاً: أنّ الأوامر الإلهيّة والتكاليف الشرعيّة ممّا يمتحن به جواهر النفوس ويعلن ما في بواطنهم ويبرز ما في مكامن صدورهم من الخير والشّر والشقاوة، فتتمّ به الحجّة وتظهر المحجّة، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيىٰ من حيّ عن بيّنة.

وأمّا الشبهة الرابعة، وهي السؤال عن لميّة تعذيب الكفّار والمنافقين، وإيلامهم

---

(١) (الف) عن.

....

بالعقوبة، وإبعادهم عن دارالرحمة والكرامة.

فالجواب عنها: أنّ العقوبات الأُخرويّة من الله تعالىٰ ليس باعثها الغضب والانتقام وإزالة الغيظ ونحوها تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وإنّما هي لوازم وتبعات ساق إليها أسباب داخليّة نفسانيّة وأحوال باطنيّة، انتهت إلىٰ التعذيب بنتائجها من الهوىٰ إلىٰ الهاوية، والسقوط في أسفل درك الجحيم، ومصاحبة المؤذيات من العقارب والحيّات وغيرها من المؤلمات. ومثالها في هذا العالم الأمراض الواردة على البدن الموجبة للأوجاع والآلام بواسطة نهمة(١) سابقة، فكما أنّ وجع البدن لازم من لوازم ماساق إليه الأحوال الماضية والأفعال السابقة، من كثرة الأكل أو إفراط الشهوة ونحوهما، من غير أن يكون هاهنا معذِّبٍ خارجي، فكذلك حال العواقب الأُخرويّة ومايوجب العذاب الدائم لبعض النفوس الجاحدة للحقّ المعرضة عن الآيات، وهي «نارُالله الموقدة * الّتي تَطّلِعُ على الأفئدَةِ»(٢). وأمّا التي دلّت عليه الآيات والأخبار الواردة في الكتب الإلهيّة والشرايع الحقّة، من العقوبات الجسمانيّة الواردة على بدن المسيء من خارج - على مايوصف في التفاسير - فهي أيضاً منشأها(٣) أُمور باطنيّة وهيئات نفسانيّة برزت من الباطن إلى الظاهر، وتصوّرت بصور النيران والعقارب والحيّات والمقامع من حديد وغيرها، وهكذا حصول الأجسام والأشكال والأشخاص في الآخرة، كما حقّق في مباحث المعاد الجسماني وكيفيّة تجسّم الأعمال، ودلّ عليه كثير من الآيات، مثل قوله تعالىٰ: «وإنّ جَهَنَّمَ لمحيطَةٌ بالكافِرينَ» (٤) وقوله: «وبُرِّزَتْ الجَحيمُ لمن

---

(١) النهم بتفحتين: إفراط الشهوة، ونَهَم يَنهِمُ - من باب ضرب يضرب -: كثر أكله المصباح المنير: ص ٨٦٤.

(٢) سورة الهمزة: الآية ٦ و٧. (٣) (الف): منشؤها. (٤) سورة التوبة: الآية ٤٩.

....

يرىٰ»(١)، وقوله: «كَلّا لَوتَعلَمونَ عِلْمَ اليَقينَ * لَتَرَوُنَّ الجَحيمَ * ثُمّ لَتَرَوُنَّها عَينَ اليَقين»(٢)، وقوله: «إذا بُعثِرَ مافي القَبور * وحُصِّلَ ما في الصُّدورِ»(٣). ثمّ إذا سلّم معاقِب من خارج فإنّ ذلك أيضاً مصلحة عظيمة؛ لأنّ التخويف والإنذار بالعقوبة نافع في أكثر الأشخاص، والإيفاء بذلك التخويف بتعذيب المجرم المسيء تأكيد للتخويف ومقتضٍ لازدياد النفع، ثمّ هذا التعذيب وإن كان شرّاً بالقياس إلىٰ الشخص المعذّب، لكنّه خير بالقياس إلىٰ أكثر أفراد النوع، فيكون من جملة الخير الكثير الذي يلزم الشرّ القليل، كما في قطع العضو لإصلاح البدن وسائر الأعضاء.

وأمّا الشبهة الخامسة، وهي السؤال عن فائدة تمكين الشيطان من الدخول إلىٰ آدم في الجنّة، حتّىٰ غرّه بوسوسته، فأكل مانهي عنه، فأخرج به من الجنّة.

فالجواب عنها: أنّ الحكمة في ذلك والمنفعة عظيمة؛ فإنّه لوبقي في الجنّة أبداً لكان بقي هووحده في منزلته التي كان عليها في أوّل الفطرة، من غير استكمال واكتساب فطرة أُخرىٰ فوق الأُولىٰ، وإذا هبط إلىٰ الأرض خرج من صلبه أولاد لاتحصىٰ، يعبدون الله ويطيعونه إلىٰ يوم القيامة، ويرتقي منهم عدد كثير في كلّ زمان إلىٰ درجات الجنان بقوّتي العلم والعبادة، وأيّ حكمة وفائدة أعظم وأجلّ وأرفع وأعلىٰ من وجود الأنبياء والأولياء، ومن جملتهم سيّد المرسلين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين؟ ولولم يكن في هبوطه إلىٰ الأرض مع إبليس إلّا ابتلاؤه مدّة الدنيا وإكتسابه درجة الاصطفاء، لكانت الحكمة عظيمةً والخير جليلاً.

وأمّا الشبهة السادسة، وهي السؤال عن وجه الحكمة في تسليطه ـ وهو العدوّ

---

(١) سورة النازعات: الآية ٣٦.

(٢) سورة التكاثر: الآية ٥ و٦و٧.

(٣) سورة العاديات: الآية ٩ و١٠.

....

المبين- علىٰ ذريّة آدم بالإغواء والوسوسة، بحيث يراهم من حيث لايرونه.

فالجواب عنها: أنّ نفوس أفراد البشر في أوّل الفطرة ناقصة بالقوّة، ومع ذلك بعضها خيّرة نورانيّة شريفة بالقوّة، مائلة إلىٰ الأُمور القدسيّة، عظيمة الرغبة إلىٰ الآخرة، وبعضها خسيسة الجواهر ظلمانيّة شرّيرة بالقوّة، مائلة إلىٰ الجسمانيّات، عظيمة في إيثار الشهوة والغضب، فلولم يكن الإغواء ولاطاعة النفس والهوىٰ، لكان ذلك منافياً للحكمة لبقائهم علىٰ طبقة واحدة من نفوس سليمة ساذجة، فلا تتمشّىٰ عمارة الدنيا بعدم النفوس الجاسية(١) الغلاظ العمالة في الأرض لأغراض دنية عاجلة، ألا ترىٰ إلىٰ ماروي من قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: إنّي جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم(٢)، وماروي أيضاً في الخبر: لولا أنّكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون(٣).

وأمّا الشبهة السابعة، وهي السؤال عن الفائدة في إمهاله إلىٰ يوم الوقت المعلوم.

فالجواب عنها: بمثل ماذكرناه؛ فإنّ بقاءه تابع لبقاء النوع البشري بتعاقب الأفراد، وهو مستمرّ إلىٰ يوم القيامة، فكذلك وجب استمراره لأجل أدائه الفائدة التي ذكرناها في وجوده ووجود وسوسته إلىٰ يوم الدين.

وقوله: «أليس بقاء العالم علىٰ الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟» قلنا: فإذاً لم يكن دنيا؛ فالدنيا ممزوجة بالشرّ، ولوكان كلّها خيراً لكان وجودها خيراً من عدمها، لكنّها جسر يعبر به الناس إلىٰ الآخرة ووسيلة إلى الخير الأُخروي والدائم، والعالم الذي لايتطرّق إليه الشرور والآفات عالم آخر إليه رجعىٰ الطاهرات من نفوسنا، وهذا اللعين مع اشتهاره بالعلم في غاية الجهل المركّب بالعناد، كما يظهر

---

(١) جسا الشيء يجسو: إذ يبس وصلُب (المصباح المنير) ص ١٤٠.

(٢) تفسير القرآن الكريم لصدر المتألهين: ج ٦ ص ٩٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم لصدر المتألهين: ج ٦ ص ٩٤.

قال صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطّاهرين: اللّهُمّ إنّا نُعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَكَيْدِهِ وَمَكَائِدِهِ، وَمِنَ الثِّقَةِ بِأَمَانِيِّهِ وَمَوَاعِيْدِهِ وَغُرُورِهِ وَمَصَائِدِهِ.

من إيراده تلك الشبهات، وكلّ من له مرتبة متوسّطة في الحكمة يعلم دفعها وحلّها، فضلاً عن الراسخ القدم في الحكمة، المنشرح الصدر بنورالإيمان والمعرفة.

ومع ذلك ذكر الفخر الرازي -إمام المشككين- مانقلناه عنه: أنّه لو إجتمع الخلائق كلّهم لم يجدوا مخلصاً عن هذه الشّبهات، إلّا بما سمّاه الجواب الإلهي من القول بإبطال الحكمة وإنكار الغايةونفي المرجّح والسبب الذاتي لوجود الأشياء شغفاً بمذهب أصحابه وترويجاً له، من القول بالفاعل المختار والإرادة الجزافيّة؛ وذلك لقصوره وقصورهم عن إدراك الحكمة العليّة، وعجزهم عن دفع الأوهام والشبهات في الأُمورالعقليّة، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

الرابعة: قديقال: إنّ الشيطان ليس له سلطان علىٰ عبادالله المخلصين؛ لقوله تعالىٰ: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان»(١)، وقول الشيطان: «إلّا عبادك منهم المخلصين»(٢)، فما الفائدة في أمره سبحانه سيّد أنبيائه وأخلص أصفيائه بقوله: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم»(٣)، وقوله: «قُلْ أعُوذُ بربّ الناس»(٤)؟ وكيف استعاذمنه سائر الأنبياء والمرسلين والأئمّة المعصومين؟.

والجواب: أنّ الكلام في صحّة الاستعاذة كالكلام في سائر الأدعية والعبادات التي جعلها الله سبباً وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد، فجعل الاستعاذة سبباً لدفع سلطان الشيطان كما جعل الدعاء والعبادة سبباً لجلب رضوان الرحمن *

آثر عليه السّلام صيغة المتكلّم مع غيره في الاستعاذة، إشعاراً باشتراك سائر

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٢.
(٢) سورة ص: الآية ٨٣.
(٣) سورة النحل: الآية ٩٨.
(٤) سورة الناس: الآية ١.

....

الموحّدين له في وجوب الاستعاذة به تعالىٰ، أو تعميماً للسعي في إصلاح حاله وحال جميع أهل ملّته، أو ملاحظة دخول جميع قواه وحواسّه الظاهرة والباطنة، وصيغة المضارع للدلالة علىٰ الإستمرار.

والنزغات: جمع نزغة، وهي فعلة من النزغ، يقال: نزغ الشيطان بين القوم ـ من باب نفع ـ أي: أفسد، ونزغه الشيطان أيضاً: وسوس إليه.

وقيل: النزغ الإزعاج بالإغواء، وأكثر مايكون ذلك عند الغضب، وأصله الإزعاج بالحركة.

وقال الزجّاج: النزغ أدنىٰ حركة تكون، ومن الشيطان أدنىٰ وسوسة(١).

وقال الزمخشري في الأساس: نزغ فلاناً مثل نسغه إذا طعنه ونخسه، ومن المجاز: نزغه الشيطان، كأنّه ينخسه ليحثّه علىٰ المعاصي، ونزغ بين الناس أفسد بينهم بالحثّ علىٰ الشرّ(٢).

والألف واللام في «الشيطان»: للجنس؛ ليفيد الاستعارة من هذاالجنس مطلقا مرئيّا أو غير مرئي؛ ولذلك جمع ضميره في قوله تعالىٰ: «إنّ الّذينَ آتّقو إذا مَسّهُم طائِفٌ من الشّيطانِ تَذَكّروا فإذا هُم مُبصِرونَ *وإخوانُهم يَمدّونَهم في الغَيّ ثُمّ لايُقْصِرُونَ»(٣)، أي: إخوان الشياطين، فأعاد الضمير جمعاً باعتبار الجنس؛ لأنّ الجنس يدلّ علىٰ الكثرة باعتبار أنّه مفهوم كلّي لايمنع شركة الكثير فيه، ولاينافي ذلك إفراد ضميره في الدعاء ولا وصفه بالمفرد؛ لأنّه باعتبار اللفظ، هذا. ولوجعل الألف واللام للعهد جاز، ويدخل جنده فيه تبعاً.

والرجيم: فعيل من الرجم، وهو لغة الرمي بالحجارة، ووصف به الشيطان لأنّه

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٥١٢.

(٢) أساس البلاغة ص ٦٢٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠١ و ٢٠٢.

....

يرمي بالسبّ والشهب.

والكيد: السعي في فساد الحال علىٰ جهة الاحتيال.

وقيل: هو إرادة متضمّنة لاستتار مايراد عمّن يراد به، لكن أكثر مايستعمل ذلك في الشّر.

والمكائد: جمع مكيدة، وهي اسم من كاده يكيده. وعطفه علىٰ كيده للتنصيص علىٰ أنواعه المختلفة.

ووثق به يثق بكسرهما ثقةً ووثوقاً: أئتمنه وأطمأنّ إلىٰ قوله. والأمانيّ بالتشديد وقد يخفّف: جمع أُمنية، أصلها امنوية علىٰ افعولة، قلبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء، وهي اسم من تمنّى الشيء إذا طلب حصوله ممكناً كان أو ممتنعاً، وقد يطلق علىٰ حديث النفس بما يكون ومالايكون، وأصله من منىٰ الشيء كرمى بمعنى قدّره؛ لأنّ المتمنّي يقدّر حصول مايتمنّاه.

والمراد بأماني الشيطان الأهواء الباطلة التي يلقيها في قلب الإنسان، فيمنّيه طول البقاء، وأنّه ينال من الدنيا مقصوده، ويستولي علىٰ أعدائه، ويوقع في نفسه أنّ الدنيا دول فربّما تيسّرت لي كما تيسّرت لغيري، ويشوّش بذلك فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهويّة والغضبيّة، فيصدّه عن الطاعة ويلقيه في المعصية وتسويف التوبة.

والمواعيد: جمع ميعاد مصدر بمعنىٰ الوعد، نصّ عليه الزمخشري في الأساس، قال: قد أخلف وعده وعدته وموعده وموعوده وميعاده، وهذا الوقت والمكان ميعادهم(١) إنتهىٰ.

فيكون الميعاد مصدراً، واسم زمان، واسم مكان، أو مصدر بمعنىٰ المواعدة.

---

(١) اساس البلاغة: ص ٦٨٢.

....

نصّ عليه الجوهري في الصحاح، قال: الميعاد: المواعدة والوقت والموضع(١).

لايقال: المواعدة إنّما تكون من الطرفين، والمستعاذ منه إنّما هو وعد الشيطان.

لأنّا نقول: الطاعة في القبول من الموعود بمنزلة المواعدة، فكأنّه استعاذ من وعد الشيطان والطاعة له في قبول وعده، فهو كقوله تعالىٰ: «وواعَدْنا موسىٰ»(٢).

قال أبو إسحاق: لما كانت الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة فهو من الله وعد، ومن موسىٰ قبول واتّباع يجري مجرى المواعدة(٣).

ويحتمل أن يكون المواعيد جمع موعود أو موعودة مصدرين بمعنىٰ الوعد.

قال ابن سيده في المحكم: وهو من المصادر التي جاءت على مفعول ومفعولة(٤).

قال ابن جني: وممّا جاء من المصادر مجموعاً معمولاً قوله: مواعيد عرقوبٍ أخاه بيثرب. (٥)

والوعد من الشيطان إمّا بإلقاء الخواطر الفاسدة، أو بألسنة أوليائه من شياطين الجنّ والإنس. فمن مواعيده الباطلة أن يعد الغفران مع ارتكاب الكبائر، كما قال تعالى: «يأخُذونَ عَرَضَ هٰذا الأدنىٰ ويقولونَ سيُغفَرلَنا»(٦)، وربّما وعد من لايقين له بأنه لاقيامة ولاحساب ولاجزاء ولاعقاب، فاجتهدوا في استيفاء اللذّات العاجلة واغتنموا فرصة الحياة الزائلة. ولقد سمعت بعض من كان علىٰ ظاهر الإسلام يقول: إنّه لم يأتنا ممّن مات خبر نتحقّق معه أمر الحساب والعقاب، وإنما هو شيء يقال، فلاينبغي للعاقل أن يترك لذّاته الدنيويّة خوفاً من أمر غير متحقّق، فربّما إذا مات لم يجد ممّا خافه شيئاً، أليس يكون قد فاته من لذّات الدنيا مالا يمكنه تلافيه؟ فنهيته عن مثل هذا الكلام فأعرض عنّي. ومن مواعيد الشيطان الكاذبة

(١) الصحاح: ج ٢ ص ٥٥٢. (٢) سورة البقرة: الآية ٥١.

(٣) الجامع لاحكام القرآن: ج ١ ص ٣٩٤.

(٤) و (٥) المحكم لابن سيده: ج ٢ ص ٢٣٦. (٦) سورة الأعراف: الآية ١٦٩.

وأنْ يُطْمِعَ نَفْسَهُ فِي إضْلاَلِنَا عَنْ طَاعَتِكَ وامْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِك ،أوْأن

ما أخبرنا به الله سبحانه في قوله: «الشّيطانُ يَعِدُكُم الفَقْر»(١)؛ فإنّ وعده بالفقر من خفيّ حيله.

وبيانه: أنّه لمّا كان البخل صفة مذمومة عند كلّ أحد، لم يمكنه أن يجرّه ابتداءً إليها، إلّا بتقديم مقدّمة هي الوعد بالفقر، ليمسك عن إنفاق الجيّد من ماله، فإذا أطاعه زاد، فيمنعه من الإنفاق بالكليّة، وربّما تدرّج إلىٰ أن يمنع الحقوق الواجبة، فلا يؤدّي الزكاة ولا يصل الرحم ولايردّ الوديعة، فإذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب من قلبه، ويتّسع الخرق فيقدم علىٰ المعاصي كلّها.

والغرور إيهام النفع فيما فيه ضرر.

وقيل: هو استغفال النفس وإمالتها إلىٰ مايوافق الهوىٰ ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة، وغرور الشيطان يعود إلىٰ إيهام النفع فيما يخالف أمرالله تعالىٰ بالوسوسة، كما فعل بآدم عليه السّلام حسبما حكاه الله سبحانه بقوله: «فوَسْوَسَ إليه الشّيطانُ قالَ يا آدمُ هَلْ أدلّك علىٰ شَجَرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لايَبْلىٰ»(٢).

والمصايد: جمع مصيدة بكسر الميم وسكون الصاد، وهي آلة الصيد.

والمراد بها هنا الشهوات واللذّات الدنيويّة، استعار لها لفظ المصايد؛ لمشابهتها إيّاها في استلزام الحصول فيها للبُعد عن السلامة والحصول في العذاب. وقد وقع في أكثر النّسخ همز المكائد والمصائد، وقد علمت فيما سبق أن حرف العلّة الواقعة بعد الألف في مثل هذا الجمع إذا كانت أصليّة لم تقلب همزة، وما سمع من ذلك مهموزاً فضعيف كهمز معائش، والصواب ما وقع في نسخة ابن إدريس رحمه الله من ضبطهما بالياء من غير همز.

أطمع نفسه في الشيء :قدّر في نفسه حصوله. والغرض سؤال إخلاصه سبحانه

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٨. (٢) سورة طه: الآية ١٢٠.

يَحْسُنَ عِنْدَنَا مَا حَسَّنَ لَنا، أو أنْ يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرَّهُ إِلَيْنَا.

اللّهُمَّ اْخْسَأْهُ عَنّا بِعِبادَتِكَ، واكْبِتْهُ بِدُؤُبِنَا فِي مَحَبَّتِكَ، واْجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ سِتْراً لايَهْتِكُهُ، وَرَدْماً مُصْمَتاً لايَفْتُقُهُ.

له بطاعته وتخليصه من ربق الأهواء؛ ليكون من عباده المخلصين، الذين علم إبليس أنّ كيده لايؤثّر فيهم، فلم يحدّث نفسه بإضلالهم، فاستثناهم من جملة بني آدم، حيث قال: «فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهم أجمَعينَ * إلّا عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِين» (١).

والامتهان: افتعال من المهن، مهن مهناً ـ من بابي قتل ونفع ـ قدّم غيره، وامتهنه: استخدمه.

وحسن الشيء عنده يحسن بالضمّ فيهما: لاءم طبعه، وحسّنه له تحسيناً: زيّنه حتّىٰ مال إليه طبعه.

والثقل: في الأصل للحمل، يقال: ثقل عليه الحمل بالضمّ يثقل ثقلاً كعنب ويسكّن، ثمّ توسّع فيه واستعمل في كلّ مالا يلائم الطبع.

وكرّه إليه الشيء: قبّحه له. وفي ذلك إشارة إلى مايدعو إليه الشيطان من وجوه الشرّ؛ فإنّه يُحسِّن للإنسان معاصي الله تعالى، ويُكرِّه إليه طاعاته، فيُخيِّل إليه حصر اللذّات في الشهوات والجاه، حتّىٰ ينفق ماله في المحرّمات، ويخوّفه بالفقر حتّىٰ يمنع الزكاة، ويسهل عليه تحمّل المشاقّ في طلب الدنيا، ويثقل عليه القيام إلىٰ الصلاة، ويحسّن إليه إمضاء الغضب، ويريه أنّ كظم الغيظ عجز وذلّة، وله أبواب يطول شرحها *.

خسأ الكلب ـ من باب نفع ـ خسأً وخسوءً طرده.

وكبت الله العدوّ ـ من باب ضرب ـ: ردّه بغيظه وأهانه، وكبته أيضاً: صرعه وأخزاه وصرفه وكسره وأهلكه.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٣٩ و ٤٠.

....

ودأب الرجل في العمل -من باب نفع- دؤباً: اجتهد فيه.

وهتك الستر- من باب ضرب- هتكاً: هو أنّ يجذبه حتّىٰ ينزعه من مكانه، أو يشقّه حتّىٰ يظهر ماوراءه.

والردم: الحاجز الحصين.

وقال ابن عبّاس: الردم أشدّ الحجاب(١).

وقيل: هو السدّ المتراكم بعضه فوق بعض يقال: ثوب مُردِم أي فيه رقاع فوق رقاع.

وشيء مصمت: لا جوف له، وباب مصمت: مغلق.

وفتقت الثوب فتقاً -من باب قتل-: نقضت خياطته حتّىٰ فصلت بعضه من بعض.

واعلم أنّه لما كان العبد لايستقلّ بمقاومة الشيطان؛ لمعارضة الوهم والخيال والعقل، وجذب سائر القوىٰ إلىٰ عالم السفل، لم يكن له بدّ من أن يفزع إلىٰ من سلّطه عليه إبتلاء، ليعيده منه ومن دواعيه، وأن يطرده عنه ويردّه ويحول بينه وبينه، ثمّ لـمّا كان خسأ الشيطان وطرده لايمكن إلّا بقهر الوهم وسائر القوىٰ البدنيّة عن مقتضيّات طباعها، وكانت عبادته تعالىٰ أعظم ما قهر به ذلك،لمّا اشتملت عليه من الأوامر والنواهي الإلهيّة الموجبة لانقهارالنفس وانقيادهاز توسّل إليه سبحانه في أن يخسأ الشيطان بالتوفيق لعبادته؛ ولمّا كانت محبّة الشيء موجبةً لعدم التفات المحبّ إلىٰ غيره كائناً من كان، فضلاً من عدوّه الذي يروم صرفه عنه، ومستلزمةً لعداوة عدوّ المحبوب، وكان ذلك موجباً لكبت العدوّ، سأله سبحانه أن يكبته بالتوفيق للاجتهاد في محبّته.

---

(١) الدّر المنثور: ج ٤ ص ٢٥١ وفيه «كأشدّ الحجاب».

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاشْغَلْهُ عَنّا بِبَعْضِ أعْدائِكَ، واعْصِمْنا مِنْهُ بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ، وَاكفِنا خَتْرَهُ، وَوَلِّنا ظَهْرَهُ، واقْطَعْ عَنّا إثْرَهُ.

روي في خبر: أنّ الشيطان قال: يا ربّ إنّ عبادك يحبّونك ويعصونك، ويبغضوني ويطيعوني، فأُجيب بأنّي قد عفوت عنهم ما أطاعوك بما أبغضوك، وقبلت منهم إيمانهم وإن لم يطيعوني بما أحبّوني(١).

والمراد بالستر والردم المسؤولين، إمّا تقوىٰ الله تعالىٰ والإخلاص في طاعته؛ فإنّ دواعي الشيطان تضمحلّ عندهما، فلا ينفذ فيهما كيده ولايطيق نقضهما أيده، وإمّا **ستر وردم ملكوتيان يحولان بينه وبين الشيطان، فلا يخطر للشيطان معهما إغواء وإضلال، كما جعل بين رسوله صلّى الله عليه وآله وبين أعدائه حجاباً مستوراً عند قراءة القرآن، حيث قال سبحانه: «وإذا قرأت القُرانَ جَعلنا بَيْنَك وبينَ الّذين لايؤمنونَ بالآخرة حِجاباً مَستوراً»(٢)** *.

شغلت زيداً بكذا ـ من باب نفع ـ: جعلته له شغلاً، وشغلني الأمر: صار لي شغلاً. ولمّا كان الشغل لايتعلّق بالذوات تحتّم هنا تقدير مضاف، أي: اشغله عنّا بملازمة بعض أعدائك. وفي هذه الفقرة من البديع الإدماج وهو أنّ يضمّن المتكلّم كلاماً ساقه لمعنىٰ معنىً آخر، بشرط أن لايشعر في كلامه بأنّه مسوق لأجله، كقوله تعالىٰ «وله الحمد في الأُولىٰ والآخرة»(٣)؛ فإنّه مسوق لتفرّده تعالىٰ بوصف الحمد، وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء وهكذا عبارة الدعاء؛ فإنّها سيقت لسؤال شغل الشيطان عنه حتّى لايشتغل به، وأدمج فيها الدعاء علىٰ أعداء الله سبحانه.

---

(١) الكشكول: ج ٣ ص ٦٣ طبع طهران مؤسسة فراهاني.

(٢) سورة الإسراء: الآية: ٤٥.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٠.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وأَمْتِعْنَا مِنَ الهُدىٰ بِمِثْلِ ضَلاَلَتِهِ، وَزَوِّدْنا مِنَ التَّقْوىٰ ضِدَّ غِوايَتِهِ، واسْلُكْ بِنَا مِنَ التُّقَىٰ خِلافَ سَبِيْلِهِ مِنَ الرَّدىٰ.

وعصمه الله من المكروه ـ من باب ضرب ـ حفظه ووقاه ومنعه.

والرعاية بالكسر: اسم من يرعاه بمعنىٰ حفظه.

وكفاه الله السوء يكفيه: دفعه عنه.

والختر: الخديعة، وأقبح الغدر.

والتولية: جعل الشيء يلي غيره، يقال: ولاّه ظهره إذا جعله يليه، وهو كناية عن الانهزام؛ لأنّ المنهزم يجعل ظهره ممّا يلي المنهزم عنه، ومنه قوله تعالى: «وإنْ يُقاتِلوكُم يُوَلُّوكُم الأدبارَ ثُمّ لايُنصَرُونَ»(١)، فقوله عليه السّلام: «وولّنا ظهره» أي: اهزمه عنّا.

والاثر بالتحريك وبالكسر ساكناً: وسم رجل الماشي في الأرض، وهو كناية عن سؤاله منعه من وصوله إليه؛ لأنّه إذا لم يصل إليه انقطع مشيه إليه فانقطع أثره.

أمتعه الله بكذا ومتّعه بالتثقيل: أطال له الانتفاع به، ووجه المثليّة الثبوت والدوام والكثرة، أي: أمتعنا من الهدىٰ بهدىٰ ثابت دائم كثير، مثل ثبوت ضلالته ودوامها وكثرتها.

والزاد: طعام المسافر المتّخذ لسفره، وزوّدته: أعطيته زاداً.

ولمّا كان التقوىٰ ممّا تتقوىٰ به النفس على الوصول إلىٰ جناب القدس في السفر الأُخروي، كما تتقوىٰ الطبيعة بالزاد علىٰ الحركة الحسّية في السفر الدنيويّة، استعار لها لفظ الزاد.

والضدّ بالكسر: المثل، والمخالف ضدّ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١١.

....

قال أبوعمرو: الضّد مثل الشيء،والضدّ خلافه(١).

وهوهنا محتمل للمعنيين، فإن جعلته بمعنىٰ المثل كان وجه الشبه ماذكرناه في الفقرة الأُولىٰ، وإن جعلته بمعنىٰ الخلاف كان المعنىٰ وزوّدنا من التقوىٰ تقوىً مخالفة لغوايته في جميع الأحوال، فإذا أوجبت غوايته الهلاك أوجبت تقوانا النجاة، وإذا أثمرت غوايته الضلال والإضلال أثمرت تقوانا الهدىٰ والارشاد.

والغواية بالفتح: اسم من غوىٰ ـمن باب ضرب ـ انهمك في الجهل وهو خلاف الرشد، وغوىٰ أيضاً: ضلّ وخاب.

وسلكت الطريق سلوكاً ـمن باب قعد ـ: ذهبت فيه، يتعدّىٰ بنفسه وبالباء أيضاً، فيقال: سلكت زيداً الطريق وسلكت به الطريق.

والتقىٰ: مصدر وقاه كهداه بمعنىٰ اتّقاه، والاسم التقوىٰ، والتاء فيهما مبدلة من واو، والأصل وقىٰ ووقوىٰ أبدلت الواو فيهما تاء ولزمت في تصاريف الكلمة، والتّقىٰ والتقوىٰ في اللغة بمعنىٰ اتّخاذ الوقاية، ويستعملان بحسب العرف الشرعي بمعنىٰ خشية الله تعالىٰ، ومنه قوله تعالىٰ: «ياأيُّها النّاسُ اتّقُوا رَبَّكُم»(٢).

قال بعض المحقّقين: وحقيقتها(٣) عرفاً شرعياً يعود إلى خشية الحقّ سبحانه المستلزم للإعراض عن كلّ ما يوجب الالتفات عنه(٤) من متاع الدنيا وزينتها، وتنحية مادون وجهة القصد إليه.

وقد تقدّم الكلام على مراتب التقوىٰ في الروضة الرابعة فليرجع إليه(٥).

والسبيل: الطريق.

والردىٰ: الهلاك ، والمراد به الهلاك الآخروي، وهو إستيجاب النار نعوذ بالله منها.

---

(١) تاج العروس: ج ٢ ص ٤٠٥. (٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) (ج): وحقيقتها (٤) (الف) عن. (٥) ج ٢ ص ٩٣

اللّهُمَّ لا تَجْعَلْ لَهُ فِي قُلُوبِنَا مَدْخَلاً، ولا تُوطِنَنَّ لَهُ فيما لَدَيْنا مَنْزِلاً. اللّهُمَّ وَمَا سَوَّلَ لَنا مِنْ باطِلٍ فَعَرِّفْناهُ، وإذا عَرَّفْتَنَاهُ فَقِناهُ وَبَصِّرْنَا مانُكَايِدُهُ بِهِ، وألْهِمْنَا مَا نُعِدُّهُ لَهُ، وأيْقِظْنا عَنْ سِنَةِ الغَفْلَةِ بالرُّكُونَ إلَيْه، وأَحْسِن بتَوفِيقِكَ عَوْنَنا.

و«من» في قوله: «من الردى»: بيانيّة، وجعل سبيله الردى لتأديتها إليه، من إطلاق المسبّب على السبب؛ فإنّ المراد بسبيله مايجرّ إليه من مناهي الله سبحانه المؤدّية إلى الهلاك*.

المدخل بفتح الميم: إمّا مصدر ميمي بمعنى الدخول، أواسم لموضع الدخول.

يقال: هذا مدخل البيت أي: موضع الدخول إليه.

والتوطين: التمهيد، ومنه وطن نفسه على الامر إذامهدها لفعله وذللها و«ما» في قوله «فيما لدينا»: إمّا موصولة، أو نكرة موصوفة، أي: في الذي لدينا، أو في شيء لدينا.

والمنزل: موضع النزول.

يروى أنّ عيسى عليه السّلام دعا ربّه أن يريه موضع الشيطان من بني آدم، فأراه ذلك، فإذا رأسه مثل رأس الحيّة واضع رأسه على قلبه، فإذا ذكرالله خنس، وإذا لم يذكره وضع رأسه على حبّة قلبه(١).

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم: لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات.(٢)*.

التسويل: تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله.

والباطل: ماخالف الحقّ من عقيدة أو قول أو عمل.

وعرّفته الأمر تعريفاً: أعلمته إيّاه.

و وقاه الله السوء: حفظه وصانه عنه.

---

(١) الدرّ المنثور: ج ٦ ص ٤٢٠.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١ ص ٨٣.

....

وبصرته كذا وبصرته بكذا تبصيراً: أعلمته إياه، وهو من بصرت بالشيء بالضمّ والكسر لغة بصراً بفتحتين: علمته فأنا بصير به، يتعدّىٰ بالباء في اللغة الفصحىٰ، وقد يتعدّىٰ بنفسه، فيقال: بصرت الشيء كما يقال: بصرت به، وهو ذو بصر وبصيرة أي: علم وخبرة.

وكايده: خادعه وماكره، ويكون بمعنىٰ كاده أيضاً.

قال في الأساس: له كيد ومكيدة ومكائدة وكاده وكايده(١).

وألهمه الله الخير: ألقاه في روعه بطريق الفيض.

وأعدّ الشيء إعداداً: هيّأه واهّبه.

وصّىٰ بعض الصالحين فقال: كن من الشيطان كالغريب يقصده كلب الراعي فيفزع إلىٰ الراعي؛ فإنّ الشيطان يدفع لك تسعة وتسعين باباً من الخير حتّىٰ يصطادك عند تمام المأة فقابله بالأضداد، فإن دعاك إلىٰ الدنيا فقل: هي فانية، وإن دعاك إلىٰ الشهوات فقل: هي ندامة، وإن دعاك إلى الكبر فقابله، بمعرفة أصلك وفرعك تراب صلصال وحمأمسنون وماء مهين، وإن دعاك إلى العجب فقل: كيف أعجب بما ليس منّي؟ إنّما هو توفيق وعصمة.

والعجب ممّن يعجب بعمله ولا يدري بمايختم له، هكذا يبصّر الله أولياءه مايكايدون به الشيطان، ويلهمهم مايعدّونه له من العلم والعرفان.

والسِنة: مايتقدّم النوم من الفتور.

والغفلة: غيبة الشيء عن البال، شبهها بالنوم، وأثبت لها السِنة والإيقاظ تخيّلاً.

وركن إلىٰ زيد ركوناً -من باب تعب- في اللغة الفصحىٰ: ملت وسكنت إليه

(١) أساس البلاغة: ص ٥٥٤.

....

واعتمدت عليه.

والباء للسببيّة، متعلّقة بالغفلة أي: الغفلة بسبب الركون إليه.

والتوفيق: جعل الله فعل العبد موافقاً لما يحبّه ويرضاه.

والعون: الظهير على الأمر، ومنه الصوم عون على العفّة، واسم من الإعانة.

قال ابن سيده في مجمل اللغة(١): الاسم العون والمعانة والمعونة(٢)، أي: أحسن معونتنا عليه.

واعلم أن الشيطان لعنه الله كثيراً مايزيّن الباطل فيريه في صورة الحقّ، حتّى أنّه ليدعو إلى خيرٍ لتفويت خيرٍ أعظم منه أوجرّ شرّ لايفي به وعقل العبد عاجز عن إدراك ذلك من دون إعانة الله تعالى، فوجب الرجوع في جلب كلّ خير، ودفع كلّ شرّ، وتمييز كلّ باطل من حقّ، إلى القادر المطلق الذي لايعجزه شيء؛ إذ لاخلاص للعقل من ظلمات الشبهات، ولانجاة لسفينة الفكر من أمواج الضلالات، إلّا بإعانة ربّ الأرض والسماوات.

قال بعض العلماء: ربّما تشبّه الهواء بالعقل فيتعلّق بشبهة مزخرفة ومعذرة مموّهة، كالعاشق إذا سئل عن عشقه، والمتناول لطعام رديّ إذا سئل عن فعله.

ثمّ إذا مال العقل نحو مولم جميل، والهوى نحو ملذٍ قبيح، فتنازعا بحسب غرضيهما وتحاكما إلى القوّة المدبّرة، بادر نورالله إلى نصرة العقل، ووساوس الشيطان إلى نصرة الهوى، كما قال الله تعالى:«اللهُ وَلِيُّ الّذينَ آمنوا يُخرِجُهم مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ والّذينَ كَفَروا أولياؤهمُ الطاغُوتُ يُخرِجُونَهم مِن النُّورِ الىٰ الظُّلُماتِ»(٣)، فمتى كانت القوّة المدبّرة من أولياء الشيطان لم ترَ نور الحقّ فعميت عن نفع الآجل

---

(١) هكذا في الأصل ولكنّ الصحيح أنّ مجمل اللغة لابن فارس دون ابن سيدة.

(٢) المحكم لابن سيده: ج ٢ ص ٢٦٤. (٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

اللّهُمَّ وأشْرِبْ قُلُوبَنا إنكارَ عَمَلِهِ وآلْطُفْ لَنا في نَقْضِ حِيَلِهِ.
اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَحَوِّلْ سُلْطانَهُ عَنّا، وآقْطَعْ رجاءَهُ منا وادْرَأْهُ عَنِ الوُلُوعِ بِنا.

واغترّت بلذّة العاجل، فجنحت إلى الهوىٰ، كما قال تعالى: «أفَرأيتَ مَن آتّخذَ إلٰهَهُ هَواهُ وأضَلَّهُ اللهُ علىٰ عِلمٍ وخَتَمَ على سَمْعِه»(١) ومتىٰ كانت من حزب الله وأوليائه اهتدت بنوره، فاستهانت بلذّة العاجل وطلبت سعادة الآجل، كما قال تعالىٰ: «وإمّا يَنزَغَنّكَ مِن الشّيطانِ نَزغٌ فاستَعِذ بالله إنّهُ سميعٌ عليم * إنَّ الذينَ اتّقوا إذا مَسهُم طائِفٌ مِن الشّيطانِ تَذَكّرُوا فإذاهُم مُبصِرُون»(٢)*.

أُشرب قلبه حبّ الشيء: خالطه وداخله فقبله وسكن إليه، كما يداخل الصبغ الثوب، والشراب أعماق البدن.

يقال: أشرب الثوب الصبغ إذا أشبعه منه، وأشرب زيد إذا أسقاه.

وأنكرت عليه عمله: عتبته وقبّحته.

ولطف الله له: أوصل إليه مراده بلطف، أي رفق.

والحيل: كعنب جمع حيلة وهي اسم من الاحتيال وأصلها(٣) الواو.

قال في القاموس: هو الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرّف(٤).

والمراد بنقض حيله إبطالها حتّى لا تؤثّر فيه.

يقال: نقضت ما أبرمه إذا أبطلته، وأصله من نقضت الحبل نقضاً أي: حللت برمه*.

حوّلته تحويلاً: نقلته من موضع إلىٰ موضع.

وسلطانه: أي تسلّطه وتصرّفه بالإغواء المستتبع للاستجابة، وإلّا فلا سلطان له

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٣.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٠ و ٢٠١.
(٣) (ج) وأصلها.
(٤) القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٦٣.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، واجْعَل آبائَنا وأُمَّهَاتِنَا وَأولادَنا وأهالِيْنَا وذَوي أرْحَامِنَا وَقراباتنا وَجيرانَنَا مِنَ الْمُؤمِنينَ والمُؤمِنَاتِ مِنْهُ فِي حِرْزٍ حَارزٍ وَحِصْنٍ حافِظٍ وَكَهْفٍ مَانِعٍ، وألْبِسْهُمْ مِنْهُ جُنَناً واقيَةً، وأعْطِهِمْ عَلَيْهِ أسْلحَةً مَاضِيَةً.

علىٰ أحد بالقسر والإلجاء، كما قال: «وما كانَ لِي عَلَيكُم مِن سُلطانٍ إلّا أنْ دَعَوتُكم فَاستَجَبتُم لي»(١).

واقطع رجاءه: أي آيسه منّا حتىٰ لايطمع علىٰ حال في إغوائنا.

ودرأت الشيء درءاً ـ من باب نفع ـ: دفعته.

وولع بالشيء يولع كوجل يوجل ـ من باب علم يعلم ـ ولعاً محركة وولوعاً بفتح الواو: عَلِقَ به، وأُولع به بالبناء للمفعول: أُغري به فهو مولَع به بفتح اللام أي: مغرىٰ.

واعلم أن المنصوص عليه في كتب اللغة أنّ الولوع سواء كان مصدراً او اسماً بفتح الواو.

قال الجوهري: ولعت به أولع ولعاً ولوعاً، المصدر والاسم جميعاً بالفتح(٢)

وقال في القاموس: ولع كوجل ولعاً محرّكة وولوعاً بالفتح(٣).

وقال الفيومي: أولع به ولوعاً بفتح الواو(٤).

واتّفقت نسخ الصحيفة الشريفة علىٰ ضبط الولوع بضمّ الواو، فليحرر.

الآباء: جمع أب محذوف اللام، وهي واو؛ لأنّه يثنىٰ علىٰ أبوين. والأمّهات: جمع أمّ، وهي الوالدة.

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٢٢.

(٢) الصحاح: ج٣ ص١٣٠٤.

(٣) القاموس المحيط: ج٣ ص٩٨.

(٤) المصباح المنير: ص٩٢٦.

....

قيل: أصلها أمهة؛ ولهذا تجمع علىٰ أمّهات، وأجيب بزيادة الهاء وأنّ الأصل أُمّات.

قال ابن جني: دعوىٰ الزيادة أسهل من دعوىٰ الحذف، وكثر في الناس أمّهات وفي غير الناس أُمّات للفرق بينهما(١).

قال الفيومي: والوجه ما أورده في البارع أن في الأُمّ أربع لغات أُمّ بضمّ الهمزة وكسرها وأُمّة وأُمهة، فالامّهات والأُمّات لغتان ليست إحداهما أصلاً للأُخرىٰ، ولاِحاجة إلىٰ دعوىٰ حذف ولازيادة(٢).

والأولاد: جمع ولد بفتحتين، فعل بمعنىٰ مفعول، يطلق علىٰ الذكر والأُنثىٰ المثنّىٰ والمجموع، والولد علىٰ وزن فعل لغة فيه وقيس تجعل المضموم جمع المفتوح مثل أُسد جمع أسد. والأهالي: جمع أهل.

قال الجوهري: زادوا فيه الياء علىٰ غير قياس، كما جمعوا ليلاً علىٰ ليالي(٣).

وقال الزمخشري: هو اسم جمع لأهل، كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض(٤)

والأصل في الأهل: القرابة؛ وقد أُطلق على الأتباع.

وقال في القاموس: أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه(٥).

وذوي: جمع ذو بمعنىٰ صاحب.

والأرحام: جمع رحم بمعنىٰ القرابة، منقول من الرحم الذي هو موضع تكوين الولد.

قال شيخنا البهائي قدّس الله سرّه: قصر بعض العلماء الرحم علىٰ من يحرم

---

(١)و(٢) المصباح المنير: ص٣١.

(٣)الصحاح: ج ٤ ص ١٦٢٩.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٦٧٣.

(٥) القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٣١.

....

نكاحه، والظاهر أنّه كلّ من عرف بنسبه وإن بعد. ويؤيّده مارواه علي بن ابراهيم في تفسير قوله تعالىٰ: «فَهل عَسَيتُم إن تَوَلّيتُم أن تُفسِدُوا في الأرضِ وتُقَطِّعوا أرحامَكُم»: أنّها نزلت في بني أُميّة، وماصدر منهم بالنسبة إلى ائمّة أهل البيت عليهم السّلام(١) إنتهىٰ.

وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً في الروضة الثانية(٢).

قوله: «وقراباتنا» يحتمل أن يكون معطوفاً علىٰ الأرحام فيكون مجروراً، أي: وذوي قراباتنا، ويحتمل أن يكون معطوفاً علىٰ ذوي فيكون منصوباً والكسرة فيه نائبة عن الفتحة، وعطفه علىٰ ماقبله إمّا من عطف العامّ علىٰ الخاصّ إن قصر الرحم على من يحرم نكاحه، أو علىٰ ماهو أخصّ من مطلق القرابة، وإلّا فهو من عطف الشيء علىٰ مرادفه تأكيداً.

والجيران: جمع جار، وهو في اللغة المجاور في المسكن أي: الملاصق فيه.

حكىٰ ثعلب عن ابن الأعرابي: أنّ الجار الذي يجاورك بيت بيت(٣).

وشرعاً قيل: مرجعه إلىٰ العرف.

وقيل: إلىٰ أربعين داراً من كلّ جانب، وهو المروي في أحاديث من طرق العامّة والخاصّة.

روت عائشة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: الجار إلى أربعين داراً(٤).

روىٰ في الكافي بسند حسن أوصحيح عن ابي جعفر عليه السّلام، قال: حدّ الجوار أربعون داراً من كلّ جانب، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله(٥).

---

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ٦١. (٢) ج ١ ص ٤٦٥. (٣) المصباح المنير: ص ١٥٨.

(٤) كنزالعمّال: ج ٩ ص ٥٢ ح ٢٤٨٩٥. (٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٩ ح ٢.

....

ومثله عن أبي عبدالله عليه السلام.(١)

«ومن» في قوله «من المؤمنين»: لبيان لجنس، أي: الّذين هم المؤمنون.

والحرز بالكسر والسكون: المكان الحصين الذي يحفظ فيه.

قال ابن الأثير في النهاية: ومنه حديث الدعاء اللّهمّ اجعلنا في حرز حارز أي: كهف منيع، وهذا كما يقال: شعر شاعر، فأجرىٰ اسم الفاعل صفة للشعر وهو لقائله، والقياس أن يكون حرز محرز أو حرز حريز، لأنّ الفعل منه أحرز، ولكن كذا رُوي، ولعلّه لغة(٢) إنتهىٰ.

قلت: قال صاحب القاموس: حرزه حفظه، أو هو إبدال والأصل حرسه(٣) إنتهىٰ.

وعبارة الدعاء تدلّ علىٰ أنّه ليس بإبدال، فثبت كون حارز قياساً من حَرزه بمعنىٰ حَفِظه.

والحصن: المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه.

وفي القاموس: هو كلّ مكان حصين لا يوصل إلىٰ جوفه(٤). والكهف: الغار الواسع في الجبل كأنّه بيت منقور.

قال في الأساس: ومن المجاز: فلان كهف قومه: ملجؤهم (٥) والجُنَن: جمع جُنّة بالضمّ.

قال الجوهري: الجنّة بالضمّ ما استترت به من سلاح، والجنّة: السترة، والجمع الجنن يقال: استجن بجنّةٍ أي: استتر بسترة (٦) إنتهىٰ.

والأسلحة: جمع سلاح، وهو ما يُقاتل به في الحرب ويُدافع والتذكير فيه أغلب

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٩ ح ١.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٣٦٦.

(٣) القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٧٢.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢١٤.

(٥) أساس البلاغة: ص ٥٥٣.

(٦) الصحاح: ج ٥ ص ٢٠٩٤.

اللّهُمَّ وأَعْمُمْ بِذَلِكَ مَنْ شَهِدَ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّة، وأَخْلَصَ لَكَ بالوَحْدانِيَّة، وعاداهُ لَكَ بِحَقِيْقَةِ العُبُودِيَّة، واَسْتَظْهَرَ بِكَ عَلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ العُلُومِ الرَّبّانِيَّة.

من التأنيث، فيجمع على التذكير أسلحة كحمار وأحمرة، وعلى التأنيث سلاحات.

وماضية: أي قاطعة من مضى السيف في الضريبة مضاءً أي: قطع.

واعلم أنّ المراد بجعلهم في حرز حارز وحصن حافظ وكهف مانع، أن يوفّقهم لطاعته وعبادته وتقواه، التي لايستطيع الشيطان الوصول إليهم معها، فاستعار هذه الألفاظ للطاعة والعبادة والتقوى، باعتبار كونها ملجأ من كيد الشيطان ووساوسه، كما أنّ المجعول في حرز حارز وحصن وكهف محفوظ فيها من غوائل العدوّ.

وكذا قوله عليه السلام: «وألبسهم منه جُنَناً واقية» فإنّه استعار الجنن لعناياته سبحانه بهم، يحفظهم من مكائد الشيطان واضلاله وإغوائه، وإثبات الإلباس والوقاية ترشيح.

والمراد بالأسلحة: الأذكار والأعمال الصالحة التي يدفع بها وساوس الشيطان وتسويلاته، وهي استعارة مرشحّة أيضاً، ووضعها بالماضية هو الترشيح، وفيه تشبيه للشيطان ضمناً بالمحارب المبارز، والله أعلم.

عمّهم عموماً -من باب قعد- شملهم واستوعبهم. وعرّفوا العموم بأنّه عبارة عن الإحاطة بالأفراد دفعة، والإشارة بذلك إلى ماتقدّم من الدعاء.

ومن: يستوى -فيها المفرد والمثنى والمجموع والمذكّر والمؤنّث ومنع الحنفيّة من تناولها للأنثى.

لنا قوله تعالى: «ومَن يَعمَل مِن الصّالحاتِ مِن ذَكرٍ أو أُنثى»(١)، فالتفسير بها

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٤.

....

دلّ علىٰ تناول «من» لهما.

وشهد لك بالربوبيّة: أقرّ لك بأنّك ربّ كلّ شيءٍ ومالكه.

وأخلص لك بالوحدانية: أي لم يعتبر معك غيرك مطلقاً، وهو التوحيد المطلق الكامل الذي أشار اليه أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله: وكمال توحيده الاخلاص له(١). فإنّ الإخلاص هوالذي يتمّ به التوحيد المطلق؛ إذ كان عبادة عن تنحية كلّ ماسوى الحقّ الأوّل عن مستنّ الإيثار. وبيان ذلك: أنّه ثبت في علم السلوك أنّ العارف مادام ملتفتاً، مع ملاحظة جلال الله وعظمته، إلى شيءٍ سواه، فهو بعدُ واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيراً، حتّىٰ أنّ أهل الإخلاص ليعدّون ذلك شركاً خفيّاً.

كما قال بعضهم:

من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم أنّه قرض

وإنّهم ليعتبرون في تحقّق الإخلاص أن يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله تعالىٰ، وإن لحظها فمن حيث هي لاحظة، لامن حيث هي متزينّة بزينة الحقّ، فكان إخلاص الوحدانيّة أن لايعتبر معه غيره مطلقاً. وقد تقدّم الكلام منّا مبسوطاً في الإخلاص والتوحيد ومراتبه في الروضة الأُولىٰ(٢)، فأغنى عن الإعادة هنا.

والضمير في «عاداه» راجع إلى الشيطان، والمعاداة: تحرّي كلّ من الشخصين اغتيال الآخر ومضادّته فيما يؤدّي إلىٰ مصالحه.

فالمراد بمعاداة الشيطان مضادّته ومخالفته في جميع مايزيّنه ويوسوس به، والكون منه علىٰ حذر في جميع الأحوال وقد أمرنا الله سبحانه بمعاداته، فقال: «إنّ الشّيطانَ

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩، خطبة ١. (٢) ج١ ص٣٢٢.

....

لكُم عَدوٌّ فاتَّخِذوهُ عَدوّاً»(١) واللام في «لك»: للتعليل أي: لأجلك.

والباء من قوله: «بحقيقة العبوديّة»: للإستعانة، أو للمصاحبة.

والحقيقة: فعيلة من حقّ الشيء إذا ثبت بمعنى فاعلة أي: حقيق. والتاء فيها للنقل من الوصفيّة إلى الاسميّة كما في علامة، لا للتأنيث، وحقيقة الشيء: ما به الشيء هو هو باعتبار تحقّقه.

والمراد بحقيقة العبودية هنا خالصها ومحضُها، وهو عبارة عن صيرورة العبد عبداً خالصاً محضاً، لم يبق له جهة أنانيّة، أو نظر والتفات إلى ماسوى المعبود الحقّ الأوّل ولمّا كان منشأ عداوة إبليس لآدم وذريّته أنانيّته وكبره، كما قال: «أنا خَيرٌ مِنه خَلَقْتَني مِن نارٍ وخَلَقتَهُ مِن طِين»(٢)، وكانت حقيقة العبوديّة مضادّة للأنانيّة والكبر، لزم أن يكون المتلبّس بها مضادّاً ومبايناً لكلّ متلبّس ومتّصف بضدّها، فكيف بمن هو إمام المتكبّرين، وسلف المتجبّرين، الذي وضع أساس الأنانيّة، ونازع الله رداء الجبريّة، وأدرع لباس التكبّر، وخلع قناع التذلّل؟ فإنّ المضادّة المباينة تقتضي المنافرة والمعاندة؛ ولذلك خصّه عليه السّلام بالذكر؛ فإنّ الشيطان أشدّ عداوة له من غيره، كما أنّه أشدّ من غيره عداوة للشيطان.

واستظهرت به: استعنت.

وفي: للظرفيّة المجازيّة؛ لكون المعرفة شاغلة للمستظهر مشتملة عليه إشتمال الظرف على المظروف، أو للتعليل أي: لأجل معرفة العلوم الربّانيّة المنسوبة إلى الربّ بزيادة الألف والنون، أي: المتعلّقة بمعرفته تعالى.

ولمّا كان مقصود الشيطان أوّلاً إضلال العبد في الاعتقاد، وإغوائه عن معرفة ربّه وصفاته على ما يجب اعتقاده، خصّ عليه السّلام بالذكر الطالب لمعرفة العلوم

---

(١) سورة فاطر: الآية ٦. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٢.

اللّهُـمَّ احْلُلْ مَا عَـقَدَ وافْتـقْ مَا رَتَقَ، وافْسَخْ مَـا دَبَّرَ وثَبِّطْهُ إذا عَزَمَ، وانقُضْ ما أبْرَمَ.

الربّانيّة المستظهر به تعـالىٰ على الشيطان في تحصيلها وتحقيقها، حتّى لايصّده عنها أو يلحد فيها*.

حلّ العقدة حلاً -من باب قتل-: نقضها، وعقد الحبل عقداً -من باب ضرب-: شدّه.

وفتقه فتقاً -من باب قتل-: شقّه ورتقه رتقاً -من باب قتل-: ضمّه ولأمه وألحَمَه، أي: أبطل ما أحكمه من المكايد، وأرفع(١) ماقرّره من المفاسد. واستعمال الأفعال المذكورة في هذه المعاني استعارة تبعيّة.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: فلان حلاّل العقد كافٍ للمهمّات(٢).

وفسخ الرأي -من باب نفع- نقضه، وفسخ تدبيره: أفسده، وأصل الفسخ إزالة الشيء عن موضعه. ومن غريب ماوقع لبعض المترجمين.

هنا أنّه قال: اتّفقت النسخ على فتح السين من قوله «وأفسخ مادبّره» وضابطة القاموس تقتضي الضمّ إنتهى.

يشير إلىٰ ماذكره صاحب القاموس في أوّل الكتاب، حيث قال: وإذا ذكرت المصدر مطلقاً، أو الماضي بدون الآتي ولامانع، فالفعل على مثال كتب(٣) إنتهىٰ.

وقال في مادة (ف س خ) الفسخ: الضعف، والجهل، والطرح، وإفساد الرأي، والنقض(٤). فذكر المصدر مطلقاً، وهو يقتضي أن يكون الفعل منه علىٰ مثال كتب. هذا معنىٰ قول المترجم: «وضابطة القلموس تقتضي الضمّ». وهو

---

(١) (ج): أدفع.

(٢) أساس البلاغة: ص ١٤٠.

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٩.

(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٦٦.

اَللّٰهُمَّ وَاهْزِمْ جُنْدَهُ، وأَبْطِلْ كَيْدَه، وأَهْدِمْ كَهْفَهُ، وأَرْغِمْ أَنْفَهُ.

غلط منه، أوقعه فيـه غفلته عن قول صـاحب القاموس: «ولامانع»، فـإنّ المانع من كون الفعل هنا علىٰ مثـال كتب متـحقّق، وهـو كون لام الفعـل حرف حلق وهو الخاء؛ فإنّ كـونَ الفـعلِ حلـقيُّ عـينٍ أو لامٍ مانع من كـونه علىٰ مثـال كتب، إلّا ماورد به السماع كـدخل يدخل، وإنّما نبّهنا علىٰ ذلك لئلاّ يقع الواقف على كلامه في مثل ماوقع فيه، والله الملهم للصواب.

ودبّر الأمر تدبيراً: قرّره عن فكرٍ وروية، كأنّه نظر في دبره وهو عاقبته وآخرته.

وثبّطه عن الأمر تثبيطاً: عوّقه وأقعده عنه، وهو ضدّ التحريض.

وعزم على الشـيء عزماً من باب ضـرب، وقد يتعدّىٰ بنفسـه فيقال. عزم الشيء إذا عقد ضميره علىٰ فعله، وعزم عزيمةً وعزامةً: اجتهد وجدّ في أمره.

وقيل: العزم والعزيمة: الإرادة المؤكّدة.

ونقض الحـبل نـقضاً ـمن بـاب قتـل ـ: حلّ برمه، ومنـه: أنقضـت ما أبرمه إذا أبطلته، وأصـل الإبـرام فتل الحبل مـن طاقين حتّىٰ يصيـرا واحداً، ثمّ استعـمل في إحكام الشيء وتدبيره استعارة.

هزمت الجيش هزماً ـمن باب ضرب ـ: كسرته فانهزم، والاسم الهزيمة.

والجند بالضمّ: الأنصار والأعوان.

والمراد بجنـده شيـاطين الإنس والجنّ، مـن كلّ من خالف الحقّ ونابـذه واتّبع الشيطان وتلّقف عنه، فصار في قوّته أن يلبس الحقّ صورة الباطل.

وأبطل الشيء أفسده وأسقط حكمه. والكيد: المكر والخديعة.

وهدمت البناء هدماً ـمن باب ضرب ـ: أسقطته فانهدم. والكهف: الملجأ.

ورغم أنفه رغـمـاً من باب قتـل، وفي لـغة من باب تعب وهو كناية عـن الذلّ والهوان، كأنّه لصق بالرغـام بالفتح وهو التراب، ويتعدّىٰ بالهمزة فيقال: أرغم الله أنـفه، وفعلته على رغم أنفـه بالفتح والضمّ، أي: علىٰ كره منه، وهذا من الأمثال

اللّهُمَّ إجْعَلْنَا فِي نَظْمِ أعْدَائه، واعْزِلْنَا عَنْ عِدَادِ أوْلِيَائِهِ، لانُطِيعُ لَهُ إذَا اسْتَهْوانَا، ولانَسْتَجِيبُ لَهُ إذَا دَعَانَا نَأمُرُ بِمُنَاوَاتِهِ مَنْ أطَاعَ أمْرَنَا، وَنَعِظُ عَنْ مُتَابَعَتِهِ مَن اتّبَعَ زَجْرَنَا.

التي جرت في كلامهم بأسماء الأعضاء ولايريدون أعيانها، بل وضعوها لمعانٍ غيرمعاني الأسماء الظاهرة، ولا حظّ لظاهر الأسماء من طريق الحقيقة، ومنه قولهم: كلامه تحت قدمي، وحاجته خلف ظهري، يريدون الإهمال وعدم الاحتفال».

النظم: الجماعة، يقال: جاءنا نظم من جراد، أي صفّ منه، وأصله من نظم اللؤلؤ نظماً -من باب ضرب-: جعله في سلك، أي: اجعلنا في صفّ أعدائه وجماعتهم الذين كأنّهم(١) نظموا في سلك واحد، ومن فسّر النظم بالسلك فقد أخطأ؛ فإنّ السلك لا يقال له: نظم، بل نظام.

وعزلت الشيءمن غيره عزلاً: نحّيته عنه.

وفلان في عداد الصالحين أي: يعدّ منهم، أي: نحّنا وجنّبنا من أن نعدّ في أوليائه.

وتعدية نطيع باللام، مع أنّه متعدٍّ بنفسه، لتضمينه معنى ننقاد، أي: لاننقاد له مطيعين، فهو كقولهم: سمع الله لمن حمده، وإنّما أصل سمع أن يتعدّىٰ بنفسه، لكنّهم عدّوه باللام لتضمينه معنى استجاب.

واستهواه الشيطان استماله وزيّن له هواه، أو ذهب بهواه وعقله. واستجاب له: إذا دعاه إلى شيءفأطاعه.

ودعانا: أي نادانا وطلب إقبالنا إليه.

ومناواته: أي معاداته، وأصله الهمز، كما هو في نسخة أُخرىٰ.

قال الجوهري: ناوأت الرجل مناوأةً ونواءً: عاديته، يقال: إذاناوأت الرجال

---

(١) (ج): كانوا.

للّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلىٰ أهْلِ

فاصبر. وربّما لم يهمز، وأصله الهمز؛ لأنّه من ناء إليك ونأوت إليه، أي: نهض إليك ونهضت إليه(١).

والوعظ: النصح، وعدّاه بـ «عن» لتضمينه معنى الزجر.

قال بعضهم: الوعظ تذكير مشتمل علىٰ زجر وتخويف، وحمل علىٰ طاعة الله بلفظ يرق له القلب، والاسم الموعظة.

وتابعه علىٰ كذا متابعة: وافقه عليه، واتّبع زجرنا: أي قبله وعمل به، ومنه حديث: فاتّبعوا القرآن(٢)، أي: أئتمّوا به وأعملوا بمافيه.

وزجرته زجراً: منعته ونهيته.

والجملتان من قوله: «لانطيع له، ونأمر بمناوأته» يجوز أن تكونا حالين من الضمير المنصوب، أي: اجعلنا في نظم أعدائه حال كوننا غير مطيعين له آمرين بمناوأته، فتكونا من باب تعدّد الأحوال.

ويجوز أن تكون جملة «نأمر بمناوأته» حالاً من الضمير المرفوع في «لا نطيع»، فتكون حالاً متداخلة.

ويجوز كونهما مستأنفتين(٣)، كأنه سئل كيف تكونون إذا جعلكم في نظم أعدائه وعزلكم عن عداد أوليائه؟ فقال: لانطيع له إلى آخره، ثمّ استأنف الجملة الأخرى، فكأنّه سئل ثمّ مايكون منكم في أمره بعد عدم إطاعته واستجابته؟ فقال: نأمر بمناوأته إلىٰ آخره. وعلى هذا فلا محلّ لهما من الإعراب، والمعطوف عليهما في حكمهما إعراباً وعدمه *.

خاتم القوم بالفتح والكسر: أي آخرهم الذي ختموا به، وخاتم النبيّين: من

(١) الصحاح: ج ٦ ص ٢٥١٧ نقلاً بالمعنىٰ لا بالنصّ.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٧٩. (٣) (ج): مستأنفين.

بَـيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّـاهِرِينَ، وَأَعِذْنا وأَهَالِـينَا وَإِخْوانَنَا وَجَمِـيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ مِمّا استَعذْنا مِنْهُ وأَجِرْنَا مِمّا اسْتَجْرنابِكَ مِنْ خَوفِهِ.

أُغلق به باب النبوّة، ولا يقدح فيه نزول عيسىٰ بعده عليه السّلام؛ لأنّ معنى كونه خاتم النبيّين أنّه لاينبئ أحد بعده، وعيسىٰ ممّن نبّئ قبله، وحين ينزل إنّما ينزل علىٰ شريعة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، مصلّياً إلى قبلته، كأنّه بعض أُمّته.

وساد فلان قومه يسودهم سؤوداً بالضمّ وسيادةً: إذا صار رئيسهم.

وقال الزّجاج: السيّد: الذي يفوق في الخير قومه(١).

وقال بعض أهل اللغة: السيّد: المالك، أو من في حكمه الذي تجب طاعته؛ ولهذا يقال: سيّد الغلام، ولايقال: سيّد الثوب، وقد أسلفنا الكلام على الفرق بين النبيّ والرسول في الروضة الأُولىٰ(٢).

وأهل بيته عليهم السّلام: هم أهل العباء المنزل في شأنهم «إنّما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»(٣).

قال أبوسعيد الخدري، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسفع، وعائشة، وأُم سلمة: إنّ الآية مختصّة برسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام (٤).

وقد تواترت الأخبار من طرق الخاصّة والعامّة: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله جعل على عليّ وفاطمةوالحسنين كساء،وقرأالآية وقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً(٥).

---

(١) لسان العرب: ج ٣ ص ٢٣٠.

(٢) ج ١ ص ٣٥٣.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب: ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٤) ينابيع المودّة: ج ١ ص ١٠٧ و ١٠٨.

(٥) ينابيع المودّة: ج ١ ص ١٠٦.

....

وفي رواية: اللّهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد إنّك حميد مجيد(١).

وفي رواية: اللّهمّ هؤلاء أهلي، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ثلاثاً(٢).

ويدخل في أهل البيت باقي الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم إجماعاً من الإماميّة؛ لما صحّ من حديث: أنّ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك(٣).

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»: يعني الأئمّة، وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله (٤).

والطيّب: ماتستلذّه الحواس والنفس، ومن طاب الشيءيطيب طيباً: إذا كان لذيذاً أو حلالاً فهو طيّب، فإذا أُطلق على الله تعالى كما في حديث: أنّ الله تعالى طيّب لايقبل إلّا طيّباً(٥)، فالمراد به المنزّه عن النقايص، المقدّس عن الآفات والعيوب، المتّصف بجميع صفات الكمال، وإذا أُطلق على الإنسان فالمراد به من تزكّى عن نجاسة المولد والجهل والفسق، وتحلّى بالعلم ومحاسن الأخلاق والأفعال.

والطاهر: النقي من دنس الميلاد والذنوب والأقذار والأنجاس.

وأهالينا: عطف على الضمير المنصوب في أعذنا، والرواية المشهورة فيه فتح

---

(١) و(٢) ينابيع المودّة: ج ١ ص١٠٧.

(٣) ينابيع المودّة: ج ١ ص٢٦.

(٤) الكافي: ج ١ ص٤٢٣ ح ٥٤.

(٥) مسند الإمام أحمدبن حنبل: ج ٢ ص٣٢٨ وعوالي اللئالي: ج ٢ ص ٧٠ ح ١٨١ وفيهما «أن الله طيّب».

واسْمَعْ لَنا مَا دَعَوْنابِهِ، واَعْطِنا ما أغْفَلْنَاهُ، وَاحْفَظْ لَنا مانِسيناهُ، وَصَيِّرْنا بِذَلِكَ فِي دَرَجاتِ الصّالِحينَ وَمَراتِبِ الْمُؤمِنينَ، آمِين رَبَّ العَالِمينَ.

الياء على القياس.

وروي في نسخة بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاثة كالألف.

قال الزمخشري: في تفسير قوله تعالى: «من أوسط ما تطعمون أهليكم»: قرأ جعفر بن محمّد عليهما السّلام: أهاليكم بسكون الياء للتخفيف، كما قالوا: رأيت معدي كرب تشبيهاً للياء بالألف(١).

ومن قوله: «من خوفه»: إمّا بيانيّة، وهي ومخفوضها في موضع نصب على الحال، وذوالحال «ما» المجرورة بـ «من»، وإمّا تعليليّة أي: لأجل خوفه، و الضمير يحتمل عوده على المستعاذ و المستجار منه، و يحتمل عوده إلى الشيطان.

قال بعض العارفين: إنّ الشيطان قاسم أباك وأمّك إنّه لهما لمن الناصحين، وقد رأيت ما فعل بهما، وأمّا أنت فقد أقسم على غوايتك، كما قال الله تعالى حاكياً عنه «فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين»(٢) فماذا ترى يصنع بك؟ فشمّر عن ساق الخوف والحذر منه ومن كيده ومكره وخديعته *.

اسمع لنا: أي استجب لنا، ومنه قول المصلّي: سمع الله، لمن حمده، أي: أجاب دعاء من حمده.

ودعونابه: أي سألناه، يقال: دعا الله بالعافية والمغفرة، أي: سألهما.

---

(١) الكشاف: ج ١ ص ٦٧٣.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٩.

....

وفي نسخة «إسمع» بقطع الهمزة من الإسماع.

قيل: معناه اجعل لنا مادعونا به مسموعاً مستحقّاً للإجابة.

وأغفلناه: أي غفلنا عنه.

قال في القاموس: غفل عنه غفولاً: تركه وسها عنه كأغفله (١).

وقال الجوهري: أغفلت الشيء :إذا تركته علىٰ ذكر منك(٢)، أي: أعطناما أغفلنا سؤاله.

والحفظ: ضدّ السهو والنسيان، ويعبّر عنه بضبط الشيء في النفس ومرجعه العلم، فحفظه تعالىٰ يعود إلىٰ علمه بالأشياء، أي: افعل بنا من الخير مالم يعزب عن علمك، ممّا نسينا أن ندعوك به ونرغب إليك في فعله بنا.

وصيّرنا: أي اجعلنا، من صار زيد صالحاً صيرورة: إذا انتقل إلى حالة الصلاح بعد أن لم يكن عليها.

والدرجات: جمع درجة محرّكة وهي المرقاة، واستعيرت للمنزلة الرفيعة المعنويّة.

وفي القاموس: الدرجات محرّكة: الطبقات من المراتب (٣).

والصالحون: القائمون بحقوق الله وحقوق العباد، والصلاح: هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة، ويقابله الفساد أي خروج الشيء عن أن يكون منتفعاً به.

والمراتب: المنازل الرفيعة.

قال في الأساس: من المجاز: لفلان مرتبة عندالسلطان ومنزلة، وهو من أهل المراتب(٤).

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٥.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص ١٧٨٣.

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٨٨.

(٤) أساس البلاغة: ص ٢١٩.

....

وآمين: بالمدّ والفتح بناءً، أي: اللّهمّ استجب، وقد تقدّم الكلام عليها مبسوطاً في آخر الروضة الثانية عشرة(١)، فليرجع إليه.

واختلفوا في أنّها هل هي دعاء أم لا ؟ فقيل بالثاني؛ لأنّها اسم للدعاء، وهو اللّهمّ استجب، والاسم مغاير لمسمّاه.

وقيل بالأوّل، وهو الحقّ؛ لأنّها اسم فعل، وأسماء الأفعال أسماء لمعاني الأفعال لا لالفاظها، كما حقّقه الرضيّ(٢)، ومن أدلّته أنّ العربيّ يقول: صَه مثلاً ويريد معنىٰ أسكت، ولا يخطر بباله لفظة أُسكت، بل قد لا تكون مسموعة له أصلاً.

وقد ورد الختم علىٰ قول آمين بعد الدعاء من طرق الخاصّة والعامّة.

روي عن أبي زهير النميري وكان من الصحابة: فإذا دعا أحدنا قال: اختمه بآمين؛ فإنّ آمين مثل الطابع علىٰ الصحيفة.

قال أبوزهير: ألا أُخبركم عن ذلك، خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات مرّة، فإذا رجل قد ألحّ في المسألة، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: قد أوجب إن ختمه، فقال رجل من القوم: بأيّ شيء يختمه؟ فقال: بآمين، فإنّه إن ختم بآمين قد أوجب(٣) أي: أوجب إجابة الدعاء.

وفي النهاية لابن الأثير: فيه آمين خاتم ربّ العالمين، أي: انّه طابع الله على عباده؛ لأنّ الآفات والبلايا تدفع به، فكان كخاتم الكتاب الّذي يصونه ويمنع من فساده وإظهار مافيه(٤) إنتهىٰ.

والظاهر أنّ معنىٰ الحديث غير ماذكره، بل المراد بكون آمين خاتم ربّ العالمين

---

(١) ج ٢ ص ٥٢٠.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٦٧.

(٣) سنن أبي داود: ج ١ ص ٢٤٧ ح ٩٣٨.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٧٢.

....

أنّ ختم الدعاء به يوجب إجابته، كما مرّ في الحديث السابق، كما أنّ خاتم الملك علىٰ منشوره يوجب إمضاءه وانفاذه، والله أعلم.

هذا آخر الروضة السابعة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّدالعابدين، وقد وفّق الله لإنهائها آخريوم الاثنين لثلاث بقين من ذي القعدة الحرام عام مائة وألف، ولله الحمد.

الروضة الثامنة عشرة

وَكَانَ مِنْ دُعَآئِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا دُفِعَ عَنْهُ مَا يَحْذَرُ أَوْ عُجِّلَ لَهُ مَطْلَبُهُ

اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلٰى حُسْنِ قَضَآئِكَ وَبِمَا صَرَفْتَ عَنِّيْ مِنْ بَلَآئِكَ
فَلَا تَجْعَلْ حَظِّيْ مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَجَّلْتَ لِيْ مِنْ عَافِيَتِكَ فَأَكُوْنَ قَدْ شَقِيْتُ
بِمَا أَحْبَبْتُ وَسَعِدَ غَيْرِيْ بِمَا كَرِهْتُ وَإِنْ يَكُنْ مَا ظَلِلْتُ فِيْهِ
أَوْ بِتُّ فِيْهِ مِنْ هٰذِهِ الْعَافِيَةِ بَيْنَ يَدَيْ بَلَآءٍ لَا يَنْقَطِعُ وَوِزْرٍ لَا يَرْتَفِعُ
فَقَدِّمْ لِيْ مَا أَخَّرْتَ وَأَخِّرْ عَنِّيْ مَا قَدَّمْتَ فَغَيْرُ كَثِيْرٍ
مَا عَاقِبَتُهُ الْفَنَآءُ وَغَيْرُ قَلِيْلٍ مَا عَاقِبَتُهُ
الْبَقَآءُ وَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمدلله المشكور علىٰ دفع كلّ محذور، والصّلاة علىٰ نبيّه الفائز بأسنىٰ المطالب، وآله الرافعين لواء المجد في لؤي بن غالب.

وبعد فهذه الروضة الثامنة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، إملاء العبد الراجي فضل ربه السنيّ عليّ صدرالدّين بن أحمدالحسينيّ **الحسنيّ، أحسن الله إليهما، وأفاض سجال إحسانه عليهما.**

شرح الدعاء الثامن عشر

وكان من دعائه عليه السّلام إذا دفع عنه مايحذر أو عجّل له مطلبه:

اللّهمَّ لكَ الحَمْدُ علىٰ حَسْنِ قَضائك، وبِما صَرفْتَ عَنّي من بَلائِكَ.

دفع الله عنه السوء دفعاً -من باب منع-: صرفه وحذر الشيء حذراً- من باب تعب-: خافه.

وعجّل له مطلبه: قضاه بسرعة. وإنّما حذف الفاعل وأسند الفعل إلىٰ المفعول للعلم بأنّ الفاعل لذلك إنّما هوالله سبحانه، فتعيّنه مغنٍ عن ذكره ولو ذكره لغرض التبرّك والاستلذاذ جاز.

قدّم الخبر للتخصيص، أي: لك الحمد دون غيرك. والمراد بقضائه سبحانه: حكمه بوجود ماقدّره في الأزل، وبحسنه: كونه علىٰ وفق الحكمة والمصلحة، هذا إن حملناه علىٰ العموم، ويدخل فيه قضاؤه له بتعجيل مطلبه. وإن حملناه علىٰ خصوص قضائه بإنجاح مسؤوله ومطلبه، فالمراد بحسنه كونه علىٰ وفق ماأراد، من تيسيره وتعجيله مع كونه علىٰ وفق المصلحة والحكمة.

والباء من قوله: «وبما صرفت»: للتعليل.

فَلا تَجْعَل حَظّي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَجَّلْتَ لِي مِنْ عافِيَتَكَ، فَأكُونَ قَدْ شَقِيْتَ بِما أحْبَبْتُ، وَسعِدَ غَيْري بِما كَرِهْتُ.

وما: موصولة: أي: ولأجل الذي صرفت عنّي من بلائك، ويحتمل أن تكون بمعنىٰ علىٰ **ومن: بيانيّة.**

والمراد بالبلاء هنا: المكروه، من بلاه إذا أصابه بمكروه.

قال في القاموس: والبلاء يكون منحة، ويكون محنة(١) *.

لمّا كان الحمد سبباً للمزيد، كما قال تعالى: «لَئن شَكَرتُم لأزيدنّكُم» (٢)، جعل طلب عدم الاقتصار علىٰ المحمود عليه مترتباً علىٰ الحمد، كأنّه قال: إذا حمدتك علىٰ حسن قضائك وصرفِ بلائك، فلاتجعل نصيبي من رحمتك ما أسرعت بقضائه لي من عافيتك، التي هي تعجيل قضاء هذا المطلوب، أوصرف هذا المكروه فحسب؛ فإنّ الجعل منبئ عن دوام الملابسة واستمرار الإستقرار.

والفاء من قوله: «فأكون»: للسببيّة، والفعل منصوب بـ «أن» المصدريّة المضمرة بعدها؛ لكونها مسبوقة بالطلب، أي: فيتسبّب عن ذلك، وهو جعل حظّي من رحمتك مجرّد هذه العافية المعجّلة، كوني قد شقيت شقاوة أُخرويّة، بسبب ما أحببته من تعجيلها، لاقتضائه فوات عظيم الأجر والجزاء المسبّب عن الصبر علىٰ البلاء، ويكون قد سعد غيري ممّن لم تجعل حظّه من رحمتك مجرّد عافيتك المعجّلة سعادة أُخرويّة، بسبب البلاء الذي كرهته أنا وصبر هو عليه، فنال بذلك عظيم الأجر وجزيل الثواب.

والحاصل: أنّه لما كانت المحن في هذه الدار من منح الله سبحانه علىٰ عباده المؤمنين؛ لما يترتّب عليها من حطّ الذنوب ورفع الدرجات

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٠٥.

(٢) سورة ابراهيم: الآية ٧.

....

كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام: ما أحبّ الله قوماً إلّا ابتلاهم(١).

خشي عليه السّلام أن يكون تعجيل العافية له موجباً لحرمان الجزاء المترتّب على الصبر على البلاء، فسأل عليه السّلام أن لا يجعل حظّه من رحمته مقصوراً علىٰ هذه العافية المعجّلة، فيكون قد فاته من السعادة الأُخروية ماأدركه غيره من المبتلين، الذين صبروا علىٰ البلاء ففازوا بعظيم الجزاء.

هداية

ورد في ابتلاء المؤمن في هذه الدار أخبار كثيرة، دلّت علىٰ أن الابتلاء بالمكاره الجسمانيّة والروحانيّة من كرامة الله تعالىٰ به وحبّه له، لامِنْ هوانِهِ عليه، فمن ذلك ماستفاض من طرق الخاصّة والعامّة: أنّ البلاء موكّل بالأنبياء، فالأوصياء، ثمّ الأمثل فالأمثل.

وعن أبي جعفر عليه السّلام: أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأوصياء، ثمّ الأماثل فالأماثل(٢).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: إنّ للّه عباداً في الأرض من خالص عباده، ماتنزل من السماء تحفة إلى الأرض إلاّ صرفها عنهم إلى غيرهم، ولا تنزل بليّة إلّا صرفها إليهم(٣).

وعنه عليه السلام: إنّ الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغائب أهله بالطرف، وأنّه ليحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض (٤).

وعنه عليه السّلام: إنّ الله إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً(٥) أي: غمسه فيه.

---

(١)و(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٥٢، ح ٣ و ٤

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٣ ح ٥ وفيه ما يتنزّل

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٥ ح ١٧.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٣ ح ٧.

....

وعنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ عظيم البلاء يكافي به عظيم الجزاء(١)، فإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء(٢).

وعنه عليه السّلام: إنّما المؤمن بمنزلة كفّة الميزان، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه(٣).

وعنه عليه السّلام: إنّ في الجنّة منزلة لا يبلغها عبد إلاّ بالابتلاء في جسده(٤).

وعنه عليه السّلام: لو يعلم المؤمن ماله في الأجر من المصائب لتمنّىٰ أنّه قرض بالمقاريض.(٥) إلىٰ غير ذلك من الأخبار.

وقد ذكروا لذلك وجوهاً من الحكمة.

منها: أنّه كفّارة للذنوب.

ومنها: أنّه لاختبار صبره وإدراجه في الصابرين.

ومنها: أنّه لتزهيده في الدنيا وتنفيره عنها؛ لئلا يفتتن بها ويطمئنّ إليها، فلا يشقّ عليه الخروج منها.

ومنها: أنّه لإضعاف نفسه عن الصفات البشرية، وقطعها عن موادّ العلائق الجسمانيّة، لتنقطع علاقته بدنياه، ويرجع بكلّه إلىٰ مولاه، ويألف الإقبال عليه في السّراء، ويستديم المثول بين يديه في الضرّاء، إلىٰ أن يرتقي بذلك إلىٰ أعلىٰ درجات المحبّين وأقصىٰ مراتب المقرّبين.

ومنها: إكرامه بالدرجة التي لا يبلغها قطّ بكسبه، كدرجة الشهادة التي لا يبلغها الشهيد بكسب نفسه، وإنّما يبلغها بالابتلاء بالقتل في سبيل الله.

قال بعضهم: ما من بليّة إلاّ وفيها خيرة عاجلة، ثمّ عنها وعليها عوض ومثوبة آجلة، وهي ذاهبة فانية، والمثوبة عليها دائمة باقية، فهي في الحقيقة نعمة لا نقمة،

---

(١) (ج): الأجر. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٣ ح ٨. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٣ ح ١٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٥، ح ١٤. (٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٥ ح ١٥. وفيه من الأجر.

وَإنْ يَكُنْ ما ظَلِلْتُ فِيهِ أوْبتُّ فِيهِ من هذِهِ العافِيَةِ، بَيْنَ يَدَيْ بَلاءٍ لاَيَنْقَطِعُ وَوِزْرٍ لايَرْتَفِعُ، فَقَدمْ لِي ما أَخَّرْتَ، وَأَخِّرْ عَنِّي ماقَدَّمْتَ.

ومنحة لامحنة ﷺ.

الظلول: الكينونة بالنهار.

والمبيت: الكينونة بالليل.

يقال: ظلّ يظلّ ظلولاً من باب تعب وبات يبيت مبيتاً وبيتوتةً ومباتاً، وظلّ يفعل كذا: إذا فعله نهاراً، وبات يفعل كذا: إذا فعله ليلاً، ولايقال بات بمعنىٰ نام، ولايشترط فيه عدم النوم أيضاً، فقول الضرّاء: بات الرجل: إذا سهر الليل كلّه في طاعة أو معصية (١).خطأ صريح، بل هو أعمّ من أن يكون حصل منه نوم أولا، ألا ترىٰ إلىٰ قولهم: بات فلان عند امرأته: **إذا حصل عندها ليلاً سواء وقع منه نوم أولا.**

وقول بعضهم: لايكون المبيت إلّا مع سهر الليل؛ لقوله تعالى: «والّذينَ يَبيتُون لِرَبِّهم سُجّداً وقِياماً» (٢) وقولهم بات يرعىٰ النجوم. ليس بشيء؛ لأنّ السهر إنّما استفيد من الخبر؛ إذ الساجد والقائم ليلاً وراعي النجوم لايكون إلّا ساهراً.

وأمّا يبيتون وبات فلا يدلّ إلّا علىٰ الكينونة بالليل مطلقاً، فكما يصحّ أن تقول: بات زيد ساهراً، يصحّ أن تقول: بات زيد نائماً، وقد جمع المعنيين قول الشريف الرضي:

أتبيت ملآن الجفون من الكرىٰ وأبيت منك بليلة الملسوع

فقوله عليه السّلام: «ظللت فيه أوبتّ فيه» أي: كنت فيه نهاراً، أو كنت فيه ليلاً من هذه العافية، والظرفيّة مجازيّة بتشبيه ملابسة كونه وحصوله للعافية في الاجتماع معها بملابسة المظروف للظرف، فتكون لفظة «في» استعارة تبعيّة، ولك أن تشبّه العافية بما يكون محلاً وظرفاً للشيء على طريق الاستعارة بالكناية، ويكون

---

(١) المصباح المنير: ص٩٤. (٢) سورة الفرقان: الآية ٦٤.

فغَيْرُ كَثيرٍ ما عاقِبَتُهُ الفَناءُ، وغَيْرُ قَليلٍ ماعاقِبَتُهُ البَقَاءُ، وصَلِّ عَلىٰ مُحمَّدٍ وآلِهِ.

ذكر كلمة «في» قرينةً وتخييلاً.

وبين يدي بلاء: أي أمامه، مأخوذ من بين يدي الإنسان، وقد تقدّم الكلام عليه.

وجملة «لاينقطع»: في محلّ جرٍ صفة البلاء.

والوزر بالكسر: الإثم.

ولايرتفع: أي لاينتقل ولايزول

والفاء من قوله: «فقدّم لي»: رابطة للجواب.

والمعنى: إن كانت هذه العافية التي أنافيها مقدّمة علىٰ بلاء أُخروي دائم، فقدّم لي ماأخّرته من البلاء، فيكون في الدنيا الظاعن مقيمها، وأخّر عنّي ماقدّمت من العافية؛ ليكون في الآخرة الدائم نعيمها.

الفاء: للسببيّة بمعنى لام السببيّة؛ لأنّ مابعدها سبب لماقبلها من طلب تقديم ما أخّر وتأخير ماقدّم، فهو كقولك: أكرم زيداً فإنّه فاضل، ومنه قوله تعالى: «فاخرُجْ مِنها فإنّك رَجيمٌ»(١).

وعاقبة كلّ شيء وعقباه وعقبه بضمّتين وعقبه بالإسكان: آخره وخاتمته وتلوه. نفىٰ عليه السّلام عمّا يكون غايته الفناء والزوال ـ وإن عدّ في الدنيا كثيراً ـ استحقاق وصفه بالكثرة؛ تحقيراً له واستهواناً به بما يلزمه من غايته التي هي الفناء.

وكذا نفىٰ عمّا يكون غايته البقاء والدوام ـ وإن عدّ في الدنيا قليلاً ـ استحقاق وصفه بالقلّة؛ تعظيماً له واعتداداً به بما يلزمه من غايته التي هي البقاء.

والمعنى: ماكثير يفنىٰ بكثير، ولا قليل يبقىٰ بقليل، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثامنة عشرة من رياض السالكين، والحمدلله ربّ العالمين.

---

(١) سورة الحجر: الآية

الروضة التاسعة عشرة

وكان من دعائه عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب

اللهم اسقنا الغيث وانشر علينا رحمتك بغيثك المغدق من السحاب
المنساق لنبات أرضك المونق في جميع الآفاق وامنن على عبادك
بإيناع الثمرة وأحي بلادك ببلوغ الزهرة وأشهد ملائكتك الكرام
السفرة بسقي منك نافع دائم غزره واسع درره وابل سريع عاجل تحيي
به ما قد مات وترد به ما قد فات وتخرج به ما هو آت وتوسع به في الأقوات
سحابا متراكما هنيئا مريئا طبقا مجلجلا غير ملث ودقه ولا خلب برقه اللهم
اسقنا غيثا مغيثا مريعا ممرعا عريضا واسعا غزيرا ترد به النهيض وتجبر
به المهيض اللهم اسقنا سقيا تسيل منه الظراب وتملأ منه الجباب و
تفجر به الأنهار وتنبت به الأشجار وترخص به الأسعار في جميع الأمصار
وتنعش به البهائم والخلق وتكمل لنا به طيبات الرزق وتنبت لنا به الزرع
وتدر به الضرع وتزيدنا به قوة إلى قوتنا اللهم لا تجعل ظله علينا سموما و
لا تجعل برده علينا حسوما ولا تجعل صوبه علينا رجوما ولا تجعل ماءه
علينا أجاجا اللهم صل على محمد وآل محمد وارزقنا من بركات السماوات و
الأرض إنك على كل شيء قدير

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمدلله الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا، وينشر رحمته، ويرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ليبسط نعمته، ويجعله كِسفاً فترى الودق يخرج من خلاله، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يَسْتَبشرون بنواله، والصّلاة والسّلام على نبيّه الذي أرسله غيثاً للمجدبين وغوثاً للمذنبين، وعلى آله مرابيع النعم وينابيع الحكم.

وبعد فهذه الروضة التاسعة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، إملاء العبد الفقير إلى ربّه الغنّي عليّ صدرالدّين الحسينيّ الحسنيّ، أحيا الله قلبه بعرفانه، وأغدق عليه سحب فضله وإحسانه.

شرح الدعاء التاسع عشر

وكان من دعائه عليه السّلام عند الإستسْقاء بَعْدَ الجَدْبِ:

عند: هنا اسم لزمان الحضور لا لمكانه؛ فإنّها كما تأتي اسماً للمكان تأتي اسماً للزمان، نحو: الصبر عند الصدمة الأُولىٰ، وجئتك عند طلوع الشمس.

والاستسقاء: استفعال بمعنىٰ طلب السقي، مثل الاستمطار لطلب المطر، واستسقيت فلاناً: إذا طلبت منه أن يسقيك، وقد صار حقيقة شرعيّة علىٰ طلب الغيث بالدعاء والاستغفار.

والجدب: المَحْل، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض، أي: بعد حصوله. والاستسقاء أنواع، أدناه الدعاء بلا صلاة ولا خلف صلاة، وأوسطه الدعاء خلف الصلاة، وأفضله الاستسقاء بركعتين وخطبتين، وكيفيّته أن يأمر الخطيب يوم الجمعة الناس بالتوبة وردّ المظالم وتطهير الأخلاق من الرذائل، وصوم ثلاثة أيّام بعد الجمعة، ويخرج الناس في اليوم الثالث وهو يوم الإثنين، فإن لم يكونوا بمكّة أصحروا، وإن كانوا بها صلّوا بالمسجد الحرام، ويستحبّ لهم الخروج حفاة ونعالهم بأيديهم في ثياب بذلة متخشّعين مخبتين مستغفرين، ويخرج الإمام خاشعاً متبذّلاً متنظّفاً لا متطيّباً، ويستحبّ الخروج بذوي الزهد والصلاح والشيوخ والأطفال والبهائم والعجائز، لا الشوابّ(١) والفسّاق وأهل الخلاف والكفّار ولو أهل ذمّة،

(١) الشوابّ: جمع شابة، لسان العرب: ج ٢ ص ٢٦٠.

قال عليه السّلام:

اللّهُـمَّ اسْقِنَا الْـغَيْثَ، وانْشُـرْ عَلَيْنـا رَحْمَتَـكِ بَغَيْثِـكَ المُغدِقِ، مِنَ السَّحاب المُنْساقِ لِنَباتِ أَرْضِكَ المُونِقِ فِي جَميع الآفاق.

ويفرّق بين الأطفال والأمّـهات، وينادي المؤذنون بدل الأذان الصلاة ثلا ثاً، ووقتها من طلوع الشمس إلى الزوال، فيصلّي الإمام بالناس ركعتين، يقرأ في الأُولىٰ بعد الحمد سورة بالجهر، ثمّ يكبـرّ خمساً، ويقنت عـقيب كلّ تكبيرة بالإستغفار وسؤال الله تـعالى طلب الـغيث وتـوفير الميـاه و إنزال الرحمـة، ومن المـأثور فيه «اللّهمّ اسق عبادك وإماءك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلادك الميتة»(١).

ثمّ يكبّر السادسة ويـركع ويسجد السجدتين، ثمّ يـقوم إلى الركعة الثانية فيقرأ بعد الحمد سورة، ثمّ يكبّر أربعاً ويقنت عقيب كلّ تكبيرة كما في الأُولى، ثمّ يكبّر ويركع ويسجد ويـتشهّد، فإذا سلّم صعد المنبر وحوّل رداءه، فيجعل الّذي على يمينه علىٰ يسـاره والذي عـلىٰ يساره عـلىٰ يـمينه، ويـتركـه محوّلاً حتّـىٰ يـنـزعه، ويخطب بخطبتين، فإذا فرغ اسـتقبل القبلة وكبّر الله مائة مرّة، ثمّ يلتفت عن يمينه ويهلّل الله مـائة مرّة، ثمّ يلتـفـت عن يساره ويسبّح الله مائـة مرّة، ثمّ يستدبر القـبلة ويستقبل الناس ويحمدالله مـائة مرّة، رافعاً بكلّ ذلك صوته والناس يتابعونه في الأذكار دون **الإلتـفات إلى الجهات، فإن سـقوا وإلاّ عادوا، ثانياً وثالـثاً من غير قنوط، بانين على الصوم الأوّل إن لم يفطروا بعده، وإلاّ فبصـوم مستأنف، ويصحّ من المسافر وفي كلّ وقت، ومن الرجل وحده ولو في بيته**.

سقانا الله الغيث وأسقانا، والاسم السقيا بالضمّ.

وقال الراغب: الإسقاء أبلغ من السقي؛ لأنّ الإسقاء أن تجعل له ما يستسق (٢) منه ويشرب، والسقي أن تعطيه ما يشرب (٣)

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٥٢٧، ح ١٥٠٠. (٢) (ج): يستق. (٣) المفردات: ص ٢٣٥.

....

وقال الجوهري: يقال: سقيته لِشَفَتِهِ وأسقيته لماشيته وأرضه(١). وقيل: سقيته إذا كان بيدك، وأسقيته إذا دللته على الماء. وقيل: السقي ممّا لا كلفة فيه؛ ولهذا ذكر في شراب الجنّة، نحو «وسَقاهُم رَبُّهم شَراباً طَهُوراً»(٢)، والإسقاء لما فيه كلفة؛ ولهذا ذكر في ماء الدنيا، نحو «لأسْقيناهُمْ ماءً غَدقاً»(٣).

والغيث: المطر، ويسمّى النبات الّذي ينبت به غيثاً تسمية باسم السبب، فيقال: رعينا الغيث.

قال الجوهري: وربّما سمّي السحاب والنبات بذلك(٤) وفي القاموس: الغيث: المطر الذي يكون عرضه بريداً(٥).

وانشر علينا رحمتك: أي ابسط علينا بركات الغيث ومنافعه في كلّ شيءٍ من السهل والجبل والنبات والحيوان، أو المراد رحمتة الواسعة المنتظمة للمطلوب انتظاماً أوّليّاً.

والباء من «بغيثك»: للسببيّة أو للمصاحبة، والأُولىٰ أنسب بالمعنىٰ الأوّل، والثانية بالثاني.

وغدق المطر غدقاً ـ من باب تعب ـ وأغدق إغداقاً: كثر ماؤه وقطره.

والسحاب بالفتح: الغيم، سمّي بذلك لانسحابه في الهواء، الواحدة سحابة والجمع سُحُب بضمّتين.

والمنساق: منفعل من انساق مطاوع ساقه، أصله منسوق، تحرّكت الواو فقلبت ألفاً، والسوق: حثّ الماشي في السير حتّىٰ يقع الإسراع فيه، وانسياقه باعتبار سوق الله تعالىٰ له بالرياح، أي: صرفه له إلىٰ حيث يشاء، كما قال سبحانه: «حَتّىٰ

---

(١) الصحاح: ج ٦ ص ٢٣٧٩. (٢) سورة الإنسان: الآية ٢١. (٣) سورة الجنّ: الآية ١٦.

(٤) الصحاح: ج ١ ص ٢٨٩. (٥) القاموس المحيط: ج ١، ص ١٧١.

وامْنُنْ عَلىٰ عِبادِكَ بِإيناعِ الثَّمَرَةِ، وأحْيِ بِلادَكَ بِبُلُوغِ الزَّهْرَةِ، وأشْهِدْ مَلائِكَتَكَ الكِرامَ السَّفَرَةَ بِسَقْيٍ مِنْكَ نَافِعٍ دائِمٍ غُزْرُهُ، واسِعٍ دِرَرُهُ، وابلٍ سَريعٍ عَاجِلٍ.

إذا أقلّتْ سَحَاباً ثِقالاً سُقناهُ لِبلَدٍ مَيّتٍ فأنزَلنا به الماءَ»(١)، وقال تعالىٰ: «واللّهُ الّذي أرسَلَ الرّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً فَسُقناهُ إلىٰ بَلَدٍ مَيّتٍ فأحْيَينا بِهِ الأرضَ بعدَ مَوتِها»(٢).

والنبات بالفتح: مصدر نبت البقل نبتاً ونباتاً من باب قتل، ثمّ لما ينبت: نبت ونبات، وهو المراد هنا.

واللام: للتعليل، أي: لأجل إنباته أو لسقيه.

وأنق الشيء أنقاً -من باب تعب-: راع حسنه وأعجب، ويتعدّىٰ بالهمزة فيقال: آنقني فهو مونق، كأعجبني فهو معجب وزناً ومعنًى.

والآفاق: جمع أُفق بضمّتين؛ وهو الناحية، أي: في جميع نواحي الأرض.

وفي هاتين الفقرتين من البديع والترصيع في السجع، وهو أن يكون ما في إحدىٰ القرينتين مثل ما يقابله من الأخرىٰ في الوزن والتقفية، ألا ترىٰ أنّ المغدق والمونق مثلان وزناً وقافيةً، وكذلك المنساق والآفاق، ومثله قول البديع الهمداني: إنّ بعد الكدر صفواً، وبعد المطر صحواً.

امنن: أي أنعم، المنّ بمعنىٰ الإنعام والإحسان. وينعت الثمار ينعاً -من باب نفع وضرب-: أدركت ونضجت، والاسم الينع بضمّ الياء وفتحها، وبالفتح قرأ السبعة فهي يانعة واينعت بالألف إيناعاً مثله، وهو أكثر استعمالاً من الثلاثي.

والثمر بفتحتين، والثمرة مثله، فالأوّل مذكّر ويجمع على ثمار مثل جبل وجبال، والثاني مؤنّث والجمع ثمرات كقصبة وقصبات، والثمر والثمرة: الحمل الذي تُخرجه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٧. (٢) سورة فاطر: الآية ٩.

....

الشجرة سواء أُكل أولا، فيقال: ثمر الأراك وثمر الأوسج، كما يقال: ثمر النخل وثمر العنب.

وبلغ الثمر بلوغاً -من باب قعد-: أينع وأدرك.

وزهر النبات: نوره، الواحدة زهرة مثل تمر وتمرة، وقد تفتح الهاء، ولا يسمّىٰ زهراً حتّىٰ يتفتّح.

وقال ابن قتيبة: حتى يصفر(١).

والمراد ببلوغ الزهرة إدراكها وانعقادها ثمرة.

وأشهد: أي أحضر، من شهد المجلس إذا حضره، ومنه «ماأشهَدتُهم خَلْقَ السّمٰواتِ والأرضَ»(٢) أي: أحضرتهم.

والسَّفرة: الكتبة من الملائكة الذين ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ، على أنّه جمع سافر من السفر وهو الكتب.

وقيل: هم الذين يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الأنبياء، على أنّه جمع سفير من السفارة بكسر السّين، وأصلها الإصلاح، يقال: سفرت بين القوم أي أصلحت، ثمّ سمّي الرسول سفيراً؛ لأنّه يسعىٰ في الإصلاح ويبعث له غالباً، فأُطلقت السفارة على مطلق الرسالة.

وفائدة إشهاد الملائكة وإحضارهم توقّع مزيد من الرحمة والبركة وقبول الدعاء؛ فإنّ لحضور الملأ الأعلىٰ والأرواح المقدّسة، الذين حياتهم بمعرفة الله تعالى وطاعته ولذّتهم بذكره، مدخلاً عظيماً في استنزال البركات واستدرار الخيرات وقبول الدعوات، وإذا كان في حضور أهل الطاعة من سكّان الأرض تأثير في قبول واستنزال الرحمة، فما ظنّك بحضور أهل الطاعة والعصمة من سكان السّماوات. وإنّما خصت

---

(١) المصباح المنير: ص٣٥١.

(٢) سورة الكهف: الآية ٥١.

....

الكرام السفرة؛ لأنّهم الوسائط بين الله تعالىٰ والبشر، أولمزيد تعطّفهم على المؤمنين، فقد فسّر الكرام من قوله تعالى: «بأيدِي سَفَرةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ»(١) بالمتعطّفين على المؤمنين يكلّمونهم ويستغفرون لهم.

والباء من قوله «بسقي»: للسببيّة، نحو «فأخرَجَ بِهِ مِن الثَّمراتِ»(٢). وهي إمّا متعلّقة بالأفعال الثلاثة التي قبله علىٰ طريق التنازع وإعمال الأخير منها في المجرور والأولين في ضميره، ثمّ حذفه لأنّه فضلة ولالبس، والأصل وأمنن على عبادك بإيناع الثمرة به وأحي بلادك ببلوغ الزهرة به.

لايقال: يلزم منه تعلّق حرفي جرّ بمعنىٰ واحد بفعل واحد من غير إبدال، وهو غير جائز.

لأنّا نقول: حرفا الجرّ هنا ليس بمعنىٰ واحد، بل الباء من قوله «بإيناع الثمرة» للتعدية، وإيناع الثمرة واقع موقع المفعول به، الأترىٰ أنّ «من» قد يتعدّىٰ بنفسه فيقال: «منّ عليه كذا»، كما يقال: «منّ عليه بكذا».

قال الفيومي في المصباح: مَنَّ عليه العتق وغيره وبه منّاً -من باب قتل-: أنعم عليه به(٣).

والباء من قوله: «ببلوغ الزهرة»: للآلة، وتسمّىٰ باء الاستعانة. والباء من قوله: «بسقي»: للسببيّة، فاختلف معنى الحرفين، فتعلّقهما بالأوّل كقولك: مَنَّ الله على زيد بخلاصه برحمته، وبالثاني كقولك: قطعت الشجرة بالسكّين بقوّتي، وهذا ممّا لاريب في جوازه.

وإمّا متعلّقة بالمصدرين أعني الإيناع والبلوغ علىٰ جهة التنازع أيضاً، فيكون السقي سبباً لإيناع الثمرة وبلوغ الزهرة، كما قال تعالى: «وأنزلَ من السّماءِ ماءً

---

(١) سورة عبس: الآية ١٥و١٦. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٢. (٣) لمصباح المنير: ص٧٩٨.

....

فأخرجَ به من الثمَراتِ رزقاً لكم».(١)

قال المفسّرون: خروج الثمرات إنّما هو بقدرته تعالىٰ ومشيئته، ولكنّه جعل الماء سبباً في إخراجها ومادّة لها كالنطفة في الحيوان، بأنّ أودع في الماء قوّةً فاعلة وفي الأرض قوّةً منفعلة قابلة، يتولّد من اجتماعهما أصناف الثمرات، أو بأن أجرىٰ عادته بإفاضة صور الثمار وكيفيّاتها المتخالفة على المادّة الممتزجة من الماء والتراب، وهو سبحانه قادر علىٰ أن يوجد جميع الأشياء بلا أسباب وموادّ، كما أبدع نفوس الأسباب والمواد، ولكن له عزّوجل في إنشائها متقلّبة في الأحوال ومتبدّلة في الأطوار، من بدائع حكم باهرة يتجدد لأُولي الأبصار عبراً وتزيدهم طمأنينةً إلى عظيم قدرته ولطيف رحمته، ماليس في إبداعها بغتة.

والنفع: مايتوصّل به الإنسان إلىٰ مطلوبه، يقال نفعني الشيء نفعاً وهو نافع.

ودام الشيء يدوم دواماً: ثبت واستمرّ استمراراً لاينقطع، هذا أصل الدوام في اللغة، ثمّ أُطلق علىٰ طول المدّة، فيقال: دام الشيء: إذا طال زمانه، ومنه أدام الله عزّك ، ودام المطر: إذا تتابع نزوله، ومنه الديمة بالكسر للمطر الذي يدوم أيّاماً خمسة أو ستّة أو سبعة أو يوماً وليلةً.

والغزر بفتح الغين المعجمة وضمّها ثمّ الزاي ثمّ الراي المهملة: مصدر غزر الماء ككرم: إذا كثر، والناقة: درّ وكثر لبنها.

قال في الأساس: غزر الماء غزراً وغزرت الناقة، ثمّ استعير فقيل: مال وعلم غزير.(٢)

ووسع الشيء مثل كرم: اتّسع فهو واسع.

والدرر بكسر الدال المهملة علىٰ وزن عنب: جمع درّة بالكسر.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٢) أساس البلاغة: ص٤٤٩.

تحيي بِـهِ مـاقَـدِمـاتَ، وتردُّ بهِ مَا قَذَفَاتَ، وَتُـخْـرِجُ بِـهِ مـاهُوَآتٍ، وَتُوَسِّـعُ بِـهِ فِـي الأقْواتِ.

قال الجوهري: للسحاب درّة أي: صبّ، والجمع دِرَرٌ(١).

وقال في النهاية: في حديث الإستسقاء «ديماً درراً» وهو جمع دِرّة، يقال: للسحاب درّة أي صبّ واندفاق، وقيل الدِرر الدارّ، كقوله تعالى: «ديناً قيماً» أي: قائماً(٢) إنتهى.

وفي نسخة «واسع درّه» بالفتح، وهو مصدر درّت السماء بالمطر إذا اندفقت، ومنه «يُرسِلُ السّماءَ عليكُم مِدْراراً»(٣).

وما قيل: إنّه بمعنى اللبن استعير للمطر لا داعي إليه.

والوابل والوبل: المطر الشديد الضخم القطر.

يقال: وبلت السماء وبلاً من باب وعد- أي: اشتدّ مطرها، وكان الأصل وبل مطر السماء فحذف للعلم به؛ ولهذا يقال للمطر: وابل *.

جملة «تحيي به»: في محلّ جرّ صفة لسقي، أي: تخرج وتعيد به ماذهب ويبس من أصناف النبات، وضروب الأعشاب، وألوان الأزهار، وأنواع الأشجار والثمار، وما انقطع من جواري الجداول والأنهار، فاستعار الإحياء الذي هو حقيقة إفاضة الروح على الجسد للإخراج والإعادة المذكورين، كما استعار الموت الذي هو حقيقة انقطاع تعلّق الروح بالجسد لليبس والذهاب.

والجامع في الأولى إحداث القوى النامية في المواد والمنافع المترتّبة على ذلك، وفي الثانية استيلاء اليوبسة وعدم النفع، وهما استعارتان تبعيّتان؛ لأنّ اللفظ المستعار في كلّ منها فعل.

---

(١) الصحاح: ج ٢ ص ٦٥٦.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ١١٢. (٣) سورة هود: الآية ٥٢.

سحاباً مُتراكِماً هَنيئاً مَريئاً طَبقاً مُجَلْجَلاً، غَيْرَ مُلِثٍّ وَدْقُهُ، ولا خُلَّبٍ بَرْقُهُ.

والقرنية في الأُولىٰ المجرور أعني الضمير في «به» العائد إلى السقي؛ فإنّه قرينة علىٰ أنّ الإحياء استعارة؛ لأنّ الإحياء الحقيقي لايكون بالسقي.

وفي الثانية الإسناد إلىٰ الفاعل؛ لأنّ الموت الذي يحيى المتّصف به بالسقي لايكون حقيقيّاً.

وتردّ به: أي ترجع، من رددت الشيءإذا رجعته. وفات الأمر: ذهب ومضىٰ.

قال الفيومي: والأصل فات وقت فعله، ومنه فاتت الصلاة إذا خرج وقتها ولم تفعل(١).

والمراد بردّ ماقد فات: تدارك ماقد مضىٰ وقت حصوله من المنافع، وجبران ماقد نقص منه، وبإخراج ماهو آتٍ: إيجاد مالم يوجد بعدُ من الأرزاق المتسبّبة عن السقي.

الأقوات: جمع قوت، وهو مايؤكل ليمسك الرمق.

وفي: مزيدة للتوكيد، نحو «اركَبُوا فيها»(٢) أي: اركبوها أو علىٰ معنىٰ تجعل التوسعة فيها، بأن جعل توسّع مع كونه متعدّياً منزلة اللازم للمبالغة، نحو فلان يعطي ويمنع، ثمّ عدّي كما يعدّى اللازم كقوله:

* يخرج في عراقيبها نصلي *

أي: يفعل الجرح في عراقيبها.

أو علىٰ تضمينه معنىٰ تبارك، كقوله تعالى: «وأصلِح لي في ذُرِّيّتي»(٣) أي بارك *.

نصب سحاباً علىٰ الحال من «سقي»، وصحّ كونه حالاً مع جموده؛ لكونه نوعاً

---

(١) المصباح المنير: ص٦٦١. (٢) سورة الأحقاف: الآية ١٥. (٣) سورة هود: الآية ٤١.

....

لصاحبه وكونه عن نكرة لتخصيصها بالنعوت المتقدّمة، ويجوز كونه منصوباً بفعل محذوف أي: نسألك، كما ورد في دعاء آخر «اللّهم صيّباً نافعاً»(١) أي: اسقنا.

والمتراكم: السحاب المتراكب بعضه فوق بعض.

والهنيء :السائغ اللذيذ، من هنأ الطعام -من بابي علم وكرم-: ساغ ولذّ.

والمريء مهموزاً: المحمود العاقبة الذي لاوباء فيه، من مرُء الطعام مراءةً مثل ضخم ضخامةً.

وقال الهروي: الهنيء: مالا تعب فيه ولا إثم، والمريء: ما لاداء فيه.(٢)

قال بعضهم: ومعنىٰ كون الغيث هنيئاً مريئاً: خلوّه عن كلّ ماينقصه كالهدم والغرق.

والطبق بالتحريك: العامّ الشامل الكثير، كأنّه يطبق الأرض ويغطّيها بالماء.

والطيب: ما تستلذّه الحواس والنفس.

والمجلجل: السحاب الّذي يسمع منه صوت الرعد.

قال في القاموس: الجلجلة: التحريك، وشدّة الصوت، وصوت الرعد، وسحاب مجلجل وغيث جلجال(٣).

والرواية المشهورة في الدعاء مجلجَلاً على اسم المفعول، وفي نسخة قديمة مجلجلاً بكسر الجيم الثانية علىٰ اسم الفاعل. فعلىٰ الأوّل معناه أنّ الملك يجلجله فيصوّت، وعلىٰ الثاني معناه المصوت.

وألثّ السحاب: دام فهو ملِثّ، وأصله من ألثّ فلا بالمكان إذا أقام لايبرح.

والودق: المطر.

---

(١) كنزالعمال: ج٨ ص٤٣٣ ح٢٣٥٤٠.

(٢) الغريبن: مخطوط في جامعة طهران ذيل باب الهاء مع النون.

(٣) لقاموس المحيط: ج٣، ص٣٥٠.

....

قيل: وهذا من قبيل الاحتراس، وهو أن يأتي المتكلّم بمعنىٰ يتوجّه عليه فيه دخل، فيفطن له فيأتي بما يخلّصه، كقوله تعالىٰ: «اسلُك يَدَكَ في جَيبِكَ تَخرُجْ بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ»(١)، احترس سبحانه بنفي السوء عن البهق والبرص وكقول طرفة:

فسقىٰ دِيارَكَ غيرَ مُفسدها صَوبَ الرّبيع وديمة تُهمي(٢)

فقوله: «غير مُفسدها» احتراس حسن؛ لأنّ الديمة ممّا يعفي آثارها ويمحو معالمها، وكذا قوله عليه السّلام: «غير مُلثّ» احتراس؛ لأنّ الإلثاث يعفو الديار ويمحو معالمها إنتهىٰ.

وفيه: أنّ وصفه عليه السلام السحاب بكونه هنيئاً مريئاً طيباً لم يبق لتوجه دخل عليه احتمالاً حتّىٰ يحتاج إلىٰ الاحتراس منه، فكيف يكون قوله: «غير ملثٍّ ودقُه» احتراساً؟ وإنّما عدّ قول طرفة: «غير مفسدها» احتراساً؛ لأنّه طلب للديار مطلق السقي، وهو محتمل لأن يكون سبباً للفساد، فاحترس بقوله: «غير مفسدها». على أنّه قد تعقّبه بعض المحقّقين بأنّ مجرّد احتمال كون المطر سبباً للفساد لايكفي في إيهام خلاف المقصود، بل لابدّ من وقوع سبق إلى الذهن، ولايسبق من السقي الا الاصلاح لشيوعه في ذلك، اللهمّ إلّا أن يقال: سبق الذهن بالفساد من قوله: «ديمة»؛ فإنّ الديمة هي المطر الدائم، وبعدُ لايخلو من شوب؛ لأنّ تقدّم قوله: «غير مفسدها» علىٰ قوله «وديمة تهمي» يدفع هذا التوجيه إنتهىٰ.

والصواب أنّ قوله عليه السّلام: «غير ملثٍّ ودقه ولا خلّبٍ برقه» من باب التكميل، فيكون وصفه بذلك تكملة لما قبله، ليكون جامعاً بين صفة النفع التامّ المرغوب فيه، وصفة السلامة من الإفساد بالإفراط المدلول عليه بقوله: «غير ملثٍّ ودقه»، والتفريط المدلول عليه بقوله: «ولا خُلّبٍ برقه».

---

(١) سورة القصص: الآية ٣٢. (٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص ٣١٠.

اللّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيعاً مُمْرِعاً عَرِيضاً واسِعاً غَزِيراً، تُرُدُّ بِهِ النَّهِيض، وتَجبُرُ بِهِ المِهيضَ.

والبرق الخلّب: الّذي لاغيث فيه كأنّه خادع، من الخلاية بالكسر وهي الخديعة بالقول الطيّب.

قال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث الاستسقاء «اللّهمّ سقياً غير خلّب برقُها» أي: خال عن المطر، الخلّب: السحاب يومض برقه حتّى يرجى مطره، ثمّ يخلِف ويتقشّع، وكأنّه من الخلابة وهي الخداع بالقول اللطيف (١).

وفي الأساس: برق خلّب: لاغيث معه، قال:

لم يك برقك برقاً خلّباً ... انّ خير البرق ما الغيثُ معه(٢).

أغاث الله الخلق برحمته؛ كشف شدّتهم، ومنه اغاثهم المطرأي: رفع ما كان بهم من القحط، وهومن الإسناد المجازي، والمغيث في الحقيقة إنّما هوالله تعالىٰ، وهو من الغوث بالواو لامن الغيث بالياء؛ فإنّ الفعل منه غاث بدون ألف.

يقال: غاث الله البلاد غيثاً ـ من باب ضرب ـ: أنزل بها الغيث، وغاث الغيث الأرض: نزل بها، وهذا المعنىٰ ليس مراداً هنا.

والمريع بفتح الميم في النسخ العامة المخصب الناجع،(٣) من مَرُعَ الوادي مراعةً ككرم كرامةً أي: أخصب بكثرة الكلأ.

قال ابن سيده في مجمل اللغة:(٤) وغيث مريع تمرع عنه الأرض أي: تخصب(٥).

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص٥٨. (٢) أساس البلاغة: ص ١٧١.

(٣) (ج) النافع. (٤) اعلم أنّ مجمل اللغة لابن فارس دون ابن سيدة.

(٥) عثرنا على هذه العبارة في لسان العرب: ج ٨ ص ٣٣٥، ومايؤدّي إلى معناها في مجمل اللغة: مخطوط ص ٤١٧ في مادّة مرع.

....

ورجل مريع الجناب: كثير الخير، على المثل(١)

وبضمّ الميم كما في نسخة ابن إدريس: الكثير النماء، من راع الطعام إذا صارت له زيادة في العجن والخبز. وأراعت الإبل إذا كثرت أولادها.

ويروى مربعاً بضمّ الميم والباء الموحّدة، أي: مغنياً عن الارتياد لعمومه، فالناس يربعون حيث كانوا، أي: يقيمون ولا يطلبون ويرتادون المراعي في غير مراعيهم، من أربعوا إذا أقاموا في المربع.

وقال الخطابي:(٢) أي: منبتاً للربيع.

قال بعضهم: والأوّل هو الأعرف؛ لأنّ الإرباع بمعنى إنبات الربيع قلّما ذكر في كلامهم.

والممرع: بمعنى المخصب أيضاً.

يقال: أمرع المكان إمراعاً كما يقال: مرع مراعة: إذا أخصب.

والعريض: الكثير الدايم، مستعار ممّا له عرض متّسع؛ للإشعار بكثرته واستمراره، وهو أبلغ من الطويل؛ إذ الطول أطول الامتدادين، فإذا كان عرضه كذلك فما ظنّك بطوله؟ ومنه قوله تعالى: «وإذا مسّهُ الشّرُّ فذو دعاءٍ عريضٍ»،(٣).

(١) لسان العرب: ج٨ ص٣٣٥. وتاج العروس: ج ٥ ص ٥١١.

(٢) هو أبوسليمان حمدبن محمّدبن ابراهيم بن الخطّاب البستي، قيل: ينتهي نسبه إلى زيدبن الخطّاب أخي عمربن الخطّاب، وكان محدّثاً فقيهاً لغوياً أديباً، وله مصنّفات كثيرة منها: غريب الحديث، ومنها شرح سنن أبي داود، ومنها: شرح البخاري، هذا. وقد نقل العلاّمة المجلسي قدّس سره بعض تحقيقاته في كتاب السماء والعالم من البحار في شرح حديث رأي المؤمن ورؤياه في آخرالزمان على سبعين جزء من أجزاء النبوّة فراجع. وتوفّي سنه ٣٨٣ أو ٣٨٨ الهجريّة

الكنى والألقاب: ج ٢ ص١٨٤ـ ١٨٥

(٣) سورة فصّلت: الآية ٥١.

اللّهُمَّ اسْقِنَا سَقْياً تُسيلُ مِنْهُ الظِّرابَ، وتَمْلأُ مِنْهُ الجِبابَ، وتُفَجِّرُ بِهِ الأنْهارَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الأشْجارَ، وتُرْخِصُ بِهِ الاسْعارَ في جَميعِ الأمْصارِ، وتَنْعَشُ بِهِ البَهائِمَ وَالخَلْقَ، وتُكْمِلُ لَنا بِهِ طَيِّباتِ الرِّزْقِ، وَتُنْبِتُ لَنابِهِ الزَّرْعَ، وتُدِرُّ بِهِ الضَّرْعَ، وتزيدُنا بِهِ قُوَّةً إلىٰ قُوَّتِنا.

وبالغين المعجمة: الطريّ، ويقال لماء المطر: غريض لطرواته.

والواسع: الذي وسع غيثه كلّ مكان وخصبه كلّ جدب.

والغزير: الكثير الماء والقطر.

والنهيض: فعيل بمعنى فاعل، وهو صفة لموصوف حذف للعلم به، أي: النبت النهيض.

يقال: نهض النبت ينهض أي: استوىٰ.

والمراد بردّه إعادته إلىٰ ماكان عليه من الاستواء؛ لأنّه بعد استوائه انخفض وانجدل علىٰ الأرض لعدم المطر والسقي، أو إعادة مانهض من النبت في سالف السنين المخصبة.

وجبرت العظم جبراً ـ من باب قتل ـ: أصلحته، فجبر هو جبراً أيضاً وجبوراً: صلح، يستعمل لازماً ومتعدّياً.

والمهيض: مفعول من هاض العظم يهيضه هيضاً كسره بعد الجبور، وهو أشدّ مايكون من الكسر، شبّه النبات المنكسر للقحط بالعظم المكسور،فاستعار له لفظ المهيض تصريحاً بالاستعارة، وقرنها بذكر الجبر الذي هو من لوازم المستعار منه ترشيحاً.

سال الماء يسيل سيلاً ـ من باب باع ـ: جرى، وأسلته إسالةً: أجريته.

والظراب: جمع ظرب علىٰ وزن كتف، وهو الجبل الصغير، أو المنبسط على

....

وقيل: الظراب: الراوبي الصغار.

وقيل: هي رؤوس الجبال.

وإيقاع فعل الإسالة علىٰ الظراب مجاز عقلي؛ إذ حقّه أن يوقع على الماء لأنّه المسال حقيقة، لكنّه أوقع على مكانه لملابسته له، كما أُسند الفعل إليه في سال النهر، فإنّ المجاز العقليّ أعمّ من أن يكون في النسبة الإسناديّة أو غيرها، فكما أنّ إسناد الفعل إلىٰ غير ماحقّه أن يسند إليه مجاز، فكذا إيقاعه علىٰ غير ماحقّه أن يوقع عليه وإضافة المضاف إلىٰ غير ماحقّه أن يضاف إليه؛ لأنّه جاز موضعه الأصليّ، نصّ علىٰ ذلك التفتازاني في المطوّل(١).

قال بعض المترجمين: وإنّما خصّ الظراب بالذكر لظهور سيلان السيول عليها، أو يكون المراد إيقاع الإسالة عليها حقيقة، فيكون الغرض طلب كثرة المطر حتّىٰ تذيب الظراب وتسيلها إنتهىٰ.

ولايخفىٰ سخافة كلّ من الوجهين، بل إنّما خصّ الظراب بالذكر لأنّها من جملة المراعي التي تصعدها الأنعام وترعىٰ مافيها من النبات، بخلاف الجبال الشواهق التي لايمكن رقيّها وصعودها، كما يدلّ عليه حديث عبادة بن الصامت أو أخيه عبدالله: يوشك أن يكون خير مال المسلم شاة بين مكة والمدينة، ترعىٰ فوق رؤوس الظراب وتأكل من ورق القتاد والبشام(٢).

والجباب: جمع جبّ.

قال في القاموس: الجبّ بالضمّ: البئر أو الكثيرة الماء البعيدة القعر، أو الجيّدة الموضع من الكلأ، أو التي لم تطو، أو ممّا وجدلا ممّا حفره الناس (٣).

---

(١) كتاب المطول: ص٥٩.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ج٢ ص٣٧٥. (٣) القاموس المحيط: ج١ ص٤٣.

....

وفجرت الماء فجراً - من باب قتل - وفجّرته تفجيراً فانفجر وتفجّر: أجريته فجرىٰ.

وقيل: هو أنّ تفتح له طريقاً ليخرج من منبعه ويسيل جارياً.

والأنهار: جمع نهر بالتحريك لغة في النهر بالسكون مثل سبب وأسباب، والساكن يجمع علىٰ نُهُر بضمّتين وأنهر، وهو المجرىٰ الواسع من مجاري الماء، وإيقاع التفجير عليها مجاز عقليّ كما تقدّم.

وفي المصباح للفيومي: النهر: الماء الجاري المتّسع، ثمّ أُطلق على الأُخدود مجازاً للمجاورة، فيقال: جرىٰ النهر وجفّ النهر كما يقال: جرىٰ الميزاب، والأصل جرىٰ ماء النهر(١) إنتهىٰ.

وعلى هذا فيجوز أن يكون تفجير الأنهار حقيقةً لا مجازاً.

والأشجار: جمع شجر، وهو ماله ساق صلب من النبات يقوم به كالنخل وغيره.

وفي القاموس: الشجر من النبات: ماقام علىٰ ساق، أوماسما بنفسه، دقّ أو جلّ، قاوم الشتاء أو عجز عنه(٢).

والرخص بالضمّ: ضدّ الغلاء، رخص الشيء رخصاً من باب قُربَ فهو رخيص، ويتعدّىٰ بالهمزة فيقال: أرخص الله السعر، وتعديته بالتضعيف غير معروف، فلا يقال: رخصه الله ترخيصاً.

والأسعار: جمع سعر بالكسر، وهو تقدير أثمان الاشياء وارتفاعه غلاء وانحطاطه رخص.

وقيل: هو تقدير مايباع به الشيء طعاماً كان أو غيره، ويكون غلاءً ورخصاً

---

(١) المصباح المنير: ص ٨٦٢. (٢) القاموس المحيط: ج ٢، ص ٥٦.

....

باعتبار الزيادة على المقدار الغالب في ذلك المكان والأوان والنقصان عنه.

فائدة: أختلف في التسعير، فقيل: هو من فعل الله سبحانه وهو ماذهبت إليه الأشاعرة؛ بناءً علىٰ أصلهم من أنّه لافاعل إلّا الله تعالى؛ ولما ورد في الحديث: حين وقع غلاء في المدينة فاجتمع أهلها إليه عليه السّلام، وقالوا: سَعِر لنا يارسول الله، فقال: المسعّر هوالله(١).

واختلف المعتزلة في هذه المسألة.

فقال بعضهم: هو فعل مباشر من العبد؛ إذ ليس ذلك إلّا مواضعة منهم على البيع والشرىٰ بثمن مخصوص.

وقال آخرون: متولّد من فعل الله تعالىٰ، وهو تقليل الأجناس وتكثير الرغبات بأسباب هي من فعله تعالى.

والذي تذهب إليه معشر الإماميّة: أنّ خروج السعر عن مجرىٰ عادته ترقيّاً أو نزولاً، إن استند إلىٰ أسباب غير مستندة إلىٰ العبد واختياره نسب الى الله تعالىٰ حتّى توافق إرادات عامّة الناس ورغباتهم، وإلّا نسب إلى العبد، كجبر السلطان الرعية علىٰ سعرٍ مخصوص.

وماورد في الحديث النبويّ المذكور محمول علىٰ أنّه لا ينبغي التسعير، بل يفوّض إلى الله تعالىٰ ليقرره بمقتضىٰ حكمته الكاملة ورحمته الشاملة، لا أنّ كلّ تسعير وقع منسوب إلىٰ الله تعالىٰ؛ إذ لوكان هذا مراده عليه السّلام لم يكن إجابته إلىٰ سؤالهم منافياً له، ولا كان قوله: «المسعّر هوالله» عذراً عن ترك التسعير.

وماورد من الأخبار عن أهل البيت عليهم السّلام في هذا المعنىٰ.

كما روي عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام أنّه قال: إنّ الله وكلّ ملكاً بالسعر

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٣٦٨.

....

يدبّره بأمره(١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: أنّ الله وكلّ بالأسعار ملكاً يدبّرها بأمره(٢).

فالمراد بالسعر مالم يكن للعبد في أسبابه مدخل، والله أعلم.

والأمصار: جمع مصر بالكسر، وهو البلد العظيم، وأصله الحاجز بين الشيئين.

وقال ابن فارس: المصر: كلّ كورة يقسّم فيها الفيء والصدقات(٣).

ونعشه نعشاً -من باب منع-: جَبَره بعد فقره، وأصله من نعشت العاثر إذا رفعته من عثرته.

قال في الأساس: ومن نعشته فانتعش إذا تداركته من ورطةٍ(٤).

وقال ابن سيده في محكم اللغة: نعشه ينعشه نعشاً: تداركه من هلكة، ونعشه الله وأنعشه: سدّ فقره، والربيع ينعش الناس: يغيثهم، قال النابغة:

وأنت ربيعٌ ينعش الناس سيبه وسيفٌ أعيرتُه المنية قاطعُ(٥)

والبهائم: جمع بهيمة، وهي كلّ ذاتِ أربع من دوابّ البّر والبحر، وكلّ حيوان لايميّز فهو بهيمة.

والمراد بالخلق: الناس، كمايؤذن به إيراده في مقابلة البهائم.

وكمل الشيء كمولاً من باب قعد، والاسم الكمال، ويستعمل في الذوات والصفات.

يقال، كمل إذا تمّت أجزاؤه وكملت محاسنه، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال: أكملته إكمالاً وكمّلته تكميلاً.

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢٦٨ ح ٣٩٧٠.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٦٣ ح ٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج ٥ ص ٣٣٠.

(٤) أساس البلاغة: ص ٦٤٢.

(٥) المحكم في اللغة لابن سيده: ج ١ ص ٢٣١.

....

والرواية في الدعاء وردت بالوجهين.

وطيّبات الرزق: مستلّذاته.

وقيل: هي الجامعة للّذة والنفع والحلّ، وقد تقدّم الكلام عليه مبسوطاً.

والزرع: ما استنبت بالبذر، وتسمية بالمصدر. ومنه يقال: حصدت الزرع أي: النبات.

قال بعضهم: ولايسمّىٰ زرعاً إلّا وهو غضّ طريّ.

ودرّ اللبن دراً ـ من باب ضرب وقتل ـ كثر، وأدرّه الله: كثّره، وصاحبه: استخرجه.

والضرع: لكلّ ذات ظلف وخفّ كالثدي للمرأة، وإدرار الضرع كإجراء النهر مجاز عقليّ.

وقوله عليه السّلام: «وتزيدنا به قوّة إلىٰ قوّتنا» تلميح إلىٰ قوله تعالىٰ حكاية عن هود: «ويـاقومِ استَغفِروا رَبَّكُم ثُمّ تُوبُوا إليه يُرسِل السَّماءَ عَلَيكُم مِدراراً ويزِدْكُم قُوّةً إلىٰ قُوّتِكم»(١).

واستعمال كلمة «إلىٰ» لتضمين معنىٰ الإضافة والانضمام، أي: قوّة مضافةً ومنضّمةً إلىٰ قوّتنا في الدعاء، وإلىٰ قوّتكم في الآية، وفسّرت القوّة هاهنا بالمال والولد والشدّة، وكل ذلك ممّا يتقوّىٰ به الإنسان.

وقال عليّ بن عيسىٰ: يريد عزّاً إلىٰ عزّكم بكثرة عددكم وأموالكم(٢).

وقيل: قوّة في إيمانكم إلىٰ قوّة في أبدانكم، وإنّما خصّص القوة لأنّها أصل الانتفاع بالسقيا وأشرف مطالب الرزق *.

---

(١) سورة هود: الآية ٥٢.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦ ص ١٧٠.

اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ظِلَّهُ عَلَيْنا سَمُوماً، وَلا تَجْعَلْ بَرْدَهُ عَلَيْنا حُسُوماً، وَلا تَجْعَلْ صَوْبَهُ عَلَيْنا رُجُوماً، وَلا تَجْعَلْ مَاءَهُ عَلَيْنا أُجاجاً.

الظلّ قيل: هو الفيء الحاصل من حاجز بينك وبين الشمس مطلقاً.

وقيل: مخصوص بما كان منه إلى الزوال، ومابعده هوالفيء.

وقال ابن قتيبة في أوّل أدب الكاتب: يذهبون -يعني العوام- إلى أنّ الظلّ والفيء بمعنىً، وليس كذلك، بل الظلّ يكون غدوة وعشية ومن أوّل النهار إلىٰ آخره.

ومعنىٰ الظلّ الستر، ومنه أنا في ظلّك، ومنه ظلّ الجنّة، وظلّ شجرها إنّما هو سترها ونواحيها، وظلّ الليل سواده لأنّه يستر كلّ شيء، وظلّ الشمس ماسترت الشخوص من مسقطها.

وأمّا الفيء فلايكون إلّا بعد الزوال، ولايقال لماقبل الزوال: فيء وإنّما سمّي ما بعد الزوال فيء؛ لأنّه ظلّ فاء من جانب إلىٰ جانب والفيء الرجوع(١) إنتهىٰ.

وفي القاموس: الظلّ من السحاب: ماوارىٰ الشمس منه أو سواده(٢).

والسموم بالفتح: الريح الحارّة تكون غالباً بالنهار.

وقيل: هو مطلع الريح الحارّة التي تدخل في مسام البدن، وفسّر «عذاب يوم الظلّة» بأنّه غيم تحته سموم.

والحسوم بالضمّ مصدر كالصعود والهبوط.

يقال: حسمه حسماً وحسوماً من باب ضرب بمعنىٰ قطعه.

ومنه قيل للسيف: حسام؛ لأنّه قاطع.

أي: لاتجعل برده علينا قطعاً أي: قاطعاً، كقوله تعالى: «قُل أرَأيْتُم إنْ أصبحَ ماؤُكم غَوراً»(٣) أي: غائراً.

---

(١) أدب الكاتب: ص٢٧. (٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص١٠. (٣) سورة الملك: الآية ٣٠.

....

والمراد بالقطع الهلاك والاستيصال، يقال: قطعه الله أي: أهلكه واستأصله، أو هو بمعنى التتابع والدؤب، مأخوذ من حسم الداء وهو متابعة الكيّ وإعادته على الداء مرّة بعد أُخرىٰ حتّىٰ ينحسم، أي: لاتجعل برده علينا متتابعاً دائماً؛ فإنّ البرد إذا تتابع أهلك. أو هو بمعنى الشؤم والشرّ الذي يحسم كلّ خير.

قال في القاموس: الحسوم بالضمّ الشوم والدؤوب في العمل(١).

وفُسّر الحسوم من قوله تعالى: «سَبعَ ليالٍ وثَمانيةَ أيّامٍ حسوماً»(٢) أي: ولاءً متتابعة، كأنّه تتابع عليهم الشرّ حتّىٰ استأصلهم، وقيل: دائمة.

وقيل: قاطعة قطعتهم قطعاً حتّىٰ أهلكتهم.

وقيل: شائم نكداً قليلة الخير حسمت الخير عن أهلها.

والصوب بالفتح: نزول المطر وانصبابه، صابت السماء صوباً من باب قال، ومطر صيّب ذوصوب، ويطلق علىٰ المطر نفسه.

ورجمه رجماً ـ من باب قتل ـ: رماه بالحجارة، والرجوم بالضمّ جمع رجم، وهو اسم مايرجم به.

قال ابن الأثير في النهاية: ويجوز أن يكون مصدراً لاجمعاً(٣). وكونه جمعاً أنسب بحمل الصوب علىٰ معنىٰ المطر نفسه، أو مصدراً بحمله علىٰ معنىٰ النزول وإن حملته علىٰ معنىٰ النزول وجعلت الرجوم جمعاً فهو علىٰ حذف مضاف أي: ذارجوم.

أي: لاتجعل نزول مطره علينا ذا حجارةٍ أو نحوها ترجمنا بها، أورميا بالحجارة، أو لاتجعل مطره علينا حجارة، أي: اجعله مطر رحمة لامطر عذاب، كما عذّبت قوماً من قبلنا بإمطار الحجارة عليهم، كما قال تعالى: «وأمطَرْنا علَيهم حِجارةً مِن

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٩٦.

(٢) سورة الحاقّة: الآية ٧.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٠٥.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، وارْزُقْنا مِنْ بَرَكاتِ السَّماواتِ والأرْضِ، إنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

سِجِّيل»(١). ولاحاجة إلى القول بأنّ المعنىٰ لاتجعل صوبه علينا كالحجارة في الإضرار بنا وإفساد النبات والزرع؛ لأنّ حمل الكلام علىٰ ظاهره عند الإمكان أولىٰ من التعسّف في التأويل، كما هو مقرّر عند العلماء.

والأجاج بالضمّ: الشديد الملوحة لايمكن شربه.

وقيل: هو المرّ الشديد المرارة الغليظ الذي لايطاق شربه*.

البركات: جمع بركة بالتحريك، وهي بمعنىٰ الزيادة والنماء، وتطلق علىٰ مطلق الخير. وبركات السماوات والأرض خيراتها النامية؛ بإنزال المطر من السماء، وبإخراج النبات والثمار من الأرض.

وقيل: بركات السماء إجابة الدعاء، وبركات الأرض تيسير الحوائج، وبكلّ من المعنيين فسّر قوله تعالىٰ: «ولَو أنّ أهلَ القُرىٰ آمَنُوا واتَّقَوا لَفَتحنا عَليهم بَركاتٍ مِن السّماءِ والأرضِ»(٢).

وقوله عليه السّلام: «إنّك علىٰ كلّ شي قدير» تعليل للدعاء ومزيدُ استدعاءٍ للإجابة، وتأكيد الجملة لغرض كمال قوّة يقينه بمضمونها.

والقدير: هوالفعّال لكلّ مايشاء؛ ولذلك لم يوصف به غير الباري جلّ جلاله، وقد سلف الكلام علىٰ معنىٰ قدرته تعالىٰ فليرجع إليه، والله أعلم.

هذا آخر الروضة التاسعة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، وقد وقع الفراغ من تحريرها وإتمامها والوقوف على إنهاء نظامها يوم الوافقة(٣) من ذي الحجّة الحرام آخر شهور سنة مائة وألف من الهجرة، ولله الحمد.

---

(١) سورة هود: الآية ٧٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٣) أي: يوم عرفة.

الروضة العشرون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيْ مَكَارِمِ الْاَخْلَاقِ وَمَرْضِيِّ الْاَفْعَالِ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَبَلِّغْ بِاِيْمَانِيْ اَكْمَلَ الْاِيْمَانِ وَاجْعَلْ يَقِيْنِيْ اَفْضَلَ
الْيَقِيْنِ وَانْتَهِ بِنِيَّتِيْ اِلٰى اَحْسَنِ النِّيَّاتِ وَبِعَمَلِيْ اِلٰى اَحْسَنِ الْاَعْمَالِ اَللّٰهُمَّ
وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِيْ وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِيْنِيْ وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ
مِنِّيْ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَاكْفِنِيْ مَا يَشْغَلُنِي الْاِهْتِمَامُ بِهٖ وَاسْتَعْمِلْنِيْ
بِمَا تَسْئَلُنِيْ غَدًا عَنْهُ وَاسْتَفْرِغْ اَيَّامِيْ فِيْمَا خَلَقْتَنِيْ لَهٗ وَاَغْنِنِيْ وَاَوْسِعْ عَلَيَّ
فِيْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْتِنِّيْ بِالنَّظَرِ وَاَعِزَّنِيْ وَلَا تَبْتَلِيَنِّيْ بِالْكِبْرِ وَعَبِّدْنِيْ لَكَ وَلَا
تُفْسِدْ عِبَادَتِيْ بِالْعُجْبِ وَاَجْرِ لِلنَّاسِ عَلٰى يَدِيَ الْخَيْرَ وَلَا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ وَهَبْ لِيْ
مَعَالِيَ الْاَخْلَاقِ وَاعْصِمْنِيْ مِنَ الْفَخْرِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَلَا تَرْفَعْنِيْ
فِي النَّاسِ دَرَجَةً اِلَّا حَطَطْتَنِيْ عِنْدَ نَفْسِيْ مِثْلَهَا وَلَا تُحْدِثْ لِيْ عِزًّا ظَاهِرًا
اِلَّا اَحْدَثْتَ لِيْ ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِيْ بِقَدَرِهَا اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِ
مُحَمَّدٍ وَّمَتِّعْنِيْ بِهُدًى صَالِحٍ لَا اَسْتَبْدِلُ بِهٖ وَطَرِيْقَةِ حَقٍّ لَا اَزِيْغُ عَنْهَا وَنِيَّةِ
رُشْدٍ لَا اَشُكُّ فِيْهَا وَعَمِّرْنِيْ مَا كَانَ عُمُرِيْ بِذْلَةً فِيْ طَاعَتِكَ فَاِذَا كَانَ عُمُرِيْ
مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِيْ اِلَيْكَ قَبْلَ اَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ اِلَيَّ اَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ
عَلَيَّ اَللّٰهُمَّ لَا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّيْ اِلَّا اَصْلَحْتَهَا وَلَا عَائِبَةً اُؤَنَّبُ بِهَا

اِلَّا اَحْسَنْتَهَا وَلَا اُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً اِلَّا اَتْمَمْتَهَا اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ
وَّاٰلِ مُحَمَّدٍ وَّاَبْدِلْنِيْ مِنْ بِغْضَةِ اَهْلِ الشَّنَاٰنِ الْمَحَبَّةَ وَمِنْ حَسَدِ اَهْلِ الْبَغْيِ
الْمَوَدَّةَ وَمِنْ ظِنَّةِ اَهْلِ الصَّلَاحِ الثِّقَةَ وَمِنْ عَدَاوَةِ الْاَدْنَيْنَ الْوَلَايَةَ وَمِنْ
عُقُوْقِ ذَوِي الْاَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ وَمِنْ خِذْلَانِ الْاَقْرَبِيْنَ النُّصْرَةَ وَمِنْ حُبِّ
الْمُدَارِيْنَ تَصْحِيْحَ الْمِقَةِ وَمِنْ رَدِّ الْمُلَابِسِيْنَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ
الظَّالِمِيْنَ حَلَاوَةَ الْاَمَنَةِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَاجْعَلْ لِّيْ يَدًا
عَلٰى مَنْ ظَلَمَنِيْ وَلِسَانًا عَلٰى مَنْ خَاصَمَنِيْ وَظَفَرًا بِمَنْ عَانَدَنِيْ وَهَبْ لِّيْ مَكْرًا
عَلٰى مَنْ كَايَدَنِيْ وَقُدْرَةً عَلٰى مَنِ اضْطَهَدَنِيْ وَتَكْذِيْبًا لِّمَنْ قَصَبَنِيْ وَسَلَامَةً
مِّمَّنْ تَوَعَّدَنِيْ وَوَفِّقْنِيْ لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِيْ وَمُتَابَعَةِ مَنْ اَرْشَدَنِيْ
اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَسَدِّدْنِيْ لِاَنْ اُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِيْ بِالنُّصْحِ
وَاَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِيْ بِالْبِرِّ وَاُثِيْبَ مَنْ حَرَمَنِيْ بِالْبَذْلِ وَاُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِيْ
بِالصِّلَةِ وَاُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِيْ اِلٰى حُسْنِ الذِّكْرِ وَاَنْ اَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَاُغْضِيَ
عَنِ السَّيِّئَةِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَحَلِّنِيْ بِحِلْيَةِ الصَّالِحِيْنَ وَاَلْبِسْنِيْ
زِيْنَةَ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَاِطْفَاۤءِ النَّائِرَةِ وَضَمِّ اَهْلِ
الْفُرْقَةِ وَاِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَاِفْشَاۤءِ الْعَارِفَةِ وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ وَلِيْنِ الْعَرِيْكَةِ

وَخَفْضِ الْجَنَاحِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ وَسُكُونِ الرِّيحِ وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ وَالسَّبْقِ إِلَى
الْفَضِيلَةِ وَإِيثَارِ التَّفَضُّلِ وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ وَالْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ وَالْقَوْلِ
بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ وَاسْتِقْلَالِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ
مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَأَكْمِلْ ذٰلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَرَفْضِ أَهْلِ
الْبِدَعِ وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ أَوْسَعَ
رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ وَلَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكَسَلِ عَنْ
عِبَادَتِكَ وَلَا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ وَلَا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ وَلَا مُجَامَعَةِ
مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ وَلَا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ
عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ وَ
لَا تَفْتِنِّي بِالْاِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ وَلَا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ
إِذَا افْتَقَرْتُ وَلَا بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ فَأَسْتَحِقَّ بِذٰلِكَ
خِذْلَانَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ مَا
يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ وَ
تَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ
أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ أَوِ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ
وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَلَا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي وَلَا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ
مِنِّي وَلَا أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي وَلَا أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي وَلَا
أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي اللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ وَإِلَى عَفْوِكَ
قَصَدْتُ وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ
لِي مَغْفِرَتَكَ وَلَا فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى
نَفْسِي إِلَّا فَضْلُكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ اللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي
بِالْهُدَى وَأَلْهِمْنِي التَّقْوَى وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى
اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَى
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنِي بِالِاقْتِصَادِ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ
مِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ وَسَلَامَةَ الْمِرْصَادِ
اللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا
فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا اللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي
إِنْ حُرِمْتُ وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ وَلِمَا فَسَدَ

صلاح و فيما انكرت تغيير فامنن علي قبل البلاء بالعافية و قبل الطلب
بالجدة و قبل الضلال بالرشاد و اكفني مؤونة معرة العباد و هب لي امن
يوم المعاد و امنحني حسن الارشاد اللهم صل على محمد و اله و ادرا
عني بلطفك و اغذني بنعمتك و اصلحني بكرمك و داوني بصنعك و
اظلني في ذراك و جللني رضاك و وفقني اذا اشتكلت علي الامور
لاهداها و اذا تشابهت الاعمال لازكاها و اذا تناقضت الملل لارضاها
اللهم صل على محمد و اله و توجني بالكفاية و سمني حسن الولاية و هب
لي صدق الهداية و لا تفتني بالسعة و امنحني حسن الدعة و لا تجعل
عيشي كدا كدا و لا ترد دعائي علي ردا فاني لا اجعل لك ضدا و لا
ادعو معك ندا اللهم صل على محمد و اله و امنعني من السرف و حصن
رزقي من التلف و وفر ملكتي بالبركة فيه و اصب بي سبيل الهداية للبر
فيما انفق منه اللهم صل على محمد و اله و اكفني مؤونة الاكتساب و ارزقني
من غير احتساب فلا اشتغل عن عبادتك بالطلب و لا احتمل اصر تبعات
المكسب اللهم فاطلبني بقدرتك ما اطلب و اجرني بعزتك مما ارهب
اللهم صل على محمد و اله و صن وجهي باليسار و لا تبتذل جاهي بالاقتار

فَاسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي
وَأُبْتَلَى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ وَفَرَاغاً فِي زَهَادَةٍ وَعِلْماً
فِي اسْتِعْمَالٍ وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ
رَحْمَتِكَ أَمَلِي وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي
عَمَلِي اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ
وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ وَانْهَجْ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً
أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَأَفْضَلِ مَا
صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى
أَحَدٍ بَعْدَهُ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ
عَذَابَ النَّارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين(١)

الحمدالله الكبير المتعال، الهادي إلى مكارم الأخلاق و مرضيّ الأفعال، والصّلاة والسّلام علىٰ نبيّه الكريم، المخاطب في الذِكر الحكيم بأنّك علىٰ خُلُقٍ عظيمٍ(٢)، وعلىٰ أهل بيته أولي الأخلاق الرضيّة والشيم المرضيّة.

وبعد فهذه الروضة العشرون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء العشرين من أدعية صحيفة سيّدالعابدين، إملاء العبد الراجي فضل ربّه السني، عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، أحسن الله أخلاقه، ووفرّ من مرضيّ الأفعال خِلاقة.

---

(١) (ج) و به أستمدّ.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

شرح الدعاء العشرين

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عليهِ السلامُ.
في مَكارم الأخلاقِ وَ مرضيّ الأفعال:

أي في طلبها والتوفيق للتخلّق بها.

والمكارم: جمع مكرمة بضمّ الرّاء، وهي اسم من الكرم ضدّ اللؤم، فإضافتها إلى الأخلاق بمعنى «مِن»، أي: في المكارم من الأخلاق، أو بفتح الراء بمعنى كريمة.

قال في القاموس: الكرم محرّكة: ضدّ اللؤم، كرم بضمّ الراء كرمةً وكرماً فهو كريم وكريمة ومكرم ومكرمة (١).

فإضافتها إلى الأخلاق من إضافة الصفة إلى الموصوف، بتأويل جعلها نوعاً مضافاً إلى الجنس ككرام الناس.

والأخلاق: جمع خلق بضمّتين، وقد يسكن.

قال الراغب: هو والمفتوح في الأصل بمعنىً واحد، لكن خصّ المفتوح بالهيئات والصور المدركة بالبصر، والمضموم بالسجايا والقوّة المدركة بالبصيرة(٢).

وعرّفوه بأنّه ملكة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة من غير رويّة وفكر، وهو

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٧٠.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص٣٩ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

قريب من الغريزة، وهي ملكة تصدر عنها صفات ذاتيّة، إلّا أنّ للاعتياد مدخلاً في الخلق دون الغريزة.

والأفعال: جمع فعل بالكسر، اسم من فعل فعلاً بالفتح، وهو الأثر الصادر عن مؤثّر عالم أو غيره، عن قصد أو دونه، وهو أعمّ من العمل، وهو الأثر الصادر عن عالم قاصد له، فكلّ عمل فعل دون العكس. وقد يطلق كلّ منهما على الآخر توسّعاً كما وقع هنا، فإنّ المراد بالأفعال: الأعمال أعمّ من أن تكون نفسانيّة كأفعال القلوب، أو جسمانيّة كحركات البدن، أو ما كان بمشاركة البدن والنفس كالصناعات.

وبمرضيّها: ما تعلّق به المدح في العاجل والثواب في الآجل.

تنبيه

اختلف في الخلق، فقيل: هو غريزي من جنس الخلقة، ولا يستطاع تغييره خيراً كان أو شرّاً، كما قال:

وما هذه الأخلاق آلا غرائز ... فمنهنّ محمود ومنها مذمّم

ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه ... لئيم ولا يستطيعه وهو متكرّم

ويدلّ عليه قوله صلّى الله عليه وآله: من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً فليشكر الله(١).

ومحال أن يمكن المخلوق تغيير فعل الخالق، فالتكليف بتهذيب الأخلاق تكليف بما لا يطاق.

ووقيل: بل هو كسبيّ؛ لقوله عليه السّلام: حسّنوا أخلاقكم(٢)، فلولم يكن

(١) و(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٤٠ الباب الثامن عشر.

....

كسبيّاً لما أمر به، ولأنّا نرىٰ كثيراً من الناس يزاولون ويمارسون خلقاً من الأخلاق حتّى يصير ملكة.

وقال بعضهم: الحقّ أنّ أصله غريزيّ وتمامه مكتسب. وبيانه: أنّ الله تعالى خلق الأشياء على ضربين:

أحدهما: بالفعل، ولم يجعل للعبد فيه عملاً، كالسماء والأرض والهيئة.

والثاني: بالقوّة، وهو ماخلقه خلقاً ما وجعل فيه قوّة، ورشّح الإنسان لإكماله وتغيير حاله، وإن لم يرشّحه لتغيير ذاته، كالنوىٰ الذي جعل فيه قوّة النخل، وسهّل للإنسان سبيلاً أن يجعله بعون الله نخلاً وأن يفسده إفساداً.

قال: والخلق من الإنسان يجري هذا المجرى في أنّه لا سبيل للإنسان إلى تغيير القوّة التي هي السجيّة والغريزة، وجعل له سبيلاً إلى إسلاسها؛ ولهذا قال تعالىٰ: «وقَد خابَ مَن دَسّاها»(١)، ولولم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والأمر والنهي، ولما جوّز العقل أن يقال: للعبد: لمَ فعلت؟ ولمَ تركت؟ وكيف يكون هذا في الإنسان ممتنعاً وقد وجدناه في بعض البهائم ممكناً؟ فالوحشي قد ينقل بالعادة إلى التأنّس والجامح إلىٰ السلاسة، لكنّ الناس في غرائزهم مختلفون، فبعضهم جبل جبلّة سريعة القبول، وبعضهم بطيئة القبول، و بعضهم في الوسط، وكلّ لاينفك من أثر قبول وإن قلّ.

ومن هنا ماورد في الأدعية من طلب التوفيق لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وفي الأحاديث من الأمر بها والحثّ عليها.

قال الراغب: وأرىٰ أنّ من منع(٢) تغيير الخلق فإنّه اعتبر القوة نفسها، وهذا صحيح؛ فإنّ النوى محال أن ينبت الإنسان منه تفّاحاً، ومن أجاز تغييره فإنّه اعتبر

(١) سورة الشمس: الآية ١٠.

(٢) (ج) من قنع.

أَللّهمُ صَلِ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإيمانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ اليَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إلىٰ أَحْسَنِ النيّاتِ، وَبِعَمَلي إلىٰ أَحْسَنِ الأَعْمالِ.

إظهار ما في القوّة إلى الوجود وإمكان إفساده بإهماله، نحو النوىٰ؛ فإنّه يمكن أن يتفقّد فيجعل نخلاً، وأن يترك مهملاً حتّىٰ يفسد، وهذا صحيح أيضاً، فإذن اختلافهما بحسب اختلاف نظريهما.(١)

قال صلوات الله وسلامه عليه (٢):

بدأ عليه السّلام دعاءه بالصلاة على النبيّ وآله عليهم السلام؛ للاستعداد به لقبول الدعاء.

ولما روي عن أمير المؤمنين عليه السّلام: إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ اسأل(٣) حاجتك؛ فإنّ الله تعالىٰ أكرم من يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرىٰ(٤).

وبلغ المكان بلوغاً ـ من باب قعد ـ: وصله، ويتعدّىٰ بالباء والهمزة والتضعيف، فيقال: بلغ به وأبلغه إبلاغاً وبلّغه تبليغاً.

فالباء من قوله: «بإيماني» زائدة للتأكيد، وهي كثيراً ما تزاد في المفعول، نحو: «ولا تُلقوا بأيديكُم إلى التَهْلُكَةِ»(٥)، و«وهُزّي إليكِ بجذِعِ النخْلةِ»(٦)، وقوله:

* تسقى الضجيع ببارد بسّام *

أو ضمّن بلّغ معنىٰ انته، أي: انته بإيماني مبلغاً إيّاه أكمل الإيمان.

والإيمان: إفعال من الأمن الذي هو خلاف الخوف، ثمّ استعمل بمعنىٰ

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص٤١ الباب الثامن عشر. (٢) راجع المتن.

(٣) (ج)، تسأل. (٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص١١٣٨ ح١٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٥. (٦) سورة مريم: الآية ٢٥.

....

التصديق، فالهمزة فيه إمّا للصيرورة، كأنّ المصدّق صار ذا أمنٍ من أن يكون مكذّباً، أو للتعدية، كأنّه جعل المصدّق آمناً من التكذيب والمخالفة.

ويعدّي بالباء لاعتبار معنىٰ الإقرار والاعتراف، نحو: «يؤمنونَ بالغيب»(١).

وباللام لاعتبار معنىٰ الإذعان، نحوَ: «وما أنتَ بمؤمنٍ لنا»(٢)، هذا معناه اللغوي.

وامّا في الشرع فقيل: هو المعرفة، فقومٌ بالله، وقومٌ به وبما جاءت به رسله إجمالاً.

وقيل: هو كلمتا الشهادة.

وقيل: هو التّصديق معهما.

وقيل: هو أعمال الجوارح، فقومٌ هو الطاعات بأسرها فرضاً أو نفلاً، وقومٌ هو الطاعات المفترضة دون النوافل.

وقيل: هو مجموع الثلاثة، فهو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وقيل: هو التصديق بالله ورسوله وبما جاء به إجمالاً والولاية لأهلها. وهو الحقّ؛ لدلالة الآيات والأخبار عليه، نحو قوله تعالى: «أُولـئكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمْ الإيمان»(٣)، «ولمّا يَدخُلِ الإيمانُ في قُلوبِكُم»(٤)، «وَقَلْبُهُ مُطمِئنٌّ بالايمانِ»(٥)، دلّت على أنّه أمر قلبي.

وقوله تعالى: «وإن طائِفتانِ مِنَ المؤمنينَ اقتَتَلوا(٦)»، «يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِصاصُ في القَتْلىٰ»(٧)، «الذينَ آمنوا ولم يَلبِسوا إيمانَهُم بظُلْمٍ»(٨)، دلّ اقتران الإيمان بالمعاصي فيها علىٰ أنّ العمل غير داخل في حقيقته.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٧.
(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
(٤) سورة الحجرات: الآية ١٤.
(٥) سورة النحل: الآية ١٠٦.
(٦) سورة الحجرات: الآية ٩.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٧٨.
(٨) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

....

وقوله تعالى: «الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصالحاتِ»(١) دلّ على التغاير، وأنّ العمل ليس داخلاً فيه، لأنّ الشيء لا يعطف على نفسه ولا الجزء على كله.

وقول الرسول صلّى الله عليه وآله: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلىٰ قلبه لا تذمّوا المسلمين(٢).

وقول الصادق عليه السّلام: الإيمان وقر في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح(٣).

وقوله عليه السّلام: يبتلى المؤمن علىٰ قدر إيمانه وحسن أعماله(٤).

دلّت علىٰ محليّة القلب للإيمان ومغايرته للعمل، علىٰ انّ كون الإيمان عبارة عن التصديق المخصوص المذكور لا يفتقر إلى نقله عن معناه اللغوي الذي هو التصديق مطلقاً؛ لأنّ التصديق المخصوص فرد منه، بخلاف ما إذا كان المراد غيره من المعاني المذكورة؛ فإنّه يستلزم النقل وهو خلاف الأصل، ولو كان منقولاً لتبيّن للأُمّة نقله بالتوقيف، كما تبيّن نقل الصلاة والزكاة ونحوهما، ولاشتهر اشتهار نظائره، بل هو كان بذلك أولىٰ.

وأمّا ما ذهب إليه المحقّق الطوسي من أصحابنا، من أنّ الإيمان مركّب من الإقرار والتصديق(٥).

واستدلّ علىٰ أنّ الأوّل وحده ـ وهو الإقرار باللسان ـ ليس بإيمان، بقوله تعالى: «قالت الأعرابُ آمنّاً قُلْ لَم تُؤمِنوا ولكنْ قُولوا أسْلمنا»(٦)، فقد أثبت الإقرار اللساني ونفى الإيمان، فعلم أنّ الإيمان ليس هو الإقرار باللسان.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٩. (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٥٤ ح ٢.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦ ح ٣ وفيه الإيمان ماوقر في القلوب.
(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٥٢ ح ٢، وفيه: يبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه.
(٥) تجريد الاعتقاد: ص ٣٠٩. (٦) سورة الحجرات: الآية ١٤.

....

وعلىٰ أنّ الثاني وحده ـ وهو التصديق ـ ليس بإيمان، بقوله تعالىّ: «وجَحدوا بها واسْتَيْقَنَتْهَا أنفسُهم»(١)، أثبت للكفّار الاستيقان النفسي وهو التصديق، فلوكان الإيمان نفس التصديق لزم اجتماع الكفر والإيمان في شخص واحد في آن واحد، ولا شكّ أنّهما متقابلان لايمكن إجتماعهما كذلك (٢).

ففيه أوّلاً: أنّ التصديق لمّا كان مقروناً بالإنكار كان غير معتبر؛ لأنّ التصريح بالنقيض ربّما كان مانعاً من القبول والاعتبار؛ ولذلك اشترط فيه عدم الإنكار باللسان.

وثانياً: أنّ هذه الآية إنّما تدلّ على أنّ التّصديق وحده ليس بايمان، ولا تدلّ على أنّ الإقرار باللسان جزء من الإيمان؛ لجواز أنّ يكون شرطاً له، والمشروط ينتفي بانتفاء الشرط كما أنّ الكلّ ينتفي بانتفاء الجزء.

ومن ثمّ حمل المتكلّمون، القائلون بأنّ الإيمان نفس التصديق، الأخبار، الدالّة على جزئيّة أعمال الجوارح للإيمان على أنّها للكمال، بمعنىٰ أنّ العمل ليس جزءً للإيمان بحيث يعدم الإيمان بعدم العمل، بل إضافة العمل إليه إضافة كمال، وكذا حملوا الأخبار الدالّة على جزئيّة الإقرار باللسان على أنّه شرط في الإيمان لاجزء منه، وعلى هذا حملوا الأخبار المختلفة الدالّ بعضها على أنّ الايمان نفس التصديق والعمل، وبعضها على أنّه التصديق والإقرار.

ثمّ كون الإقرار باللسان شرطاً في كون التصديق القلبي إيماناً هو مذهب طائفة من العامّة أيضاً.

قال التفتازاني في شرح العقائد: فرقة تقول: الإقرار شرط لصحّته.(٣)

---

(١) سورة النمل: الآية ١٤.

(٢) كشف المراد: ص٤٢٦ـ ٤٢٧، مع تقديم وتأخير واختلاف.

(٣) شرح العقائد للتفتازاني: ص٢٠٤.

....

وقال الدواني في شرحه للعقائد العضديّة: والتلفّظ بكلمتي الشهادة مع القدرة عليه شرط، فمن أخلّ به فهو كافر مخلّد بالنار(١)، إنتهىٰ.

وقال بعض أصحابنا: إنّما يشترط عدم الإنكار باللسان، وأمّا كون الإقرار شرطاً في قبول الإيمان القلبي فلا.

تبصرة

اخلتف في الإيمان، هل يقبل الزيادة والنقصان أم لا؟ فذهب إلى كلٍّ طائفة.

وقال كثير من المتكلّمين: هو بحث لفظي، لأنّه فرع تفسير الإيمان.

فإن قلنا: هو التصديق فلا يقبلهما؛ لأنّ الواجب هو اليقين، وانّه لا يقبل المتفاوت لا بحسب ذاته ولا بحسب متعلّقه.

أمّا الأوّل، فلأنّ التفاوت إنّما هو لاحتمال النقيض، وهو ولو بأبعد وجهٍ ينافي اليقين فلا يجامعه.

وأمّا الثاني، فلأنّه جميع ما علم بالضرورة مجيء الرسول به، والجميع من حيث هو جميع لا يتصوّر فيه تعدّد؛ وإلّا لم يكن جميعاً.

وإن قلنا: هو العمل وحده أو مع التصديق فيقبلهما، وهو ظاهر.

وماورد في الكتاب والسنّة ممّا يدلّ على قبوله إيّاهما فباعتبار الأعمال، فيزيد بزيادتها وينقص بنقصانها.

وقال المحقّقون من الفريقين: الحقّ انّ التصديق يقبل الزيادة والنقصان بحسب ذاته وبحسب متعلّقه.

أمّا الأوّل، فلأنّ التصديق من الكيفيّات النفسانيّة المتفاوته قوّة وضعفاً، فيجوز

(١) شرح العقائد العضديّة للدواني: ص٨٧.

....

أن يكون التفاوت فيه بالقوّة والضعف بلا احتمال للنقيض، وللفرق الظاهر بين إيمان النبيّ وآحاد الأُمّة.

وأمّا الثاني، فلأنّ التصديق التفصيلي في أفراد ما علم مجيء الرسول جزء من الإيمان، يثاب عليه ثوابه على تصديقه بالإجمال، فكان قابلاً للزيادة.

وقوله تعالى: «ولكنْ ليطْمَئِنَّ قَلْبي»(١) ناظر إلى الأوّل، لأنّ عين اليقين أقوى من علم اليقين؛ ولهذا قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: لوكشف الغطاء ما ازددت يقيناً(٢).

وقوله تعالى: «وإذا تُلِيَت عليهِم آياتُهُ زادَتْهم إيماناً»(٣) ناظر إلى الثاني.

إذا عرفت ذلك فقوله عليه السّلام: «بلّغ بإيماني أكمل الإيمان»، يحتمل أن يكون المراد به نفس التصديق وهو أصل الإيمان الكامل، وأن يكون المراد به الإيمان الكامل وهو التصديق مع العمل؛ فإنّ لكلٍّ منهما درجات ومراتب متكثّرة متفاوتة بعضها فوق بعض، وأدناها في التصديق أصل المعرفة؛ لأنّ زواله يوجب الكفر، وفي العمل القيام بالمفروضات واجتناب المنهيّات، وأعلاها فيهما غاية الكمال للبر، وهي في التصديق كمرتبة عين اليقين، أو أعلى منها وهي مرتبة حقّ اليقين، وفي العمل صرف جميع الجوارح في جميع الأوقات في جميع ما خلقت له، وقد وردت أخبار كثيرة في أنّ الإيمان درجات.

فعن أبي عبدالله عليه السّلام: أنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة(٤).

وعن الزبيري عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: قلت له: إنّ للايمان درجات

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.
(٢) شرح المائة كلمة للإمام عليّ: ص ٥٢.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٢.
(٤) الخصال: ص ٤٤٧ باب الإيمان عشر درجات ح ٤٨.

....

ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم (١).

وعنه عليه السّلام: أنّ الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه(٢).

قال بعض الشارحين: التامّ المنتهي تمامه كإيمان الأنبياء والأوصياء، والناقص البيّن نقصانه هو أدنىٰ المراتب الذي دونه الكفر، والراجح الزائد رجحانه علىٰ مراتب غير محصورة، باعتبار التفاوت في الكمّيّة والكيفيّة (٣)، والله أعلم.

تتمّة

لبعض محقّقي المفسّرين كلام نفيس في الإيمان، لابأس بإيراده هنا لكمال تعلّقه بالمقام.

قال رحمه الله إنّ للإيمان وجوداً في الأعيان ووجوداً في الأذهان ووجوداً في العبارة، ولا ريب أنّ الوجود العيني لكلّ شيء هو الأصل وباقي الوجودات(٤) فرع وتابع. فالوجود العيني للإيمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحقّ جلّ ذكره «اللهُ وَلِيُّ الذينَ آمَنُوا يُخرِجُهم مِنَ الظُّلماتِ إلىٰ النُور»(٥)، وهذا النور قابل للقوة والضعف والزيادة والنقصان كسائر الأنوار «وإذا تُلِيَت عليهِم آياتُهُ زادَتْهُم إيماناً»(٦)، كلّما ارتفع حجاب ازداد نور، فيقوى(٧) الإيمان ويتكامل إلى أن يبسط (٨) نوره، فينشرح الصدر ويطّلع علىٰ حقائق الأشياء، وتتجلّىٰ له الغيوب وغيوب الغيوب، ويعرف كلّ شيء في موضعه، فيظهر

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٠ ح ١. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٤ ح ١.
(٣) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٨ ص ١٠٠.
(٤) (الف): الموجودات، (ج): الوجود. (٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.
(٦) سورة الأنفال: الآية ٢. (٧) (ج): فيتقوّى. (٨) (ج) ينبط.

....

له صدق الأنبياء عليهم السّلام، ولاسيّما محمّد خاتم النبيّين صلوات الله عليه وعلىٰ آله الطاهرين، في جميع ما أخبروا عنه إجمالاً أو تفصيلاً، على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره، وتنبعث من قلبه داعية العمل بكلّ(١) مامور والاجتناب لكلّ محظور، فينضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة «نورُهم يَسْعىٰ بيْنَ أيديهِم وبأيْمانِهِم»(٢)، «نورٌ على نورٍ يهدي اللهُ لنُورِه مَن يشاءُ»(٣).

وأمّا الوجود الذهني فملاحظة المؤمن لهذا النور ومطالعته له ولمواقعه(٤).

وأمّا الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ولا يخفىٰ أنّ مجرّد التلفّظ بقولنا: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، من غير النور المذكورلايفيد،إلّا كما يفيد العطشان التلفّظ بالماء الزلال، إلّا أنّ التعبير عمّا في الضمير لمّا لم يتيسّر الّا بواسطة النطق المفصح عن كلّ خفي، والمعرب عن كلّ مشتبه، كان للتلفّظ بكلمة الشهادة ولعدمه مدخل عظيم في الحكم بإيمان المرء وكفره، فصحّ جعل ذلك وما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشدّ الزنار دليلاً عليهما، وتفويض أمر الباطن إلى عالم الخفيّات المطّلع على السرائر والنيّات، إنتهى.

وكلامه في الوجود العيني للإيمان مأخوذ من قول أميرالمؤمنين عليه السّلام: إنّ الإيمان يبدو لمظة في القلب، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة(٥).

قال الشيخ كمال الدين رحمه الله: أراد أنّ الإيمان وهو التصديق بوجود الصانع تعالى، أوّل مايكون في القلب يكون حالة، ثمّ لايزال يتأكّد بالبراهين والأعمال الصالحة إلى أن يصير ملكة تامّة، ولفظ اللمظة استعارة لمايبدو من نور الإيمان في

---

(١) (ج): لكلّ. (٢) سورة التحريم: الآية ٨. (٣) سورة النور: الآية ٣٥.

(٤) (ج) والمواقعة. (٥) نهج البلاغة: ج٥ ص٥١٨.

....

القلب اوّل كونه ملاحظة، لشبهه باللمظة من البياض والنكتة من نورالشمس(١)، إنتهى.

قال في القاموس: اللمظة بالضمّ النقطة من البياض(٢).

تنبيه

ظاهر معظم الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام أن الإسلام يصدق عليه مجرّد الإقرار باللسان من غير تصديق، سواء كان معه الإقرار بالولاية أولم يكن، وعلى التصديق المجرّد عن الولاية وإن لم يكن معه الإقرار باللسان، وعلى كليهما مجرّداً عن الولاية أو معها، والإيمان يصدق على التصديق بجميع ماجاء به الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الداخل فيه الولاية، سواء كان معه عمل بما يقتضيه ذلك التصديق أو لم يكن، وإن كان المقرون بالعمل هو الفرد الكامل من الإيمان، بل هو الإيمان المعتبر عند أصحاب العصمة عليهم السّلام، كما يشعر به كثير من أخبارهم عليهم السّلام، فيكون الإيمان -على هذا- أخصّ من الإسلام، فهو كالنوع والإسلام كالجنس، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «واجعل يقيني أفضل اليقين» اليقين: فعيل يكون اسم مصدر، ويكون بمعنى فاعل، من يقن الأمر ييقن يقناً -من باب تعب-: أي ثبت فهو يقين، ويستعمل أيضاً متعدّياً بنفسه وبالباء وبالهمزة والباء، فيقال: يقنته، ويقنت به، وأيقنت به، وتيقّنته، واستيقنته، أي: علمته علماً لا شكّ فيه.

فاليقين لغة: العلم الذي لاشكّ معه، واصطلاحاً قيل: هوالعلم الحاصل من

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٥ ص ٣٧٤، وفيه «النفس» في الموردين بدل «القلب».

(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٩٩.

....

نظر واستدلال؛ ولهذا لايسمّىٰ علم الله تعالىٰ يقيناً.

وقيل: هو غاية الكمال في القوّة النظريّة التي لا تحتمل النقيض، سواء حصلت بالبرهان أو بالمجاهدات والرياضات النفسانيّة والهدايات الخاصّة بالأولياء علىٰ حسب مراتبه.

وقال المحقّق الطوسي في بعض رسائله(١): اليقين: اعتقاد جازم مطابق ثابت لايمكن زواله، وهو في الحقيقة مؤلّف من علمين: العلم بالمعلوم، والعلم بأنّ خلاف ذلك محال، وله مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين(٢).

والقرآن ناطق بذلك، قال تعالى: «لَو تَعلَمونَ عِلْمَ اليقينِ * لتَرَوُنَّ الجحيمَ ثُمَّ لترونَّها عَينَ اليقينِ»(٣)، وقال: «وَتَصْلِيَةُ جحيمٍ إنَّ هذا لَهُوَ حقُّ اليقين»،(٤) وهذه المراتب مرتّبة في الفضل والكمال. وهي مثل مراتب معرفة النار.

فالعلم بالنار مثلاً بتوسّط النار والدخان هو علم اليقين، وهو العلم الحاصل لأهل النظر والاستدلال بالبراهين القاطعة.

والعلم بمعاينة جرم النار المفيض للنور هو عين اليقين، وهوالعلم الحاصل بالكشف للخلّص من المؤمنين الذين اطمأنّت قلوبهم بالله وتيقّنوا بمعاينة القلوب أنّ الله نور السماوات والأرض، كما وصف به نفسه.

والعلم بالنار بالوقوع فيها والاحتراق بها ومعرفة كيفيّتها التي لا يفصح عنها العبارة هو حقّ اليقين، وهو العلم الحاصل بالاتّصال المعنوي لأهل الشهود والفناء في الله (٥).

---

(١) أي: أوصاف الأشراف.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٤٣، نقلاً عن أوصاف الأشراف.

(٣) سورة التكاثر: الآية ٥ و٦ و٧.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٩٤ و٩٥.

(٥) راجع بحارالأنوار: ج ٦٩ ص ١٦٠.

....

وهذا المرتبة هي الدرجة العليا والمنزلة الفضلىٰ التي سألها الداعي عليه السّلام.

وعبّر بعضهم عن هذه المراتب فقال: للعلم ثلاث مراتب:

أولاها: علم اليقين، وهي مرتبة البرهان.

وثانيتها: عين اليقين، وهو أن يرىٰ المعلوم عياناً، فليس الخبر كالعيان.

وثالثتها: حقّ اليقين، وهو أن يصير العالم والمعلوم واحداً(١) ولعلّه لايعرف حقّ هذا المرتبة الّا من وصل إليها، كما أنّ طعم العسل لايعرفه إلا من ذاقه، ولعزّة هذه المرتبة وقلّة الواصلين إليها لم يتعرّض لبيانها الأكثرون.

قال الشيخ بيان الحقّ أبوالقاسم محمودبن أبي الحسن النيسابوري في كتاب خلق الإنسان: قالوا: إنّ اليقين يقينان:

أحدهما: ينفي الشك، وهذا لا يغلب الشهوة، وهو يقين التوحيد.

والآخر: نور مشرق للصدر، غالب للشهوات، مبطل للاختيار، صارت لصاحبه أُمور الدنيا والآخرة وأحوال الملكوت معاينة، وأصبحت لأمره خاضعة طائعة، وعلىٰ هذا جاء عن الله في الزبور المنزل على داود عليه السّلام: لوصدق يقينكم ثمّ قلتم للجبل: انتقل فقع في البحر، لوقع.

وذلك أنّ القلب إذا وصل إلى الله تعالى، وامتلأ من عظمته، وأشرق بنور جلاله وهيبته، فبعد ذلك أينما وقع البصر دارالفكر حوالي ما امتلأ به القلب؛ إذ وصل إلى الله وامتلأ من عظمته من العمل الصرف الصافي الخالص، غير الممزوج بالشبهات المكدّر بالشائبات، بمنزلة الشمس إذا ردّ(٢) قرنها واستوىٰ حاجبها وأشرق ضياؤها، فحيث ماسرت من بلاد الله فضوؤها معك يريك الأشياء بألوانها وهيآتها

(١) راجع بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ١٤٢. (٢) (ج). ورد.

....

ومقاديرها وأشكالها، فكذلك شمس اليقين إذا أشرقت واستضاءت بنورها النفس، أراد ذلك أمر الملكوت، وأحوال الدنيا والآخرة، وبواطن الأشياء والأسرار التي في الغيوب، ممّا كشفها الله لأنبيائه، وأطلع عليها قلوب خيرته وأصفيائه(١).

قلت: وممّا يؤيّد هذا المعنى مارواه ثقة الإسلام في الصحيح بإسناده عن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله صلى الله عليه وآله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله، وقال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا ومافيها، حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك متّكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا عبد نوّرالله قلبه بالإيمان، ثمّ قال له: الزم ما أنت عليه، فقال الشابّ: أدع لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله، فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر(٢).

وهذا الشابّ هو حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري، كما وردت به رواية أُخرى.(٣)

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٣ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٥٤ ح ٣.

....

وممّا يدل على التفاوت في اليقين حتى في الأنبياء عليهم السّلام ما روي في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: اليقين يوصل العبد إلى كلّ حال سنّي ومقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن عظم شأن اليقين -حين ذكره عنده أنّ عيسىٰ بن مريم عليهما السّلام كان يمشي علىٰ الماء- فقال: لو زاد يقينه لمشىٰ في الهواء.

فدلّ بهذا أنّ الأنبياء عليهم السّلام مع جلالة محلّهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لاغير، ولا نهاية لزيادة اليقين على الأبد، والمؤمنون أيضاً متفاوتون في قوّة اليقين وضعفه، فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبرّي من الحول والقوّة إلّا بالله، والاستقامة علىٰ أمرالله، وعبادته ظاهراً وباطناً قد استوت عنده حالتا العدم والوجود، والزيادة والنقصان، والمدح والذمّ، والعزّ والذلّ؛ لأنّه يرىٰ كلّها من عين واحدة، ومن ضعف يقينه تعلّق بالأسباب ورخص لنفسه بذلك، واتّبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعي في أُمور الدنيا وجمعها وإمساكها، يقرّ باللسان أنّه لا مانع ولا معطي إلّا الله، وأنّ العبد لايصيب إلّا مارزق وقسم له، والجهد لايزيد في الرزق، وينكر ذلك بفعله وقلبه، قال الله عزّوجلّ: «يقولونَ بأفْواهِهِم مالَيْسَ في قُلوبِهِم واللهُ أعلمُ بِما يكتُمونَ»(١) إنتهىٰ.

ومن أخبار أهل اليقين ما حكاه إبراهيم الخواص، قال: لقيت غلاماً في التيه كأنّه سبيكة فضّة، فقلت، إلى أين؟ فقال: إلى مكّة، فقلت: بلا زاد ولا راحلة؟ فقال: يا ضعيف اليقين الذي يحفظ السماوات والأرض لايقدر أن يوصلني إلىٰ بيته بلا علاقة؟ فلمّا دخلت مكّة إذا هو في الطواف يقول:

يا عين سخّي أبدا ... يا نفس موتي كمدا

(١) مصباح الشريعة: ص١٧٧- ١٧٨.

....

ولا تخشـــــــي أحـــــدا إلّا الجـلـيـــل الصـمـــدا.

فلمّا رآني ناداني يا شيخ أنت بعدُ على ذلك الضعف من اليقين؟ إنّ من وثق بالله في رزقه لم يطلب الرزق قبل وقته(١).

وعن الصادق عليه السلام: أنّ الإيمان أفضل من الإسلام، وأنّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيءٍ أعزّ من اليقين(٢).

وعن الرضا عليه السّلام بسندٍ صحيح قال: الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوىٰ فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسم بين العباد شيء أقلّ من اليقين(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ العمل الدائم القليل علىٰ اليقين أفضل عندالله من العمل الكثير علىٰ غير يقين(٤).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة(٥).

قوله عليه السّلام: «وإنته بنيّتي إلى أحسن النيّات» الباء: للتعدية، وتسمّىٰ باء النقل، وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً، تقول في قام زيد: أقمْت زيداً وقمت به، أي: صيّرته قائماً.

فمعنىٰ «انته بنيّتي»: اجعلها منتهية إلى أحسن النيّات، أي: بالغة إليه.

والنيّة بالتشديد: اسم من نويت الشيءأنويه أي: قصدته، والتخفيف لغة فيها حكاها الأزهري.(٦)

وكأنّه حذفت اللام وعوّض عنها الهاءعلى هذه اللغة، كما قيل في ثبة وظبة(٧).

---

(١) لم نعثرعليه.

(٢) الكافي: ج ٢ ص٥١ ح ١. (٣) الكافي: ج ٢ ص٥٢ ح ٦. (٤) الكافي: ج ٢ ص٥٧ ح ٣.

(٥) الكافي: ج ٢ ص٥٧ باب فضل اليقين. (٦) المصباح المنير: ص٨٦٨، نقلاً عن الأزهري.

(٧) راجع المصباح المنير: ص٨٦٨، تجد بعض الأقوال فيه.

....

وقيل: مأخذها من نويت الشيء بمعنىٰ: حفظته؛ لأنّ النيّة محلّها القلب، فسميّت بذلك لأنّها تفعل بأنوىٰ عضو في الجسد أي: أحفظ.

واختلفت عبارات العلماء في تعريف النيّة.

فقيل: هي إرادة تفعل بالقلب، فالإرادة بمنزلة الجنس، والوصف بمنزلة الفصل تخرج به إرادة الله تعالى.

وقيل: هي جمع الهمّ في تنفيذ العمل للمعمول له، وأن لا يسنح في السرّ ذكر غيره.

وقيل: هي توجّه القلب نحو الفعل ابتغاءً لوجه الله تعالى.

وقيل: هي الإرادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن معرفة كمال الشيء.

وقال بعض فقهائنا: هي إرادة إيجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً. وأراد بالإرادة: إرادة الفاعل، فخرجت إرادة الله تعالى لأفعالنا، وبالفعل: مايعمّ توطين النفس علىٰ الترك، فدخلت نيّة الصوم والإحرام وأمثالها، وبالمأمور به: ماترجّح فعله شرعاً، فدخل المندوب وخرج المباح.

والظاهر أنّ المراد بالنيّة في الدعاء: هو مطلق القصد إلى إيقاع فعل معيّن لعلّة غائيّة، ولمّا كانت النيّة بهذا المعنىٰ تنقسم باعتبار غايتها إلِى قبيح وحسن وأحسن، سأل عليه السّلام أن يبلغ بنيّته أحسن النيّات.

فالقبيح: ما كان غايته أمراً دنيوياً وحظّاً عاجلاً، وليس له في الآخرة من نصيب، كنيّة أهل الرياء والنفاق ونحوهم.

والحسن: ماكان غايته أمراً أُخروياً، من رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب، والأحسن: ماكان غايته وجه الله تعالى لاغير، ويعبّر عنه بالنيّة الصادقة.

قال شيخنا البهائي قدّس سرّه: المراد بالنيّة الصادقة: انبعاث القلب نحو

....

الطاعة، غير ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه(١).

قال بعضهم: أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله أن يعلم أنّه لايريد العبد من الدنيا والآخرة غيره، قال الله تعالى: «واصبِر نفسَك معَ الذينَ يدعُونَ ربّهُمْ بالغَداةِ والعَشِيّ يُريدونَ وجهَه»(٢)، وهو مقام النبيّين والصدّيقين والشهداء.

تبصـرة

روى في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: لابدّ للعبد من خالص النيّة في كلّ حركة وسكون(٣).

لأنّه إذا لم يكن بهذا المعنىٰ يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالىٰ فقال: «إن هُم إلّا كالأنعام بلْ هُم أضلُّ سبيلاً»(٤)، وقال: «أولئك هُمُ الغافلُونَ» (٥).

وشرح ذلك بعض العلماء فقال: يجب أن يكون للعبد في كلّ شيء يفعله وعمل يعمله نيّة وإخلاص، حتّىٰ في مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه؛ فإنّ ذلك كلّه من أعماله التي يسأل عنها ويجازي عليها، فإن كان لله وفي الله كانت في ميزان حسناته، وإن كانت في سبيل الهوى ولغير الله كانت في ميزان سيّئاته، وكان صاحبها في الدنيا على مثال البهائم الراتعة والأنعام المهملة السارحة، ولايكون على الحقيقة إنساناً مكلّفاً موفّقاً، وكان من الذين ذكرهم الله بقوله: «أغْفَلنا قلبَهُ عَنْ ذِكرِنا» (٦) أي: وجدناه غافلاً، كقولك: دخلت بلدة فأعمرتها أي: وجدتها عامرة، أو أخربتها أي: وجدتها خراباً، فهو غافل عمّا يأتيه ويذره، متّبع لهواه فيما يورده

---

(١) كتاب الأربعين: ص١٥٨.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٣) مصباح الشريعة: ص٥٣.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٤٤.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٦) سورة الكهف: الآية ٢٨.

....

ويصدره، وكان أمره فرطاً بغير نيّة في أوّله ولا صحّة في آخره.

قال بعضهم: ومن هنا يعلم أنّه يمكن أن تجعل العادات عبادات، كالأكل والشرب إذا نوىٰ بهما القوّة على الطاعة، وكالتطيّب إن قصد به إقامة السنّة، لا استيفاء اللّذات وتودّد النسوان؛ إذ هو معصية.

في الخبر: من تطيّب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من ريح المسك، ومن تطيّب لغيرالله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة(١).

واجتهد في تصيير ذلك ملكة للنفس.

إرشــاد

قال بعض العارفين(٢): قد يسمع الجاهل ماذكره أصحاب القلوب من المبالغة والتأكيد في أمر النيّة، وأن العمل بدونها لاطائل تحته، كما قال سيّد البشر صلى الله عليه وآله: إنّما الأعمال بالنيّات(٣).

فيظنّ أنّ قوله عند تسبيحه وتدريسه: أُسبّح قربةً إلى الله، أو أدرّس قربةً إلى الله، محضراً بمعنىٰ هذه الألفاظ علىٰ خاطره، هو النيّة، وهيهات إنّما ذلك تحريك لسان وحديث نفس أو فكر وانتقال من خاطر إلى خاطر، والنيّة عن جميع ذلك بمعزل.

إنّما النيّة انبعاث النفس وانعطافها وتوجّهها وميلها إلى فعل مافيه غرضها أو بغيتها إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً، وهذا الانبعاث والميل إذا لم يكن حاصلاً لها، لم يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرّد الإرادة المتخيّلة والنطق بتلك الألفاظ، وما ذلك إلّا

(١) المحجة البيضاء: ج٨ ص١١٨ و١٠٥.
(٢) أي المحقّق العظيم والمحدّث الكبير المولىٰ محسن الكاشاني قدّس سرّه.
(٣) مصباح الشريعة: ص٥٣، سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٤١٣ ح٤٢٢٧.

....

كقول الشبعان: أشتهي الطعام وأميل إليه قاصداً حصول الميل والاشتهاء، وكقول الفارغ(١): أعشق فلاناً وأُحبّه وأنقاد له وأُطيعه، بل لاسبيل إلىٰ اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وإقباله عليه، إلّا بتحصيل الأسباب الموجبة لذلك الميل والانبعاث، واجتناب الأُمور المنافية لذلك المضادّة له؛ فإنّ النّفس إنّما تنبعث إلى الفعل وتقصده وتميل إليه، تحصيلاً للغرض الملائم لها بحسب اعتقادها وما يغلب عليها من الأحوال، فإذا غلبت شهوة النكاح واشتدّ توقان النفس إليه، لايمكن الموافقة علىٰ قصد الولد، بل لايمكن إلّا على نيّة قضاء الشهوة فحسب، وإن قال بلسانه: أفعل السنّة وأطلب الولد قربةً إلى الله، وقس علىٰ ذلك قول المصلّي عند نيّة الصلاة، إذا كان منهمكاً في أُمور الدنيا والتهالك عليها والانبعاث في طلبها؛ فإنّه لايتيسّر له توجيه قلبه بكليّته إلى الصلاة وتحصيل الميل الصادق إليها والإقبال الحقيقي عليها، بل يكون دخوله فيها دخول متكلّف لها متبرّم بها، ويكون قوله: أُصلّي قربةً إلى الله كقول الشبعان، أشتهي الطعام، وقول الفارغ: أعشق فلاناً مثلاً.

والحاصل: أنّه لاتحصل النيّة الكاملة المعتدّبها في العبادات، وغيرها إذا أُريدت بها القربة، من دون ذلك الميل والإقبال، وقمع مايضادّه من الصوارف والأشغال، وهو لايتيسّر إلّا بصرف القلب عن الأُمور الدنيويّة، وتطهير النفس عن الصفات الذميمة الدنيّة، وقطع النظر عن الحظوط العاجلة بالكليّة، وتوجيه القلب إلىٰ المولىٰ وقصده دون جميع ماسواه بالنيّة، وذلك ميل لايتيسّر إلّا لمن نوّرالله قلبه بالعرفان واليقين، وهداه صراط عباده المخلصين (٢).

ولذلك قال أميرالمؤمنين وسيّد الوصيّين: تخليص النيّة من الفساد أشدّ على

(١) (ج): العاشق.

(٢) المحجة البيضاء: ج٨ ص١٢١- ١٢٢.

....

العاملين من طول الجهاد(١).

ومن هنا يظهر سرّ قوله صلى الله عليه وآله: نيّة المؤمن خير من عمله(٢)؛ فإنّ النيّة علىٰ هذا الوجه أشقّ من العمل بكثير فتكون أفضل منه، ويتبيّن لك أنّ قوله صلى الله عليه وآله: أفضل الأعمال أحمزها(٣)، غير مناف لحديث: نيّة المؤمن خير من عمله(٤)، بل هو كالمؤكّد والمقرّر له، والله وليّ التوفيق.

فائدة

قال بعض المحقّقين من علمائنا المتأخّرين: النطق لا تعلّق له بالنيّة أصلاً؛ فإنّ القصد إلىٰ فعل من الأفعال لا يعقل توقّفه على اللفظ بوجه من الوجوه، ولا ريب في عدم استحبابه أيضاً؛ لأنّ الوظائف الشرعيّة موقوفة على الشرع ومع فقده فلا توظيف، بل كان فعله علىٰ وجه العبادة إدخالاً في الدين ما ليس منه، فيكون تشريعاً محرّماً(٥).

قوله عليه السّلام: «وبعملي إلىٰ أحسن الأعمال» العمل: كلّ ما صدر من الحيوان بقصده قلبيّاً أو قالبيّاً، فهو أخصّ من الفعل، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك مبسوطاً.

واعلم أنّ قبح العمل وحسنه وأحسنيّته متفرّع علىٰ النيّة في ذلك، كما قال عليه السّلام: إنّما الأعمال بالنيّات(٦).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ج ١ ص ٣٥٢، وفيه: الاجتهاد.

(٢) و(٤) الكافي: ج ٢ ص ٨٤ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٩١، مجمع البحرين: ج ٤ ص ١٦.

(٥) المحجة البيضاء: ص ١٢٣

(٦) مصباح الشريعة: ص ٥٣، سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤١٣ ح ٤٢٢٧.

....

فالمراد بأحسن الأعمال ماكان عن نيّة صادقة، وهو ما تجرّدت فيه النيّة عن ملاحظة غير وجه الله تعالى ورضاه.

روي(١)عن الصادق عليه السّلام في قوله تعالىٰ: «ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً» قال: ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة.

ثمّ قال: العمل الخالص الذي لا تريد أن يمدحك عليه أحد إلّا الله(٢).

وهذا هو معنى الإخلاص، وللقوم في تعريفه عبارات، فقيل: هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين حتى عن ملاحظة النفس، فلا يشهد غير الله.

وقيل: هو تنزيه العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب. وقيل: هو إخراج الخلق عن معاملة الحقّ.

وقيل: هو ستر العمل عن الخلائق وتصفيته من العلائق.

وقيل: أن لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين، وهذه درجة رفيعة عزيزة المنال.

وقد أشار إليها أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين صلوات الله عليه، بقوله: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك(٣).

ولعزّة هذه المرتبة قال بعض أرباب القلوب(٤): طوبىٰ لمن صحّت له خطوة واحدة لا يريد بها إلّا الله (٥)

---

(١)(ج): وروي.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٦ ح ٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤.

(٤) هو أبو سليمان، (راجع المحجة البيضاء: ج ٨ ص ١٢٨).

(٥) المحجة البيضاء: ج ٨ ص ١٢٨.

....

تبصـرة

ذهب جمّ غفير من علماء الإسلام إلىٰ بطلان العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب أو النجاة من العقاب، قائلين: إنّ ذلك ينافي الإخلاص الذي هو إرادة وجه الله تعالىٰ لاغير، وإنّ من قصد ذلك فإنّما قصد جلب نفع أو دفع ضرر لاوجه الله سبحانه، كما أنّ من أثنىٰ علىٰ أحد طمعاً في نعمته أو خوفاً من نقمته لم يعدّ مخلصاً في ثنائه عليه، وممّن بالغ في ذلك السيّد الجليل عليّ بن طاووس قدّس سرّه.(١).

بل يستفاد من كلام الشهيد الأوّل في قواعده أنّه مذهب أكثر أصحابنا رضوان الله عليهم.(٢)

ونقل الفخر الرازي في التفسير الكبير اتّفاق المتكلّمين على أنّ من عبدالله لأجل الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب لم تصحّ عبادته،(٣) وجزم في أوائل تفسير الفاتحة بأنّه لوقال: أُصلّي لثواب الله أو الهرب من عقابه، فسدت صلاته(٤).

وذهب آخرون إلى أنّ القصد المذكور غير مفسد للعبادة، ومنعوا خروجها به عن درجة الإخلاص ومنافاته له، قائلين: إنّ إرادة ثواب الله والنجاة من عقابه ليست أمراً مخالفاً لإرادة وجه الله سبحانه، كيف؟ وقد قال تعالىٰ في مقام المدح لأصفيائه: «كانوا يُسارِعونَ في الخَيراتِ ويدعُونَنا رَغَباً ورَهَباً»(٥)، أي: للرغبة في الثواب والرهبة من العقاب، وقال سبحانه: «وادعُوه خَوْفاً وطَمَعاً»(٦)،(٧).

---

(١) راجع بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٢٣٤.
(٢) القواعد والفوائد: ج ١ ص ٧٧.
(٣) التفسير الكبير: ج ١٤ ص ١٣٤ـ ١٣٥.
(٤) التفسير الكبير: ج ١ ص ١٥٨.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.
(٦) سورة الأعراف: الآية ٥٦.
(٧) راجع بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٢٣.

....

واعترض قولهم: بأنّ دعوى عدم المخالفة كلام ظاهري؛ للفرق الظاهر بين طاعة المحبوب لمحض محبّته وبين طاعته لغرض آخر، وأمّا الاعتضاد بالآيتين ففيه: أنّ كثيراً من المفسّرين ذكروا أن المعنى: راغبين في الإجابة راهبين من الردّ والخيبة.

قال شيخنا البهائي رحمه الله: والاولىٰ أن يستدلّ على ذلك بما رواه ثقة الإسلام في الكافي بطريق حسن، عن هارون بن خارجة عن الإمام أبي عبدالله عليه السّلام، أنّه قال: العبّاد ثلاثة، قوم عبدوا الله عزّوجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالىٰ طلباً للثواب فتلك عبادة الاجراء، وقوم عبدوا الله عزّوجل حبّاً له فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة؛ فإنّ قوله عليه السلام: وهي أفضل العبادة، يعطي أنّ العبادة على الوجهين السابقين لاتخلو من فضل أيضاً، فتكون صحيحة وهو المطلوب. ثمّ المفهوم من كلام القائلين ببطلان العبادة بقصد تحصيل الثواب أو دفع العقاب، الحكم بفسادها وإن انضمّ إليه قصد وجه الله سبحانه، أمّا بقيّة الضمائم اللازمة للعبادة، كالخلاص من النفقة بعتق العبد في الكفّارة، والحمية بالصوم، والتبرد في الوضوء، وإعلام المأموم الدخول في الصلاة بالتكبير، ومماطلة الغريم بالتشاغل بالصلاة وملازمته بالطواف والسعي، وحفظ المتاع بالقيام لصلاة الليل وأمثال ذلك، فالظاهر أن قصدها عندهم مفسد أيضاً بالطريق الأولىٰ.

وأمّا القائلون بعدم الفساد بقصد الثواب ودفع العقاب، فقد أختلفوا في الإفساد بهذه الضمائم، فأكثرهم على عدمه، وبه قطع الشيخ في المبسوط، والمحقق في المعتبر، والعلاّمة في التحرير والمنتهىٰ؛ لأنّها لازمة الحصول قصدت أولم تقصد، فلا يضرّ قصدها(١).

---

(١) كتاب الأربعين: ص ١٦٠.

....

وفيه: أن لزوم حصولها لا يستلزم صحّة قصد حصولها (١).

والمتأخّرون من أصحابنا حكموا بفساد العبادة بقصدها، وهو مذهب العلاّمة في النهاية والقواعد، وولده فخر المحقّقين في الشرح، وشيخنا الشهيد في البيان؛ لفوات الإخلاص(٢).

قال شيخنا البهائي رحمه الله(٣): وهو الأصحّ (٤).

واستقرب بعض علمائنا المتأخّرين (٥) القول بالتفصيل، وهو أنّ العبادة إن كانت هي المقصودة بالذات والضميمة مقصودة تبعاً صحّت، وإن انعكس الأمر أو تساويا بطلت(٦).

قال شيخنا البهائي رحمه الله: واعلم أنّ الضميمة إن كانت راجحة، ولاحظ القاصد رجحانها وجوباً أوندباً، كالحمية في الصوم لوجوب حفظ البدن، والإعلام بالدخول في الصلاة للتعاون على البرّ، فينبغي أن لا تكون مضرّة؛ اذهي حينئذٍ مؤكّدة، وإنّما الكلام في الضمائم الغير الملحوظة الرجحان، فصوم من ضمّ قصد الحمية مثلاً صحيح، مستحبّاً كان الصوم أو واجباً، معيّناً كان الواجب أو غير معيّن وان كان في النفس من صحّة غير المعين شيء، وعدمها محتمل (٧)، إنتهى كلامه.

وأمّا ضميمة الرياء فالظاهر أنّه لاخلاف في بطلان العبادة بها عند أصحابنا.

قال المحقّق الشيخ علي: ضمّ الرياء إلى القربة يبطل العبادة قولاً واحداً، إلّا مايحكى عن المرتضى أنّه يسقط الطّلب عن المكلّف ولا يستحقّ بها ثواباً، وليس بشيء (٨)، إنتهى *.

---

(١) و (٢) راجع بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٢٣٦.

(٣) (ج) : قدّس سرّه.

(٤) كتاب الأربعين: ص ١٦٠- ١٦١.

(٥) أي الشهيد الأوّل قدّس سرّه.

(٦) القواعد والفوائد: ج ١ ص ٧٩.

(٧) كتاب الأربعين: ص ١٦١.

(٨) راجع بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ١٩٤.

أللّهمّ وَفّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتي، وَصَحِّحْ بِما عِنْدَكَ يَقيني، وَاسْتَصْلِحْ بقُدْرَتِكَ مافَسَدَ مِنّي.

وفر الشيء يفر ـ من باب وعد ـ وفورا: تمّ وكمل، ووفرته وفراً ـ من باب وعد ـ أيضاً أتممته وأكملته، يتعدّىٰ ولايتعدّىٰ، والمصدر فارق، ويتعدّىٰ بالتثقيل أيضاً مبالغة(١).

قال أبو زيد: وفّرت له طعامه توفيراً: إذا أتممته ولم تنقصه (٢).

والرواية في الدعاء بوجهين:

أحدهما: وفر بالتثقيل، فتكون الواو فاء الفعل.

والثاني: وفّر بالتخفيف، من وفرته كوعدته، فتكون الواو عاطفة، وعين الفعل محذوفة؛ لأنّها تحذف حذفاً مطّرداً في الأمر من باب وعد؛ حملاً على المضارع ذي الياء منه.

والمعنىٰ على الوجهين: اجعل نيّتي تامّة كاملة بكونها خالصة لوجهك الكريم، من غير نقص فيها بشوب غرض آخر.

قال بعض العارفين: إنّ عون الله للعبد بقدر نيّة العبد، فمن تمّت نيّته تمّ عون الله له بقدرها(٣)، وقد قال الله عزّ من قائل: «إنْ يُريدا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بينهما»(٤)،فجعل سبب التوفيق إرادة الإصلاح، ويجوز أن يكون توفير النيّة بمعنىٰ صيانتها ووقايتها، من وفرت عرضه وفراً ووفّرته توفيراً أي: صنته ووقيته من الثلب والعيب.

والمعنىٰ: صن نيّتي وقها مِن أن تثلب وتعاب برياء ونحوه.

وفي رواية بعض النسخ: «وفرّه» بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة وكسرها

---

(١) و(٢) المصباح المنير: ص٩١٩.

(٣) بمضمونه ماورد في بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٢١١ ح ٣٤. (٤) سورة النساء: الآية ٣٥.

....

وبعدها هاء ساكنة، فعل أمر من الفراهة.

قال ابن الأثير في النهاية: دابة فارهة أي: نشيطة جادّة قويّة، وقد فرهت فراهةً وفراهيةً(١)، إنتهىٰ.

وهو إمّا استعارة تبعيّة، بأنْ شبّه إحداث حالة في نيّته حاملة لها علىٰ الخفّة في الانبعاث نحو الخيرات، بالمعنىٰ المصدري الحقيقي للتفريه الذي هو تنشيط الدابّة للسير، بجامع عدم الكلال في التوجّه نحو المطلوب، فاستعار له لفظ التفريه، ثمّ اشتقّ منه الفعل، علىٰ ما قرّروه في معنىٰ الاستعارة التبعيّة أو استعارة مكنيّة تخييليّة، بأن أضمر في نفسه تشبيه النيّة بالدابّة في قيامها بالمنوي وتحمّلها له، كما قالوا: لا يعجز البدن عمّا قامت به النيّة، ولم يصرّح بغير المشبّه، ودلّ عليه بذكر مايخصّ المشبّه به وهو التفريه.

ومن عجيب ما وقع لبعض المترجمين هنا أنّه ظنّ أنّ الهاء ـ في هذه الرواية ـ ضميراً متّصلاً بفعل ألامر من التوفير، فقال: مرجع الضمير النيّة بتأويل المذكور، ونيّتي بدل من الضمير في وفرّه، إنتهىٰ.

وهو خبط أوقعه فيه التصحيف المذكور.

وقوله عليه السّلام: «بلطفك» يحتمل أن يراد به المعنىٰ العرفي المشهور للطّف، وهو ما يقرب به العبد من الطاعة ويبعد عن المعصية.

ويحتمل أن يراد به تصرّفه تعالى في الذوات والصفات تصرّفاً خفيّاً، بفعل الأسباب المعدّة لها لإفاضة كمالاتها.

قوله عليه السلام: «وصحّح بما عندك يقيني» أي: اجعل يقيني صحيحاً ثابتاً مستقرّاً لا يعتريه شك.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٤٤١.

....

والظرف إمّا متعلّق بما قبله، فيكون المعنى: صحّح بما عندك من القدرة والرحمة واللطف والعناية يقيني، فتكون الباء للسببيّة.

وإمّا متعلّق بما بعده، فيكون المعنى: صحّح يقيني بما عندك من النفع والضرّ، حتّىٰ لا أرجو ولا أخشىٰ غيرك للدنيا والآخرة، فتكون الباء صلة لليقين.

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: من صحّة يقين المرء المسلم أن لايرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم علىٰ ما لم يؤته الله(١).

وعنه عليه السّلام: حدّ اليقين أن لاتخاف مع الله شيئاً(٢).

وصورة صحّة اليقين بما عنده سبحانه: أن تثبت في نفسك وتتيقّن بكشف أو اعتقاد جازم، أنّ إسناد جميع الأسباب والمسبّبات إليه سبحانه، وأنّه الفاعل المطلق التامّ القدرة على مايريد، بحيث لا تكون وراء قدرته قدرة، ولا يقع في نفسك التفات إلى غيره بوجه، حتّى نفسك وحولك وقوّتك؛ فإنّك تجد عن نفسك الطمأنينة بتسليم أُمورها بالكليّة إليه، والبراءة من الاعتماد على أحد إلّا عليه، فإن لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك غلبة الوهم على النفس في معارضته لذلك اليقين.

قوله عليه السلام: «واستصلح بقدرتك مافسد منّي» الصلاح: حصول الشيء علىٰ الحالة المستقيمة النافعة، ونقيضه الفساد وهو خروجه عن تلك الحالة، والاستصلاح هنا ليس معناه طلب الصلاح حقيقةً، كما تقتضيه صيغة الإستفعال؛ لأنّ طلب الصلاح قد وقع منه تعالىٰ عامّاً من جميع العباد، وذلك بالأوامر والنواهي الشرعيّة.

قال الزمخشري في الأساس: أمرالله ونهى لاستصلاح العباد(٣).

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٧ ح ٢. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٧ ح ١. (٣) أساس البلاغة: ص ٣٥٩.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِني ما يَشْغَلُني الإهْتِمامُ بِهِ، واسْتَعْمِلْني بِما تَسْأَلُني غَداً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أيّامي فيْما خَلَقْتَني لَهُ.

بل هو من باب استخرجت الوتد من الحائط، فإنّه ليس فيه طلب خروجه، بل معناه: لم أزل أتلطّف وأتحيّل منه حتّىٰ خرج.

فمعنىٰ «استصلح ما فسد منّي»: تلطّف فيما فسد منّي حتّىٰ يصلح.

ويحتمل أن يكون «استصلح» بمعنى أصلح، كاستجاب بمعنىٰ أجاب *.

الكفاية: قيام شخص مقام آخر في قضاء حوائجه، يقال: كفيت زيداً الأمر كفايةً: قمت به مقامه وأغنيته عن معاناته.

واهتمّ بالأمر: اعتنىٰ به، أي: تولّ كفايتي في كلّ أمر يشغلني اهتمامي واعتنائي به عن طاعتك وعبادتك، حتّىٰ لايكون لي توجّه والتفات إلى غير وجهك الكريم.

واستعملته: جعلته عاملاً.

والغد: اليوم الذي يأتي بعد يومك علىٰ أثره، ثمّ توسّعوا فيه حتّى أُطلق على البعيد المترقّب كما وقع هنا؛ فإنّ المراد به يوم الحساب، وأصله «غدو» مثال فلس، لكن حذفت اللام وجعلت الدال حرف إعراب.

والمراد بالمسؤول عنه غداً: هو الأعمال التي يثاب أو يعاقب الإنسان علىٰ فعلها أو على تركها، كما قال تعالى: «ولَتُسئلُنَّ عمّا كُنتم تعْمَلونَ»(١).

قالوا: وفائدة السؤال مع علمه تعالى بذلك إظهار المعدلة وقطع المعذرة، فتعلم الخلائق أنّه سبحانه لايظلم أحداً، وليزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم بما يظهر من أفعالهم الحسنة، ويزداد غمّ الكفّار بما يظهر من أفعالهم القبيحة.

واستفرغ أيّامي: أي اجعل أيّامي كلّها مبذولة فيما خلقتني له.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٣.

وَأَغْنِني وَأَوْسِعْ عَلَيَّ في رِزْقِكَ، وَلا تَفْتِنّي بِالبَطَرِ، وَأَعِزَّني وَلا تَبْتَلِيَنّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْني لَكَ، وَلا تُفْسِدْ عِبادَتي بِالعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلناسِ عَلىٰ يَدِيَ الخَيْرِ، وَلا تَمْحَقْهُ بِالمَنِّ، وَهَبْ لي مَعالِيَ الأَخْلاقِ، وأعْصِمْني مِنَ الفَخْرِ.

يقال: استفرغ مجهودة أي: استقصىٰ طاقته، وفرس مستفرغ: لايدّخر من عدوه شيئاً، وأصله من إفراغ الإناء، وهو قلب مافيه وصبّه حتّى لايبقى فيه شيء.

وفيما خلقتني له: أي في عبادتك، كما قال تعالى: «وما خلقتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلّا ليَعْبُدونَ»(١).

وفي: ظرفيّة مجازيّة، بتشبّه(٢) ملابسة استفراغ أيّامه لماخلقه له بملابسة المظروف للظرف، فتكون لفظة «في» استعارة تبعيّة *.

أغنني: أي أعطني ما أستغني به عن الناس، أو ارزقني غنىٰ النفس عمّا في أيدي الخلق.

وفي الحديث: ومن يستغن بالله وعطائه يغنه الله (٣). قيل: معناه: يخلق في قلبه غنى، أو يعطيه مايغنيه عن الخلق.

وأوسع عَلَيَّ في رزقك: أي اجعل رزقك لي واسعاً، وعدّاه بـ «في» لتضمينه معنىٰ بارِكْ، كما عدّي أصلح بها من قوله: «وأصلِح لي في ذُرّيّتي» (٤)، أي: بارك لي فيها، وإلّا فأوسع وأصلح كلاهما متعدّيان بأنفسهما.

وفتنه ـ من باب ضرب: أوقعه في الفتنة، وهي الضلال عن الحقّ والخروج عن الطاعة، وإنّما يكون ذلك منه تعالى بسلب اللطف والتوفيق، فقصد بنفي اللازم نفي

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦. (٢) (ج): بتشبيه.

(٣) سنن الترمذي: ج ٤ ص ٣٧٣ ح ٢٠٢٤، سنن أبي داود: ج ٢ ص ١٢١- ١٢٢ ح ١٦٤٤؛ مع نقيصة فيهما. (٤) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

....

الملزوم من باب الكناية.

والبطر بالباء الموحّدة والطاء المهملة المفتوحة والراء المهملة: الطغيان بالنعمة، وهو رذيلة الإفراط من فضيلة الغنىٰ، كما قال تعالى: «إنّ الإنسانَ ليَطْغى * أنْ رآه استغنىٰ»(١)، وقال سبحانه: «ولو بَسَط الله الرزقَ لعبادِهِ لَبَغوا في الأرضِ»(٢).

وفي نسخة: «بالنظر» بالنون والظاء المعجمة مفتوحة.

قيل: هو بمعنىٰ الانتظار، أي: لا تفتنّي بانتظار حصول الرزق، بل عجّل لي بالغنىٰ والسعة.

وقيل: هو بمعنىٰ الإبصار، أي: لا تفتنّي بالنظر والالتفات إلى ما في أيدي الناس من متاع الدنيا، كما قال تعالى: «ولا تمُدّنَّ عَينَيكَ إلى ما مَتّعنابهِ أزواجاً مِنهُمْ زَهْرَةَ الحياةِ الدُنيا لِنَفْتِنَهم فيهِ ورِزق رَبـِّكَ خَيرٌ وأبْقى»(٣) نهى سبحانه نبيّه عن النظر بطريق الرغبة والميل إلى ما متّع به أصنافاً من الكفرة، من زهرة الحياة الدنيا وزينتها وزخارفها؛ تحذيراً من الميل إلى الزخارف الدنيويّة، ولقد شدّد العلماء المتّقون في وجوب غضّ البصر عن أبنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم؛ لأنّهم اتخذوها لعيون النّظارة، فالناظر إليها محصّل لغرضهم، فيكون إغراءً لهم على اتّخاذها.

وأعزّه الله: جعله عزيزاً أي: منيعاً لا يغلب ولا يقهر وأعزّه أيضاً: أكرمه وأحبّه.

وابتلاه: اختبره، والابتلاء يكون بالخير لامتحان الشكر، ويكون بالشّر لامتحان الصبر، ويكون بمعنىٰ الإصابة بالمكروه أيضاً.

والكبر بكسر الكاف وسكون الباء الموحّدة: اسم من التكبّر، وهو العظمة والتجبّر، وهو رذيلة الإفراط في العزّ.

وقال الراغب: الكبر: ظنّ الإنسان بنفسه أنّه أكبر من غيره، والتكبّر: إظهاره

---

(١) سورة العلق: الآية ٦ و ٧. (٢) سورة الشورى: الآية ٢٧. (٣) سورة طه: الآية ١٣١.

....

ذلك من نفسه(١)، وهو نتيجة جهل الإنسان بقدر نفسه وإنزالها فوق منزلتها، كما أنّ العزّ نتيجة معرفة الإنسان بقدر نفسه وإكرامها عن الضراعة للأغراض الدنيويّة.

واعلم أنّه لمّا كان حقيقة العزّ هو ترفّع الإنسان بنفسه عمّا يلحقه غضاضة، وهي منزلة شريفة متوسّطة بين رذيلة التفريط منها وهو الضراعة، ورذيلة الإفراط منها وهو الكبر، سأل عليه السّلام رفعه عن رذيلة التفريط، بطلب الإعزاز وصونه عن رذيلة الإفراط بعدم الابتلاء بالكبر؛ لتحصل له الحالة المتوسّطة التي هي مجتمع الفضائل، فقد تقرّر أنّ لكلّ فضيلة حدّاً معيّناً، إذا جاوزته في طرف التفريط أو في طرف الإفراط.ينتهي(٢) إلىٰ رذيلة، فالفضيلة بمثابة الوسط، والرذيلة بمثابة الأطراف.

ويروي قوله عليه السّلام: «ولا تبتليني بالكبر» بوجهين:

أحدهما: بالجزم بحذف حرف العلّة، والنون مخفّفة للوقاية.

والثاني: بإثبات حرف العلّة مفتوحاً، والنون مشدّدة وهي نون التأكيد الثقيلة، وفتح حرف العلّة فتحة بناء علىٰ المشهور؛ لمباشرة نون التأكيد للفعل.

ولا: على الوجهين ناهية.

والواو: عاطفة.

ووقع في بعض التعليقات أنّ الواو للحال، و «لا» نافية.

وهذا لايصحّ على الروايتين المذكورتين، وكأنّه توجيه لرواية ثالثة وهي «ولا تبتليني» بإثبات حرف العلّة ساكناً، وتخفيف النون على أنّها نون الوقاية، فيتعيّن حينئذٍ أن تكون الواو للحال و«لا» نافية، وهو على تقدير مبتدأ على الأصحّ، أي: وأنت لاتبتليني؛ لأنّ الجملة الفعليّة المبدوّة بمضارع منفيّ بـ «لا» إذا وقعت حالاً،

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٥٣ الباب السابع.

(٢) (ج): تنتهي.

....

لزم ربطها بالضمير وحده وتجرّدها عن الواو، نحو: «ومالنا لانُؤمِنُ باللهِ»(١)، فإن وردت بالواو قدّر مبتدأ على الأصحّ، كقراءة ابن ذكوان(٢) «فاستقيما ولا تَتَبِعان» بتخفيف النون، فالتقدير: فاستقيما وأنتما لا تتبعان، نصّ على ذلك ابن مالك في التسهيل(٣).

وجعل بعضهم ترك الواو أكثرياً والظاهر عدم التأويل. إذا عرفت ذلك، فما وقع لبعض المترجمين من قوله:

ومن العجائب ما قيل: إنّ الواو حاليّة و«لا» نافية، لا وجه له إذا كان توجيهاً لهذه الرواية، كيف؟ وهو متعيّن، فلا محلّ للتعجّب إلّا من تعجّبه، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

قوله عليه السّلام: «وعبّدني لك» أي: ذلّلني، من قولهم: بغير معبّد وطريق معبّد أي: مذلّل، ومنه: العبادة، وهي التذلّل للغير عن اختيار لغاية تعظيمه، والعبوديّة أدنىٰ منها.

وقيل: العبادة: فعل مايرضي الله، والعبوديّة: الرضا بما فعله الله تعالى.

وإفساد الشيء: إخراجه عن أن ينتفع به.

والعجب بضمّ العين وسكون الجيم الزهو، و رجل معجب: مزهوّ بما يكون منه حسناً أو قبيحاً، والعجب في العبادة: استعظام العمل الصالح واستكباره والابتهاج له والإدلال به، وأن يرىٰ نفسه خارجاً عن حدّ التقصير، وهذا هو العجب المفسد للعبادة؛ لأنّه حجاب للقلب عن الربّ، ومانع له عن رؤيّة منّته(٤) ونعمته وتوفيقه ومعونته، وصادّ له عن الوصول إلى حقيقة توحيده والإخلاص في ربوبيّته. وقد تقدّم

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٤.
(٢) لم نعثر عليه.
(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ص١١٣.
(٤) (ج): منته.

....

الكلام مبسوطاً على حقيقة العجب وأنواعه في الروضة الثامنة، فليرجع إليه.

وروى ثقة الأسلام في الكافي بسنده عن عليّ بن سويد عن أبي الحسن عليه السّلام، قال: سألته عن العجب الذي يفسد العمل، فقال: العجب درجات منها: أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه، ويحسب أنّه يحسن صنعاً، ومنها: أن يؤمن العبد بربّه، فيمنّ على الله عزّ وجلّ، ولله عليه فيه المنّ(١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال الله عزّوجلّ لداود عليه السّلام: يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين، قال: كيف أُبشّر المذنبين وأُنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود بشّرالمذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصدّيقين أن لايعجبوا بأعمالهم؛ فإنّه ليس عبدٌ أنصبه للحساب إلّا هلك(٢).

وعنه عليه السّلام: أنّ الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه، ويعمل العمل فيسّره ذلك فيتراخى عن حاله تلك، فلئن يكون على حاله تلك خير له ممّا دخل فيه(٣).

وعنه عليه السّلام: أوّل مايفعل بالمعجب نزع ما أعجب به؛ ليعلم أنّه عاجز حقير، ويشهد على نفسه بالعجز؛ لتكون الحجّة عليه(٤).

قوله عليه السلام: «وأجر للناس على يدي الخير» أي: اجعل الخير داراً متّصلاً.

يقال: هذه صدقة جارية أي: دارّة متّصلة، كالوقوف المرصدة(٥) لأبواب البرّ، ومنه: الأرزاق جارية أي: دارّة متّصلة.

والخير: كلّي يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة، والمراد به هنا: الإحسان إلى الناس، وإعطاء فضل المال، إلى غير ذلك من مكارم الأعمال ومحاسن الأفعال،

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣١٣ ح ٣. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣١٤ ح ٨.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣١٣ ح ٤. (٤) مصباح الشريعة: ص ٨١. (٥) (ج) المؤصدة.

....

التي يتعدّىٰ نفعها إلى الغير.

والمراد باجرائها علىٰ يديه: جعله واسطةً وسبباً في إيصال الخير إلى الغير؛ تحرّياً للثواب المترتّب على ذلك وحبّاً للمعروف وفعله.

فعن أبي جعفر عليه السّلام: أنّ من أحبّ عباد الله إلى الله لمن حبّب إليه المعروف وحبّب إليه فعاله(١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: لوجرى المعروف على ثمانين كفّاً لأُجروا كلّهم فيه، من غير أن ينقص صاحبه من أجره شيئاً.(٢)

والأخبار في هذا المعنىٰ أكثر من أن تحصىٰ.

ومحقه محقاً ـباب نفعـ: نقصه وأذهب منه البركة.

وقيل: هو إذهاب الشيء كلّه حتّىٰ لايرىٰ له أثر، ومنه: «يَمحقُ الله ُ الرِبا»(٣).

والمراد بمحقه: محق أجره وإبطال ثوابه.

والمنّ: أن يعتدّ المحسن على من أحسن إليه بإحسانه، ويريه أنّه أوجب عليه بذلك حقّاً، وهو مذموم جدّاً مبطل لأجر الإحسان، قال تعالى: «يا أيُّها الّذينَ آمَنوا لا تُبْطِلوا صَدَقاتِكُمْ بالمَنِّ والأذى» (٤)؛ وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير، ومن تنفير ذوي الحاجة عن معروفه، ومن عدم الاعتراف بأنّ النعمة نعمة الله والعباد عباده، وإذا كان العبد في هذه الدرجة كان محروماً من مطالعة الأسباب الربانيّة الحقّة، فكان في درجة البهائم التي لا يترقّىٰ في نظرها من المحسوس الى المعقول ومن المؤثر إلى المؤثّرات.

واعلم أنّ المراد بمحقّ الإحسان (٥) وإبطاله بالمنّ: عدم استحقاق الثواب عليه

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٥ ح ٣. (٢) الوسائل: ج ٦ ص ١٩٤ ح ٣، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٦. (٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٥) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٢٨ ح ٣٥٠٢.

....

رأساً؛ لا تيانه به علىٰ غير الوجه المأمور به، وهو إيقاعه علىٰ الوجه الذي لايستحقّ عليه الثواب، لا أنّ الإحسان أوجب أجراً و ثواباً، ثمّ إنّ ذلك المنّ أزالها وأبطلها، كما ذهبت إليه المعتزلة جرياً علىٰ مذهبهم من الإحباط.

فإن قلت: كيف أضاف إفساد العبادة بالعجب ومحقّ الخير بالمنّ الى الله تعالىٰ، والمفسد والماحق إنّما هو المعجب والمانّ بعجبه ومنّه؟.

قلت: هذا من باب الدعاء بطلب الإمداد باللطف والتوفيق، أي: لا تمنعني لطفك الذي تسلم معه عبادتي من الفساد وخيري من المحقّ، وهو يجري مجري قولهم: اللّهم لا تسلّط علينا من لايرحمنا، أي: لاتخلّ بيننا وبين من لايرحمنا فيتسلّط علينا، أو المعنى: احرسني من الشيطان وشرّ نفسي الداعين إلى العجب والمنّ، حتّى لا تفسد عبادتي وينمحق خيري، أو لمّا كان العجب الذي هو سبب الإفساد، والمنّ الذي هو سبب المحقّ متسبّبين عن امتحانه وخذلانه تعالى، أضاف ذلك إليه سبحانه، وهو كقوله تعالى: «ربّنا لا تُزغْ قُلوبَنا بعدَ إذ هدَيْتَنا»(١).

قوله عليه السّلام: «وهب لي معالي الأخلاق» أي: أفض علَيّ قوّةً واستعداداً لقبول معالي الأخلاق.

والمعالي: جمع معلاة، اسم من العلاء وهو الرفعة والشرف، كالمكرمة من الكرم، والإضافة بمعنى «من»، أي: المعالي من الأخلاق، وهي جمع خلق بالضمّ، وهو ملكة نفسانيّة يقتدر معها على الا تيان بالفعل بسهولة.

والمراد بمعالي الأخلاق: محاسنها ومكارمها، وعبّر عنها بالمعالي إيذاناً بعلوّها وشرفها ورفعتها واختلف العلماء في تعريف حسن الخلق:

فقيل: هو بسط الوجه، وكفّ الأذىٰ، وبذل الندىٰ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨.

....

وقيل: هو صدق التحمّل، وترك التجمّل، وحبّ الآخرة، وبغض الدنيا.

وقيل: هو أنّ لايظلم صاحبه، ولايمنع ولايجفو أحداً، وإن ظلِم غفر، وإن منع شكر، وإن ابتلي صبر.

والحقّ أنّ كلّ ذلك تعريف له بالآثار والأفعال التابعة له الدّالة عليه، وأنّه ملكة يسهل علىٰ صاحبها فعل الجميل وتجنّب القبيح، ويعرف ذلك بمخالطة الناس بالمعروف، والصدق، والصلة، والتودّد، واللطف، والمبرّة، وحسن الصحبة والعشرة، والمراعاة، والمواساة، والرّفق، والحلم، والصبر، والاحتمال لهم، والإشفاق عليهم، وهو حسن الصورة الباطنة التي هي صورة النفس الناطقة، كما أنّ حسن الخلق بالفتح هو حسن الصورة الظاهرة، إلّا أن حسن هذه الصورة الظاهرة ليس بقدرتنا واختيارنا، بخلاف حسن الصورة الباطنة فإنّه من فيض الحقّ، وقد يكون مكتسباً؛ ولهذا تكرّر في الدعاء سؤاله من الله تعالى، وتظافرت الأخبار بالحثّ عليه وبتحصيله والترغيب فيه بمدحه.

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مايوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق(١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم(٢).

وعن عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أكثر ما تلج به اُمّتي الجنّة تقوىٰ الله وحسن الخلق (٣).

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٩٩ ح ٢ باب حسن الخلق.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ ح ٥. (٣) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ ح ٦.

....

وعنـه عليه السّلام قـال: إنّ الخلـق الحسن، يميث الخطيـئة كما تميث الشمس الجليد (١).

وعن أبي جعفر عليه السّلام قال: إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً(٢).

والروايات في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً.

قوله عليه السّلام: «وأعصـمني من الفخـر» عصمه الله من المكروه يعصمه ـ من باب ضرب ـ: حفظه ووقاه، والاسم العصمة بالكسر.

والفخر: ادّعاء العظمة والكبر والشرف.

وقيل: هو التطاول على النـاس بتعديد المناقـب، ولمّا كان الحصول على معالي الأخـلاق ربّما جمحت بـه الـنفس الأمّـارة إلى الـفخر المـذموم، سأل عـليه السّلام عصمته منه، وقد ورد في ذمّ الفخر أخبار عديدة.

قال أميرالمؤمـنين عليه السّلام: مـالابن آدم والفخر، أولـه نطفة، وآخره جيـفة، لايرزق نفسه، ولايدفع حتفه(٣).

ونظم ذلك بعضهم فقال:

مـا بـال مـن أوّلـه نطـفـة	وجـيـفـة آخـره يـفـخـر
اصـبـح لايمـلـك تـقـديم مـا	يـرجـو ولا تـأخير مـا يحـذر(٤)

وفي رواية أُخرىٰ عنه عليـه السّلام: مالابن آدم والفخر، وانّما أولـه نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة(٥).

ونظم ذلك أبو محمّد الباقي فقال:

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ ح ٧.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٩٩ ح ١.
(٣) نهج البلاغة: ص ٥٥٥ الحكم ٤٥٤.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٥٠.
(٥) راجع تعليقة الكافي: ج ٢ ص ٣٢٩.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلا تَرْفَعْني في النّاسِ دَرَجَةً إِلّا حَطَطْتَني عِنْدَ نَفْسي مِثْلَها، وَلا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظاهِراً إِلّا أَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِنْدَ نَفْسي بِقَدَرِها.

عجبت من فاخرٍ بنخوته وكان من قبل نطفة مذرة
وفي غدٍ بعد حسن صورته يصير في القبر جيفة قذرة
وهو على عجبه ونخوته مابين جنبيه يحمل العذرة(١)

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **آفة الحسب الافتخار**(٢).

أي: أنّ الافتخار يهدم الحسب، وهو شرف الإنسان ومكارمه كالشجاعة والسخاء وحسن الخلق.

وبهذا الحديث يظهر سرّ سؤال زين العابدين عليه السّلام العصمة من الفخر بعد سؤاله معالي الأخلاق.

ومن الأحاديث المشهورة قوله صلى الله عليه وآله: **أنا سيّد ولد آدم ولا فخر**(٣).

أي: لا أفتخر بذلك؛ لأنّي لم أنله من قبل نفسي بل بفضل ربّي، ولا أقوله تبجّحاً، ولكن شكراً لله وتحدّثاً بنعمة، وتبليغاً إلى الأُمّة مايجب معرفته والإيمان به، والله أعلم *.

في الناس: أي ظاهراً فيما بينهم مميّزاً منهم.

والدرجة: المنزلة، والمراد بها هنا: المزية في الفضل والشرف. ونصبها على المصدريّة؛ لوقوعها موقع المرّة من الرفع، أي: لا ترفعني رفعةً، أو علىٰ الظرفيّة، أو علىٰ نزع الخافض، أي: إلىٰ درجة، أو علىٰ التميز.

---

(١) راجع تعليقة الكافي: ج ٢ ص ٣٢٩. (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٢٩ ح ٦.
(٣) سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤٤٠ ح ٤٣٠٨.

....

والاستثناء مفرّغ من حال عامّة مقدّرة محذوفة هي المستثنى منه، والمستثنىٰ محلّه النصب علىٰ الحاليّة، والتقدير: لا ترفعني درجة في حال من الأحوال إلّا حال حطّك لي عند نفسي حطاً مثل تلك الدرجة في المقدار من الكمّيّة المعنويّة.

إذا عرفت ذلك، فقول بعضهم: إنّ الاستثناء منقطع، والمستثنى ناب عنه الجملة بعده، ومثله مازاد إلّا مانقص، غلط صريح، بل الاستثناء متّصل؛ لكونه مفرّغاً من حال عامّة متناولة لهذا الفرع وغيره، فالمستثنىٰ بعضٌ من المستثنىٰ منه كما عرفت، فكيف يكون منقطعاً؟

وقوله: إنّ المستثنىٰ ناب عنه الجملة بعده، غلط آخر، بل الجملة الحاليّة نفسها هي المستثنىٰ، و«إلّا» ملغاة عن العمل على قول، أو عن التوصّل بها إلى العمل على قول آخر.

وقوله: ومثله مازاد إلّا مانقص، غلط ثالث؛ فإنّ المستثنىٰ في عبارة الدعاء مفرّغ اتّفاقاً، والمثال الذي ذكره لايصحّ فيه التفريغ قطعاً؛ إذ لا يمكن إعمال ما قبل «إلّا» فيه فيما بعدها، ألا ترىٰ أنّه لايستقيم أن يقال: مازاد إلّا النقص، بخلاف عبارة الدعاء؛ فإنّ العامل في الجملة الحاليّة الواقعة بعد «إلّا» هو الفعل قبلها، بل المستثنىٰ في المثال ما المصدرية، وصلتها في موضع نصب علىٰ الاستثناء، والاستثناء منقطع، والتقدير فيه: مازاد لكن نقص، وكذا كلّ استثناء منقطع يقدّر بـ «لكن»؛ لأنّه للاستدراك ودفع توهّم دخوله في الحكم السابق، ولو قدّرت الإستثناء في الدعاء بـ «لكن» لم يصحّ؛ إذ ليس المراد: لاترفعني في الناس لكن حطّني عند نفسي، بل المقصود: إنّ رفعتني في الناس فحطّني عند نفسي.

قال الرضي: القصد بمثل هذا النفي والاستثناء، لزوم تعقّب مضمون مابعد «إلّا» لمضمون ماقبلها، وذلك معنى الشرط والجزاء غالباً، فقصدوا صوغ ما قبل «إلّا» ومابعدها صوغ الشرط والجزاء؛ لأنّ معنىٰ حرف النفي مع «إلّا» يفيد

....

معنىٰ الشرط والجزاء، أعني لزوم الثاني للأوّل، فاعتبروه معهما(١)،انتهى بالمعنىٰ.

وحدث الشيء حدوثاً -من باب قعد-: تجدّد وجوده بعد أن كان معدوماً، ويتعدّىٰ بالألف فيقال: أحدثته. أي: لا توجد لي عزّاً ظاهراً في جميع الأحوال إلّا حال إيجادك لي ذلّة باطنة عند نفسي.

والباء من بقدرها: للملابسة، أي: ملتبسة(٢)بمقدارها.

وقدر الشيء ساكن الدال والفتح لغة: مقداره.

قال الزمخشري: أخذ بقدر حقّه وبقدره أي: بمقداره وهو **مايساويه،وقرئ بقدر** الفاتحة وبقدرها وبمقدارها (٣).

وأعاد الضمير إلىٰ العزّ مؤنّثاً وهو مذكّر ذهاباً إلى المعنىٰ؛ لأنّ العزّ في معنىٰ الدرجة والمنزلة، وهو باب واسع في كلام العرب.

حكىٰ الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: سمعت أعرابياً يقول: فلان لغوب، أتته كتابي فاحتقرها، فقلت له: كيف تقول: أتته كتابي؟ فقال: أليس الكتاب في معنى الصحيفة؟ فقلت: ما اللغوب؟ فقال: الأحمق(٤).

وفي نسخة قديمة: «عزّة ظاهرة» بهاء التانيث، فلا إشكال.

واعلم أنّ الغرض من الدعاء في هاتين الفقرتين أُمور: أحدها: وقايته وحفظه من الكبر والعجب، اللذين كثيراً ماينشآن عن حصول الرفعة والعزّ الظاهرين فيما بين الناس.

ولذلك ماروي عنه عليه السّلام أنّه قال: كفىٰ بالمرء فتنة أنّ يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا(٥).

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٢٥٠.

(٢) (ج): متلبسّة.

(٣) المصباح المنير: ص٦٧٥ نقلا عنه.

(٤) تاج العروس: ج١ ص٤٧٢.

(٥) احياء علوم الدين: ج٣ ص٢٧٥.

....

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام: ما أرىٰ شيئاً أضرّ بقلوب الرجال من خفق النعال وراء ظهورهم(١).

الثاني: تحليته بالتواضع عند حصول الرفعة والعزّ له؛ فإنّ أحسن التواضع ما كان عن رفعة، كما أنّ أحسن العفو ما كان عن قدرة؛ ولذلك قال صلّى الله عليه وآله: طوبىٰ لمن تواضع في غير منقصة، وذلّ في نفسه عن غير مسكنة(٢).

وقال بعض الحكماء: أحقّ مَن كان للكبر مجانباً وللإعجاب مبايناً، مَن جلّ في الدنيا قدره وعظم فيها خطره؛ لأنّه يستقلّ بعالي همّته كلّ عجا كثير، ويستصغر معها كلّ كبير (٣).

قال الراغب: التواضع: اشتقاقه من الضعة، وهو رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقّه فضله ومنزلته، وفضيلته لا تكاد تظهر في أفناء الناس لانحطاط درجتهم، وإنّما ذلك يبين في الملوك وأجلاّء الناس وعلمائهم، وهو من باب التفضّل، وهو بين الكبر والضعة، فالكبر: رفع الإنسان نفسه فوق قدره، والضعة: وضعه نفسه مكاناً يزربه لتضييع حقّه (٤)، إنتهىٰ.

ولهذا المعنىٰ مدح الملوك والعظماء بالتواضع.

قال محمّد التيمي في الفضل بن سهل:

تواضع لمّا زاده الله رفعة ... وكلّ رفيع قدره متواضع(٥)

وقال أبو عبارة البختري:

دنوت تواضعاً وعلوت قدراً ... فشأنك انحدار وارتفاع

---

(١) الكشكول للشيخ البهائي: ص٦.

(٢) الجامع الصغير: ج ٢ ص ٥٥.

(٣) أدب الدنيا والدين: ص ٢٣٣.

(٤) الذريعة: إلى مكارم الشريعة: ص ١٥٢، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) لم نعثر عليه.

....

كذاك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع(١)

الثالث: حفظ تلك الدرجة الرفيعة والعزّ الظاهر من الزوال بل زيادتها؛ فإنّ التواضع عندحصول الرفعة كالشكر عند حصول النعمة.

قال أبوالقاسم النيسابوري في كتاب خلق الإنسان: واجب علىٰ كلّ ذي منزلة رفيعة أن يشفق عليها حتّى لا يسقط عنها، وذلك باستعمال التواضع واعتياد(٢) الرفق، وهذا ممّا اجتمع (٣) علىٰ قبوله العقل والشرع، واتّفق عليه الاعتبار والاختبار، فكم من أُناس لهم منازل رفيعة عالية، انحطّوا عنها بعدم التواضع، وزالت عنهم بسبب الكبر، وفي قوله تعالى: «فاهْبِطِ مِنها فَما يكونُ لكَ أنْ تَتَكبَّر فيها» دلالة ظاهرة علىٰ أنّ الانحطاط عن رفيع الدرجات إنّما يكون بالتكبّر(٤)، إنتهىٰ.

وفي حديث الصحيح عنه صلّى الله عليه وآله. من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر خفضه الله (٥).

وروىٰ ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام: أنّ في السماء ملكين موكّلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبّر وضعاه(٦).

وعن النّبي صلّى الله عليه وآله: أنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة، فتواضعوا يرحمكم الله(٧).

وعن عمروبن شيبة قال: كنت بمكّة بين الصفا والمروة، فرأيت رجلاً راكباً بغلة وبين يديه غلمان، فإذا هم يعنّفون بالناس، ثمّ عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت علىٰ الجسر، فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر، فجعلت أنظر إليه

---

(١) آداب النفس: ج ٢ ص ٣٠٠. (٢) (ج):عتبار. (٣) (ج): أجمع.
(٤) كتاب خلق الإنسان:ـ (٥) الكافي ج ٢ ص ١٢٢ ح ٣.
(٦) الكافي: ج ٢ ص ١٢٢ ح ٢. (٧) الكافي: ج ٢ ص ١٢١ ح ١، وفيه: يرفعكم الله.

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْني بِهُدىً صالِحٍ لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لا أَزِيغُ عَنْها، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لا أَشُكُّ فِيها.

وأتأمّله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟ فقلت: شبّهتك برجل رأيته بمكّة، ووصفت له الصفة فقال: أنا ذلك الرجل، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إنّي ترفّعت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله حيث يترفّع الناس(١).

الرابع: إلهامه المعرفة بنقصان ذاته وذلّ نفسه وفاقته وخضوعه في رقّ الحاجة إليه تعالى؛ ليعلم أنّ تلك الفضيلة من الرفعة والعزّ، لم تحصل له عن استحقاق وجب عله بسعيه وكدّه أو بخته وجدّه، مع قطع النظر عن واهب النعم ومفيضها.

وإنّما سأل عليه السّلام أن يكون حطّه وإذلاله في نفسه بمقدار تلك الرفعة والعزّ؛ ليكون تواضعه مساوياً لدرجته ومرتبته، حتّىٰ لايكون زائداً عليها فيحمل على التملّق والضعة، ولا ناقصاً عنها فتشوبه شائبة تكبّر وتجبّر، والله أعلم بمقاصد أوليائه ﷺ.

متّعه بالشيء تمتيعاً: نفعه به فتمتّع.

وقال في المحكم: متّعه الله وأمتعه: أبقاه ليستمتع(٢) به(٣).

والهدىٰ بضمّ الهاء مقصوراً كما اتّفقت عليه النسخ: مصدر من هدىٰ كالسرىٰ والبكىٰ، وهو يطلق على معنيين:

أحدهما: أن يكون بمعنىٰ الهداية، وهي الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب، ويوصف بالمتعدّي، وهو مضاف إلى الله تعالىٰ.

والثاني: أن يكون بمعنىٰ التوجّه إلى مايوصل إلى المطلوب، ويوصف باللازم، وهو مضاف إلىٰ العبد.

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ٢٢٨، إحياء العلوم: ج ٣ ص ٣٤٣.

(٢) (ج) اليتمتّع.

(٣) المحكم لابن سيده: ج ٢ ص ٤٧.

....

وكلّ من المعنيين محتمل هنا، إلاّ أنّ الثاني أنسب بالاستبدال كما لايخفىٰ.

والصالح: المستقيم المنتفع به، وكأنّ المراد به الموصل إلى المطلوب؛ إذ الوصول غير معتبر في مطلق الهدىٰ بالمعنيين على الصحيح. واستبدل بالشيء :اتّخذ واختار منه بدلا.

والباء: للمقابلة، والظرف لغو.

ورأيت في بعض النسخ كان قد ضبط «هدي» بفتح الهاء وسكون الدال وبعدها ياء مثنّاة علىٰ وزن فلس، ثمّ أُصلح إلىٰ ما اتّفقت عليه النسخ من ضبطه بالضمّ مقصوراً، ولو ثبتت هذه الرواية لكانت أشدّ ارتباطاً بالفقرة التالية؛ لأنّ الهدي على وزن فلس بمعنىٰ السيرة وهي الطريقة والهيئة، ووصفه بالصلاح بهذا المعنىٰ أعرف من وصف الهدى مقصوراً به، ومنه الحديث: الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءً من النبوّة (١).

وهو بفتح الهاء وسكون الدال اتّفاقاً، ثمّ رأيته كذلك في نسخة قديمة، فثبتت الرواية به ولله الحمد.

والطريقة: المذهب والحالة.

قال الجوهري: طريقة الرجل: مذهبه، يقال: مازال فلان علىٰ طريقة واحدة، أي حالة واحدة(٢)، إنتهىٰ.

والحقّ لغةً: نقيض الباطل، واصطلاحاً: الحكم المطابق للواقع، ويقابله الباطل، والإضافة لاميّة، وقد يراد بالحقّ: الإقبال على الله تعالىٰ بلزوم الأعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابق للواقع، وبالباطل: الالتفات عنه إلى غير ذلك ممّا

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ٥٥، إحياء علوم الدين: ج ٣ ص ٢٤١ مع اختلاف يسير في العبارة

(٢) الصحاح: ج ٤ ص ١٥١٣.

....

لايجدي نفعاً في الآخرة، وبه فسّر قول أمير المؤمنين عليه السلام: من لم ينفعه الحقّ يضرّه الباطل(١).

والزيغ: الميل، يقال: زاغ عن الطريق يزيغ زيغاً.

والنيّة: عزم القلب على أمر من الأُمور، وتطلق على الوجه الذي ينويه الإنسان، ولا يبعد إرادة هذا المعنى هنا.

والرشد: الصواب.

وقال الهروي: هو الهدىٰ والاستقامة(٢).

وقال في القاموس: هو الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه(٣).

والشك لغةً: خلاف اليقين، وهو التردّد بين شيئين سواء استوىٰ طرفاه أو رجح أحدهما على الآخر.

واصطلاحاً: هو التردّد بين شيئين علىٰ حدّ سواء، وإن رجح أحدهما فالراجح ظنّ والمرجوح وهم.

يقال: الشّك اضطراب القلب والنفس، وهذا المعنىٰ هو المراد هنا؛ إذ المراد بنيّة الرشد التي لاشك فيها: النيّة الصائبة الصحيحة المستقيمة التي لا اضطراب للقلب والنفس فيها، لاكنيّة من يعبدالله على حرف، فان أصابه خير اطمأنّ به، وأنّ أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

واعلم أنّ مدار هذه الفقرات الثلاث من الدعاء علىٰ طلب الاستقامة في الاعتقادات والأخلاق والأعمال، وذلك منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصليّة والفرعيّة والكمالات النظرية والعملية، والخروج عن عهدته في غاية مايكون من الصعوبة.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٧١ خطبة ٢٨.

(٢) الغريبين للهروي: مخطوط في مكتبة ملك بطهران ذيل مادّة «رشد».

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٩٤.

....

ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: شيّبتني سورة هود(١) يعني قوله تعالى فيها: «فاسْتَقِم كما أُمِرتَ»(٢)، وهي جامعة لجميع أنواع التكاليف.

قال بعض العلماء: إنّ الطاعة لا تعدّ طاعة وفضيلة مالم تستجمع معاني أربعة: أن يكون صاحبها عالماً بشرائطها، وفاعلاً لها علىٰ سبيل الطوع والاختيار، ولا يختارها إلّا لاعتقاد حسنها في نفسها اعتقاداً راسخاً، وأن يدوم اختياره لذلك فلايزول، فلن تخلص الطاعة ولن يستقيم السعي إلّا بمجموع هذه الخصال الشاقّة.

حتّى قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: استقيموا ولن تحصوا (٣).

وحتّى أخبر عن نفسه فقال: شيّبتني سورة هود (٤).

وحتّىٰ قيل: الاستقامة لايطيقها إلّا الأنبياء وأكابر الأولياء؛ لأنّها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله علىٰ حقيقة الصدق، بحيث لا يشوب معاملته مع الله فترة، ولا تصحب مسيره إليه وقفة، يعتبر بما يرىٰ في الدنيا من غير شهوة، ويتفكّر في المعاد من غير غفلة، يستقلّ الكثير من طاعته ازراءً علىٰ نفسه، ويستعظم اليسير من إحسان ربّه إجلالاً لوجهه، وينصف من نفسه ولاينتصف لها، ويعمل بجوارحه ولا يعمل بهواها، فإذا وجدت فيه هذه الأمارات صار صاحب الاستقامة وأهل الكرامة.

وفي نهج البلاغة من خطبة له عليه السّلام: وإنّي متكلّم بعدَة الله وحجّته، قال الله جلّ ذكره: «إنَّ الّذينَ قالوا ربُّنا الله ثمّ استقاموا تَتَنَزَّلُ عليهِمُ الملائكةُ ألّا تخافوا ولا تحزَنوا وأبْشِروا بالجنّةِ التي كنتم توعدون»، وقد قلتم: ربّنا الله، فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلىٰ الطريقة الصالحة من عبادته، ثمّ

(١) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ١٤٠، التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١٨ ص ٧١.
(٢) سوة هود: الآية ١١٢. (٣) الجامع الصغير: ج ١ ص ٤٠.
(٤) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ١٤٠، التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١٨ ص ٧١.

وَعَمِّرْني ما كانَ عمري بِذْلَةً في طاعَتِكَ، فإذا كانَ عُمْري مَرْتَعاً لِلشَيْطانِ فَاقْبِضْني إلَيْكَ، قَبْلَ أنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ اِلَيَّ، أوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها؛ فإنّ أهل المروق منقطع بهم عندالله يوم القيامة(١) *.

عمره الله يعمره ـ من باب قتل ـ وعمّره تعميراً: أبقاه، والعمر بالضمّ و بضمّتين وبالفتح: الحياة.

وما: مصدريّة زمانيّة، أي: نائبة عن الزمان المفهوم من المقام لا دالة عليه بذاتها، وإلّا لكانت اسماً ولم تكن مصدريّة.

والأصل عمّرني مدّة كون عمري بذلة، فحذف الظرف وخلفته «ما» وصلتها، كما جاء في المصدر الصريح نحو: جئتك صلاة العصر، وآتيك قدوم الحاجّ.

والبذلة بالكسر على وزن سدرة: ما يمتهن ولا يصان من الثياب في الخدمة، والفتح فيها لغة.

قيل: وهي هنا استعارة للعمر، شبّه الحياة المصروفة في طاعة الله بالثوب المستعمل في الخدمة، بجامع الامتهان والابتذال، فاستعارلها لفظ البذلة، وهي استعارة مطلقة لكنها(٢) في غاية الحسن؛ لغرابة التشبيه فيها.

والفاء: عاطفة بمعنى ثمّ.

وإذا: ظرف مستقبل متضمّن معنى الشرط، خافض لشرطه أعني الجملة الفعليّة بعده، منصوب بجوابه عند الجمهور.

ورتعت الماشية ترتع رتعاً ـ من باب نفع ـ ورتوعاً: رعت كيف شاءت، وجاءت وذهبت في المرعى، والمرتع بالفتح: موضع الرتوع. وهو مستعار للعمر

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٥٣ الخطبة ١٧٦. (٢) (ج): لكونها.

....

المصروف في طاعة الشيطان، باعتبار كونه مباحاً مطلقاً له، يضلّه ويغويه فيه كيف شاء، كالمرتع المباح للماشية الذي ترعىٰ فيه كيف شاءت، وهي استعارة تبعيّة.

قال بعضهم: وهذه الاستعارة مثل سابقتها في الحسن واللطافة؛ بل هي أحسن وألطف، إنتهىٰ.

قلت: والذي عليه المحقّقون أن ليس شيء من البذلة والمرتع في مثل هذا المقام استعارة، بل هو تشبيه بليغ حذفت أداته لقصد المبالغة.

قال الشيخ في أسرار البلاغة ما ملخّصه: إذا كان اسم المشبّه به خبراً عن اسم المشبّه، أو في حكم الخبر كخبر باب كان وإنّ. فالأصحّ أنّه يسمّىٰ تشبيهاً لا استعارة، لأنّ اسم المشبّه به إذا وقع هذه المواقع، كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما أُجري عليه أو نفيه عنه، فإذا قلت: زيد أسد، وكان زيد أسداً، فصوغ الكلام في الظاهر لإثبات معنىٰ الأسد لزيد، وهو ممتنع على الحقيقة، فيحمل على أنّه لإثبات شبه من أسد له، فيكون الاتيان بالأسد لإثبات التشبيه، فيكون خليقاً بأنّ يسمّىٰ تشبيهاً؛ لأنّ المشبّه به إنّما جيء به لإفادة التشبيه، بخلاف نحو: لقيت زيداً أسداً، فإنّ الاتيان بالمشبّه به ليس لإثبات معناه لشيء، بل صوغ الكلام لإثبات الفعل واقعاً على الأسد، فلا يكون لإثبات التشبيه، فيكون قصد التشبيه مكنوناً في الضمير، لا يعرف إلّا بعد نظر وتأمّل، وإذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرّق بينهما في الاصطلاح والعبارة، بأن تسمّىٰ احداهما تشبيهاً والأُخرىٰ استعارة(١)، إنتهىٰ كلامه.

قال السعد التفتازاني: وعليه جميع المحقّقين(٢).

(١) أسرار البلاغة: ص ٣١.

(٢) لم نعثر عليه.

....

إذا عرفت ذلك، فما نحن فيه لايسمّىٰ عند أرباب التحقيق استعارة، لأنّ اسم المشبّه به من البذلة والمرتع واقع في حكم الخبر؛ لكونه خبراً لكان، فهو تشبيه قطعاً، فما وقع في كثير من التعاليق: أنّ كلاً منهما استعارة جار علىٰ غير نهج التحقيق.

والفاء من قوله: «فإذا»: رابطة في للجواب.

وقبضه الله ـ من باب ضرب ـ: أماته، وعدّاه بـ «إلىٰ» لتضمينه معنىٰ الرجع، أي: اقبضني راجعاً إيّاي إليك.

ومقته مقتاً ـ من باب قتل ـ: أبغضه أشدّ البغض عن أمر قبيح.

وأحكمت الشيء إحكاماً: أتقنته، فاستحكم هو: صار كذلك. والمراد باستحكام الغضب: تحقّقه وثبوته.

وفي المغرب: أحكم الشيء فاستحكم فهو مستحكم بالكسر لاغير(١).

وإيراد «أو» للدلالة علىٰ أنّ الأمرين متساويان في طلب الإماتة قبل وقوعهما، أو لإرادة أنّ كلّ واحد منهما كاف في ذلك.

وأعلم أنّ قوله: «فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان» من باب التعبير بالفعل عن مشارفته، والتقدير: فإذا شارف عمري أن يكون مرتعاً للشيطان فاقبضني؛ ليصحّ وقوع القبض قبل سبق المقت واستحكام الغضب جزاءً(٢)؛ لانتفاء القبض قبلهما بعد كون العمر مرتعاً للشيطان. قال بعضهم: وفي هذا الفصل من الدعاء دلالة علىٰ أنّ العمر قد ينقص ويزيد بالدعاء وغيره، من صلة الرحم وقطيعتها والصدقة ونحو ذلك.

وفي أمالي الشيخ رحمه الله عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إنّ الله تعالى لم يجعل للمؤمنين أجلاً في الموت، يبقيه ما أحبّ البقاء، فإذا علم منه أنّه سيأتي بما فيه

(١) المغرب في ترتيب المعرب ج١: ص١٣٣. (٢) (ج): جزء.

أَللّهُمَّ لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعابُ مِنّي إلّا أَصْلَحْتَها، وَلا عايِبَةً أُوَنَّبُ بِها إلّا حَسَّنْتَها، وَلا أُكْرُومَةً فِيَّ ناقِصَةً إلّا أَتْمَمْتَها.

بوار دينه قبضه إليه مكرماً(١).

وعلمه تعالى بما تضمّنه هذا الحديث وبما يزيد العمر وينقصه، يمكن معه اعتبار الأجل واحداً، لكن يحصل الفرق بملاحظة ثبوت اختيار العبد وعدم كون العلم علّة، والله أعلم *.

ودعته أدعه ودعاً: تركته، وأصل المضارع الكسر(٢)، ومن ثمّ حذفت الواو لمكان حرف الحلق.

قال بعض المتقدّمين(٣): وزعمت النحاة أنّ العرب أماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل منه، وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل وابن أبي عبلة ويزيد النحوي: «ماودعَك ربُّك» بالتخفيف(٤).

وفي الحديث: لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات(٥)، أي: عن تركهم.

فقد رويت هذه الكلمة عن أفصح العرب ونقلت عن طريق القراء، فكيف يكون إماتة؟ وقد جاء الماضي و اسم الفاعل في بعض أشعار العرب، وماهذه سبيله فيجوز القول بقلّة الإستعمال فيه، ولايجوز القول بالإماتة.

والخصلة: الخلّة والحالة، وجملة «تعاب»: في محلّ نصب صفة لخصلة.

ومن: لابتداء الغاية، أو للتبيين أي: من خصالي، متعلّقة بتعاب، أو بمحذوف وقع صفة ثانية لخصلة أي: كائنة منّي، أو حال منها، لأنّ النكرة الموصوفة كالمعرفة، وجعلها متعلّقة بتدع خلاف الظاهر.

---

(١) أمالي الطوسي: ج ١ ص ٣١١. (٢) (ج): بالكسر.

(٣) أي المطرزي كما جاء في تفسير روح المعاني: ج ٣٠ ص ١٥٣.

(٤) تفسير روح المعاني: ج ٣٠ ص ١٥٦.

(٥) تفسير روح المعاني: ج ٣٠ ص ١٥٣، النهاية لابن الأثير ج ٥ ص ١٦٥.

....

وأغرب من قال: ضمّن تعاب معنى الصدور، أي: تعاب صدورها منّي؛ لأنّ عاب متعدّ بنفسه، إنتهى. وهو خبط واضح وجهل فاضح.

والعايبة بالياء على القياس، وهو الواقع في النسخ المعتبرة، ولا عبرة بما وقع في بعض النسخ من الهمز، وهي كلّ خصلة ذات عيب، من عاب الشيء لازماً: إذا صار ذا عيب.

يقال: عاب المتاع عيباً -من باب صار- فهو عائب، وعابه صاحبه فهو معيب، يتعدّى ولا يتعدّى.

وأنّبه تأنيباً: عنّفه ولامَه(١).

وقيل: هو المبالغة في التعنيف والتوبيخ.

وأُونّب بها بالبناء للمجهول أي: أعنّف وأُلام عليها. والقياس تحقيق الهمزة الثانية لأنّها فاء الفعل، إلّا أنّ المروي إبدالها واواً؛ لاستثقال اجتماع الهمزتين.

فإنّ قلت: ما فائدة تخصيص العايبة بالوصف المذكور؟ وهلاّ أُطلق لتعمّ ما خفي من الخصال التي لا يطّلع عليها من يؤنّبه!.

قلت: فائدة ذلك تخصيص العايبة بنفسه، فكأنّه قال: ولا عايبة أنا أُونّب بها، كما خصّص الخصلة بنفسه بقوله: «تعاب منّي «ولا أُكرومة» في الفقرة التالية بقوله: «فيّ»، ولو أطلق لعمّت كلّ عايبة فيه وفي غيره، ومع ذلك فلا يخرج بالوصف المذكور ما خفي من الخصال التي لا يطّلع عليها من يؤنّبه بها؛ لأنّ المراد العايبة التي من شأنها أن يؤنّب بها سواء ظهرت أو خفيت.

والأُكرومة بضمّ الهمزة: اسم من الكرم، كالأُعجوبة اسم من العجب.

وفي القاموس: هي فعل الكرم(٢).

---

(١) (ج): ألامه.

(٢) القاموس: ج ٤ ص ١٧٠.

....

وفي: ظرفيّة مجازيّة، دخلت على ياء المتكلّم وأُدغمت الياء في الياء، وهي متعلّقة بمحذوف وقع صفة لأُكرومة، أي أُكرومة كائنة.

وناقصة بالنصب: صفة أُخرىٰ لها.

ووقع في تعليقة بعض أكابر السادة على الصحيفة الشريفة: أنّ الصواب روايةً ودرايةً كون «في» بسكون الياء، وهو حرف جرّ، وناقصة بالخفض مجرور به، وهي صفة لموصوف محذوف، أي: في مرتبة ناقصة غير تامّة، أو في ملابسة رذيلة ناقصة للأُكرومة، أي: مخرجة لها عن تمام درجتها وكمال مرتبتها، على أنّها فاعلة من نقص المتعدّي، فتكون الأُكرومة منقوصة بها.

قال: هذا إذا حملنا ناقصة على اسم الفاعل، وأمّا إذا حملناها علىٰ المصدر كالفاتحة والعافية والكاذبة، فالمعنىٰ: ولا أُكرومة في نقصان إلّا أزحت نقصانها وأتممت كمالها.

ثمّ شنّع على من ضبط «فيّ» بتشديد الياء ونصب ناقصة، فقال: ومن القاصرين في عصرنا من لم يكن يستطيع إلى إدراك الغامضات والتفصية عن مضائق المعضلات سبيلاً، فحرّفها إلىٰ «فيّ ناقصةً» بإضافة «في» إلى ياء المتكلّم والتشديد للإدغام، ونصب ناقصة علىٰ أنّها صفة أُكرومة المنصوبة علىٰ المفعوليّة، فنشأ ذلك التحريف في النسخ الحديثة المستنسخة، ولم يفطن لما فيه من الفساد من وجهين:

الأوّل: أنّ قضيّة العطف علىٰ خصلة في الجملة الأُولىٰ، مقتضاها أنّ تقدير الكلام: ولا تدع منّي أُكرومة فيّ ناقصة، فيجتمع منّي وفي، فيرجع إلى هجنة وخيمة.

الثاني: أنّ الفصل بين الموصوف والصفة بالجارّة ومجرورها ممّا يعدّ هجيناً، فلا تكن من القاصرين، إنتهىٰ بنصّه.

....

قلت: وهي قعاقع(١) ليس لها طائل.

أمّا كون الصواب روايةً ماذكره فغير مسلّم؛ إذ قد ثبت في عدّة نسخ مازعم أنّه تحريف، ومنها ما نسخ قبل عصره بنحو أربعمائة عام، كما في النسخة التي هي بخطّ الياقوت المستعصمي، ونسخة أُخرىٰ قديمة تاريخ نسخها سنة اثنين وسبع مائة، فكيف يدّعي أنّ ذلك تحريف وقع من بعض القاصرين في عصره؟.

وأمّا كونه درايةً فغير صحيح، وماذكره من الوجهين باطلان. أمّا الأوّل وهو اجتماع منّي وفيّ، فمدفوع أوّلاً: بأنّ العطف هنا من باب عطف الجمل لا المفردات، وذلك بتقديرعامل مدلول عليه بما قبله، والتقدير: ولا تدع أُكرومة فيّ ناقصة، فلا يلزم اجتماع الظرفين.

وثانياً: على تسليم كونه من عطف المفردات، بأنّه إنّما يلزم ذلك إذا جعل الظرف -أعني منّي- متعلّقاً بـ «لا تدع»، ضرورة اقتضاء العطف اشتراك المتعاطفين في النسبة المفيدة، ونحن نمنع تعلّقه بذلك، بل هو متعلّق بـ «تعاب»، فهو من تمام الجملة الواقعة صفة لخصلة، أو بمحذوف واقع صفة لها أو حالاً منها، والعطف لايقتضي إثبات ما للمعطوف(٢) من صفة ونحوها للمعطوف عليه،(٣) كقولك: لا تضرب زيداً الفاضل ولا عمراً، فإن اقتضاه في بعض الصور فبالقرينة لابالوضع، فيقدّر لدلالة المقام عليه، كقولك: لا تنفق درهماً زائفاً ولا ديناراً أي: زائفاً فإن وقع في صريح الكلام، يغني عن تقديره لم يقدّر، كقولك: لا تنفق درهماً زائفاً ولا ديناراً رديّاً، فلا يحتاج إلى تقدير زائف هنا، حتّى يلزم منه اجتماع زائف ورديّ وهما بمعنىٰ، وما نحن فيه من هذا القبيل؛ فإنّ «فيّ» الواقعة صفة لأُكرومة أغنت عن تقدير منّي، فلا يلزم اجتماعهما.

---

(١) (ج): فقاقع. (٢)(ج): للمعطوف عليه. (٣) (ج): للمعطوف.

....

وأمّا الوجه الثاني، وهو الفصل بين الموصوف والصفة بالجارّة ومجرورها، فردود بأنّه لافصل هنا أصلاً، بل الجارّ والمجرور صفة لأُكرومة، وناقصة صفة أُخرىٰ لها كما تقدّم، فهو ممن باب تعدّد الصفات، فهو كقوله تعالىٰ: «وَفِي ذٰلِكُم بَلاءٌ مِن رَبِّكم عَظيمٌ»(١).

إذا عرفت ذلك، ظهر لك بطلان قول من قال أيضاً: إنّ شدّدت الياء كما في أكثر النسخ، فناقصة صفة لأُكرومة، ولا بأس بالفصل بالظرف لشيوعه، ولكنّ الأولىٰ أنّ يجعل «منّي» علىٰ هذا التقدير متعلّقاً بـ «تعاب»؛ لأنّك لوجعلته متعلّقاً بـ «خصلة» أو «لا تدع» لاجتمع هنا منّي وفي، فلايكون مستحسناً، إنتهىٰ.

فقد علمت إنتفاء دعوىٰ الفصل رأساً.

وأمّا قوله: لوجعلته متعلّقا بخصلة لاجتمع هنا منّي وفيّ، ففيه: أنّه إن أراد بتعلّقه بخصلة التعلّق الإصطلاحي فهو غلط؛ لأنّ الظرف بعد النكرة إمّا صفة لها إن لم تكن موصوفة، أو محتمل لها وللحال إن كانت موصوفة كما نحن فيه، وعلىٰ التقديرين فهو ممّا يجب تعلّقه بمحذوف إجماعاً، فكيف يصحّ جعله متعلّقاً بخصلة؟.

وإن أراد التعلّق المعنوي،أعني كونه صفةً أو حالاً لها، فقد عرفت أنّه لايلزم منه الاجتماع المذكور.

والاستثناء في الجمل الثلاث متصل مفرّغ من أعمّ الأحوال، محلّة النصب علىٰ أنّه حال من ضمير لا تدع، والعامل فيها فعل النهي، أي: لا تدع خصلةً تعاب منّي في حال من الأحوال إلّا حال إصلاحكها، ولاعائبةً أؤنّب بها في حال من الأحوال

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٩.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأَبْدِلْني مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنآنِ المَحبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ البَغْيِ الموَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَداوَةِ الأَدْنَيْنَ الوَلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوي الأَرْحامِ المَبَرَّةَ، وَمِنْ خِذْلانِ الأَقْرَبينَ النُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ المُدارينَ تَصْحيحَ المِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ المُلابِسينَ كَرَمَ العِشْرَةِ، وَمِنْ مَرارَةِ خَوْفِ الظّالِمينَ حَلاوَةَ الأَمَنَةِ.

إلّا حال تحسينك إيّاها، ولا اكرومة فيّ ناقصة في حال من الأحوال إلّا حال إتمامك لها.

والمقصود لزوم تعقّب مضمون ما بعد إلّا لما قبلها، فهما كالشرط والجزاء؛ ولذلك وقعت الحال بعد «إلّا» ماضياً مجرداً عن قد والواو.

وحاصل الكلام: كلّما كانت فيّ من خصلة تعاب فأصلحها، ومن عائبة أؤنّب بها فحسّنها، ومن أُكرومة ناقصة فأتممها.

وأمّا قول بعض القاصرين: استثناء الجمل هنا بتأويلها بالمشتقّ والمستثنىٰ منه الخصلة، ولولا تخصيصها بالنعت لكان متّصلاً، فهو الذي أوجب الانقطاع، فذكره لزيادة المبالغة، فقد سأل إصلاح الخصلة المعيبة التي يطّلع(١) الناس عليها وتعيبه بها، والخفيّة التي لم يطلع أحدعليها(٢)، وهذا علىٰ تقدير تدع بمعنىٰ تترك ، ولوكان بمعنىٰ تصير، لكان الاستثناء مفرّغاً من مفعوله الثاني المقدّر، ومثله ما بعده، انتهىٰ.

فهو هذيان محموم أو هذر ملموم، فإيّاك والالتفات إليه، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل *.

أبدلت كذا من كذا إبدالاً: أذهبت الأول وجعلت الثاني مكانه.

ومن بدليّة، اجعل المحبّة بدلاً من بغضة أهل الشنآن، أو ابتدائيّة على القول

---

(١)(ج): يطّلع عليها الناس.

(٢) (ـ): يطلع عليها أحد.

....

بإنكار مجيئ «من» للبدل؛ لأنّ ابتداء الإبدال حصل من البغضة. وأغرب من قال: إنّها لبيان الجنس؛ فإنّ البغضة ضدّ المحبّة لاجنس لها، وهل يخفىٰ ذلك علىٰ من له أدنىٰ تمييز؟ فسبحان واهب العقول.

والبغضة بالكسر: شدّة البغض.

والشنان بالتحريك والتسكين: البغض، وقرئ بهما قوله تعالى: «شَنَآنُ قَومٍ»(١).

قال الجوهري: وهما شاذّان، فالتحريك شاذّ في المعنىٰ؛ لأنّ فعلان إنّما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان، والتسكين شاذّ في اللفظ؛ لأنّه لم يجئ شيءمن المصادر عليه(٢).

قال أبوعبيدة: والشنان بغير همز مثل الشنآن، وأنشد الأحوص:

وما العيش إلّا ما تلذ وتشتهي وإن لام فيه ذوالشنان وفندا(٣)

والبغي: الظلم والتعدّي والاستطالة والسعي في الفساد وطلب الشرّ، يقال: بغى أحدهما على صاحبه بغياً ـ من باب رمى ـ أي: طلب له شرّاً. ولمّا كان الحاسدون ظالمين طالبين للمحسود شرّاً بتمنّي زوال نعمته، جعلهم عليه السّلام أهل البغي.

والظنّة بالكسر: التهمة، وهي اسم من ظننته ـ من باب قتل ـ إذا اتّهمته.

والثقة: الائتمان.

يقال: وثق به يثق بكسرهما ثقةً ووثوقاً أي: ائتمنه.

فإن قلت: كيف نسب الظنّة إلى أهل الصلاح، وسوء الظنّ بالمسلمين واتّهامهم محظور؟ فعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: أنّ الله حرّم من المسلم دمه

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) الصحاح: ج ١ ص ٥٧.

(٣) لسان العرب: ج ١٣ ص ٢٤٣.

....

وعرضه وأنّ يظنّ به ظنّ السوء(١)

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء(٢).

بل مقتضىٰ الصلاح حسن الظنّ بالمؤمن وعدم اتّهامه.

كما روي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام: ضع أمر أخيك على أحسنه حتّىٰ يأتيك مايقلبك عنه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءً وأنت تجدها في الخير محملاً(٣).

ولذلك قال العلماء: أفعال المؤمنين محمولة علىٰ الصحّة.

قلت: ليس المراد بالظنّة هنا الّا عدم الثقة والطمأنينة بكلّ أحد، وليس المراد بها الاتّهام بما ينافي العدالة، فإنّ من شأن أهل الرأي والصلاح أن لا يثقوا بكلّ أحد ولا يركنوا إلى كلّ شخص، تفادياً عن الغرر وأخذاً بفضيلة الحزم.

ولذلك قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: الطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار عجز(٤).

وفي كلامهم: إذا كان الغدر طبعاً فالثقة بكلّ أحد عجز. وعلىٰ هذا المعنىٰ حمل الخبر المشهور: الحزم سوء الظنّ بالناس.

وفي رواية: احترزوا من الناس بسوء الظن(٥).

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام: الحزم مساءة الظنّ (٦).

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٣٧٢.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٦١ ح ١.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٢ ح ٣.
(٤) نهج البلاغة: ص ٥٤٤ حكم ٣٨٤.
(٥) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١٦٣، وفيه: احتجزوا، بحارالأنوار: ج ٧٧ ص ١٥٨، وفيه: احترسوا.
(٦) الكافي: ج ١ ص ٢٧ ح ٢٩.

....

قال بعض الشارحين(١): يعني أنّ جودة الرأي وإحكام الأمر والأخذ بالثقة يقتضي سوء الظنّ بالناس، يعني تجويز السوء منهم والتثبّت فيما يأتون به، حتّى يتبيّن الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والعلم من الشبهة، ولو وجب القبول منهم والثقة بهم من غير حزم ولم يجز نسبة السوء إليهم لوقع الهرج والمرج وبطل الدين ورجع كما كان قبل البعثة.

وبالجملة: فالحزم يوجب أن يبني الحال على تجويز السوء منهم، حتّى يتبيّن الحقّ ويحصل الإذعان به.

وفيه تنبيه على أنّه لاينبغي متابعة الغير في أمر من الأمور مع تجويز كون ذلك الأمر خطأ، بل لابدّ من كمال الإحتياط فيه. وإنّما قلنا: على جواز السوء منهم لأنّه الذي يقتضيه الحزم والاحتياط، فلاينافي ماورد من النهي عن مساءة الظنّ بالخلق؛ لأنّ ماذكرناه من باب التجويز العقلي الذي هو قضية الحزم وماورد النهي عنه من باب الاعتقاد الفاسد، أو القول بالشيء رجماً بالغيب(٢)، إنتهى.

والأدنين: الأقارب، جمع أدنى من الدناوة بمعنى القرابة، يقال: بينهما دناوة أي: قرابة، وأغرب من جعله من الدنيّ بمعنى الساقط الضعيف. وقد تقدّم بيان إعلال هذا الجمع في الروضة الثانية(٣)، فليرجع إليه.

والولاية: ضدّ العداوة.

والعقوق: قطيعة الرحم، من العقّ بمعنى القطع.

قال الأزهري: وأصل العقّ: الشقّ والقطع(٤).

---

(١) وهو المولى محمّد صالح المازندراني.

(٢) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج١ ص٤٢١ - ٤٢٢.

(٣) ج ١ ص٤٦٦.

(٤) التهذيب في اللغة: ج ١ ص٥٧.

....

وقال صاحب المحكم: عقّ والده يعقّه عقاً: شقّ عصا طاعته، وقد يعمّ بلفظ العقوق جميع الرحم، فالفعل كالفعل والمصدر كالمصدر(١).

والأرحام: جمع رحم، وهي في الأصل منبت الولد ووعاؤه في البطن، ثمّ سمّيت القرابة من جهة الولادة رحماً، ومنها ذو الرحم خلاف الأجنبي، وقد تقدّم الكلام على ذلك.

والمبرّة: البرّ، وهو ضدّ العقوق فيكون بمعنى الصلة.

قال بعض العلماء: قطيعة الرحم وعقوقها هو ترك الإحسان إلى الأقربين والتعطّف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم(٢).

وبرّها وصلتها لها درجات متفاوتات بعضها فوق بعض، وأدناها الكلام وترك المهاجرة، ويختلف ذلك أيضاً باختلاف القدرة عليها والحاجة إليها، فمن الصلة ما يجب ومنها مايستحبّ. ومن وصل بعض الصلة ولم يبلغ أقصاها ومن قصّر عما ينبغي أو قصر عمّا يقدر عليه، هل هو واصل أو قاطع؟ فيه تأمّل والأقرب عدم القطع؛ لصدق الصلة في الجملة.

والخذلان بالكسر: اسم من خذله -من باب قتل-: إذا ترك نصره وإعانته وتأخر عنه.

وإنّما خصّ عليه السّلام الأقربين هنا بالذكر؛ لأنّ قربهم منه باعث لدواعي النصرة له، فنصرتهم إيّاه أعظم في عزّ جانبه وحفظه وحمايته من غيرهم، وخذلانهم له أشدّ في تهضّم جانبه.

ولذلك قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: لن يرغب المرء عن عشيرته -وإن كان

---

(١) المحكم لابن سيده: ج ١ ص ٢٠.

(٢) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٩ ص ٣٩٠.

....

ذا مال وولد- وعن مودّتهم وكرامتهم ودفاعهم بأيديهم وألسنتهم، هم أشد الناس حيطة من ورائه وأعطفهم عليه وألمّهم لشعثه، إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأُمور، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّما يقبض عنهم يداً واحدة وتُقبض عنه منهم أيدي كثيرة(١).

والمدارين: جمع مدار، اسم فاعل من داراه يداريه مداراةً، أي: لاطفه ولاينه واحتمل منه كي لاينفر عنه.

وقال الجوهري: مداراة الناس تهمز ولا تهمز، يقال: دارأته وداريته، وهي المداجاة والملاينة(٢).

وقيل: المداراة: مجاملة المعاشرين والمعاندين والمتشبّهين بالإخوان، طمعاً في مودّتهم واتّقاءً من شرورهم.

وبالجملة: فهي لا تكون إلّا مع عدم الصفاء وسقم المودّة؛ ولذلك سأل عليه السّلام إبدال حبّ المتصفين بها بتصحيح المقة وهي المحبّة، والهاء فيها عوض من الواو، يقال: ومقه يمقه بالكسر فيهما ومقاً ومقةً: أي أحبّه فهو وامق.

وعلى ذلك ماحكي عن أبي الطيّب المتنبّي أنّه سمع عند انصرافه من صلاة الجمعة أعمى خارجاً من باب الجامع يقول: واضيعة الأدب، المتنبّي يقول:

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى عدوّاً له ما من صداقته بدّ(٣)

فقال المتنبّي لبعض أصحابه: سله عن ذلك، وقل له: كيف كان ينبغي أن يقول، فسأله، فقال: كان ينبغي أن يقول: ما من مداراته أو من مداجاته؛ لأنّ الصداقة لاتكون إلّا مع الصفاء، والمداراة والمداجاة لا تكون إلّا مع العداوة (٤).

---

(١) نهج البلاغة: ص ٦٥ خطبة ٢٣.

(٢) الصحاح: ج ٦ ص ٢٣٣٥.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبّي: ص ١٥٥.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٤٢.

....

قوله عليه السّلام «ومن ردّ الملابسين كرم العشرة» الردّ يكون إهانةً ويكون إكراماً، فإن عدّي بنفسه أو بـ «على» كان إهانةً.

يقال: ردّ الشيء :إذا لم يقبله، وردّ عليه: إذا خطّأه.

وإن عدّي بـ «إلى» كان إكراماً، ومنه: «فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمّه»(١)، والمراد به هنا: المعنىٰ الأوّل.

والملابسين: جمع ملابس، من لابست فلاناً أي: خالطته وعرفت باطنه.

والعشرة بالكسر: هي اسم من المعاشرة والتعاشر، وهي المخالطة.

وكرم العشرة عبارة عن حسنها ولطفها؛ فإنّ العرب تستعمل الكرم في كلّ شيء حسن ممدوح.

والمعنىٰ: أبدلني من عدم قبول المخالطين لي أو من تخطئتهم لي حسن معاشرتهم، أو من ردّي لهم حسن معاشرتي إيّاهم.

قوله عليه السّلام: «ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمنة» فيه استعارة مكنيّة تخييليّة، أضمر تشبيه الخوف بالشيء المرّ بجامع الكراهة، وأثبت له المرارة التي هي من لوازم المستعار منه تخييلاً، وكذلك أضمر تشبيه الأمنة بالشيء الحلو بجامع اللذّة، وأثبت له الحلاوة تخييلاً.

والأمنة بالتحريك: الأمن، وفي رواية بالتسكين، والأولىٰ هي المشهورة وهي الموافقة للتنزيل، قال تعالىٰ: «إذ يُغشّيكم النعاسَ أمَنةً منه»(٢)، وقال تعالى: «أمَنةً نُعاساً»(٣).

---

(١) سورة القصص: الآية ١٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

....

تنبيهات

الأوّل: إضافة مدخول «من» في هذه الفقرات ماعدا الأخيرة، تحتمل أن تكون من باب الإضافة إلىٰ الفاعل، وأن تكون من باب الإضافة إلى المفعول. وقد يرجّح الثاني بمناسبته لعنوان الدعاء من كونه لطلب مكارم الأخلاق؛ ليكون الغرض من الدعاء إبدال ماساء من أخلاقه بالحسن، على أنّ جعله من الأوّل لاينافي عنوان الدعاء، إذا حمل الإبدال علىٰ معنىٰ طلب الاستعداد للتخلّق بما يقتضي إبدال أهل الشنآن ببغضهم له محبّتهم إيّاه مثلاً، وقس علىٰ ذلك سائر الفقرات، أو حمل المبدل على كونه حاصلاً منه لامنهم، فيكون من باب مقابلة الإساءة بالإحسان وهو من معالي الأخلاق.

الثاني: كلّ من هذه الفقرات يحتمل أربعة معان، باعتبار احتمال كون مدخول «من» في كلّ منها مضافاً إلى الفاعل وإلى المفعول، وكون المبدل حاصلاً إمّا منه أومنهم. وتختصّ الفقرة الأُولىٰ بزيادة احتمال أربعة معانٍ أُخرىٰ؛ لاحتمال كون المحبّة من الله له وكونها منه لله تعالىٰ، فتكون معانيها المحتمله ثمانية حاصلة من ضرب اثنين في أربعة.

الثالث: مدار هذا الفصل من الدعاء علىٰ طلب الأُلفة بينه وبين الناس من الأجانب والأقارب، وهي من أعزّ المطالب شرعاً وعرفاً؛ لاقتضائها صلاح حال الدنيا والآخرة؛ لأنّ الإنسان مدنيّ بالطبع، فلاغناء له في تعيّشه من التمدّن، وهو اجتماعه مع بني نوعه؛ لافتقاره في تحصيل مآربه إلى معاونتهم ومشاركتهم؛ إذ لايمكن الإنسان الواحد القيام بجميع مايحتاج إليه من الضروريّات التي لابقاء له بدونها، وتلك المعاونة والمشاركة لاتتمّ إلّا بائتلاف واجتماع ومعاشرة، ولايستقيم ذلك إلّا بتحقّق الروابط بينهم، وهي لا تتمّ إلّا بنفي الضغائن والاحقاد والحسد

....

ونحو ذلك، وذلك مستلزم لتعاون الهمم وتصافي البواطن والاجتماع علىٰ الأُلفة والمحبّة وأنس بعضهم، فتستقيم أُمورهم بتعاونهم وتتراح مضارّهم بتناصرهم، فمن منح الأُلفة من الناس تمّ له نفعهم إيّاه، وعدم مضرّتهم له، وميل قلوبهم إليه، وأُنسهم به، ومدافعتهم عنه، وفي ذلك صلاح دنياه وآخرته؛ ولذلك حثّ الشارع علىٰ الأُلفة والاتّحاد.

حتّى قال العلماء: إنّ سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنواهي لايتمّ إلّا بها؛ ولذلك عظّم الله تعالىٰ المنّة بإيقاع الأُلفة بين أهل الملّة، فقال: «لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألّفتَ بين قلوبهم ولكن الله ألّفَ بينهم»(١)، وذلك أنّهم بالأُلفة يكونون بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه، ولأجلها شرّع الله تعالى اجتماع الخلق علىٰ الصلاة في المساجد في كلّ يوم خمس مرّات وفي كلّ اسبوع مرّة في المسجد الأعظم، وفي كلّ سنة مرّتين في الأعياد، وفي العمر مرّة بمكّة لاجتماع أهل البلدان النائية، كلّ ذلك ليتأكّد باجتماعهم الأُلفة والإتّحاد، وتقع بسببه المحبّة والوداد، والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً.

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسندٍ صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه كان يقول لأصحابه: اتّقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابيّن في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه(٢).

وبسندٍ صحيح عنه عليه السلام أنّه قال: يحقّ علىٰ المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون علىٰ التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض، حتّىٰ تكونوا كما أمركم الله عزّوجلّ، «رحماء بينهم» متراحمين، مغتمّين لماغاب عنكم من أمرهم علىٰ ما مضىٰ عليه معشر الأنصار علىٰ عهد رسول الله

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٧٥ ح ١.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، واجْعَلْ لي يَداً عَلىٰ مَنْ ظَلَمَني، وَلِساناً عَلىٰ مَنْ خاصَمَني، وَظَفراً بِمَنْ عانَدَني، وَهَبْ لي مَكْراً عَلىٰ مَنْ كايَدَني، وَقُدْرَةً عَلىٰ مَنِ اضْطَهَدَني، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَني، وَسَلامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَني، وَوَفِّقْني لِطاعَةِ مَنْ سَدَّدَني، وَمُتابَعَةِ مَنْ أرْشَدَني.

صلّى الله عليه وآله(١) ﷺ.

اليد: منع الظلم، والقوّة والقدرة، والسلطان، والغلبة. قيل: ومنه قوله تعالىٰ: «حتّىٰ يُعطُوا الجِزيَةَ عَن يدٍ»(٢) أي: عن قدرة عليهم وغلبة.

واللسان هنا مجاز عن الحجة.

قال الزمخشري في الأساس: فلان ينطق بلسان الله أي: بحجّته وكلامه(٣).

وظفر بعدوّه وعليه(٤) من باب تعب ـ: غلبه.

وعاند فلان عناداً: إذا ركب الخلاف والعصيان.

وفي الأساس: رجل عنيد ومعاند: يعرف الحقّ فيأباه ويكون منه في شقّ، من العند وهو الجانب(٥).

والمكر: الخديعة، مكر مكراً ـ من باب قتل ـ فهو ماكر، ومكرالله: جازىٰ على المكر، وسمّي الجزاء مكراً كما سمّي جزاء السيّئة سيّئة علىٰ سبيل مقابلة اللفظ باللفظ، ويسمّىٰ مشاكلة، وعلىٰ هذا المعنىٰ يحمل المكر المطلوب هنا.

وقال الراغب: المكر والخديعة متقاربان، وهما اسمان لكلّ فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف مايقتضيه ظاهره. وذلك ضربان:

أحدهما: مذموم وهو الأشهر عندالناس، وذلك أن يقصد فاعله إنزال مكروه

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٧٥ ح ٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) أساس البلاغة: ص ٥٦٤.

(٤) (ج): غلبه.

(٥) أساس البلاغة: ص ٤٣٦.

....

بالمخدوع. وإيّاه قصد النبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله: المكر والخديعة في النار، والمعنىٰ: يؤدّيان بقاصدهما إلى النار.

والثاني: عكس ذلك، وهو أنّ يقصد فاعلهما إلىٰ استجرار المخدوع والممكور به إلى مصلحة لهما، كما يفعل بالصبي إذا امتنع من فعل خير.

قال بعض الحكماء: المكر والخديعة محتاج إليهما في هذا العالم، وذلك أنّ السفيه يميل إلىٰ الباطل، ولايقبل الحقّ ولايميل إليه لمنافاته لطبعه، فيحتاج أنّ يخدع عن باطله بزخارف مموّهة خدعة الصبي عن الثدي عند الانفطام؛ ولهذا قيل: سفسط فإنّ الدنيا سوفسطائيّة، وليس هذا حثّاً على الخبث بل هو حثّ على جذب الناس إلى الخير بالاحتيال؛ ولكون المكر ضربين سيّئاً وحسناً قال الله تعالى: «ولا يحيقُ المكرُ السّيّءُ إلّا بأهلِهِ»(١)، وقال: «افأمِنَ الّذينَ مَكروا السيّئاتِ»(٢)، فخصّ السيّ من المكر تنبيهاً علىٰ جواز المكر الحسن، ووصف نفسه بالمكر الحسن فقال: «ومَكَروا ومكرالله والله خيرُ الماكِرينَ»(٣)، إنتهىٰ(٤).

وعلىٰ هذا، فالمكر المطلوب هو المكر الحسن.

والكيد والمكر في اللغة بمعنىٰ واحد، يقال: كاده وكايده: إذا مكر به وخدعه.

وقال الراغب: الكيد: إرادة متضمّنة لاستتار ما يراد عمّن يراد به، لكن أكثر ما يستعمل ذلك في الشرّ ومتىٰ قصد به شرّ فمذموم، ومتى قصد به خير فممدوح، وعلى الوجه المحمود قال تعالى: «كذلك كدنا ليوسفَ»، إنتهى (٥).

والمراد به هنا الأوّل:

---

(١) سورة فاطر: الآية ٤٣. (٢) سورة النحل: الآية ٤٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٤.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٨٨.

(٥) الذريعة: إلى مكارم الشريعة: ص١٨٩.

....

والاضطهاد: افتعال من الضهد، وللطاء مبدلة من التاء.

يقال: ضهده واضطهده: إذاقهره فهو مضهود ومضطهد.

وقصبه قصباً -من باب قتل-: عابه وشتمه، واصله من القصب بمعنىٰ القطع.

قال في الأساس: قصّبه عابه، ومعناه قطعه باللوم(١).

وتوعّده: تهدّده، والاسم منه الوعيد.

فإن قلت: في هذا الفصل من الدعاء ماينافي مكارم الأخلاق؛ فإنّه عليه السّلام سأل الاستعداد للقوّة على الانتقام ممّن أساء إليه، وحسن الخلق وكرمه يقتضي العفو والإعراض بل مقابلة الإساءة بالإحسان.

كما روي من الخبر المشهور بين الخاصّ والعامّ: أنّ جبرئيل عليه السّلام جاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: أتيتك يا محمّد بمكارم الأخلاق أجمعها، قال: وما تلك؟ قال: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، يا محمّد هي أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك. فأحسن صلّى الله عليه وآله تقبّله وتلقّيه حتّىٰ نزل قوله تعالىٰ ثناءً عليه: «وإنّكَ لعلىٰ خلقٍ عظيم»(٢).

والأخبار والآثار في هذا المعنىٰ أكثر من أنّ تحصر وأشهر من أن تذكر.

قلت: ليس في الدعاء ماينافي الخبر، وبيان ذلك: أنّ من الظلم والإساءة مايحسن العفو عنه، ومنه مالا يحسن إلّا دفاعه.

فالأوّل: ماليس علىٰ الإنسان في تحمّله والتغاضي عنه ذلّة وغضاضة ولا عاز ودناءة، فهذا ممّا يحسن العفو عنه والحلم عليه، وهوالذي يقتضيه حسن الخلق وكرمه.

والثاني: ماأدّىٰ إلىٰ دنيّة وعار، فهذا ممّا لايحسن إلّا دفاعه والكفّ عنه، وهو

---

(١) أساس البلاغة: ص٥٠٩.

(٢) مجمع البيان: ج٣٠٤ ص٥١٢.

....

المسمّىٰ بإباء الضيمّ، وأنفة العار، وحماية الحريم، والأخذ بالثار، وعن هذا قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: لاخير فيمن لا يغضب إذا أُغضب(١).

وقال تعالى حاكياً عن نبيّه لوط عليه السّلام في التأسّف علىٰ عجزه عن دفاعه: «لو أنّ لي بكم قوّةً أو آوي إلىٰ ركنٍ شَديدٍ»(٢).

وقالت الحكماء: إنّ القوّة الغضبيّة إذا تركّبت مع العقل استقام أمر الحماية والدفاع والأخذ بالثار، وكان صاحبه عدلاً في اقتداره محموداً في انتصاره(٣). وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار الجعدي بقوله:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذ لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا(٤)

وقال أبو الطيّب:

إذا قيل حلماً قال للحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل (٥)

ومن هنا قالت العلماء: يجب التدبّر في أمر الإساءة والظلم، فإن كان ممّا يسعه العفو والتجاوز كفىٰ فيه العتاب، والعدل والعفو أحسن وأولىٰ وهو أقرب للتقوىٰ، وإن لم تسمح السياسة بالتجافي والصفح عنه وجبت العقوبة بقدر الذنب لا بقدر التشفّي.

إذا عرفت ذلك، فما سأله عليه السّلام من اليد واللسان والظفر والاقتدار، إنّما أراد به مايقتضيه إباء الضيم وأنفة العار، وهو من أعلى معالي الأخلاق لامنافٍ لها، والله أعلم.

---

(١)و(٣) نعثر عليه.
(٢) سورة هود. الآية ٨٠.
(٤) أدب الدين والدنيا: ص٢٤٩، عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٨٥.
(٥) ديوان أبي الطيّب المتنبي: ص ٣١.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَسَدِّدْني لِأَنْ أُعارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بِالبِرِّ، وأُثِيبَ مَنْ حَرَمَني بالبَذْلِ، وَأُكافِيَ مَنْ قَطَعَني بالصِّلَةِ وَأُخالِفَ مَنِ اغْتابَني إلى حُسْنِ الذِّكْرِ، وأنْ أَشْكُرَ الحَسَنَةَ، وأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

قوله عليه السّلام: «و وفّقني لطاعة من سدّدني ومتابعة من أرشدني» سدّده تسديداً: قوّمه، وأراه للسداد، وهو الصواب من القول والعمل.

وأرشده إرشاداً: هداه إلى مافيه صلاحه عاجلاً وآجلاً.

وفي هذه الفقرة تنبيه علىٰ وجوب انقياد المتعلّم للمعلّم وائتمار المستفيد للمفيد، فقد قيل: من حقّ المتعلّم إذا وجد معلّماً ناصحاً أن يأتمر له ولايتأمّر عليه ويتابعه ولا يراجعه. وكفىٰ تنبيهاً علىٰ ذلك ماحكىٰ الله عن العبد الصالح أنّه قال لموسىٰ عليه السّلام حيث قال: «هل اتّبعك علىٰ انّ تُعلّمن ممّا عُلّمتَ رُشداً»(١) فقال له: «لا تسئلني عن شيءٍ حتّىٰ أُحدث لكَ منه ذِكراً»(٢)، فنهاه عن مراجعته في متابعته.

فيجب علىٰ المتعلّم تلقّي ما يلقيه معلّمه بالقبول، ويطيعه ويتّبعه في جميع مايقول، كما انّ من حقّ المريض أن يكل أمره إلى الطبيب الناصح الذي وقف علىٰ دائه، ويسمع له ويطيع فيما يأمره من دوائه وغذائه؛ فإنّ العلماء أُساة الأمراض الروحانيّة، كما أنّ الأطبّاء أُساة الأمراض الجسمانيّة *.

قال الزمخشري في الأساس: اللّهم سدّدني أي: وفّقني (٣).

وعارض الشيء بالشيء معارضةً: قابله به.

وغشّه غشّاً -من باب قتل-: لم ينصحه وزيّن له غير المصلحة، والاسم الغشّ بالكسر.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦. (٢) سورة الكهف: الآية ٧٠. (٣) أساس البلاغة: ص٢٩٠.

....

ونصحت لزيد أنصح -من باب منع- نُصحاً بالضمّ، هذه اللغة الفصحىٰ وعليها التنزيل، وفي لغة يـعدّىٰ بنفسه، والإسم النصيحة. وهي كلمة جامعة معناها إرادة الخير للمنصوح لـه قولاً أو فعلاً، من نصـحت العسل: إذا صفّـيته من الشمع، شبّهوا تخليص القول أو الفعل من الغشّ بتخليص العسل من الشمع.

وجزيته بفعله وعلىٰ فعله: إذا فعلت معه ما يقابل فعله.

وهجرته هجـراً -من باب قتل-: تـركته ورفضته فهو مهجور، وهجرت الإنسان: قطعـتـه، وهما يتهاجران ويهـتـجـران: يـتقاطـعـان. والـبرّ بالـكـسر: الصلة، والخير، والفضل، وضدّ القطيعة والعقوق.

وأثـابه يثـيـبه: جـازاه على صـنيعـه، والاسم الثـواب، ويـكون في الخير والشرّ، والأوّل أكثر.

وحرمه معروفه -من باب ضرب- يتـعدّىٰ إلىٰ مفعـولين حرماً وحرماناً بكسرهما: منعـه إيّـاه، ولم يـذكر المفـعول الـثاني؛ لأنّ القصـد الإعـلام بمـجرّد إيقاع الـفـعل، فالمعنىٰ: من حصل منه الحرمان لي، فالمفعول غير منوي.

وبذل بذلاً -من باب قتل-: **سمح وأعطى** عن طيب نفس.

وكافيته على صنيعه: جازيته: يهمز ولا يهمز.

والقطع والقطيعة: ضـدّ الوصل، وتقاطع القـوم: تصارموا، وقطع رحمه: إذا ترك برّها ولم يصلها.

ووصل رحمه وصلاً وصلةً: برّهـا وتعطّف عليها وأحسن إليها، فـكأنّه بالإحسان وصل مابينه وبينهم من القرابة، والهاء من الصلة عوض عن الواو.

وخالفت زيداً إلى كذا: إذا قصدتـه وهو مولٍ عنه، وخالفته عن كذا: إذا كان الأمر على العكس.

فمعنىٰ «أُخالف من اغـتابني إلىٰ حسن الذكر»: أقصد حسن الذكر بعد ماولّى

....

عنه وأستبدّ به دونه، ومنه قوله تعالى: «وما أُريدُ أن أُخالِفَكم إلىٰ ما أنهاكم عنه»(١).

واغتابه اغتياباً: إذا ذكره بما يكره من العيوب وهو حقّ، والاسم الغيبة بالكسر، فإن كان باطلاً فهو البهت والبهتان، وسيأتي الكلام عليها مستوفى عن قريب في هذه الروضة إن شاء الله تعالى. وذكر الشيء بالكسر: إجراؤه على اللسان.

وقال الواحدي: معنىٰ الذكر حضور المعنىٰ في النفس، ثمّ يكون تارةً بالقلب وتارةً بالقول، وليس شرطه أن يكون بعد نسيان (٢).

والمراد بحسن الذكر: الثناء على الإنسان في غيبته، ووصفه بما يسرّه من تعديد محاسنه.

والحسنة: من الصفات الجارية مجرىٰ الأسماء، وهي كلّ ما يتعلّق به المدح في العاجل والثواب في الآجل، وضدّها السيّئة.

وأغضىٰ الرجل عينه إغضاءً: قارب بين جفنيها، ثمّ استعمل في الحلم، فقيل: أغضىٰ عن الذنب: إذا أمسك عفواً عنه.

ومدار هذا الفصل علىٰ طلب الاستعداد لمقابلة الإساءة بالإحسان وإبدال الانتقام بالإنعام وهو أشرف مكارم الأخلاق على الاطلاق.

كما رواه ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في خطبة: ألا أُخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك (٣).

---

(١) سورة هود: الآية ٨٨.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١١١.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٠٧ ح١، وفيه: في خطبته.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّني بِحِلْيَةِ الصّالِحينَ، وَأَلْبِسْني زينَةَ المُتَّقينَ، في بَسْطِ العَدْلِ، وَكَظْمِ الغَيْظِ، وَإِطْفاءِ النّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الفُرْقَةِ، وَإِصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وَإِفْشاءِ العارِفَةِ، وَسَتْرِ العائِبَةِ وَلينِ العَريكَةِ، وَخَفْضِ الجَناحِ، وَحُسْنِ السّيرَةِ، وَسُكُونِ الرّيحِ، وَطيبِ المُخالَفَةِ، وَالسَّبْقِ إِلىٰ الفَضيلَةِ، وَإِيثارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْييرِ، والإِفضالِ عَلىٰ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَالقَوْلِ بِالحَقِّ وَإِنْ عَزَّ وَاسْتِقْلالِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلي وَفِعْلي، وَاسْتِكْثارِ الشَّرِّ وَإِن قَلَّ مِنْ قَوْلي وَفِعْلي وَأَكْمِلْ ذٰلِكَ لي بِدَوامِ الطّاعَةِ، وَلُزُومِ الجَماعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ البِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ المُخْتَرَعِ.

وروىٰ ثقة الإسلام أيضاً بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالىٰ الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ثمّ ينادي منادٍ أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمّن ظلمنا، فيقال لهم: صدقتم أُدخلوا الجنّة(١).

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً.

قال بعض العارفين: وقد نبّه الله تعالى علىٰ التنفير من مقابلة السيّئة بمثلها بلطيف من المقال، فقال: «وجزاء سيّئةٍ سيّئةٌ مثلُها»(٢)، فسمّىٰ مجازاً المسيئ على إساءته، وقال: «فمَن اعتدىٰ عليكمُ فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدىٰ عليكم»(٣)، فسمّىٰ المجازي علىٰ الاعتداء معتدياً؛ تنبيهاً على أنّه قد كاد يكون إيّاه *.

حليّت المرأة تحليةً: ألبستها الحلي، والسيف: جعلت له حلية، وتعديته بالباء

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٧ ح ٤. (٢) سورة الشورى: الآية ٤٠. (٣) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

....

لتضمينه معنىٰ التزيين، والحلي كظبي.

والحلية بالكسر: ما يزيّن به من مصوغ المعدنيّات أو الحجارة، والحلية بالكسر: السيما والصفة أيضاً، تقول: عرفته بحليته أي: بسيماه وصفته.

فإن حملت الحلية علىٰ معنىٰ الحلي فهي استعارة تصريحيّة والتحلية ترشيح.

وإن جعلت(١) بمعنى السيما والصفة فهي استعارة مكنيّة، أُضمر تشبيه صفات الصالحين وسيماهم وأخلاقهم الفاضلة بالحلي الذي يتزيّن به بجامع الحسن والبهاء، فأُثبت لها التحلية المختصّة بالمشبّه به تخييلاً.

وأمّا قوله عليه السّلام: «وألبسني زينة المتّقين» فهي استعارة تصريحيّة مرشّحة لاغير.

والصالحون: هم القائمون بما يلزمهم من حقوق الله تعالىٰ وحقوق الناس.

والمتّقون: جمع متّقي، اسم فاعل من باب الافتعال، من الوقاية وهي فرط الصيانة.

والتقوىٰ في عرف الشرع: عبارة عن كمال التوقّي عمّا يضرّ في الآخرة.

وقيل: هي اجتناب ما حرّم الله وأداء ما فرض الله.

وقيل: المتّقي من يترك ما لا بأس به حذراً من الوقوع فيما فيه بأس، وقد تقدّم الكلام على مراتب التقوىٰ في الروضة الرابعة،(٢) فليرجع إليه.

وفي: للمصاحبة، أي: مع بسط العدل، نحو «ادخُلوا في أُممٍ»(٣) أي: معهم.

والمعنىٰ: حلّني بحليتهم وألبسني زينتهم مع توفيقي لبسط العدل.

وبسط الثوب بسطاً -من باب قتل-: نشره، ثمّ استعير للشمول بالعدل وبثّه في الخلق.

---

(١) (ج): جعلتها. (٢) ج ٢ ص ٩٣. (٣) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

....

ولمّا كان العدل أصل كلّ خير، وعليه مداركلّ أمر، وبه قامت السماوات والأرض، وهوميزان الله القسط في الدنيا والآخرة، قدّمه في الطلب على سائر المكارم المطلوبة؛ اهتماماً بشأنه وتنبيهاً على علوّ مكانه.

وهو إمّا بالقوّة فهيئة نفسانيّة يطلب بها التوسّط بين الإفراط والتفريط.

وإمّا بالفعل فالأمر المتوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط.

فباعتبار الأوّل قيل: هو أصل الفضائل كلّها، من حيث إنّ صاحبه يكتسب به جميع الفضائل.

وباعتبار الثاني قيل: هو الفضائل كلّها، من حيث إنّه لايخرج شيء من الفضائل عنه.

وبيانه: أنّ الفضائل كلّها ملكات متوسّطة بين طرفي إفراط وتفريط، فالمتوسط منها هو العدل، كالحكمة النظريّة المتوسّطة بين الجربزة والغباوة، والعفّة المتوسّطة بين خمود الشهوة والفجور، والشجاعة المتوسّط بين الجبن والتهوّر، والسخاء بين التبذير والبخل، والحلم بين المهانة والبطش، والتواضع بين الكبر والذل، والاقتصاد بين الإسراف والتقتير، والإنصاف بين الظلم والانظلام، وقس على ذلك سائر الأخلاق الفاضلة، فالأوساط بين هذه الأطراف المتضادّة هي الفضائل، ولكلّ منها طرفاً تفريط وإفراط وهما مذمومان، والخروج إلى أحدهما هوالجور الذي هو ضدّ العدل، والأطراف المتضادّة هي الرذائل، ومن هنا قيل: خيرالأُمور أوسطها(١).

ثمّ هذا الحكم في العدل جارٍ في باب العقائد أيضاً، كالتوحيد المتوسّط بين التعليل والشرك ، والتعويل على الأمر بين الجبر والتفويض، وفي باب الأعمال، كأداء الواجبات والسنن المتوسّط بين البطالة والترهّب.

____

(١) عوالي اللئالي: ج ١ ص٢٩٦.

....

وفي باب الأقوال، كالبلاغة المتوسّطة بين العيّ والهذر.

فتبيّن أنّه لايخرج شيءمن الفضائل عنه قولاً وعملاً واعتقاداً.

ولذلك قالوا: هو ميزان الله المتبرّئ من كلّ ذلّة، وصراطه المستقيم المؤدّي بسالكه إليه، وبه يستتبّ أمرالعالم، قال الله تعالى: «الذي أنزل الكتابَ بالحقّ والميزان»(١) وقال تعالى «والسماءَ رَفعها ووضعَ الميزان»(٢)، عبّر بالميزان عن العدل؛ لأنّه من أثره ومن أظهر أفعاله للحاسّة؛ إذا كان العدل مراعاة الاستقامة علىٰ حاقّ الوسط في طرفي الإفراط والتفريط، اللذين هما ككفّتي الميزان مهما رجحت إحداهما فالنقصان لازم والخسران قائم.

وقال عليه السّلام: بالعدل قامت السماوات والأرض(٣)، إذ لوكان شيءمن موجودات العالم وأُصولها زائداً علىٰ الآخر إفراطاً، أوناقصاً عنه تفريطاً، لم يكن منتظماً هذا النظام.

وبيان ذلك: أنّ مقادير العناصر لولم تكن متكافئة متعادلة بحسب الكمّية والكيفيّة، لاستولىٰ الغالب علىٰ المغلوب، وانتقلت الطبائع كلّها إلىٰ طبيعة الجرم الغالب، ولوكان بُعد الشمس من الأرض أقلّ ممّا هو الآن لاحترق كلّ ما في هذاالعالم، ولو كان أكثر لاستولىٰ البرد والجمود، وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها؛ فإنّ كلاً منهامقدّر على مايليق بنظام العالم وقوامه وقيامه؛ ولهذا المعنىٰ وصف الله سبحانه بالعدل؛ إذ كان معنىٰ عدله وضعه لكلّ موجود في مرتبته، وهبته(٤) له مايستحقّه من غير زيادة ونقصان مضبوطاً بنظام الحكمة.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٧. (٢) سورة الرحمن: الآية ٧ .

(٣) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج ٢٠ ص١٠٣، عوالي اللئالي: ج ٤ ص١٠٣.

(٤) (ج): هيئته.

....

ثمّ الصراط المستقيم المؤدّي بسالكه إلى الله تعالى إمّا علم أو عمل، فالعلم طريق القوّة النظرية، والعمل طريق القوّة العمليّة، وكلّ منهما متوسّط بين رذيلتين هما طرفا الإفراط والتفريط، والوسط منهما هوالعدل، فهو الصّراط المستقيم الذي لاميل له إلى أحد الجانبين.

ولذلك قال العسكري عليه السّلام: الصراط المستقيم في الدنيا هو ماقصر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير فلم يعدل إلى شيءمن الباطل، وفي الآخرة هو طريق المؤمنين إلىٰ الجنّة(١).

فمن استقام على هذا الصراط مرّ على صراط الآخرة مستوياً ودخل الجنّة آمناً.

قالوا: ومن فضيلة العدل أنّ الجور الذي هو ضدّه لا يستتبّ إلّا به، فلو أنّ لصوصاً تشارطوا فيما بينهم شرطاً فلم يراعوا العدالة لم ينتظم أمرهم، ومن فضله أنّ كلّ نفس تتلذّذ بسماعه وتتألّم من ضدّه؛ ولذلك يستحسن الجائر عدل غيره إذا رآه أوسمع به؛ ولحسنه تتألم النفوس من كلّ ماكان مركّباً في العالم ليس له نظام مستقيم؛ ولذلك يكره العرج والعود ويتشأّم به.

والذين يجب علىٰ الإنسان استعمال العدل معهم خمسة:

الأوّل: ربّ العزّة تعالى وتقدّس، وذلك بمعرفة توحيده وأحكامه والقيام بها.

الثاني: قوىٰ النّفس، وذلك بأن يجعل هواه مستسلماً لعقله، فقد قيل: أعدل الناس من أنصف عقله من هواه.

الثالث: أسلافه الماضون في إنفاذ وصاياهم والدعاء لهم.

الرابع: معاملوه وأحبّاؤه في أداء الحقوق، والإنصاف في المعاملات من المبايعات والمقارضات(٢)والكرامات.

---

(١) معاني الأخبار: ص٣٣.

(٢) (ج): والمعاوضات.

....

الخامس: عامّة الناس على سبيل الحكم، وذلك إذا تولّىٰ الحكم بينهم، امّا إذا كان الحكم بينه وبين غيره وكان الحقّ له فالفضل أشرف من العدل، وقد نصّ الله سبحانه على الأمرين، فقال في الحكم بين الناس: «اِنّ الله يَأمُركم أنْ تُؤدّوا الأماناتِ إلىٰ أهلِها وإذا حَكمتم بينَ الناسِ أنْ تحكُموا بالعدِل»(١)، وقال فيمن له الحقّ: «وأنْ تَعفوا أقربُ للتقوىٰ ولاتنسَوا الفضلَ بينَكم»(٢).

قوله عليه السّلام: «وكظم الغيظ» كظم غيظه كظماً ـ من باب ضرب ـ: إذا أمسك علىٰ ما في نفسه منه ولم يظهره لابقول ولابفعل، وأصله من كظم القربة: إذا ملأها وشدّ فاها، كأنّه كتم غيظه علىٰ امتلائه وردّه في جوفه وكفّه عن الإمضاء.

والفرق بين الغيظ والغضب: أنّ الغضب ضدّ الرضا، وهو إرادة العقاب المستحقّ لمقت الله بالمعاصي، وليس كذلك الغيظ؛ لأنّه هيجان الطبع بتكرّه مايكون من المكروه؛ ولذلك يقال: غضب الله على الكفّار ولايقال: اغتاظ منهم.

وقيل: الغيظ: أشدّ الحنق، ولايكون إلّا بوصول مكروه إلى المغتاظ؛ ولذلك رسم كظم الغيظ بأنّه الإمساك عن المبادرة إلى قضاء وطر الغضب فيمن يجنى عليه جناية يصل مكروهها إليه، وهو من معالي الأخلاق ومكارم الخصال، ولولم يرد في فضله إلّا نصّ قوله تعالى: «والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن الناسِ والله يُحبُّ المحسنينَ»(٣) لكفىٰ، والأخبار في الحثّ عليه والإرشاد إليه أكثر من أن تحصىٰ.

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام بسنده إلى عليّ بن الحسين ـ صاحب الدعاء ـ عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مِن أحبّ السبيل إلى الله

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

....

تعالى جرعتان، جرعة غيظٍ تردّها بحلم، وجرعة مصيبةٍ تردّها بصبر(١).

وعنه عليه السّلام بسند صحيح أنّه قال: ما أحبّ أنّ لي بذلّ نفسي حمر النعم، وما تجرّعت من جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا أُكافي بها صاحبها(٢).

وعن أبي جعفر عليه السّلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدّر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: من كظم غيظاً ولوشاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه(٤).

وعنه عليه السّلام: ما من جرعة يتجرّعها العبد أحبّ إلى الله من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه، إمّا بصبر أو بحلم(٥).

وأعجب قصّة تذكر في كظم الغيظ وإطفاء نائرة الغضب قصّة ذي الكفل؛ فإنّ اليسع عليه السّلام قال ذات يومٍ لقومه: إنّه قد وهن العظم وضعف الجسم وتخاذلت القوىٰ وتقاصرت الخطىٰ وارتفع السنّ وتقعقع الشنّ، وها أنا واقف علىٰ ثنيّة الوداع من الدنيا ومتوجّه عنها إلى الدار الأُخرىٰ فلو استخلفت عليكم من أرتضي عمله، فحمدوا رأيه ورضوا قوله، فجمع أصحابه وقال: من يكفل لي بأن يظلّ نهاره صائماً، ويبيت ليله قائماً، ولايغضب على الناس إذا ألحوّا عليه مخاصمين، ويكظم غيظه إذا أضجروه(٦) محاكمين، حتّىٰ أوليّه عليهم؟ فقام إليه رجل ينبو عنه البصر ويغمض عن النظر، فقال: أنا ذلك، ثمّ أعاد القول ثانياً وثالثاً فقام القائم أوّلاً، فقال له: أتكفل لي بذلك؟ فكفل له، فكان يدأب النهار في الصيام

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١١٠ ح ٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٩ ح ١.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١١٠ ح ٧.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١١٠ ح ٦ وفيه: أملأ الله

(٥) الكافي: ج ٢ ص ١١١ ح ١٣، وفيه: وإمّا بحلم.

(٦) (ج): إذا ضجروه.

....

والليل في القيام، ويقضي بين الناس من مطلع الفلق إلى مغرب(١) الشفق، سوى ساعة يقيلها عند قائمة الهواجر والتهاب وقدة الظهائر، فجاءه الشيطان في صورة شيخ ضعيف في وقت قائلته، وفاوضه في ذكر ظلامته وأطال حتّى فاتته القائلة، فقام ذوالكفل وقال: إنّي متوضّئ لصلاتي وعائد إلى مجلسي فأحضر خصمك لأعديك عليه وآخذ بحقّك منه، فلم يره يومه فبات واجماً له ليله، وأصبح من غده قاضياً بين الناس حتّى انتصف النهار وبلغت الشمس كبد السماء، فعاد إلى منزله ليجمّ باستراحة إعيائه(٢) ويريح بغفوة أعضائه، إذ دقّ عليه الشيطان الباب في يومه وأيقظه من غرار نومه، فقال: أين كنت بالأمس وما أخرّك عن محضر الناس؟ فقال: إنّ قومي أخبث قوم، قالوا: نعطيك حقّك اليوم ثمّ اعتلّوا عليّ ومطلوني ولووا ديني وجحدوني(٣) فطوّل القول حتّى فاتته القائلة، فقام وتطهّر وجلس للناس ينتظر الشيخ فلم يحضر، وانصرف من غده إلى منزله ليقيل عل رسمه، وقال لبوّابه: لم تلتق أجفاني منذ ثلاثة أيّام ولا بدّ للتعب المكدود من جمام، فلا تأذن لأحد عليّ ولا تدعه يدخل إليّ، ريثما أقيل ساعة وأجد ممّا عراني استراحة، فجاء الشيطان فحجبه البوّاب فلم يمتنع، ودخل الدار فأيقظه، فحين همّ أن يستخفه الغيظ ثبّته الله وعصمه فصبر عليه كاظماً، ونكص الشيطان على عقبيه رغماً، فذلك قوله عزّوجلّ: «واذكر إسماعيلَ واليَسعَ وذاالكفلِ وكلٌّ من الاخيار»(٤)، وقوله تعالى: «وإسماعيلَ وإدريسَ وذاالكِفل كلٌّ من الصابرينَ»(٥) (٦).

قوله عليه السّلام: «وإطفاء النائرة» طفئت النار تطفأ بالهمز ـ من باب تعب ـ طفوأ على وزن فعول: خمدت، وأطفأتها إطفاءً، ومنه: أطفات الفتنة: إذا سكّنتها

---

(١) (ج): غروب الشفق.

(٢) الاعياء: التعبُ والكلّ.

(٣) (ج): وجحدوني.

(٤) سورة ص: الآية ٤٨.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٨٥.

(٦) آداب النفس: ج ٢ ص ٦٩.

....

على الإستعارة، ونارت الفتنة تنور: إذا وقعت وانتشرت فهي نائرة، وسعيت في إطفاء النائرة أي: في تسكين الفتنة.

والنائرة أيضاً: العداوة والشحناء، وهي مشتقّة من النار.

يقال: بينهم نائرة أي: عداوة و بغضاء.

قوله عليه السّلام: «وضمّ أهل الفرقة» ضممته ضمّاً فانضمّ: جمعته جمعاً فانجمع.

والفرقة بالضمّ: اسم من افترق القوم إذا انفصل بعضهم عن بعض بالأبدان، وقد تستعمل في تفرّق القلوب وانحراف بعضها عن بعض مجازاً، وهو المراد هنا.

فضمّ أهل الفرقة عبارة عن التأليف بين أرباب القلوب المتنافرة، وإيقاع المحبّة بين الأنفس المتباغضة؛ لينعقد حبل اُلفتهم التي هي من أعظم الأسباب في استعدادهم لسعادتي الدنيا والآخرة؛ ولذلك عظّم الله تعالى المنّة بإيقاع التأليف بين أهل الملّة، فقال: «لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ماألّفتَ بينَ قلوبِهم ولكنّ اللهَ ألّفَ بينَهُمْ» (١).

قوله عليه السّلام: «وإصلاح ذات البين» قال الفيومي في المصباح: البين بالفتح من الأضداد، يطلق على الوصل وعلى الفرقة، ومنه: ذات البين للعداوة والبغضاء، وقولهم: لإصلاح ذات المبين أي: لإصلاح الفساد بين القوم، والمراد: إسكان النائرة(٢)، إنتهى.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: «وأصلِحوا ذاتَ بينكم» أي: أحوال بينكم، يعني مابينكم من الأحوال، حتّى تكون أحوال اُلفة ومحبّة واتّفاق، كقوله تعالى: «بذاتِ الصدورِ» وهي مضمراتها، لـمّا كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها:

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٣. (٢) المصباح المنير: ص٩٧.

....

ذات البين، كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب(١)، إنتهىٰ.

وقال الزجاج: البين هنا بمعنىٰ الوصل، أي: أصلحوا حقيقة وصلكم، كقوله تعالى: «لقد تقطّعَ بينكم» في قراءة الرفع، أي: وصلكم، والمراد: كونوا مجتمعين على ما أمرالله ورسوله، وكذلك معنىٰ اللّهم أصلح ذات البين، أي: أصلح الحال التي يجتمع بها المسلمون(٢)، إنتهىٰ.

فـ «ذات» علىٰ التفسير الأوّل بمعنىٰ صاحبة، وعلىٰ هذا التفسير بمعنىٰ حقيقة الشيء ونفسه.

والبين بالمعنىٰ الأوّل ظرف، وبهذا المعنىٰ اسم مرادف للوصل.

وقول صاحب القاموس: ذات بينكم أي: حقيقة وصلكم، أو ذات البين: الحال التي يجتمع بها المسلمون(٣)؛ لا وجه فيه للترديد المشعر بالمغايرة، لأنّ المعنىٰ الثاني تفسير للأوّل؛ إذ الحال التي يجتمع بها المسلمون هي حقيقة الوصل، كما هو صريح تفسير الزجاج القائل بأنّ معنىٰ ذات البين حقيقة الوصل، فتأمّل(٤).

وظهر من نقل هذه الأقوال أنّ قوله عليه السّلام: «وإصلاح ذات البين» يحتمل ثلاثة معانٍ:

أحدها: إصلاح الفرقة، على انّ البين بمعنىٰ الفرقة، والمراد بالفرقة: الخصومة والمنازعة والعداوة والبغضاء.

وذات: إمّا بمعني صاحبة، أي: الحالة المقتضية لبينهم، أو بمعنىٰ الحقيقة

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥١٨، نقلاً عن الزجاج. (٣) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٤٠٩.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص ١١٣، وراجع مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥١٨ نقلاً عن الزجاج.

....

والنفس، أي: الحالة التي تقع بها الفرقة.

الثاني: إصلاح ما بين الناس من الأحوال حتّىٰ تكون أحوال ألفة ومحبّة، على أنّ البين ظرف، كما ذكره صاحب الكشّاف (١).

الثالث: إصلاح الوصل كما قاله الزجاج(٢)، فكيون الإصلاح بمعنىٰ السعي في كونهم علىٰ ماهم عليه من الألفة.

وخير هذه الأحتمالات أوسطها، وهوالذي عليه جمهورالمفسّرين في معنىٰ الآية.

وإصلاح ذات البين من أشرف معالي الأخلاق، وقد نصّ الله تعالى عليه بقوله تعالى: «فاتّقوا الله وأصلِحوا ذاتَ بينكُمْ وأطيعواالله ورسولَه إن كنتُم مؤمنين»(٣).

قال بعض المفسّرين: توسيط ألامر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوىٰ والأمر بالطاعة؛ لإظهار كمال العناية بالإصلاح (٤).

وفي الحديث عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: إصلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام(٥).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: صدقة يحبّها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا (٦).

وعنه عليه السّلام في قوله تعالى: «ولا تجعلوا الله عُرضَةً لأيمانِكم أن تبرّوا وتتقوا وتُصلحوا بين الناسِ» قال: إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل علَيّ يمين ألّا أفعل(٧).

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) راجع مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥١٨، نقلاً عن الزجاج.

(٣) سورة: الأنفال: الآية ١.

(٤) تفسير روح المعاني: ج ٩ ص ١٦٤.

(٥) بحارالأنوار: ج ٧٥ ص ٢٤ ح ٣، وفيه: صلاح.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٢٠٩ ح ١.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٢١٠ ح ٦.

....

قوله عليه السّلام: «وإفشاء العارفة وستر العائبة» فشا الأمر فشو وفشوّاً: ظهر وانتشر، وأفشيته إفشاءً: أظهرته ونشرته.

والعارفة: المعروف، وهوالخير والإحسان والجميل وكلّ مايحسن في العقل والشرع.

والعائبة: فاعلة من عاب الشيء-لازماً- أي: صار ذاعيب، أي: الخصلة ذات العيب.

والمراد: نشر محاسن المؤمنين وستر معايبهم.

وقد يقال: ستر العائبة إنّما يحسن إذا وقعت من ذوي الهيئات الحسنة و(١) ممّن لم يعرف بأذى ولا فساد في الأرض، وأمّا المولعون بذلك الذين ستروا غير مرّة فلم يكفّوا، فلا يبعد القول بكشف عيبهم؛ لأنّ الستر عليهم من المعاونة على المعاصي.

وستر عيب من يندب إلى ستره إنّما هو في معصية مضت، وأمّا معصية هو متلبّس بها، فلا يبعد القول بوجوب المبادرة إلى إنكارها والمنع منها لمن قدر عليه، فإن لم يقدر رفع إلى أُولي الأمر مالم يؤدّ إلىٰ مفسدة أشدّ.

وأمّا جرح الشاهد والرواة والأُمناء علىٰ الأوقاف والصدقات وأموال الايتام فيجب الجرح عندالحاجة إليه، لأنّه يترتّب عليه أحكام شرعيّة. ولو رفع إلى الامام ماينـدب السرّ فيه لم يأثم، إذا كانت نيّته رفع معصية الله تعالىٰ لاكشف ستره، وجرح الشاهد إنّما هو عند طلب ذلك منه، أو يرىٰ حاكماً يحكم بشهادته وقد علم منه مايبطلها، فلا يبعد القول برفعه، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «ولين العريكة وخفض الجناح» العريكة: الطبيعة، يقال: فلان ليّن العريكة: إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور، وفي صفته

---

(١) (ج): أو ممّن.

....

صلّى الله عليه وآله: أصدق الناس لهجة وألينهم عريكة(١).

وقال الزمخشري في الأساس فلان ليّن العريكة: إذا كان سلساً، وأصله في البعير، والعريكة: السنام(٢)، إنتهىٰ.

وعلىٰ هذا فهو استعارة، كخفض الجناح المستعار للتواضع، والأظهر والأبلغ أنهما استعارتان تمثيليّتان علىٰ تشبيه الحالة بالحالة، من غير اعتبار استعارة في المفردات، فيكون لين العريكة تمثيلاً لسلاسة الطبيعة وانقيادها بلين سنام البعير، وخفض الجناح تمثيلاً للتواضع وإلانة الجانب بخفض جناح الطائر، فالعريكة والجناح مستعملان في معناهما، والمشبّه إحدىٰ الحالين(٣) بالأُخرىٰ.

ويجوز أن تكون لين العريكة للطبيعة، واللين استعارة لسلاستها وانقيادها، أوترشيحاً لاستعارة العريكة، وكذلك الجناح استعارة للجانب، والخفض استعارة لإلانته وإذلاله، أو ترشيحاً لاستعارة الجناح بما يناسبه، فتكون الإستعارة في المفردات.

والأوّل هو مختار صاحب الكشاف حيث قال: الطائر إذا أراد أن ينحّط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه مثلاً في التواضع ولين الجانب(٤)، إنتهىٰ.

وذكر القفال في معنىٰ خفض الجناح وجهين: أحدهما: ماذكره صاحب الكشاف وهو المشهور.

والثاني: أنّ الطائر إذا أراد ضمّ فرخه إليه للتربية خفض له جناحيه؛ فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسّن التدبير(٥)، إنتهىٰ.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٢٢٢. مكارم الأخلاق: ص ١٨.

(٢) أساس البلاغة: ص ٤١٧.

(٣) (ج): الحالتين.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٢٤٠.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٠ ص ١٩١.

....

قوله عليه السّلام: «وحسن السيرة وسكون الريح وطيب المخالفة» السيرة بالكسر: الطريقة، وهي من سار يسير.

يقال: سار الوالي في الرعيّة سيرة حسنة أو قبيحة.

وسكون الريح: كناية عن الوقار.

قال الزمشخري في الأساس: رجل ساكن الريح أي: وقور(١)، إنتهىٰ.

لمّا كانت الريح معروفة بسرعة الحركة والخفّة، كان سكونها كناية عن الوقار الذي هو الرزانة، فاستعير لفظ الريح للطيش والعجلة بجامع سرعة الحركة. والأبلغ أن يكون ذلك تمثيلاً كما تقدّم في لين العريكة وخفض الجناح.

وكثيراً ما يستعمل سكون الريح في الذمّ، مراداً بالريح الدولة والغلبة والنصرة، ومنه قوله تعالى: «وتذهبَ ريحُكم»(٢) أي: دولتكم وصولتكم، استعيرت الريح للدولة من حيث إنّها في تمشّي أمرها ونفاذه مشبهة لها في هبوبها وجريانها، تقول العرب: هبّت ريح فلان: إذا دالت له الدولة ونفذ أمره، وسكنت ريحه: إذا أدبر أمره، وعليه قول الشاعر:

إذا اهبّت رياحك فاغتنمها ... فعقبىٰ كلّ خافقة سكون
ولا تبخل إذا أيسرت يوماً ... فما تدري السكون متىٰ يكون

والمخالقة: مفاعلة من الخلق بالضمّ.

يقال: خالقهم أي: عاشرهم بخلق حسن، ومنه: خالص المؤمن وخالق الفاجر، وخالق الناس ولا تخالفهم، وفي المثل: خالق الفاجر ورافقه في السفر.

قوله عليه السّلام: «والسبق إلىٰ الفضيلة» سبق سبقاً ـ من باب ضرب ـ: تقدّم وخلّف غيره.

---

(١) أساس البلاغة: ص٣٠٤، مع اختلاف يسير في العبارة. (٢) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

....

قال الفيومي: وقد يكون للسابق لاحق كالسابق من الخيل، وقد لايكون كمن أحرز قصبة السبق فهو سابق إليها ومنفرد بها ولا يكون له لاحق(١)، إنتهىٰ.

والفضيلة والفضل: الخير، وهما خلاف النقيصة والنقص.

وقال في القاموس: الفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل (٢).

إنّما سأل عليه السّلام السبق إلىٰ الفضيلة لفضيلة السبق، قال تعالى: «والسابقونَ السابقونَ * أُولئكَ المقرّبونَ» (٣) أي: السابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم:

* أنا أبوالنجم وشعري شعري *

كأنّه قال: وشعري ما انتهىٰ إليكَ وسمعت بفصاحته، وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل مالايخفىٰ ومن هنا يظهر أنّ جعل السابقين تأكيداً وأُولئك المقرّبون خبراً، ليس بذلك.

والسابقون قيل: هم الذين سبقوا إلىٰ الإيمان والطاعة عند ظهور الحقّ من غير تلعثم وتوان.

وقيل: هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات. وقيل: المسارعون في الخيرات. وأيّاً ماكان فهو مندرج تحت السبق إلىٰ الفضيلة إذا كانت الألف واللام فيها لاستغراق أفراد الجنس، أي: كلّ فضيلة. وإنّما كان السابق إلى الخير أفضل؛ لأنّه يقتدىٰ به في الخير كمن سنّ سنّة حسنة.

وفي الحديث: من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة

---

(١) المصباح المنير: ص ٣٦٠.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣١.

(٣) سورة الواقعة: الآية ١٠ ـ ١١.

(٤) عوالي اللئالي: ج ١ ص ٢٨٥.

....

قوله عليه السّلام: «وإيثار التفضّل» الإيثار: الاختيار والتفضيل.

يقال: أثرت ذلك أي: اخترته وفضّلته.

والتفضّل: فعل مالا يلزم من الإحسان، ويعبّر عنه بالتطوّل، وليس هو مطلق الإحسان، بل الإحسان قد يكون جزاءً كقوله تعالى: «هل جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ» (١) وقد يكون تفضلاً وذلك إذا كان ابتداًء من غير علّة، كما قال:

وما ذاك إلّا بسطة عن تفضّل عليهم وكان الأفضل المتفضّل

قوله عليه السّلام: «وترك التعيير» هو تفعيل من العار، وهو كلّ شيء يلزم منه عيب.

يقال: عيّرته كذا وعيّرته به: إذا نسبته إلىٰ العار فيه، يتعدّىٰ بنفسه وبالباء، قال المرزوقي في شرح الحماسة: والمختار أنّ يتعدّى بنفسه(٢).

وأنكر صاحب القاموس تعديته بالباء، قال: عيّره الأمر، ولا تقل: بالأمر (٣).

وتبعه بعض أكابر السادة في تعليقته على الصحيفة الشريفة، فقال: والعامّة تقول: عيّره بكذا، وهو خطأ.

وإنكارهما ليس بشيء؛ فقد ورد في الحديث الصحيح تعديته بالباء.

روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسندٍ صحيح عن أبي عبدالله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتّى يركبه(٤).

وفيه شاهد على ذمّ التعيير المسؤول تركه في الدعاء.

قال العلماء: لا ينبغي تعيير مؤمن بشيء ولو كان معصية سيّما علىٰ رؤوس الخلائق، ولا ينافي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ المطلوب منهما أن

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٠.
(٢) المصباح المنير: ص ٦٠١.
(٣) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٩٨.
(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٦ ح ٣.

....

يكونا على سبيل النصح، إلّا إذا علم أنّه لاينفعه فينبغي التشديد عليه على النحو المقرّر.

وفي نسخة: «وترك التقتير» من قتّر في الإنفاق تقتيراً، وأقتر إقتاراً. وقتر قتراً وقتوراً- من باب ضرب وقعد- : إذا ضيّق وقلّل. وهو ضدّ الإسراف، قال تعالىٰ: «والذينَ إذا أنفقوا لم يُسرِفوا ولَم يقتِروا وكان بينَ ذٰلك قَواماً» (١)

قوله عليه السّلام: «والافضال على غير المستحقّ» عطف على التعيير، أي وترك الإفضال على غير المستحقّ.

يقال: أفضل عليه إفضالاً وتفضّل: إذا تطوّل وأحسن ابتداءً.

واستحقّ فلان الأمر: استوجبه فهو مستحقّ، والأمر مستحقّ بالفتح: اسم مفعول.

والمراد بغير المستحقّ هنا: من لايستوجب الإفضال عليه ولم يكن أهلاً له.

وإنّما سأل عليه السّلام ترك الإفضال عليه؛ لأنّه من الخلق المذموم، إذا كان إسرافاً وتبذيراً ووضعاً للمعروف في غير أهله ومحلّه، وقد تطابق على ذمّ ذلك العقل والنقل.

أمّا العقل، فلأنّه وضع الشيء في غير موضعه وهو خروج عن العقل، وأمّا النقل، فأحسن مايؤثّر في ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قال من جملة كلام خاطب به رهطاً من الشيعة: من كان له مال فإيّاكم والفساد؛ فإنّ إعطاءه في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عندالله، ولم يضع امرئ ماله في غير حقّه وعند غير أهله، إلّا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معه منهم بقيّة ممّن يظهر الشكر له ويريه

---

(١) سورة الفرقان: الاية ٦٧.

....

النصح فإنّما ذلك منه ملق وكذب، فإن زلّت بصاحبهم النعل ثمّ احتاج إلى معونتهم ومكافاتهم فألأم خليل وشرّ خدين، ولم يضع امرئ ماله في غير حقّه وعند غير أهله، لم يكن له من الحظ فيما أتىٰ إلاّ محمدة اللئام وثناء الأشرار مادام عليه منعماً مفضلاً ومقالة الجاهل ما أجوده، وهو عندالله بخيل، فأيّ حظّ أبور وأخسّ من هذا الحظّ؟ وأي فائدة معروف أقلّ من هذا المعروف؟ فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة، وليحسن به الضيافة، وليفكّ به العاني والأسير وابن السبيل، فإنّ الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا والآخرة(١).

وفي الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام: إذا أردت أن تعلم أشقيّ الرجل أم سعيد، فانظر سيبه ومعروفه إلى من يصنعه، فإن كان يصنعه إلى من هو أهله فاعلم أنه إلىٰ خير، وإن كان يصنعه إلىٰ غير أهله فاعلم أنّه ليس له عندالله خير(٢).

ومن كلام الحكماء: آفة الجود الخطأ بالمواضع(٣).

وما أحسن قول القائل في هذا المعنىٰ:

لقد ظلم المعروف مانع أصله ... وأظلم منه مخطئ لمواضعه

ومن سفه أن الفتى يبذل الندى ... ويجهل في أقوام أصل صنائعه(٤)

وقال اخر:

وسائل لي عن عثمان قلت له ... هو الجواد ولكن فاسق الجود

غيث الزناة إذا حلّوا بساحته ... وآفة المال بين الزق والعود(٥)

قوله عليه السّلام: «والقول بالحقّ وإن عزّ» القول: الكلام، والمراد بالحقّ هنا:

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٣١ ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٣٠ ح ١.

(٣) لم نتحققه.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) لم نعثر عليه.

....

خلاف الباطل، وهوالحكم المطابق للواقع.

والباء: للملابسة، أي: ملتبساً بالحقّ، أو للتعدية بتضمين القول معنىٰ التكلّم، فيجوز أن يراد بالحقّ: القول الواقع بحسب مايجب وفي وقت يجب.

وعزّ: إمّا ماضي يعزّ بفتح العين بمعنىٰ شقّ واشتدّ، يقال: عزّ عليّ ما أصابك أي: شقّ واشتدّ، وإمّا ماضي يعزّ بكسر العين بمعنىٰ قلّ حتّىٰ لايكاد يوجد.

والضمير فيه بالمعنيين إمّا راجع إلىٰ القول أو إلى الحقّ، والمشقّة علىٰ المعنىٰ الأوّل إمّا بالنسبة إلى المقول له(١) وهو الأظهر، وإمّا بالنسبة إلى القائل باعتبار خوف نفار القلوب عنه واحتمال الأذية له.

والمعنىٰ على الثاني: وإن كان الحقّ أو القول به قليلاً لكثرة الباطل وأهله.

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: حقّ وباطل ولكلّ أهل، فلئن أمِر الباطل فقديماً فعل، ولئن قلّ الحقّ فربّما ولعلّ، ولقلّما أدبر شيءفأقبل(٢).

يقال: أمر الشيء-من باب علم- أمراً وأمرةً بالفتح: أي كثر.

وقوله: «فربّما ولعلّ» وعد بكثرة الحقّ مع تشكيك فيه وتمنّ له، وتمام الكلام استبعاد لرجوع الحقّ إلى الكثرة بعد قلّته على وجه كلّي.

و«إن» من قوله: «وإن عزّ»: هي المسمّاة بالوصليّة، وقد سلف الكلام عليها غير مرّة.

قوله عليه السّلام: «واستقلال الخير» إلى آخره، استقلّ الشيء: عدّه قليلاً، وهو سؤال للتوفيق للاعتراف بالتقصير فيما أتاه ويأتيه من الخيرات قولاً وفعلاً؛ ليخرج من العجب والكسل في كسب الخير، مع ما فيه من الاعتراف بالحاجة والذلّ والعبوديّة؛ لأنّ من استقلّ خير نفسه كان في مقام الذلّ والحاجة والانكسار،

---

(١) (ج): القول. (٢) نهج البلاغة: ص٥٨ الخطب ١٦، وفيه لقديماً... فلربّما.

....

ولا عبوديّة أشرف منها.

قوله عليه السّلام: «واستكثار الشرّ» إلىٰ آخره، سؤال للوقاية من التهاون بما يكتسبه أو اكتسبه من الشّر قولاً وفعلاً. والظاهر من الكثرة والقلّة في الفقرتين بحسب الكمّ، سواء كان الخير أو الشرّ في نفسه كبيراً أو صغيراً، ويحتمل أن يراد بهما بحسب الكيف والمقدار، وأيّاً ما كان ففي الفقرتين تنبيه على أنّ العمل الصادر من العبد إن كان خيراً وطاعة، فليعدّ نفسه مقصرّة في الكمّ والكيف، وإن كان كثيراً بالنسبة إلىٰ وسعه؛ لأنّ ذلك **أدخل(١) في** تعظيم الربّ، وأبعد من العجب والاعتماد عليه، وأقرب إلى البقاء عليه والسعي فيه، ومقام العبوديّة المبنيّة على التذلّل والإعتراف بالتقصير، وإن كان شرّاً ومعصية فليعدّه كثيراً عظيماً، وإن كان قليلاً حقيراً في نفسه؛ لأنّه بالنظر إلى مخالفة الربّ العظيم عظيم كثير، واستقلاله موجب لعدم المبالاة به والاعتناء بشأنه، وسبب للولوع به وإتيانه مرّة بعد أُخرىٰ، حتّىٰ تجتمع عليه شرور عديدة وذنوب كثيرة وتبلغ حدّ الكبيرة.

وفي الحديث عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام: لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلّوا قليل الذنوب؛ فإنّ قليل الذنوب يجتمع حتّىٰ يكون كثيراً **(٢)**.

وأعلم أنّ الواقع في أكثر النسخ ذكر القول والفعل معاً في بيان الخير، والاقتصار على الفعل في بيان الشرّ.

فوجّهه بعضهم بما نصّه: يقال: فلان قال خيراً وفعل خيراً، وهذا شائع، وقد يقال: قال شرّاً، وقولهم: فعل شرّاً قليل، فلعلّه عليه السّلام ذكر استكثار الشرّ من الفعل لأنّ المقام مقام استكثار القليل، وإذا حصل استكثار القليل من القليل الذي هو الفعل، فمّا هو كثير بالنسبة إليه بطريق أولىٰ.

---

(١) (ج): أدخر.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٧ ح ٢.

....

ويحتمل أنّه عليه السّلام ذكر القول والفعل معاً في الخير؛ لتمام رغبته فيه وإرادته بجميع أفراده بخلاف الشرّ، إنتهىٰ.

لايخفىٰ ما في الوجه الأوّل من الضعف.

أمّا أوّلاً: فدعواه أنّ قولهم: فعل شرّاً قليل ممنوع، بل قولهم: فعل خيراً وفعل شرّاً سيّان في الشيوع وكثرة الاستعمال، وكفىٰ شاهداً قول أميرالمؤمنين عليه السّلام في نهج البلاغة: فاعل الخير خير منه، وفاعل الشرّ شرّ منه(١).

وفي الخبر: أنّ لله ملكاً ينادي يا فاعل الخير أبشر ويا فاعل الشرّ أقصر(٢).

وأمّا ثانياً: فالكثرة والقلّة في الدعاء بالنسبة إلى الوقوع، وما ادّعاه من القلّة بالنسبة إلىٰ التلفظ، وأين أحدهما من الآخر؟.

وأمّا الوجه الثاني فقد يعارض بأنّ الاهتمام بتوقي الشرّ أولىٰ من الاهتمام بطلب الخير، خصوصاً وهوفي مقام السؤال لاستقلال الخير منه.

ثمّ الشرّ من القول أولى بالذكر؛ لتوهّم أكثر الناس أنّه لا يضرّ كما في حديث معاذبن جبل حين قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: كفّ عليكم هذا ـ وأشار إلىٰ لسانه ـ قلت: يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّم به؟ قال: ثكلتك أُمّك يا معاذ، وهل يكبّ النّاس علىٰ وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم (٣).

والأولى أنّ يوجّه ذلك بوجهين.

أحدهما: التنبيه على أنّه يجب أن يعدّ القول من الفعل ويجب دخوله(٤) من العمل.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٧٤ الحكم ٣٢.

(٢) لم نعثرعليه.

(٣) الترغيب والترهيب: ج ٣ ص٥٢٨.

(٤) (ج): ويحسب قوله.

....

كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه(١).

وعنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من رأى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه(٢).

وأثر التنبيه على ذلك في جانب الشرّ لمزيد الاهتمام ببيانه فيه حثّاً على التوقّي منه، كما وقع في الحديثين المذكورين.

الثاني: لمّا كان القول أعظم كيفيّة وأكثر كميّة من الفعل؛ لبلوغه مالا يبلغ الفعل ولعمومه من كلّ وجه؛ لأنّ آلته التي هي اللسان لها تصرّف في كلّ موجود و موهوم ومعدوم، وله يدٌ في العقليّات والخياليّات(٣) والمسموعات والمبصرات والمذوقات والملموسات، بخلاف الفعل فإنّ كلّ جارحة سوى اللسان تتعلّق بفعل مخصوص، فهو أقلّ من القول، ذكر عليه السّلام الفعل دون القول؛ لأنّ من استكثر القليل فاستكثاره للكثير أولى.

ويناسب هذا المعنى مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يعذّب الله اللسان بعذاب لايعذّب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أي ربّ عذّبتني **بعذاب لم تعذّب** به شيئاً، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بهاالدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام، وعزّتي لأُعذّبنّك بعذاب لاأُعذّب به شيئاً من جوارحك (٤).

وروي أيضاً بسند نقيّ عن صاحب الدعاء **عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما**

(١)و(٤) الكافي: ج ٢ ص ١١٥ ح ١٥ و١٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٦ ح ١٩

(٣) (ج): الخيالات.

....

قال: إنّ لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كلّ صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: إنّما نثاب ونعاقب بك(١)، والله أعلم.

ومن غريب ما وقع لأبي يوسف يعقوب المعروف بابن السكيت، وكان من أكابر علماء العربيّة وعظماء الشيعة، وهو من أصحاب الجواد والهادي عليهما السّلام، انّه قال في التحذير من عثرات اللسان:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب رأسه ... وعثرته في الرجل تبرأ عن مهل(٢)

فاتّفق أنّ المتوكّل العبّاسي ألزمه تأديب ولديه المعتز والمؤيّد، فقال له يوماً: أيّما أحبّ إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إنّ قنبراً خادم عليّ خير منك ومن ابنيك، فقال المتوكّل لأتراكه سلّوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات رحمه الله، وذلك لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين(٣)

قوله عليه السّلام: «وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة» كمل الشيء كمولاً من باب قعد، والاسم الكمال، ويستعمل في الذوات وفي الصفات، يقال: كمل: إذا تمّت أجزاؤه وكملت محاسنه. ويتعدّى بالهمزة وبالتضعيف، فيقال: أكملته وكمّلته.

وذلك: اشارة إلى ما تقدّم ذكره من الأخلاق المسؤولة.

ودام الشيء يدوم دواماً: إذا استمرّ ولم ينقطع.

والطاعة: موافقة الأمر، وقيل: موافقة الإرادة.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١١٥ ح ١٣.

(٢)و(٣) جوامع كتاب إصلاح المنطق: في ترجمه ابن السكيت ص ٢٣٩ و ٢٤٠.

....

وإنّما جعل دوامها كمالاً لما ذكر؛ لأنّ خلاف الطاعة وارتكاب المعصية نقص في جميع المحاسن.

قوله عليه السّلام: «ولزوم الجماعة» لزمته ألزمه لزوماً ـ من باب علم ـ: تعلّقت به ولم أفارقه. والجماعة لغة: ما اجتمع من الناس وغيرهم.

والمراد بها هنا: المؤمنون المتّفقون علىٰ مذهب الحقّ الذي اجتمع عليه أئمّة أهل البيت عليهم السّلام وشيعتهم.

كما رواه البرقي في محاسنه بسنده عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن جماعة أُمّته، فقال: جماعة أُمّتي أهل الحقّ وإن قلّوا(١).

وبسنده عن يحيى بن عبدالله رفعه قال: قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله: ماجماعة أُمّتك؟ قال: من كان علىٰ الحقّ وإن كانوا عشرة(٢).

وفي كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام في نهج البلاغة: والزموا السواد الأعظم؛ فإنّ يدالله على الجماعة، وإيّاكم والفرقة؛ فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب (٣).

قال الشيخ كمال الدين رحمه الله: أمر بلزوم طريقة السواد الأعظم أي: أكثر المسلمين المتّفقين على رأي واحد، ورغّب في لزوم طريقتهم بأنّ يدالله على الجماعة، فتجوّز بلفظ اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة، إذ كانوا أمنع وأبعد من الانفعال للعدوّ، وآمن من الغلط لكثرة آرائهم واتّفاقها، فلا تكاد تتّفق على أمر لامصلحة فيه مع كثرتها واختلافها، وحذّر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بأنّ الشاذّ من الناس

---

(١)و(٢) محاسن البرقي: ج ١ ـ ٢ ص ٢٢٠.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٨٤ الخطب ١٢٧، وفيه: يدالله مع الجماعة.

....

أي: المنفرد المستبّد برأيه للشيطان، أي: محلّ تطرّق الشيطان لانفراده،وشبّه ذلك بالشاذّ من الغنم، ووجه الشبه كون انفراده محلاً لتطرّق الهلاك إليه باستغواء الشيطان له، كما أنّ الشاة المنفردة في مظنّة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب(١)، إنتهىٰ.

ورویٰ البرقي بإسناده عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السّلام، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: ثلاث موبقات: نكث الصفقة وترك السنّة وفراق الجماعة(٢).

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: من فارق جماعة المسلمين قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه(٣).

قال بعض الشارحين: المراد بهم الائمّة عليهم السّلام، أو الأعمّ منهم بشرط أنّ لايكونوا من أهل البدعة، وبالمفارقة على وجه الاستنكاف والاستكبار والشنآن، أو المراد بهاترك السنّة واتّباع البدعة، (٤) إنتهىٰ.

وروى في الكافي أيضاً بسنده عن الحكم بن مسكين عن رجل من قريش من أهل مكّة، قال: قال سفيان الثوري: أذهب بنا إلى جعفر بن محمّد، قال: فذهبت معه إليه فوجدناه قدركب دابّته، فقال له سفيان يا أباعبدالله حدّثنا بحديث خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجد الخيف، قال: دعني حتّىٰ أذهب في حاجتي فإنّي قد ركبت فإذا جئت حدّثتك ، فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا حدّثتني، قال: فنزل، فقال له سفيان: مرلي بدواة وقرطاس حتّىٰ أُثبته فدعابه، ثمّ قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم خطبة رسول الله

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣ ص ١٣٥. (٢) محاسن البرقي: ج ١ ـ ٢ ص ٩٤.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٠٤ ح ٤، وفيه: قيد شبر.

(٤) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٧ ص ٢٠.

....

صلّى الله عليه وآله في مسجد الخيف: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم تبلغه، يا أيّها الناس ليبلغ الشاهد الغائب، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لايغلّ عليهنّ قلب أمرئ مسلم: إخلاص العمل للّه، والنصحية لأئمّة المسلمين، واللزوم لجماعتهم؛ فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم يسعى بذمّتهم أدناهم، فكتبه سفيان ثمّ عرضه عليه وركب أبوعبدالله، وجئت أنا وسفيان فلمّا كنّا في بعض الطريق، قال لي: كما أنت حتّى أنظر في هذا الحديث، فقلت له: قد والله ألزم أبوعبدالله رقبتك شيئاً لايذهب من رقبتك أبداً، فقال: وأي شيء ذلك؟ فقلت له: ثلاث لايغلّ عليهنّ قلب أمرئ مسلم: إخلاص العمل لله قد عرفناه، والنصحية لأئمّة المسلمين، من هؤلاء الأئمّة الذين تجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وكلّ من لاتجوز شهادته عندنا، ولاتجوز الصلاة خلفهم؟ وقوله: اللزوم لجماعتهم، فأيّ الجماعة؟ مرجئ يقول من لم يصلّ ولم يصم ولم يغتسل من جنابة وهدم الكعبة ونكح أُمّه فهو على دين جبرئيل وميكائيل، أو قدري يقول: لايكون ماشاء الله عزّوجل ويكون ما شاء إبليس، أوحروريّ يبرأ من بن أبي طالب وشهد عليه بالكفر، أو جهميّ يقول إنّما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيئاً غيرها؟ قال: ويحك وأيّ شيء يقولون؟ فقلت: يقولون: إنّ عليّ بن أبي طالب والله الإمام الذي تجب علينا نصيحته، ولزوم جماعته أهل بيته، قال: فأخذ الكتاب فخرقه، ثمّ قال: لاتخبر بها أحداً (١)

قوله عليه السّلام: «ورفض أهل البدع» رفضت الشيء رفضاً ـ من باب ضرب وفي لغة من باب قتل ـ: تركته.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٣ ح ٢.

....

والبدع: جمع بدعة بالكسر كسدرة وسدر، وهي اسم من الابتداع بمعنىٰ الإحداث والاختراع، كالرفعة من الارتفاع، ثمّ غلب استعمالها في محدثات الأُمور المخالفة للشريعة بعد عهد النبيّ، وقد تقدّم الكلام عليها مستوفى في الروضة السادسة،(١) فليرجع إليه.

قوله عليه السلام: «ومستعمل الرأي المخترع» اتّفقت النسخ المعتمدة على كون «مستعمل» مفرداً، ومايوجد في بعض التراجم من روايته مجموعاً بالياء وحذف النون لإضافة، لم يثبت رواية وإن صحّ دراية، ووقع في نسخة قديمة «واستعمال الرأي المخترع»، وعلى كلّ حال فهو عطف على أهل البدع المضاف إليه الرفض.

واستعمل رأيه وأعمله: عمل به.

والرأي: لغةً: العقل والتدبير والاعتقاد، وعرفاً: تطلق تارةً علىٰ القياس وهو مساواة فرع الأصل في علّة حكمه.

قال صاحب القاموس: وأصحاب الرأي: أصحاب القياس؛ لأنّهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً أو أثراً(٢).

وتارةً علىٰ استحسان العقل وإن عارض النصّ وخالفه، كما قال به أبوحنيفة، وفسّر بأنّه دليل ينقدح في نفس المجتهد وربّما قصرت عنه عبارته.

حكىٰ الزمخشري في ربيع الأبرار قال: قال يوسف بن اسباط: ردّ أبوحنيفة علىٰ النبيّ صلّى الله عليه وآله أربعمائة حديث أو أكثر، قيل: ومثل ماذا؟ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: للفرس سهمان، وقال أبوحنيفة لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن. وأشعر رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه البدن، وقال أبوحنيفة: الإشعار مثلة. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيّعان بالخيار

---

(١) ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٣٢.

....

مالم يتفرّقا، وقال أبوحنيفة: إذا وجب البيع فلاخيار.

وكان صلّى الله عليه وآله يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً، وقال أبوحنيفة: القرعة قمار(١)، إنتهىٰ.

والمخترع: اسم مفعول من اخترع الدليل أو الحكم وما أشبهه، أي: ارتجله وابتكره ولم يسبق إليه، وهذا القول مخترع أي: مفتعل لاأصل له. وهو هنا نعت جيء به لإفادة الذمّ كالشيطان الرجيم، لاقصد التوضيح؛ إذالرأي في الأحكام الشرعيّة لايكون إلّا مخترعاً مفتعلاً لا أصل له في كتاب ولا سنّة.

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: إنّ أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحقّ إلّا بعداً، وانّ دين الله لايصاب بالمقاييس(٢).

وعن أبي جعفر عليه السّلام: من أفتىٰ الناس برأيه فقد دان الله بما لايعلم، ومن دان الله بما لايعلم فقد ضادّ الله حيث أحلّ وحرّم فيما لايعلم(٣).

وعن علي عليه السّلام: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس(٤).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولاسنّة فننظرفيها؟ فقال: لا، أمّا إنّك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عزّوجل(٥).

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً، وبطلان القياس والرأي من ضروريّات مذهب أهل البيت عليهم السّلام *.

---

(١) ربيع الأبرار مخطوط: ص ١٦٥.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٥٦ ح ٧.

(٣)و(٤) الكافي: ج ١ ص ٥٧ ح ١٧.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٥٦ ح ١١.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَاجْعَلْ أوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إذا كَبِرْتُ، وأقْوىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ إذا نَصِبْتُ، وَلا تَبْتَلِيَنّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبادَتِكَ، وَلا العَمىٰ عَنْ سَبيلِكَ، وَلا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلافِ مَحَبَّتِكَ، وَلا مُجامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلا مُفارَقَةِ مَن اجْتَمَعَ إلَيْكَ.

الجعل: بمعنى التصيير المتعدّي إلى مفعولين، وهما هنا المنصوبان بعده، أولهما: أوسع، والثاني: الظرف أعني «عليّ»، وهو متعلّق بمحذوف أي: كائناً عليّ؛ لأنّ مفعولي التصيير في الأصل مبتدأ وخبر، والظرف إذا وقع خبراً لا يكون الّا مستقرّاً.

وإذا: ظرف للفعل مضمّن معنىٰ الشرط، وماقبلها هو الجواب في المعنىٰ، كما في قولك: أكرمني إذا جئتك.

وقول بعض القاصرين: «إذا» نصبت ظرفيّة مجرّدة عن معنىٰ الشرط ثاني مفعولي اجعل بمعنىٰ صيّر، الناصب لأوسع علىٰ أنّه الأوّل، خبط صريح، وكيف تقع إذا المنصوبة علىٰ الظرفيّة ثاني مفعولي اجعل؟ ووقوعها مفعولاً عند من زعمه يستلزم خروجها عن الظرفيّة!.

وأمّا قوله بعد ذلك: أو مجرّدة عن الظرفيّة أيضاً علىٰ تقدير مضاف لأوسع لئلاّ يلزم الإخبار باسم الزمان عن اسم العين، فالتقدير: اجعل وقت أوسع رزقك وقت كبري، فهو تعسّف شديد وتكلّف ماعليه مزيد، ولا داعي إليه أصلاً.

أمّا أوّلاً: فالقول بخروج «إذا» عن الظرفيّة خلاف قول الجمهور.

قال ابن هشام: والجمهور علىٰ أنّ «إذا» لا تخرج عن الظرفيّة(١).

وقال الرضي: إخراج «إذا» عن الظرفيّة قليل(٢).

والتخريج على الأُمور البعيدة والأوجه الضعيفة وترك الوجه القريب والقوي، من الجهات التي يجب علىٰ المعرب احترازها.

---

(١) المغني: ص١٢٩.

(٢) شرح الكافية في النحو للرضي: ج ٢ ص ١٠٣.

....

وأمّا ثانياً: فالقائلون بخروجها عن الظرفيّة إنّما قالوا به في مواضع لم يظهر لهم كونها فيها ظرفاً، فاحتاجوا إلى القول بذلك، كوقوعها موقع المبتدأ والخبر أو المفعول به أو في موضع جرّ، ولم يذهبوا إلى خروجها عن الظرفيّة في كلّ موضع البتّة، حتّى يحتاج إلى التخريج عليه في مثل هذه العبارة المتعيّن فيها ظرفيّتها، فأي داع إلى القول به؟ نسأل الله الهداية.

والقوّة: هي تمكّن الحيوان من الأفعال الشاقّة، وإضافتها إليه تعالى باعتبار خلقه سبحانه لها.

ونصب نصباً -من باب تعب تعباً-: أعيا.

وإنّما سأل عليه السّلام جعل أوسع الرزق عليه وقت الكبر؛ ليستغني عن تكلّف تحصيله ومشقّة تدبيره في الوقت المقتضي لضعف البنية عن كثير الحركة، وسأل جعل أقوى القوّة فيه وقت الإعياء، ليقاوم مايوجبه الإعياء من الضعف وانحلال القوى، وهو ظاهر.

وقوله: «لا تبتليني» يروى بالجزم وبالنون المؤكّدة وهي الأشهر.

والكسل بالتحريك: وقوف الأعضاء وفتورها عن أعمالها، بسبب تحلّل الروح وضعفه ورجوعه إلى الاستراحة.

وفي القاموس: الكسل: التثاقل عن الشيء والفتور فيه، كسل كسلاً -من باب تعب- فهو كسل وكسلان(١).

قال بعض العارفين: الكسل عن العبادة من صفات الجاهل المحبوس في سجن الطبيعة البشريّة، والمغلول بأغلال لواحق القوّة الشهويّة، والمصفود بصفاد عوارض القوى البدنيّة، فهو ثقيل لاتحرّكه ريح النشاط إلى الدرجة العليا، ولا تعرج به

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٤٤.

اللّهُمَّ وَاجْعَلْني أصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورةِ، وأسألُكَ عِنْدَ الحاجَة، وَأتضَرَّعُ إلَيْكَ عِنْدَ المَسْكَنَةِ، وَلا تَفْتِنّي بالاسْتعانَةِ بِغَيْرِكَ إذا

اريحيّة العبادة عن المرتبة الدنيا.

والمراد بالعمىٰ هنا: الضلال والغواية، مستعار من عمىٰ البصر بجامع عدم الاهتداء إلى المطلوب.

سبيله تعالىٰ: هو الطريق المستقيم الموصل إلى معالم الحقّ والهدىٰ الناجي سالكه من التردّي في مهاوي الردى.

وتعرّض للشيء وتعرّضه، يتعدّىٰ بالحرف وبنفسه، أي: تصدّى له وطلبه، ذكره الأزهري(١) وغيره.

والخلاف: المخالفة، يقال: خالفه خلافاً ومخالفةً: إذا ذهب إلىٰ غيرها ذهب إليه.

والمراد بمحبّته تعالىٰ هنا: رضاه، وهو إفاضة ثوابه ورحمته.

والمجامعة: مصدر جامعه علىٰ الأمر أي: اجتمع معه وساعده وشايعه عليه.

وتفرّق الناس عن فلان: أعرضوا عنه وتركوه، ولايقال ذلك إلّا فيمن كان رئيساً في دين أو دنيا؛ لأنّ التفرّق عنه لايكون إلّا بعد الاجتماع عليه.

والمراد بالمتفرّقين عنه تعالى: المتفرّقون عن أمره وطاعته. كما أنّ المراد بالمجتمعين إليه: المجتمعون إلى دينه وطاعته.

وعدّىٰ الاجتماع بـ «إلى» لتضمينه معنىٰ الركون، وهو السكون إلى الشيء والميل إليه، والله أعلم *.

صال عليه يصول صولاً: حمل وسطا.

قال ابن الأثير في النهاية في حديث الدعاء: وبك أصول أي: أسطو وأقهر

(١) تهذيب اللغة: ج ١ ص ٤٦٢.

اضْطُرِرْتُ، وَلا بِالخُضُوعِ لِسُؤال غَيْرِكَ إذا إفْتَقَرْتُ، وَلا بِالتَّضَرُّعِ إلىٰ مَنْ دُونَكَ إذا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ خِذْلانَكَ وَمَنْعَكَ وَإعْراضَكَ يا أرْحَمَ الرّاحِمينَ.

والصولة: الحملة والوثبة (١).

والضرورة اسم من الاضطرار، وهو الاحتياج والافتقار إلى الشيء، فالباء للاستعانة.

وسألت الله العافية: طلبتها، ولم يذكر المفعول الثاني لأنّ المراد إيقاع سؤاله تعالى مطلقاً.

والحاجة: اسم من الاحتياج.

وتضرّع إلى الله: خضع وتذلّل، أو تعرّض لطلب الحاجة.

والمسكنة: الذلّ والخضوع والقهر، ومنه: «ضُرِبتْ عليهم الذِلّة والمَسكنة»(٢)، وهي بهذا المعنىٰ تجامع الغنىٰ والثروة، وتطلق علىٰ الفقر وقلّة المال وسوء الحال. واشتقاقها علىٰ المعنيين من السكون؛ لسكون صاحبها إلىٰ الناس. فإن حملتها في الدعاء علىٰ المعنىٰ الأوّل كان المراد بالتضرّع التذلّل والخضوع.

وإن حملتها علىٰ المعنىٰ الثاني كان المراد به التعرّض لطلب الحاجة.

وفتنه فتوناً ـ من باب ضرب ـ: امتحنه.

وقال بعضهم: الفتنة: هي الضلال عن الحقّ بمحبّة أمرٍ ما من الأُمور الباطلة، والاشتغال به عما هو الواجب من سلوك سبيل الله.

وعلىٰ هذا فمعنىٰ «لا تفتنّي» لا تضلّني، كما قالوا: ربّنا لا تضلّنا. ولا شكّ أن الاستعانة بغير الله سبحانه حال الاضطرار، والخضوع لسؤال غيره عند الافتقار، والتضرّع إلى من هو دونه وقت الرهبة، من الضلال عن سبيل الحقّ، إذ كان ذلك

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٦١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

....

التجاءً في جلب النفع ودفع الضرر إلى من لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً وعدولاً عمّن بيده أزمّة الأمور القادر على كلّ مقدور؛ ولذلك حكم عليه السّلام باستحقاق الخذلان والمنع والإعراض منه تعالى، من حيث عدم استعداده لنفحات الله سبحانه بالتوجّه إليه والاعتماد عليه، بالتوجّه إلى غيره واشتغال قلبه بسواه، وقد تقدّم الكلام على هذا المعنى مبسوطاً في الروضة الثالثة عشرة. وقوله: «إلى من دونك» أي: من سواك، فدون بمعنى «سوى» الظرفيّة التي هي بمعنى مكان الذي يدخله معنى العوض والبدل، أو بمعنى «غير» فهو خبر لـ «هو» محذوفاً، أو حال لـ «ثبت» مضمراً، والتقدير: إلى الذي ثبت حالة كونه دونك، أو بمعنى «تحت».

قال الجوهري: دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية(١).

أو بمعنى «قدّام» كأنّه قدّامه تعالى في المكان، وهو سبحانه وراءه، تعالى الله عن ذلك.

وقوله عليه السّلام: فأستحقّ الفاء: للسببيّة، والفعل منصوب بعدها بـ «أنّ» مضمرة لوقوعه بعد النهي الصريح نحو: «ولا تطغَوا فيه فيحلّ عليكم غَضَبي»(٢).

والخذلان بالكسر: اسم من خذله ـ من باب قتل ـ إذا أهمله وترك إعانته.

ومنعه معروفه ومنعه منعاً: حرمه إيّاه.

وأعرض عنه إعراضاً: صدّ، وهو هنا مجاز عن الاستهانة به والسخط عليه، كقوله تعالى: «ولا ينظر إليهم»(٣)، وقد تقدّم الكلام عليه، والله أعلم ﷺ.

* * *

---

(١) الصحاح للجوهري: ج ٥ ص ٢١١٥.

(٢) سورة طه: الآية ٨١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٧.

اللّهُمَّ اجْعَلْ مايُلْقِي الشَّيْطانُ في رَوعي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً في قُدْرَتِكَ، وَتَدبيراً عَلىٰ عُدوِّكَ، وَما أَجْرىٰ عَلىٰ لِساني مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ، أَوْ هُجْرٍ، أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ، أَوشهادَةِ باطِلٍ، أَوْ اغتِيابِ مُؤْمِنٍ غائِبٍ، أَوْ سَبِّ حاضِرٍ، وَما أَشْبَهَ ذَلِكَ، نُطْقاً بالحَمْدِ لَكَ، وَإِغْراقاً في الثَّناءِ عَلَيْكَ، وَذَهاباً في تَمْجيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْترافاً بِإِحْسانِكَ، وإِحْصاءً لِمِنَنِكَ.

اجعل: من الجعل بمعنى التصيير، وهو نقل الشيء من حالة إلى أُخرىٰ. قال صاحب المحكم: جعل الطين خزفاً والقبيح حسناً: صيّره إيّاه(١).

وألقىٰ الشيء يلقيه القاءً: طرحه ووضعه. وأصله أن يستعمل في الأعيان كقوله تعالى: «وألقىٰ الألواح»(٢)، «فألقوا حبالَهم»(٣)، ثمّ استعمل في المعاني اتّساعاً، ومنه قوله تعالىٰ: «وألقيتُ عليكَ محبّةً منّي»(٤)، «سنُلقي في قلوبِ الّذينَ كفروا الرُعبَ»(٥)، وهو هنا كذلك.

والروع بالضمّ: القلب، وقيل: سواده، ويطلق علىٰ الذهن والعقل.

والتمنّي: تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون وبمالايكون، والتكذّب، من منى يمني إذا قدّر؛ لأنّ الكاذب يقدّر الحديث في نفسه ثمّ يقوله، ومنه: أهذا شيء رويته أوشيء تمنّيته؟ أي: اختلقته، وكلّ من هذه المعاني يحتمل إرادته هنا.

والتظنّي: إعمال الظنّ، واصله التظنّن أُبدل من إحدىٰ النونات ياءً، ومنه قولهم: ليس الأمر بالتظنّي ولا بالتمنّي.

والحسد: تمنّي زوال نعمة المحسود إلىٰ الحاسد.

---

(١) المحكم لابن سيده: ج١ ص١٩٨. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٤٤. (٤) سورة طه: الآية ٣٩. (٥) سورة آل عمران: الآية ١٥١.

....

والذكر: حضور المعنىٰ في النفس، ثمّ يكون تارةً بالقلب وتارةً باللسان، وليس شرطه أن يكون بعد نسيان، وقد تقدّم الكلام على بيان مراتبه في الروضة الحادية عشر(١).

وعظمته تعالى: عبارة عن تجاوز قدره حدود العقول، حتّى لا يتصوّر الإحاطة بكنهه وحقيقته.

وقال بعض العارفين: اعلم أنّ عظمة الحقّ تعالى صفة إضافيّة ثابتة، له تعالى بالقياس إلى اعتقاد العبد وتصوّره وإثباته لغيره عزّوجلّ وجوداً، وإلّا فليس لما سواه في جنب وجوده تعالىٰ وجود حتّى يتّصف بالعظمة بالقياس إليه، لكنّ الإنسان يتصوّر لنفسه بقوته الوهميّة وجوداً مستقلاً، وبواسطة وجوده الموهوم يثبت للعالم وأفراده وجوداً مستقلاً، يقيس إليها وجود الحقّ فيصفه بالعظمة، ثمّ بقدر مايظهر قصور وجوده وضعفه وقصور الموجودات الإمكانيّة وضعفها يزيد في نظره عظمة الحقّ.

ولهذا قيل: إنّ ظهور الإنسان سبب خفاء الحقّ في هذا العالم، فبقدر انكساره وافتقاره يظهر وجودالحقّ وعظمته وكبريائه.

والتفكّر لغة: إعمال النظر في الشيء،واختلفت عبارة العلماء في تفسيره، والمرجع واحد.

•قال الغزالي: حقيقة التفكر طلب علم غير بديهيّ عن مقدّمات موصلة إليه، كما إذا تفكّر أنّ الآخرة باقية والدنيا فانية، فإنّه يحصل له العلم بأنّ الآخرة خير من الدنيا، وهو يبعثه علىٰ العمل للآخرة، فالتفكّر سبب لهذا العلم، وهذا العلم يقتضي حالة نفسانيّة هي التوجّه إلى الآخرة، وهذه الحالة تقتضي العمل لها،

(١) ج ٢ ص ٤٤٧.

....

وقس على هذا، فالتفكّر موجب لتنوّر القلب وخروجه عن الغفلة، وأصل الجميع الخيرات (١).

وقال المحقّق الطوسي قدّس سرّه: التفكّر سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد، وهو قريب من النظر، ولا يرتقي أحد من النقص إلى الكمال إلّا بهذا السير، ومبادؤه الآفاق والأنفس، بأن يتفكّر في أجزاء العالم وذرّاته، وفي الأجرام العلويّة من الأفلاك والكواكب وحركاتها وأوضاعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها وتأثيراتها وتغييراتها، وفي الأجرام السفليّة وترتيبها وتفاعلها وكيفيّاتها ومركّباتها ومعدنيّاتها وحيواناتها، وفي أجزاء الإنسان وأعضائه من العظام والأعصاب والعضلات والعروق وغيرها ممّا لا يحصىٰ كثرة، ويستدلّ بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم على كمال الصانع وحكمته وعلمه وقدرته وعدم ثبوت ماسواه، وبالجملة: التفكّر فيما ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثره العلم بوجود الصانع وقدرته، ومن حيث تغيّره وإنقلابه وفنائه بعد وجود أثره الانقطاع عنه والتوجّه بالكليّة إلى الخالق الحقّ،(٢) إنتهىٰ.

وهو أعظم العبادات قدراً وأشرفها أثراً وأفخمها رتبةً وأرفعها درجةً؛ ولذلك وقع الأمر به في مواضع كثيرة من القرآن المجيد، ووردت به أخبار عديدة عن سيّد المرسلين وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

كقوله عليه السّلام: تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة(٣).

وقول أمير المؤمنين عليه السّلام: التفكّر يدعو إلىٰ البرّ والعمل به(٤).

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٣١٩ نقلاً عنه.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٣١٩ نقلاً عن المحقّق الطوسي.

(٣) مفاتيح الغيب: ص ٣٠٢ و٦٥٢، مجمع البحرين: ج ٣ ص ٤٤٤، وفيه: ستّين سنة.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥٥ ح ٥.

....

وقول الصادق عليه السّلام: أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله وفي قدرته(١).

وقول الرضا عليه السّلام: ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنّما العبادة التفكّر في أمرالله عزّوجلّ(٢)، إلى غير ذلك .

وأعلم أنّه ليس المراد التفكّر في حقيقة ذاته وحقيقة قدرته وسرائر صفاته تعالىٰ؛ فإنّ معرفتها خارجة عن طوق البشر لايصل إليها عقل ولا فكر، والتفكّر فيها مؤدّ إلىٰ الضلال المبين والإلحاد في الدين، بل المراد التفكّر في صنع الله وآثار قدرته؛ فإنّ التفكّر فيها وفي عظمتها يدلّ على عظمة الصانع الحقّ وكمال قدرته.

وممّا يدلّ على ذلك .

ما روي عنه صلى الله عليه وآله. تفكّروا في الخلق ولا تتفكّروا في الخالق(٣).

وماروي عن أبي جعفر عليه السّلام: إيّاكم والتفكّر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه(٤).

فقوله عليه السّلام: «وتفكّراً في قدرتك» أي: في آثار قدرتك وآياتها.

حكىٰ الزمخشري في ربيع الأبرار قال: قرّب إلى عليّ بن الحسين عليه السّلام طهوره في وقت ورده، فوضع يده في الإناء ليتوضّأ، ثمّ رفع رأسه فنظر إلىٰ السماء والقمر والكواكب، فجعل يفكّر في خلقها حتّىٰ أصبح وأذّن المؤذّن ويده في الإناء(٥) .

وحكىٰ ذوالنون المصري قال: سمعت شخصاً قائماً وسط البحر وهو يقول: سيّدي سيّدي أنا خلف البحور والجزائر، وأنت الملك الفرد بلاحاجب ولا زائر، من الذي أنس بك فاستوحش، أم من ذاالذي نظر إلىٰ آيات قدرتك فلم يدهش، أما

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٥ ح ٣.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٥ ح ٤.
(٣) نهج الفصاحة: ص ٢٣٥.
(٤) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٥٣ ح ٤.
(٥) ربيع الأبرار مخطوط: ص ٩ باب السماء والكواكب.

....

في نصبك السماء ذات الطرائق، وبضمّك الفلك فوق رؤوس الخلائق، وإجرائك الماء بلا سائق، وإرسالك الريح بلاعائق، مايدلّ على فردانيتك ، أمّا السماوات فتدلّ على صنعتك ، وأمّا الفلك فيدلّ على حسن صنعتك ، وأمّا الرياح فنشر من نسيم بركاتك ، وأمّا الرعود فتصوّت بعظيم آياتك ، وأمّا الأرض فتدلّ على عظيم حكمتك ، وأمّا الأنهار فتنفجر بعذوبة كلمتك ، وأمّا الأشجار فتخبر بجميل صنائعك ، وأمّا الشمس فتدلّ على تمام بدائعك(١).

قوله عليه السّلام: «وتدبيراً على عدوّك » دبّرت الأمر تدبيراً: نظرت إلىٰ ماتؤول عاقبته، مأخوذ من الدبر وهو الآخر من كلّ شيء؛لأنّه نظر في دبر الأمر. وهو قريب من التفكّر؛ لأنّ التفكّر تصرّف القلب بالنظر في الدليل، والتدبّر تصرّفه بالنظر في العواقب.

وعدّاه بـ «على» إيذاناً بأنّ التدبير مستعل عليه لازم له لزوم الراكب لمركوبه، كقولهم: هذا لك وهذا عليك .

والمراد بعدوّه تعالى: المعرض عن عبادته والمبغض لها ولمن تلبّس بها من عباده، وهو من باب إطلاق الشيء على ما هو من لوازمه مجازاً.

قوله عليه السّلام: «وما أجرىٰ على لساني من لفظة فحش» إلى آخره، إسناد الإجراء إلى الشيطان مجاز عقلي، من حيث إنّه سبب أمر، كقولهم: بنىٰ الأمير المدينة.

والفحش بالضمّ: السيّء والردي، من القول.

وقال في القاموس: الفحش عدوان الجواب، ومنه: لا تكوني فاحشة لعائشة(٢)، إنتهىٰ.

(١) ربيع الأبرار مخطوط: ص٨ باب السماء والكواب والعرش والكرسي.

(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٢٨٢.

....

وقال في النهاية: قال صلى الله عليه وآله وسلّم لعائشة: لا تقولي ذلك فإنّ الله لا يحبّ الفحش، أراد بالفحش التعدّي في القول والجواب، لا الفحش الذي هو من قذع الكلام ورديّه(١).

وقيل: الفحش والفحشاء: ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم، قولاً كان أو فعلاً.

والهجر: يروى بالضمّ، والفتح، وهو بالضمّ: الخنا، والقبيح والفحش، من القول، والإكثار من الكلام فيما لاينبغي، اسم من أهجر في منطقه يهجر إهجاراً: إذا أفحش، وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي، وبالفتح: الهذيان.

يقال: هجر يهجر ـ من باب قتل ـ هجراً بالفتح: إذا خلط في كلامه وهذى.

وشتمه شتماً ـ من باب ضرب وقتل ـ: سبّه.

وقيل الشتم: وصف الرجل بما فيه إزراء ونقص سيّما فيما يتعلّق بالنسب.

وعرض الرجل بالكسر: حسبه.

وقيل: خليقته المحمودة.

وقيل: مايمدح به ويذم.

وقال ابن الأثير في النهاية: العرض: موضع المدح والذمّ من الإنسان، سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره(٢).

وقيل: هو جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه أن ينتقص ويثلب (٣).

وقال ابن قتيبة: عرض الرجل: نفسه وبدنه لاغير (٤).

وقيل: هو مايفتخر به من حسب أو شرف، وقد يراد به الآباء والأجداد.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٤١٥. (٢) و(٣) و(٤) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٢٠٩.

....

والشهادة: الإخبار بما قد شوهد أي: عن عيان، وهي اسم من المشاهدة وهي الاطّلاع علىٰ الشيءعياناً.

والباطل مالايكون صحيحاً بأصله. وإضافة الشهادة إلىٰ الباطل إمّا بمعنىٰ لام الاختصاص، أو علىٰ حذف الجارّ والإيصال، كأنّ الأصل شهادة علىٰ الباطل.

واغتاب فلان فلاناً: إذا ذكره بما يسوؤه ويكرهه من العيوب وكان فيه، فإن لم يكن فيه فهو بهت وتهمة.

وفي العرف: ذكر الإنسان المعيّن أو بحكمه في غيبته بما يكره نسبته إليه ممّا هو حاصل فيه، ويعدّ نقصاً في العرف بقصد الانتقاص والذمّ، قولاً او إشارةً أو كنايةً تعريضاً أو تصريحاً، فلاغيبة في غير معيّن كواحد مبهم من غير محصور كأحد أهل البلد، بخلاف مبهم من محصور كواحد من المعيّنين كأحد قاضيي البلد فاسق مثلاً، فإنّه في حكم المعيّن كما صرّح به شيخنا البهائي قدّس سرّه في شرح الأربعين(١)، ولابذكر عيبه في حضوره وإن كان آثماً لإيذائه لابقصد الوعظ والنصيحة، ولا بذكر ماليس فيه فإنّه بهتان وتهمة، ولابذكر مايكره ولايعدّ نقصاً، ولابذكر عيبه لا لقصد الانتقاص، كذكره للطبيب لقصد العلاج وللسلطان لقصد الترحّم.

فإن قلت: ما فائدة وصف المؤمن بالغائب؟ فإنّ الاغتياب هو ذكر الرجل بما يسوؤه في غيبته، فلا يكون إلّا لغائب.

قلت: هو من باب التصريح بما علم ضمناً، وفائدته التنصيص علىٰ متعلّق الاغتياب.

***

(١) كتاب الأربعين: ص ١٣٣.

....

تنبيهات

الأوّل: الغيبة حرام للآيات والروايات وإجماع الأمّة، وقد عدّت من الكبائر، ولولم يرد فيها إلّا قوله تعالى: «ولايَغتَبْ بَعضُكم بعضاً أيُحبُّ أحدُكم أنْ يأكلُ لَحَمَ أخيهِ مَيْتاً»(١)، فإنّه مثل الاغتياب بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثمّ لم يقتصر على ذلك حتّى جعله لحم الأخ، ثمّ لم يقتصر حتّى جعله ميتاً، ثمّ جعل ماهو في غاية الكراهة موصولاً بالمحبّة.

وقول نبيّه صلّى الله عليه وآله: إيّاكم والغيبة، فإن الغيبة أشدّ من الزنا، الرجل يزني فيتوب الله عليه وإنّ صاحب الغيبة لايغفر له حتّى يغفر صاحبه(٢).

قال بعض علمائنا: إن المغتاب لمّا لم يكن معصوماً ينبغي أن يكون له في عيبه لنفسه شغل عن عيب الناس، ولو فرض أنّه خال عن العيوب كلّها، فلينزّه نفسه عن الغيبة التي هي من أقبح العيوب ومن أعظم الكبائر (٣).

قال شيخنا الشهيد الثاني قدّس سرّه: والعجب من علماء الزمان أنّ كثيراً منهم يجتنب كثيراً من المعاصي الظاهرة من شرب الخمر والزنا وغصب أموال الناس ونحوها، وهم مع ذلك يتعاطون الغيبة، والسبب فيه إمّا الغفلة عن تحريمها وماورد من الوعيد عليها، وإمّا لأنّ مثل ذلك من المعاصي لايخلّ عرفاً بمراتبهم ومنازلهم من الرئاسات؛ لخفاء هذاالنوع من المنكر على من يرومون المنزلة عنده من أهل الجهالات، ولو رغبوهم في الشراب أوالزنا أو غصب مال الغير ماأطاعوه؛ لظهور فحشه عندالعامّة وسقوط منزلتهم، ولو استبصروا علموا أن لا فرق بين المعصيتين، بل لانسبة بين المعصية المستلزمة للإخلال بحقّه تعالى وبين مايتعلّق مع ذلك بحقّ

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢. (٢) المحجة البيضاء: ج ٥ ص ٢٥١.

(٣) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ٥.

....

العبد، خصوصاً بأعراضهم التي هي أجلّ وأشرف من أموالهم(١).

الثاني: كفّارة الغيبة أن يندم المغتاب ويتوب ويتأسّف على فعله ليخرج من حقّ الله أوّلاً، ثمّ يستحلّ من اغتابه ليحلّه فيخرج عن مظلمته، وذلك إذا أمكنه الوصول إليه، وينبغي أن يستحلّه وهو حزين متأسّف نادم على فعله مستحٍ ممّا(٢) ارتكبه، فإنّ المرائي قد يستحلّ ليظهر من نفسه الورع، وفي الباطن لايكون تائباً، فيكون قد قارف معصية أُخرى (٣).

يدلّ على ذلك ماروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: من كانت لأخيه قبله مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه، من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، يؤخذ من حسناته فتزاد في حسنات صاحبه، فإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيّئات صاحبه فتزاد على سيّئاته(٤).

وإن لم يمكنه الوصول إمّا لموت أو لغيبة فليستغفر له. يدلّ على ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: سئل النبيّ صلّى الله عليه وآله ماكفّارة الاغتياب؟ قال: تستغفرالله لمن اغتبته كلّما ذكرته(٥).

ويستحبّ للمعتذر إليه قبول العذر، فإن لم يقبل كان اعتذاره وتودّده حسنة محسوبة له، وقد تقابل سيّئة الغيبة في القيامة.

ولا فرق بين اغتياب الصغير والكبير والحيّ والميّت والذكر والأُنثى.

وليكن الاستغفار والدعاء له بحسب مايليق بحاله، فيدعو للصغير بالهداية، وللميّت بالرحمة والمغفرة ونحو ذلك.

---

(١) كشف الريبة عن أحكام الغيبة: ص٤٩ ـ ٥٠ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) (ج): بما.

(٣) المحجة البيضاء: ج٥ ص٢٧٣.

(٤) المحجة البيضاء: ج٥ ص٢٧٣، إحياء العلوم: ج٣ ص١٥٣ مع اختلاف يسير فيهما.

(٥) الكافي: ج٢ ص٣٥٧ ح٤.

....

ولا يسقط الحقّ بإباحة الإنسان عرضه؛ لأنّه عفوعمّا لم يجب، كما أن لو أباح قذف نفسه لم يسقط حقّه من الحدّ. والظاهر أنّه تجب في هذه الكفّارة النيّة كما في سائر الكفّارات.

الثالث: جوّز العلماء الغيبة في عشرة مواضع: الشهادة، والنهي عن المنكر، وشكاية المتظلّم، ونصح المستشير، وجرح الشاهد والراوي، وتفضيل بعض العلماء والصناع على بعض، وغيبة المتظاهر بالفسق الغير المستنكف على قول، وقيل: مطلقاً، وقيل بالمنع مطلقاً، وذكر المشتهر بوصف مميّز له كالأعور والأعرج مع عدم قصد الاحتقار والذّم، وذكره عند من يعرفه بذلك بشرط عدم سماع غيره على قول، والتنبيه على الخطأ في المسائل العلميّة ونحوها بقصد أن لا يتبعه أحد فيها(١).

ثمّ هذه الأمور إن أغنى التعريض فيها فلا يبعد القول بتحريم التصريح؛ لأنّها إنّما شرعت للضرورة، والضرورة تقدّر بقدر الحاجة، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «أو سبّ حاضر» السبّ: الشتم، سبّه سباً من باب قتل.

قيل: أصله من السبّ بمعنى القطع؛ لأنّ السابّ يقطع المسبوب.

وقيل: من السبّة بالضمّ وهي حلقة الدبر، كأنّ السابّ كشف بشتمه عورة المسبوب، ومنه قيل للاصبع التي تلي الإبهام: سبّابة؛ لأنّها يشاربها عندالسبّ.

قال بعضهم: وسبّ الحاضر أن يقول له مثلاً: يا شارب الخمر، أو يا آكل الربا، أو يا ملعون، أو يا خائن، أو يا حمار، أو يا كلب، أو يا خنزير، أو يا فاسق، أو يا فاجر، وأمثال ذلك.

وسبّ الكندي رجلاً فقال له: أنت والله ثقيل الظلّ مظلم الهواء جامد النسيم.

وتسابّ بدويّان فقال أحدهما لصاحبه: أراك والله تعطس عن أنف طالما

---

(١) كشف الريبة: ص٧٧.

....

جـدع علىٰ الهوان، فقـال له صاحـبه والله لئن تكفّ عـنّي شرّة لسـانك ولم تستر عنّي عورة كلمتك ، لأصدعنّ صفاتك بمعول لاينبو عن مضـربه، ولأحصدنّ رأسك بمنجل لاينشئ عن ماخذه فقال له الأوّل· لا تسعر نارنا ولا تطلب عوارنا؛ فإنّ سفه الجاهل بلسانـه وسفه اللبيب بيده،وكأنّي بك وقد وعيت منّي كلاماً يمنعك الشراب البارد، ويشـمت بـك الصادر والوارد، وقلّ من تـمرّد علىٰ العـافية إلّا تمرّد عـليه البلاء، فانقلب عنه صاحبه مغيظاً يهمهم.

روىٰ ثقة الإسـلام في الكـافي عن أبي جـعفر عليـه السّلام قـال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: سـباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه(١).

وعن أبي الحسن موسى عـليـه السّلام في رجلين يتسابّـان، قـال: الـبادي منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه مالم يعتذر إلى المظلوم(٢).

قولـه عليه السّلام: «ومـا أشبـه ذلك» إشارة إلىٰ المذكـور ممّا أجرى الشيطان على لسانـه، يعني ما ماثله في الهجنة والإثم، كالبهت والنميـمة والسعاية والاستهزاء والتهمة والـرواية على المؤمن والـكذب إلىٰ غير ذلـك ، فإنّ كلّ ذلك مـباين لمكارم الأخلاق وحسن الشيم، مناف لمقتضىٰ الإيمان والتقوىٰ والورع.

قوله عليـه السّلام: «نطقاً بـالحـمد لك» النطق بـالضمّ: اسم من نطق يـنطق نطقاً ـمن باب ضرب ـ إذا تكلّم بصوت وحروف تعرف بها المعاني.

والمراد بالحمـد هنا: الحـمد اللغوي بدلالة الـنطق، وهو الوصف بالجمـيل علىٰ جهة التعظيم باللسـان، وقد براد به القول الاصطلاحي ، وهو حمد اللسان وثناؤه على الحقّ تعالىٰ بما أثنىٰ به علىٰ نفسه على لسان أنبيائه، فتكون اللام فيه للعهد.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٢. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٤.

....

وأغرق في الشيء إغراقاً: بالغ فيه وأطنب، وهو من أغرق الرامي في القوس: إذا استوفىٰ مدّها.

قال الزمخشري في الأساس: أغرق الرامي النزع، ومنه الإغراق في القول وغيره، وهو المبالغة والإطناب(١).

والثناء بالمدّ قيل: هو وصف الشيء بمدح أو ذمّ.

وقيل: خاصّ بالمدح.

وقيل: استعماله في المدح أكثر من الذمّ.

والحقّ أنّه عند الإطلاق لاينصرف إلّا إلى المدح؛ لقوله:

إذا أثنىٰ عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء

وفي الحديث: لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك(٢).

وذهب يذهب ذهاباً بالفتح وذهوباً: سار ومضى، ثمّ استعير للاستغراق في الشيء والتوغّل والإمعان، كأنّه سار فيه ومضىٰ ولم يقف.

ومجّده تمجيداً: أعظمه وأثنىٰ عليه بالشرف والكرم.

والشكر: عبارة عن المعروف المقابل به النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب.

وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه.

واعترف بالشيء اعترافاً: أقرّ به علىٰ نفسه.

والإحسان: فعل ماينبغي من الخير.

وأحصى الشيء إحصاءً: عدّه وحفظه.

والمنّة: النعمة، والمراد بإحصائها: حفظها عن الكفر بها، أو الاعتداد بها صوناً

---

(١) أساس البلاغة: ص ٤٤٩.

(٢) سنن أبي داود: ج ١ ص ٢٣٢.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطيقٌ لِلدَّفْعِ عَنّي وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ القادِرُ عَلىٰ القَبْضِ مِنّي، وَلا أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدايَتي، وَلا أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعي، وَلا أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدي.

لها عن إهمال شكرها وعدم الالتفات إليها، وإلّا فنعمة الله تعالى لا تحصىٰ، كما قال سبحانه: «وإن تَعدُّوا نِعمةَ الله لا تُحصوها»(١) والله أعلم.

تنبيه

الجعل المطلوب أعني نقل السيّئات المذكورة التي ألقاها الشيطان في روعه وأجراها على لسانه إلى الحسنات المطلوبة، إمّا بمحوها بالتوبة وإثبات الحسنات مكانها، أو بتبديل ملكاتها ودواعيها في النفس بملكات الحسنات المذكورة بأن يزيل الأُولىٰ ويأتي بالثانية، أو بأن يثبت له بدل عقاب كلّ منها ثواب الحسنة المقابلة لها، وبكلٍّ فسّر قوله تعالى: «فأُولئكَ يبدّلُ الله سيّئاتِهم حسناتٍ»(٢)، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك في آخر الروضة الثانية(٣) *.

لا: طلبيّة للدعاء.

وأُظلم: مبني للمفعول مجزوم بها مؤكّد بالنون الثقيلة مسند إلى ضمير المتكلّم، وقس علىٰ ذلك البواقي، إلّا أن الفعل فيها مبنيّ للفاعل.

والجزم بـ «لا» الطلبيّة لفعل المتكلّم ثابت في الفصيح، وإن صرّح النحويّون بقلّته وندوره، ومن شواهده قوله صلّى الله عليه وآله: لا أُلفينّ احدكم متّكئاً علىٰ أريكته يأتيه الأمر ممّا أمرت به(٤) الحديث رواه الأكثرون.

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٤.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٠.
(٣) ج١ ص٥٠٢.
(٤) سنن ابن ماجة: ج١ ص٦-٧ ح١٣.

....

وقول العرب: لا أرينّك هاهنا.

وقول الشاعر:

لا أعرفنّ ربرباً حورا مدامعها مردفات علىٰ أعقاب أكوارِ

وقول الآخر.

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد لها أبداً مادام فيها الجراضم

والأكثرون على أنّه لافرق في ندور الجزم بها لفعل المتكلّم بين المبني للفاعل والمبني للمفعول.

وفصّل بعضهم بينهما، فحكم بالندور والقلة فيما كان مبنيّاً للفاعل، وبالكثرة فيما كان مبنيّاً للمفعول، كقوله عليه السّلام ولا أُظلمنّ وأنت مطيق للدفع عنّي؛ لأنّ المطلوب منه غير المتكلّم وهو الفاعل المحذوف النائب عنه ضمير المتكلّم والأصل لايظلمني أحد فحذف الفاعل وأُنيب عنه ضمير المتكلّم، وعدل من الفعل المبدوء بياء الغيبة إلى المبدوء بالهمزة والنون؛ ليتمكّن من الإسناد إلىٰ ضمير المتكلّم علىٰ حدّ الالتفات من الغيبة إلىٰ التكلّم، بخلاف ما إذا كان مبنياً للفاعل؛ فإنّ المطلوب منه هو المتكلّم وهو نادر؛ لأنّ المتكلّم لايطلب من نفسه إلّا علىٰ المجاز تنزيلاً لها منزلة الأجنبي.

قالوا: وهذا النوع ممّا أُقيم فيه السبب مقام المسبّب، فالأصل في «لا أرينّك هاهنا» لا تكن هاهنا فأراك، وقس على ذلك.

والجمل بعد الأفعال المجزومة كلّها أحوال، ومن زعم أنّ «لا» في جميع هذه الفقرات نافية، والغرض الإخبار تحدّثاً بالنعمة، فقد أبعد.

وأطاق الشيء إطاقة: قدر عليه فهو مطيق، والاسم الطاقة.

ودفعت عنه الأذىٰ: نحّيته عنه.

وقبضت زيداً عن الأمر: كفيته منه ومنعته من فعله.

اللّهُمّ إلىٰ مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإلىٰ عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وإلىٰ تَجاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، ولَيْسَ عِنْدي مايُوجِبُ لي مَغْفِرَتَكَ، وَلا في عَمَلي ماأسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمالي بَعْدَ أنْ حَكَمْتُ عَلىٰ نَفسي إلاّ فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

وقوله: «منّي»: ظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف حال من القبض، أي: كائناً منّي.

وأمكنه الأمر إمكاناً: سهل وتيسّر.

وافتقر: مطاوع أفقره، يقال: فقر يفقر ـ من باب تعب ـ: إذا قلّ ماله، وأفقره فافتقر.

والوسع بالضم: الجدة والغنى.

وطغا طغواً من باب قال، طغىٰ يطغىٰ من باب تعب، ومن باب نفع لغة أيضاً فيقال: طغيت، والاسم الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ والإسراف في المعاصي والتكبّر، قال تعالىٰ: «إنّ الإنسان ليَطغىٰ * أنْ رآهُ استَغنىٰ»(١).

والوجد بالضمّ ويفتح ويكسر: الجدة، وهي الثروة والاستغناء أي: لا تبتلني بالطغيان بالاستغناء فأطغى، والحال أنّ استغنائي من عندك ؛ فإنّ الطغيان بالمال إنّما يكون بسبب نسيان العبد فضل ربّهِ وعنايته به، فينسب ذلك إلىٰ كفاية نفسه لا إلىٰ عناية الله تعالى، أمّا إذا اعلم أنّ غناه وجدته من فضله سبحانه، فإنّه لايزيد إلّا تواضعاً وعبوديّة. بل إذا تأمّل وجد نفسه في حال الغنىٰ أشدّ افتقاراً إلىٰ الله(٢)؛ لأنّ الفقير لايتمنّىٰ إلّا سلامة نفسه، والغني يتمنّىٰ سلامة نفسه وماله وأهله وجاهه، والله أعلم *.

تقديم الظرف في الفقرات الأربع للتخصيص، ومعناه: إلىٰ مغفرتك وفدت لا إلىٰ غيرها، وقس علىٰ ذلك.

ووفد إليه وعليه يفد وفداً ـ من باب وعد ـ ووفوداً ووفادةً: قدم وورد، وغلب

---

(١) سوة العلق: الآية ٦ و٧.

(٢) (ج): تعالى.

....

استعمال الوفود في قصد الملوك والأمراء ونحوهم للزيادة والاسترفاد والانتجاع.

والمراد به هنا: توجّه نفسه إلى طلب مغفرته تعالى، فهو استعارة، فإن قصد فيه إلىٰ تشبيه نفسه بالشخص الوافد على عظيم في توقّع حصول النفع منه ونيل الإحسان لديه، وجعل إثبات الوفودلها تنبيهاً علىٰ ذلك، كان من قبيل الاستعارة بالكناية.

وإن حمل على أنّ المشبّه به فيه هوالمعنىٰ المصدري الحقيقي للوفود، والمشبّه توجّه نفسه، كان طرفا التشبيه حينئذٍ مفردين والاستعارة تبعيّة.

وإن جعل المشبّه به فيه صورة منتزعة من نفسه وتوجّهها إلى المغفرة وطلبها لها وترجّي شمولها له، بصورة منتزعة من الوافد إلى ملك أو نحوه وقصده له وانتجاعه له واسترفاده إيّاه وتأميل نيل إحسانه، كان طرفا التشبيه حينئذٍ مركّبين منتزعين من عدّة أُمور، والاستعارة تمثيليّة والمستعار مجموع الألفاظ الدالة على الصورة المشبّه بها، إلّا أنّه اقتصر منها على لفظ الوفود الدالّ على ما هو العمدة في هذه الصورة، فيدلّ بمعونة قرائن الأحوال على أنّ سائر الألفاظ الدالّة على سائر أجزاء هذه الصورة منويّة في الإرادة فتكون في حكم الملفوظ، ولايخفىٰ أنّ هذا الوجه أنسب بالمقام وأدخل في تحصيل المرام، وأخذ(١) على ذلك ما أشبهه من الألفاظ المستعارة، واختر من الوجوه المذكورة ما هو أليق بمدلول العبارة.

وقصدت الشيءوله وإليه قصداً ـ من باب ضرب ـ: طلبته بعينه.

وتجاوزت عن الذنب تجاوزاً: عفوت عنه وصفحت، وقد تقدّم بيانه.

والشوق: نزاع النفس إلى الشيء.

وقيل: هو اهتياج النفس إلى لقاء المحبوب، يقال: اشتاقه واشتاق إليه بمعنى

(١) (ج): واخذ.

اللّهُمَّ وَأنْطِقْني بِالهُدىٰ، وألْهِمْني التَقْوىٰ، وَوَفِّقْني لِلّتي هِيَ أزكىٰ، وَاسْتَعْمِلْني بما هُوَ أرْضىٰ، اللّهُمَّ أسْلُكَ بِيَ الطَّريقَةَ المُثْلىٰ، وَاجْعَلْني عَلىٰ مِلَّتِكَ أموتُ وأحيا.

والفضل: ابتداء الإحسان بلا علّة.

ووثق به يثق بكسرهما ثقةً ووثوقاً: اعتمد عليه.

قوله عليه السّلام: «وليس عندي مايوجب لي» يحتمل أن يكون الواو للاستئناف، فالجملة لامحلّ لها من الإعراب، وأن تكون للحال، فالجملة في محلّ نصب، أي: والحال أنّه ليس عندي مايوجب(١) مغفرتك.

ووجب الحقّ يجب وجوباً: لزم وثبت، وأوجبه: ألزمه وأثبته.

والمغفرة: هي أن يستر القادرُ القبيح ممّن هو تحت قدرته، حتّى أنّ العبد إذا ستر عيب سيّده مخافة عقابه لايقال: غفر له. واستحق الشيء استوجبه.

قوله عليه السّلام: «بعد أن حكمت على نفسي» أن: مصدريّة، أي: بعد حكمي، يقال: حكم عليه حكماً وحكومة أي: قضى.

ولم يذكر المحكوم به لدلالة الكلام السابق عليه فحذفه اختصاراً؛ إذ المعنىٰ: بعد أن حكمت على نفسي بعدم ما يوجب لي مغفرتك وما أستحقّ به عفوك.

والاستثناء مفرّغ، وهو في الحقيقة من عامّ محذوف، وما بعد إلّا بدل من ذلك المحذوف، والتقدير: ومالي شيءإلّا فضلك.

والفاء من قوله: «فصلّ» فصيحة، أي: إذا لم يكن لي إلّا فضلك فصلّ على محمّد وآله.

وتفضّل عليّ: أي أحسن إليّ بلا علّة وسبب يوجبان الإحسان، والله أعلم *.

الهدىٰ هنا: بمعنىٰ البيان والحجّة بقرينة الإنطاق.

---

(١) (ج): لي.

....

والمراد بالبيـان: إظهار المقصود بـأبلغ لفظ، وبالحـجّة: الكلام المستقيم. وقيل: البيان: إخراج الشيء عن حيّز الإشكال إلىٰ حيّز التجلّي، والحجّة: البرهان.

قال الفيومي في المصباح: الهدىٰ: البيان (١).

وقال الزمخشري في الفـائق وابـن الأثير في النهاية: في حديث محـمّد بن كعب: بلغني أنّ عبدالله بـن أبي سليط قال لعـبد الرحمن بن زيـد بن حارثة ـ وقد أخر صلاة الظهر ـ: أكـانوا يصلّون هـذه الصلاة الساعـة؟ قال: لا والله، فـما هدىٰ مـمّا رجع، أي: فما بيّـن ومـاجـاء بحـجّـة ممّا أجاب، إنّما قـال: لاوالله، وسـكـت، والمـرجوع: الجواب، فلم يجئ بجواب فيه بيان وحـجّة لما فعل مـن تأخير الصلاة، وهدى بمعنىٰ بيّن في لغة أهل الغـور، يقولون: هديت لك بمـعنىٰ بيّنت لك، ويقال: بلغتهم نزلت «أولم يهدلهم» (٢) إنتهىٰ.

ويصحّ حمله على الهدىٰ بمعنـىٰ الدلالـة علىٰ مايوصـل إلىٰ المطـلوب، أو سلوك طريق يوصل إلى المطلوب، والأوّل أظهر.

والإلهام: أن يلقي الله في نـفس العبـد أمـراً يبعـثه على الفعـل أو الترك بطـريق الفيض، وهو نوع من الوحي يخصّ الله به من يشاء من عباده.

والتـقوىٰ في الـلغة: الا تّـقاء، وهـو اتّخـاذ الوقايـة، وفي العـرف: هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته.

وقال بعض العلماء هي بحسب العـرف الشرعي تعود إلى خشيـة الحقّ سبحانه، المستلزمـة للإعراض عـن كـلّ ما يوجـب الالتفـات عنه من مـتاع الدنـيا وزينتها، وتنحية مادون وجهة القصد (٣).

---

(١) المصباح المنير: ص ٨٧٤.

(٢) الفائق في غريب الحديـث: ج ٤ ص ٩٧ ـ ٩٨ مع اختلاف يسير وتقديم وتأخير في العبارة، النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٥٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ١ ص ٢٩٩.

....

قال بعض العارفين: إنّ خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت لفظة واحدة وهي التقوى، أُنظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها، فكم علّق عليها من خير، ووعدها من ثواب، وأضاف إليها من سعادة دنيويّة وكرامة أُخرويّة. ولنذكر من خصالها وآثارها الواردة فيه اثنتي عشرة خصلة:

الأُولىٰ: المدحة والثناء، قال الله تعالى: «وإنْ تصبروا وتتقوا فإنّ ذلك مِن عَزمِ الأُمورِ»(١).

الثانية: الحفظ والحراسة، قال تعالى: «وإنْ تَصبروا وتَتّقوا لايَضرُّكم كيدُهم شيئاً»(٢).

الثالثة: التأييد والنصر، قال تعالىٰ: «إنّ الله مع الّذينَ اتّقوا»(٣).

الرابعة: النجاة من الشدائد والرزق الحلال، قال تعالى: «ومَن يتّقِ الله يَجعلْ لهُ مخرجاً ويرزقْه من حيثُ لايحتسبُ»(٤).

الخامسة: صلاح العمل، قال تعالىٰ: «يا أيّها الذينَ آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلحْ لكم أعمالكم»(٥).

السادسة: غفران الذنوب، قال تعالى: «ويَغفِرْ لكم ذُنوبَكم»(٦).

السابعة: محبّة الله تعالى: قال تعالى: «إنّ الله يَحبُّ المتّقينَ»(٧).

الثامنة: قبول الأعمال، قال الله تعالى: «إنّما يتقبّلُ الله مِن المتّقينَ»(٨).

التاسعة: الإكرام والإعزاز، قال تعالى: «إنّ أكرمَكم عِندَالله أتقاكم»(٩).

العاشرة: البشارة عند الموت، قال تعالى: «الذينَ آمنوا وكانوا يتّقونَ لهم

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٦. (٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٨. (٤) سورة الطلاق: الآية ٢ و٣.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٧٠ و٧١. (٦) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٧) سورة التوبة: الآية ٤. (٨) سورة المائدة: الآية ٢٧. (٩) سورة الحجرات: الآية ١٣.

....

البشرىٰ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ»(١).

الحادية: عشرة: النجاة من النار، قال تعالى: «ثمّ ننجّي الذينَ اتّقوا»(٢).

الثانية عشرة: الخلود في الجنّة، قال تعالىٰ «أُعِدّتْ للمتّقينَ»(٣).

فقد ظهر لكَ أنّ سعادة الدارين منطوية فيها ومندرجة تحتها، وهي كنزعظيم وغنم جسيم، وخير كثير وفوز كبير،(٤) إنتهىٰ.

قوله عليه السّلام: «ووفّقني للتّي هي أزكىٰ» أي: للحالة أو الخصلة أو السيرة التي هي أزكىٰ الحالات أو الخصال، أو السير، أي: أنماها وأكثرها ثواباً أو أطهرها أو أصلحها، من زكىٰ المال يزكو زكاءً أي: نمىٰ وزاد، ومنه الزكاة الشرعيّة؛ لأنّها سبب يرجىٰ به الزيادة والبركة. أو من زكىٰ الرجل يزكو: إذ طهر، ومنه: «نفساً زكيّة»(٥). أو من زكىٰ أي: صلح، ومنه: «خيراً منه زكاةً» (٦) أي: صلاحاً.

إنّما لم يذكر الموصوف لما في إبهامه بحذفه من الفخامة التي لا توجد مع إيضاحه، فإنّك أيّما قدّرت من الحالة أو الخصلة أو السيرة، لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف؛ لما فيه من عموم الاعتبار وذهاب الوهم كلّ مذهب.

قوله عليه السّلام: «واستعملني بما هو أرضى» أي: للعمل الذي هو اشدّ إرضاءً لك، أو أعظم الأعمال المرضيّة عندك.

فإنّ قلت: استعمال «أرضىٰ» في كلّ من هذين المعنيين غير قياسي.

أمّا الأوّل فلأنّه بناء لـ «أفعل» التفضيل من ذي الزيادة، وقياسه إنّما يكون من الثلاثي.

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٣ و٦٤.

(٢) سورة مريم: الآية ٧٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٤) الكشكول: ص ٢٤١ـ ٢٤٢.

(٥) سورة الكهف: الآية ٧٤.

(٦) سورة الكهف: الآية ٨١.

....

وأمّا الثاني، فلأنّه بمعنىٰ المفعول، وقياسه للفاعل.

قلت: أمّا الأوّل فقد ذهب سيبويه إمام الصناعة إلىٰ قياسه من باب أفعل مع كونه ذا زيادة(١).

قال نجم الأئمّة: ويؤيّده كثرة السماع، كقولهم: هو أعطاهم للدينار وأولاهم للمعروف، وأنت أكرم لي من فلان، وهو كثير.

قال: ومجوّزه قلّه التغيير؛ لأنّك تحذف منه الهمزة وتردّه إلى الثلاثي ثمّ تبني منه أفعل التفضيل، فتخلف همزة التفضيل همزة الإفعال(٢).

وأمّا الثاني فوقوعه في كلامه عليه السّلام يكفي في تجويز هذا الاحتمال، ولايحتاج فيه إلى السماع من غيره قطعاً؛ فإنّه عليه السّلام أفصح العرب في زمانه.

قوله عليه السّلام: «واسلك بي الطريقة المثلى» أي: الفضلىٰ، تأنيث الأمثل بمعنىٰ الأفضل.

يقال: مثل مثالة فهو مثيل ككرم كرامة فهو كريم، أي: فضل من باب قتل: فضلاً فهو فاضل.

وفسّر قوله تعالى: «ويَذهبا بِطَريقَتِكم المُثلىٰ»(٣) أي: بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب. ومنه: أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل(٤) أي: الأشرف فالأشرف والأعلىٰ فالأعلىٰ في الرتبة والمنزلة.

والمراد بالطّريقة المثلىٰ: سبيل الحقّ الموصلة إليه تعالىٰ، التي تطابقت علىٰ الهداية إليها ألسنة الرسل والأولياء.

وقيل: هي السيرة المختصّة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقّي في المقامات.

---

(١) و(٢) شرح الكافية في النحو: للرضي ج ٢ ص ٢١٣. (٣) سورة طه: الآية ٦٣.

(٤) كنزالعمّال: ج ٣ ص ٣٢٧ ح ٦٧٨٣، الكافي: ج ٢ ص ٢٥٩. ح ٢٩، وفيه النبيّون ثمّ الوصيّون.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْني بِالاقْتِصادِ، واجْعَلْني مِنْ أهْلِ السَّدادِ، وَمِنْ أدِلَّةِ الرَّشـادِ، وَمِنْ صالِحي العِبادِ، وَارْزُقْني فَوْزَ الـمَعادِ، وَسَلامَـةَ المِرْصادِ.

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام في قول الله تعالى: «وأن لـو استقـاموا على الطريقة لأسقيناهم مـاءً غـدقاً» يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي ولاية عليّ بن أبي طالب والأوصياء عليهم السّلام(١).

قوله عليه السّلام: «واجعلني على ملّتك أموت وأحيا».

الملّة: الدين، وقيل: هي معظم الدين وجملة ماجاء به الرسل.

وقيل: هي ما شرع الله لعباده على ألسنة الأنبياء عليهم السّلام، وتستعمل في جملة الشرائع لا في آحادها، ثـمّ اتّسعت فاستعملت في الملّة الباطلة أيضاً، فقيل: ملّة الكفر.

وحرف الاستعلاء مؤذن بالثبات أي: ثابتاً علىٰ ملّتك، وهو متعلّق بأموت وأحيا على طريق التنازع. وتقديمه للتخصيص، أي: على ملّتك لا على غيرها، مع مافيه من الاهتمام ورعاية السجع. وقدّم الموت للاهتمام به؛ لأنّ أقوىٰ الناس داعياً إلىٰ العمل من نصب موته بين عينيه، مع رعاية السجع.

والمراد بالحياة ماقبل الموت ومابعده، والله أعلم *.

الاقتصاد: افتعال من القصد بمعنىٰ العدل، وهو التوسّط في الأُمور بين الإفراط والتفريط.

قال الزمخشري في الأساس: قصد في معيشته واقتصد وقصد في الأمر: إذا لم يجاوز فيه الحدّ ورضي بالتوسط؛ لأنّه في ذلك يقصد الأسدّ. وهو علىٰ القصد وعلى قصد السبيل: إذا كان راشداً. وله طريق قصد وقاصدة، خلاف قولهم: طريق جور

---

(١) الكافي: ج١ ص٤١٩ ح٣٩.

....

وجائرة(١) إنتهى.

وقد علمت فيما سبق أنّ الوسط الحقّ، الذي لاميل له إلى أحد الجانبين من الإفراط والتفريط، هو الصراط المستقيم والطريق القصد التي أخذالله على العباد سلوكها، فالمراد بالاقتصاد: سلوك الطريق القصد في العقائد والأقوال والأفعال كما تقدّم بيانه.

وكثيراً ما يستعمل الاقتصاد خاصّاً في التوسّط في الإنفاق بين الإسراف والتقتير، ومنه: ماعال من اقتصد(٢).

وهو من الأُمور التي نصّ الله سبحانه عليها بقولة: «والذينَ إذا أنفَقوا لم يُسرفوا ولم يَقتروا وكان بين ذلك قَواماً»(٣)، ولو حمل علىٰ هذا المعنىٰ هنا لم يكن بعيداً، إلّا أنّ الأعمّ هو الأتمّ.

والسداد بالفتح: الصواب من القول والفعل، وأسدّ الرجل بالألف: جاء بالسداد، وسدّ يسدّ -من باب ضرب- سدوداً: أصاب في قوله وفعله فهو سديد.

والأدلّة: جمع دليل، وهو فعيل من دلّه على الطريق: إذا هداه إليه وأرشده له.

والرشاد والرشد بالضمّ والرشد بالتحريك: الهدىٰ، والاستقامة، والصواب.

ولمّا كانت الأُمور المعقولة لايهتدىٰ لطريق الحقّ منها إلّا بأُستاذ مرشد يهدي المسترشد إليها ويعرّفه رشادها، وكان العارفون بالله هم أدلّة هذه الطريق والمرشدين إليها، سأل عليه السّلام أن يجعله منهم.

والصالحون من العباد: هم المتّصفون بالصلاح، وهو الخير والصواب(٤).

وقال الزجاج: الصالح: هوالذي يؤدّي الى الله ما افترض عليه ويؤدّي إلى الناس

---

(١) أساس البلاغة: ص٥٠٩.

(٢) الجامع الصغير: ج٢ ص١٤٦ ح٧٩٣٩.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٤) (ج): الثواب.

....

حقوقهم(١).

والفوز: النجاة، والظفر بالبغية.

والمعاد: الآخرة لعود الخلق إليها، والمرجع والمصير، فهو بالمعنىٰ الأوّل ظرف، وبالمعنىٰ الثاني مصدر ميمي، وكلا المعنين محتمل هنا.

والمرصاد - كالمنهاج- المكان الذي يرصد فيه من الطريق.

يقال: رصدته رصداً -من باب قتل-: إذا قعدت له على الطريق تترقّبه، ومنه: أرصدت له العقوبة: إذا أعددتها له، وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقّبة له.

والمراد بالمرصاد هنا: إمّا جهنّم أعاذنا الله تعالىٰ منها، كما قال تعالىٰ «اِنّ جهنّمَ كانت مرصاداً * للطاغين مآباً»(٢)، سميّت بذلك لأنّ خزنتها يرصدون الكفّار فيها للعذاب، وهي مآبهم، أو لأنّ خزنة الجنّة يرصدون المؤمنين ويستقبلونهم عندها؛ لأنّ جوازهم عليها؛ لقوله تعالى: «وإنْ مِنكم إلّا وارِدُها»(٣)، وهي مآب الطاغين؛ ولهذا قال الحسن وقتادة: طريقاً وممراً إلى الجنّة(٤).

وإمّا المشار إليه بقوله تعالى: «وإنّ ربّك لبالمرصاد».

قيل: هو تمثيل لعدم الإعمال وانّه لايفوته تعالى شيء من أعمال العباد، لأنّه يسمع ويرىٰ جميع أقوالهم وأفعالهم، كمالا يفوت من هو بالمرصاد.

قيل لأعرابي: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد، وليس يريد به المكان (٥).

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: أنا لك بالمرصد وبالمرصاد أي: لا تفوتني، ومنه: «إنّ ربّكَ لَبالمِرصاد»(٦).

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٧٩.

(٢) سورة النبأ: الآية ٢١ و٢٢.

(٣) سورة مريم: الآية ٧١.

(٤) مجمع البيان: ج٥-٦ ص٥٢٥.

(٥) الجامع الأحكام القرآن: ج ٢٠ ص ٥٠.

(٦) اساس البلاغة: ص٢٣٣.

اللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسك مِنْ نفسِي مايخلِّصُها، وأبقِ لِنَفْسي مِنْ نَفسِي مايُصْلِحُها، فَإنَّ نَفْسِي هَالكةٌ أو تعصمها.

وفي نهج البلاغة من كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجا من مساغ ريقه(١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «إنّ ربّك لبالمرصاد» قال: قنطرة على الصراط لايجوزها عبد بمظلمة عبد(٢).

وعن أبي جعفر عليه السّلام: يوضع على جهنّم صراط أدقّ من الشعر وأقطع من السيف، عليه ثلاث قناطر: الأولى عليها الأمانة والرحم، والثانية عليها الصلاة، والثالثة عليها ربّ العالمين لا إله غيره، «وفي رواية: عدل ربّ العالمين»(٣)، فيكلّفون الممرّ عليها فتحبسهم الأمانة والرحم، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ ذكره، وهو قوله تبارك وتعالى: «إنّ ربّك لبالمرصاد». والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(٤)*.

قيل: يمكن أن يكون المعنى اجعل حصّة من نفسي متعلّقة بجنابك المقدّس، ليكون ذلك سبباً لخلاص نفسي، وأبق منها مايكون فيه صلاحها؛ فإنّ الخلاص قد يكون مع عدم الصلاح، إنتهى.

وقيل: المعنى اصطف من أعمال نفسي مايخلّصها من سخطك، وأبق لها من مساعيها مايكون به صلاحها.

وقيل: معناه أفعل بي مايوجب نجاة نفسي وخلاصها، من نفع أو ضرر أو فقر أو غنى أو موت أو حياة، وإن كرهت بعض ذلك، وأبق لي من الأعمال الصالحة مايوجب صلاح نفسي ووفّقني له.

---

(١) نهج البلاغة: ص ١٤١ الخطبة ٩٧.
(٢) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص ٥٧٣ ح ١٣.
(٣) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص ٥٧٢ ح ٩.
(٤) الروضة من الكافي: ص ٣١٢.

....

وقيل يحتمل أن يكون المراد بقوله عليه السّلام: «خذ لنفسك من نفسي مايخلّصها» في الإعمال السيّئة والأخلاق الذميمة التي يكون نفيها سبباً لخلوص النفس من الشوائب أو خلاصها من العذاب، فيكون قوله: «لنفسك» أي: لأجل القرب منك. ويحتمل أن يكون المراد به اصطفاءالأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة، التي تكون سبباً لخلوص نفسي أو خلاصها، فيكون قوله: «لنفسك» أي: لأجل رضاك. ولا يخفىٰ بُعد الاحتمال الأول.

هذا ما انتهىٰ إلينا من أقوال الأصحاب في حلّ هذه العبارة من الدعاء.

والذي يخطر بالبال على وجه الاحتمال، أنّه لمّا كانت النفس مكلّفة بالقيام بأمرين:

أحدهما: لله تعالىٰ، وهو سبب نجاتها وخلاصها من سخطه وعذابه تعالى.

والثاني: للنفس، وهو مالا بدّلها منه من أمر معاشها.

سأل عليه السّلام أن يجعل نفسه قائمة بما هو لله تعالى وهو سبب خلاصها، ولمّا كان هذا المعنىٰ يوجب استغراق النفس فيه، بحيث لايمكنها الاشتغال معه بغيره ولا التوجّه والالتفات إلى أمر آخر، سأل ثانياً أن يبقي لنفسه من نفسه ممّا لابدّ لها منه مقدار مايكون فيه صلاحها، كي لا تكلّ وتحسر عن القيام بما هو لله، ولا(١) تأشر وتبطر فتشتغل بغير ما هو لله، فيكون اشتغالها به في الحقيقة عائداً إلىٰ الأمر الأوّل وفي ذلك صلاحها، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

ويؤيّد هذا المعنىٰ الأخير مافي نسخة أخرىٰ: «وأبق لنفسك من نفسي»؛ إذ كان مايصلح النفس على هذا الوجه عائداً إليه سبحانه.

والفاء من قوله: «فإنّ نفسي»: للسببيّة، بمعنىٰ اللام.

---

(١) (ج): لله تعالى وأن لا.

اللّهُمّ أنْتَ عُدَّتي إنْ حَزِنْتُ، وَأنْتَ مُنْتَجَعي إنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغاثَتي إنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمّا فاتَ خَلَفٌ، ولِما فَسَدَ صَلاحٌ، وَفيما أنكَرْتَ تَغْييرٌ فامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ البَلاءِ بِالعافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بالجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلالِ بِالرَّشادِ، وَاكْفِني مَؤُنَةَ مَعَرَّةِ العِبادِ، وَهَبْ لي أمْنَ يَوْمِ المَعادِ، وَامْنِحْني حُسْنَ الإرْشادِ.

وهالكة: أي غير ناجية.

قيل: الهلاك في الأصل: انتهاء الشيء إلى الفساد.

وقال أمين الإسلام أبو علي الطبرسي: أصل الهلاك: الضياع، وهو مصير الشيء بحيث لايدري أين هو؛ ولهذا يقال للكافر: هالك وللميّت هالك وللمعذّب هالك (١).

وفي القاموس: الهالكة: النفس الشرهة(٢)، أي: الشديدة الحرص.

وإرادة هذا المعنىٰ هنا صحيح.

وأو: بمعنىٰ إلّا الاستثنائيّة، و«أنّ» مضمرة بعدها، وهي الناصبة للفعل.

والمعنىٰ: إلّا أن تعصمها، أي: تقيها وتحفظها فلا تكون هالكة.

وأن والفعل مؤوّل بمصدر معطوف على مصدر متصيّد من اسم الفاعل المتقدّم، أي: ليكونن هلاك لنفسي أو عصمة منك لها، والله أعلم *.

العدة بالضمّ: ما أعددته وهيأته لحوادث الدهر من المال والسلاح.

وحزن حزناً من باب تعب، والاسم الحزن بالضمّ فهو حزين. ويتعدّىٰ في لغة قريش بالحركة، يقال: حزنني الأمر يحزنني -من باب قتل- وفي لغة تميم بالألف، فيقال: أحزنني الأمر.

ومنع أبو زيد استعمال الماضي من الثلاثي متعدّياً، فقال: لايقال: حزنه، وإنّما

---

(١) مجمع البيان: ج ٢-١ ص ٢٨٨. (٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٢٥.

....

يستعمل المضارع من الثلاثي، فيقال: يحزنه (١).

والحزن: كيفيّة نفسانيّة تحصل لوقوع مكروه أوفوات محبوب في الماضي.

وإن: حرف شرط استغني عن جوابه بحذفه؛ لدلالة ما تقدّم من الكلام عليه، والتقدير: إن حزنت فأنت عدّتي، فحذف الجواب وجوباً لما ذكر.

والمنتجع بفتح الجيم: اسم مفعول من انتجعت فلاناً: إذا طلبت معروفه، وأصل الانتجاع: طلب الكلاء في موضعه.

وحرمت زيداً المعروف -من باب ضرب- يتعدّىٰ إلى مفعولين حرماناً بالكسر فهو محروم أي: منعته إيّاه.

واستغاث به: طلب أن يغيثه أي: يعينه وينصره، فهو مغيث له.

وكرثه الغمّ بالثاء المثلّثة -من باب قتل-: اشتدّ عليه وأقلقه وبلغ منه المشقّة، ويعدّىٰ بالهمزة أيضاً فيقال: أكرثه.

وتقديم الظرف للتخصيص، أي: بك استغاثتي لابغيرك ، وقس عليه مابعده.

وفات الأمر يفوت: ذهب.

والخلف بفتحتين: اسم من أخلف الله عليه بالألف، أي: ردّ عليه ماذهب، فهو بمعنىٰ العوض.

قال الزمخشري في الأساس: اخلف الله عليك: عوّضك ممّا ذهب منك خلفاً(٢)، انتهىٰ.

وفي الحديث: اللّهم اعط كلّ منفق خلفاً (٣).

قال الكرماني: هو بفتح اللام أي: عوضاً عاجلاً مالاً أو دفع سوء، أو آجلاً

---

(١) المصباح المنير: ص١٨٣.

(٢) أساس البلاغة: ص١٧٣.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٦٦، صحيح البخاري: ج٧ ص٢٠٤.

....

ثواباً فكم من منفق قلما يقع له الخلف المالي (١)، إنتهى.

وفسد الشيء -من باب قعد-: خرج عن كونه منتفعاً به. ومقابله الصلاح، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة.

وأنكرت عليه فعله إنكاراً: عبته(٢) وهجنته.

وغيّرت الشيء تغييراً: أزلته عمّا كان عليه فتغيّر، يعني أنّك قادر على تغيير مالا ترتضيه بما ترتضيه، وفي أمثالهم: من أنكر غيّر (٣).

ومنّ عليه بالعتق منّاً -من باب قتل- وامتنّ عليه به أيضاً: أنعم عليه به.

والفاء: فصيحة، أي: إذا كنت بهذه الصفات فأنعم عليّ قبل حصول البلاء بالعافية.

والمراد بالبلاء هنا: الإصابة بالمكروه.

والعافية: دفع الله تعالى عن العبد مايكرهه. وكلّ منهما يكون جسمانياً ونفسانياً.

وطلب الشيء -من باب قتل- طلباً محرّكة: حاول حصوله لديه.

والجدة: الغنىٰ، يقال: وجد يجد جدةً: إذا استغنىٰ غنىً لافقر بعده.

والضلال: فقدان ما يوصل إلىٰ المطلوب.

وقيل: سلوك طريق لايوصل إلى المطلوب.

والرشاد: اسم من رشد يرشد رشداً -من باب تعب- ورشد يرشد -من باب قتل-: إذا اهتدىٰ وعرف الصواب.

والمؤونة قيل: من مان يمونه: إذا قام بكفاية أمره، وأصلها موونة بواوين علىٰ فعولة، قلبت الواو الأُولىٰ همزة؛ لأنّ الواو المضمومة المتوسّطة تقلب همزة، نحو: أدؤر

---

(١) لم نعثر عليه في شرح الكرماني. (٢) (ج) عيبته. (٣) لم نعثر عليه.

....

في جمع دار.

وقيل: الهمزة أصليّة، فهو فعولة بمعنى الثقل من مأنت القوم: إذا احتملت(١) مؤونتهم.

وقيل: بمعنى العدّة من قولهم: أتاني هذا لأمر ومامأنت له مأناً بالهمزة: إذا لم يستعدّ له.

وقيل: من الأون: بمعنى الثقل لكون المؤونة مستلزمة للثقل، والأصل مأونة، نقلت حركة الواو إلى الهمزة وصارت مؤونة، ووزنها على هذا مفعلة.

وقيل: هي من الاون بمعنى العدل وأحد جانبي الخرج لأنّه يثقل على الإنسان.

وقال الفراء: هي من الأين وهو التعب والشدّة(٢).

والأصل مأينة، نقلت حركة الياء إلى الهمزة فصارت مَؤُيْنة، ثمّ قلبت الياء واواً؛ لسكونها وانضمام ماقبلها، فصارت مؤونة، ووزنها على هذا مفعلة، واستبعد بكثرة التغيير فيه، وقد تستعمل بدون همزة فيقال: مؤونة كسورة.

والمعرّة: مفعلة من عرّفلان فلاناً: إذا شانه وألحق به عيباً.

وتطلق على الأمر القبيح المكروه وعلى الفساد والمشقّة، وإضافتها إلى العباد من باب الإضافة إلى الفاعل.

والمعنى: ادفع عنّي مؤونة مايلحقني من العباد، من العيب والمكروه والمشقّة والفساد.

والمعاد: إمّا مصدر أو ظرف، كما تقدّم.

ومنحه يمنحه منحاً ـ من بابي نفع وضرب ـ: أعطاه.

وحسن الإرشاد: حسن الهداية، والدلالة على الصواب. وفي نسخة: «حسن

---

(١) (ج): حملت.

(٢) لسان العرب: ج١٣ ص٣٩٦.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأدْرَأ عَنّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُني بِنِعْمَتِكَ، وَأصْلِحْني بِكَرَمِكَ، وَداوِني بِصُنْعِكَ، وَأظِلَّني في ذَراكَ، وَجَلِّلْني رِضاكَ، ووَفِّقْني إذا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأُمورُ لأَهْداها، وَإذا تَشابَهَتِ الأعمالُ لأزْكاها، وَإذا تَناقَضَتِ المِلَلُ لِأَرْضاها.

الارتياد» اي: الطلب.

يقال: ارتاد الرجل الشيءارتياداً أي: طلبه. وحسن الطلب من مهمّات الأُمور؛ لأنّه أنجح للمطلب وآكد في قضاء الإرب(١)، والله أعلم *.

درأ الشيئ دراً -من باب نفع- دفعه، وحذف المفعول للتعميم مع الإختصار، أي: ادرأ عنّي كلّ سوء، وهذا التعميم وإن أمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنّه يفوت الاختصار. وإنّما لم يجعله من قبيل ما نزلّ منزلة اللازم؛ لأنّ التأمّل الذوقي يشهد أنّ القصد في هذا المقام إلى المفعول؛ فإنّ الحمل علىٰ أمثال هذه المعاني ممّا يتعلّق بقصد المتكلّم ومناسبة المقام؛ ولذا جعل صاحب المفتاح «فلان يعطي» محتملاً للتنزيل منزلة اللازم وللقصد إلىٰ تعميم المفعول (٢).

واللطف: الرفق، والبرّ.

وغذوت الصبي باللبن فاغتذىٰ أي: ربيّته به، وغذّيته بالتثقيل مبالغة، والغذاء: ما يُغتذىٰ به من الطعام والشراب وهو ما به نماء الجسم وقوامه.

والنعمة: ما قصد به الإحسان والنفع، واستعمال الغذاء فيها استعارة تبعيّة، أوهي استعارة مكنيّة تخييليّة،او تمثيليّة، على ما تقدّم بيانه.

والإصلاح: إعادة ما فسد إلىٰ الصلاح.

والكرم: إفادة ماينبغي لالغرض.

وداويته مداواةً عالجته بالدواء، وهو مايتداوىٰ به لدفع المرض. وحذف متعلّق

---

(١) (ج): الأدب.

....

المداواة للتعميم، أي: داوني من كلّ داء جسماني ونفساني.

والصنع بالضمّ والصنيعة: ما اصطنع من خير وإحسان.

يقال: ما احسن صنع الله عندك .

وأظلّه: ستره عن الشمس، وألقىٰ عليه ظلّه.

والذرىٰ بالفتح: كلّ ما استترت به.

يقال: أنا في ظلّ فلان وفي ذراه، أي: في كنفه وستره، حكاه الجوهري عن الأصمعي(١).

وقال الفارابي في ديوان الأدب: الذرىٰ الظلّ، يقال: كنّا في ذراه أي: في كنفه(٢).

والمعنىٰ: استرني في سترك وكنفك .

وجلّلني رضاك أي: ألبسني إيّاه وغطّني به.

قال ابن فارس في متخيّر الألفاظ: جلّل الأرض المطر بالتثقيل: عمّها وطبقها فلم يدع شيئاً إلّا غطّى عليه، ومنه يقال: جلّلت الشيء: إذا غطّيته(٣).

واشتكلت الأُمور: التبست. وفي نسخة: «أشكلت» وهو المسموع.

وأهدىٰ الأُمور: أقربها إلى الصواب، أو أعظمها دلالة علىٰ الحقّ.

وتشابهت الأشياء واشتبهت أشبه كلّ منها الآخر فالتبست.

وأزكاها: أطهرها، أو أكثرها نفعاً وزيادةً في الثواب.

وتناقض الكلامان: تدافعا، كأنّ كلّ واحد نقض الآخر أي: أبطله، وفي كلامه تناقض: إذا كان بعضه يقتضي إبطال بعض.

والملل: جمع ملّة وهي المذهب.

---

(١) الصحاح: ج٦ ص٢٣٤٥. (٢) ديوان الأدب ج٣ ص٣٣. (٣) متخيّر الألفاظ ص٢٠٨.

اللّهُـمَّ صَلِّ عَلـىٰ مُـحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَتَوِّجْني بِالـكِـفايَةِ، وَسُمْني حُسْنَ الوِلايَةِ، وَهَـبْ لي صِـدق الهِـدايَةِ، وَلا تَفْـتِنّي بِالسَّـعَةِ، وَامْنِحْني حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلا تَجْعَل عَـيْشـي كَدّاً كَدّاً، وَلا تَرُدَّ دُعائي عَلَـيَّ رَدّاً، فَـإنّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِداً، وَلا أدعومَعَكَ نِدّاً.

وأرضاها أي: أعظمها إرضاءً لك ،أوأعظم ماترضاه منها.

فإن قلت: أفعـل التفضيـل إنّما يصحّ في شيئين يشتركـان في معنىٰ ثمّ يـكون للمفضّل فضل علىٰ الآخر فيه، وكيف يتصوّر في غير هذه الملّة رضا الله تعالىٰ حتّىٰ يستقيم هذا التـفضيل؟ قلت: لاشـيءَ من الملل إلّا وفيـه نوع مما يرضي الله تـعالى أو يـرضاه الله تعالى، كالاعتـراف بالله سبحانه ومكـارم العادات وقوانين السياسات، إلّا أنّ بعض الخلـل أبطل الكلّ فـالكلّ ينهدم بانهْدام الجزء، فصحّ التفضيل، والله أعلم *.

توّجه: ألبسه الـتاج، وهو مايصاغ لـلملوك من الذهب والجوهر(١) فتضعه علىٰ رؤوسها.

والكفـاية: الاسـتغنـاء، من كفى الشيء يكفي كفايةً: إذا حصل به الإستغـناء عن غيره.

شبّه الـكفايـة في نـفسه بالـتاج في الإجلال والـتوقير والعظمـة، ودلّ على ذلك بالتتويج، فتكون استعارة بالـكناية، وإثبات التتويج تخييل، ولـك جعلها من باب الاستعارة التبعيّة أو التمثيليّة، كما بينّاه فيما سبق.

وسامه الأمر يسومـه أولاه إيّاه.

قال الجوهري: سمته خسفاً: أوليته إيّاه(٢)، وسمته الأمر أيضاً: أردته منه.

قـال الزمخشـري: في الأساس: سمت المراة المعانقة: أردتها منها وعرضتها عليها(٣).

---

(١) (ج): والفضّة. (٢) الصحاح: ج ٥ ص ١٩٥٦. (٣) أساس البلاغة: ص ٣١٥.

....

أي: أولني حسن الولاية، أو أردها منّي.

والولاية بالفتح والكسر: مصدر وليت الشيءإذا قمت به.

وقال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر، والولاية بالكسر الاسم مثل الإمارة والنقابة؛ لأنّه اسم لما توليّته وقمت به، فإذا أرادوا المصدر فتحوا(١).

والمراد بحسن الولاية: حسن القيام بما يتولاّه ويقوم به من الأُمور.

والولاية بالفتح والكسر أيضاً: النصرة. وإرادة هذا المعنىٰ محتمل هنا، أي: أولني حسن نصرتك لي.

والصدق في اللغة: مطابقة الحكم للواقع، وقد يراد به مطلق الجودة، وهو المراد هنا؛ وذلك لمّا كان الصدق في الحديث مستحسناً جيّداً(٢) صاروا يستعملونه في مطلق الجودة، حتّىٰ قالوا: خلّ صادق الحموضة، وعنب صادق الحلاوة.

والصدق في اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحقّ في مواطن الهلاك.

وقيل: هوأن تصدق في موضع لاينجيك منه إلّا الكذب.

وقيل: الصدق أن لايكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في اعمالك عيب. وإرادة هذا المعنىٰ هنا حسنة.

والمراد بالهداية: إمّا اهتداؤه، أو هداية الله تعالىٰ له، أو هدايته هو لغيره، فيكون المراد بصدقها علىٰ المعنىٰ الأوّل الثبات عليها والرسوخ فيها، وعلىٰ المعنيين الآخرين الإيصال إلى المطلوب؛ إذ كان الصحيح أنّها عبارة عن الدلالة على ما من شأنه الإيصال إلى البغية من غير أن يشترط في مدلولها الوصول؛ ولذلك كانت الدلالات التكوينيّة المنصوبة في الآفاق والأنفس، والبيّنات التشريعيّة الواردة في الكتب السماويّة على الإطلاق، بالنسبة إلىٰ البريّة كافّة برّها وفاجرها،

(١) لسان العرب: ج ١٥ ص ٤٠٧. (٢) (ج): جدّاً.

....

هدايات حقيقيّة فائضة من عندالله جلّ جلاله.

ويحتمل أن يراد بصدق الهداية هنا الهداية الخاصّة، وهي كشف الأسرار على قلب المهدي بالوحي أو الإلهام، وهي مرتبة صاحب الدعاء ومن هو في رتبته.

ولا تفتنّي بالسعة أي: لا تضلّني بالغنى، وقد تقدّم أنّ الفتنة هي الضلال عن الحقّ بمحبّة أمرٍ ما من الأُمور الباطلة، والاشتغال به عمّا هو الواجب من سلوك سبيل الله تعالىٰ.

والمنح: العطاء، منحه من بابي نفع وضرب.

والرواية في الدعاء وردت بالوجهين.

والدعة: الراحة وخفض العيش، والهاء عوض من الواو، تقول منه: ودع الرجل -من باب حسن- فهو وادع أي: مستريح لا كلفة عليه، ورجل متّدع أي: صاحب دعة وراحة.

والعيش: الحياة، وما يعاش به.

والكدّ: الشدّة والتعب في الكسب، كدّ في عمله كدّاً: إذا جهد وتعب، وكرّر الكدّ لدلالة التكرير على التتابع والتكثير، أي: كدّاً متتابعاً، كقوله تعالى: «كلاّ إذا دُكّت الأرضُ دَكّاً دكّاً»(١) أي: مرّة بعد أُخرىٰ، وليس الثاني: تأكيداً للأوّل فيها كما توهّمه كثير من الناس.

قال ابن هشام في شرح القطر: ليس من توكيد الاسم قوله تعالى: «كلاّ إذا دكّت الأرض دكّاً دكّاً وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً»، خلافاً لكثير من النحويّين؛ لأنّه جاء في التفسير أنّ معنىٰ دكّاً دكّاً: دكّاً بعد دكّ، وأنّ الدكّ كرّر عليها حتّىٰ صارت هباءً منثوراً، وأن معنىٰ «صفّاً صفّاً» أنّه تنزل ملائكة كلّ

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢١.

....

سماء فيصطفّون صفّاً بعد صفّ محدقين بالجنّ والإنس، وعلى هذا فليس الثاني منهما توكيداً للأوّل بل المراد التكرير، كما تقول علّمته الحساب باباً باباً(١)، إنتهى.

فإن قلت: إذا لم يكن الثاني توكيداً للأوّل فعلام نصب وما العامل فيه؟

قلت: المختار فيه وفي نظائره ان يكون الجزء الثاني معمولاً للعامل الأوّل أيضاً؛ لأنّ مجموع الجزءين هو المعمول في المعنىٰ، إذ معنىٰ «ولا تجعل عيشي كدّاً كدّاً»: لا تجعله متتابع الكدّ، ونظيره في الفاعل: تلقّفها رجل رجل. وفي الخبر: الرمّان حلو حامض، وفي الحال: دخلوا رجلاً رجلاً، وحسبته باباً باباً، وفي المضاف إليه. كلّ فرد فرد، فالمجموع يستحقّ إعراباً واحداً، إلّا أنّه لمّا تعدّد ذلك المستحقّ مع صلاحيّة كلّ واحد للإعراب أُجري عليها إعراب الجميع دفعاً للتحكّم. وقد استوفيت الكلام على هذه المسألة في شرح الصمديّة، ونقلت أقوال العلماء فيها ومايرد علىٰ كلّ منها بما لامزيد عليه، فليرجع إليه.(٢).

وردّ علىٰ زيد قوله: لم يقلبه، فردّ الدعاء هنا بمعنىٰ عدم قبوله. وردّاً: مفعول مطلق مؤكّد لعامله.

والضدّ: النظير والكفو.

وقال أبوعمرو: الضدّ مثل الشيء، والضدّ خلافه (٣).

وفي القاموس: الضدّ بالكسر: المثل، والمخالف ضدّه(٤).

قوله عليه السّلام: «لا أجعل» أي: لا اعتقد، من الجعل بمعنىٰ التصيير الذي يكون بالاعتقاد، ومنه: «وجَعلوا الملائكةَ الذينَ هم عبادُ الرحمٰنِ إناثاً» (٥).

وقوله: «ولا أدعو» أي: لا أعبد واستعمال الدعاء بمعنىٰ العبادة كثير في

---

(١) شرح قطر الندىٰ ص ٢٩٢. (٢) لم نعثر عليه. (٣) لسان العرب: ص ٢٦٣.
(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٠٩. (٥) سورة الزخرف: الآية ١٩.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْني مِنَ السَّرَفِ، وَحصّنْ رِزْقي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتي بِالبَرَكَةِ فيه، وَأَصِبْ بي سَبيلَ الهِدايَةِ لِلْبِرِّ فيما أُنْفِقُ مِنْهُ.

القرآن، ومنه: «قُلْ إنّما أدعو رَبّي ولا أُشركُ به أحداً»(١) وقوله(٢) :«إن يدعونَ من دونهِ إلّا إناثاً»(٣)، أي: لايعبدون. والندّ بالكسر: المثل. قالوا: ولايقال إلا للمثل المخالف المنادّ، من نادوت الرجل: إذا خالفته ونافرته، من ندّ ندوداً: إذا نفر، خصّ بالمماثل بالذات المخالف بالأفعال، كما خصّ المساوي بالمماثل في المقدار.

والظاهر أن المراد بالضدّ هنا: المخالف، وبالندّ: المماثل مطلقاً؛ فإنّ استعمال الضدّ بمعنىٰ المخالف أشهر من استعماله بمعنىٰ الكفو والنظير.

قال الزمخشري: والنيسابوري: معنىٰ قول الموحّد: ليس لله ندّ ولا ضدّ: نفي ما يسدّ مسدّه ونفي ماينافيه(٤)، والله أعلم *.

منعه من الأمر: كفّه عنه.

والسرف محرّكة: اسم من أسرف إسرافاً: إذا جاوز الحدّ في النفقة وغيرها. والمراد به هنا الأوّل، ويرادفه التبذير.

وقد تقدّم الكلام عليه مبسوطاً في الروضة الثامنة عند قوله عليه السّلام: «ونعوذ بك من تناول الإسراف» (٥).

وحصّنه تحصيناً: حماه ومنعه.

والرزق: ما أعطىٰ الله عبده وأمكنه من التصرّف فيه. وتلف تلفاً ـ من باب

(١) سورة الجن: الآية ٢٠ (٢) (ج) تعالى. (٣) سورة النساء: الآية ١١٧.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٩٥، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٦٦.

(٥) ج ٢ ص ٣٨٦.

....

تعب-: هلك وفنى فهو تالف، وأتلف ماله: أفناه، ورجل متلف لما له ومتلاف للمبالغة.

والمراد بتحصين الرزق من التلف: صونه عن الضياع والهلاك ، إمّا بإلهام صاحبه أدب الإنفاق فينفق منه بدون تبذير يأتي عليه، أو: بحفظه من حوادث الدهر كالنهب والسرقة. و وفّرت الشيء توفيراً: كثّرته.

والملكة محرّكة: هي القيام بالمماليك ومايملك من ذات اليد.

قال عليه السّلام: حسن الملكة نماء، وسوء الملكة شؤم.(١)

والمراد بتوفير الملكة توفير متعلّقها أعني مايملك ، وهو الرزق المقدّم ذكره. وإيقاع التوفير عليها مجاز عقلي، نحو قوله تعالى: «ولا تُطيعوا أمرَ المسرفينَ»(٢)، جعل الأمر مطاعاً وإنّما المطاع في الحقيقة هو الآمر ومن لم يهتد لهذا المعنىٰ مع وضوحه جعل الملكة بمعنىٰ الملك ، وهو خطأ صريح.

وفي نسخة: «و وفّر ملكي»، فيكون نسبة التوفير إليه حقيقة. والبركة: الزيادة والنماء.

والضمير من «فيه» راجع إلىٰ الرزق.

وقول بعضهم: إنّه للملكة وتذكيره لأنّها بمعنىٰ الملك ، غلط وجهل،نعم(٣)هو علىٰ رواية «ملكي» عائد إليه.

وأصب بي سبيل الهداية: أي اقصد بي وأُمّ بي طريق الهداية، من الإصابة بمعنىٰ القصد.

والبّر: الخير، والاتّساع في الإحسان.

---

(١) سنن أبي داود: ج ٤ ص ٣٤١ ح ٥١٦١، عوالي اللئالي: ج ١ ص ٢٧٢ ح ٨٨، الجامع الصغير: ج ١ ص ١٤٨. وفي الجميع: وسوء الخلق.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٥١.

(٣) (ج) وهو.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاكْفِني مَؤُنَةَ الاكْتِسابِ، وَارْزُقْني مِنْ غَيْرِ احتِسابٍ، فَلا أشْتَغِلَ عَنْ عِبادَتِكَ بالطَّلَبِ، وَلا أحْتَمِلَ إصْرَ

والإنفاق: صرف المال في الحاجة.

وضمير: «منه» للرزق، أو للملك على الرواية الأُخرىٰ.

واعلم أنّ مدار هذا الفصل من الدعاء على سؤال صيانة المال وتوفيره وإنفاقه في أبواب البرّ، ولمّا كان المال قوام العباد في أمر المعاش والمعاد، ظاهر النفع في باب الحسنات بيّن الجدوىٰ في أسباب الخيرات؛ وعن(١) هذا سمّاه الله خيراً في مواضع من كتابه، سأل عليه السّلام منعه فيه عن(٢) السرف، وصونه عن التلف، وتوفير الملكة بالبركة.

ثمّ لمّا كان الغرض من المال إقامةً أوامر الله تعالىٰ ومرضياته، من أداء الحجّ وإراقة دماء القرابين، والشفقة على ضعفاء المسلمين، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وحمالة الديات، وكفاية المؤونات، إلىٰ غير ذلك من أبواب البرّ، سأل عليه السّلام إصابته به سبيل البرّ فيما ينفق منه. وهذا المعنىٰ حمل سليمان عليه السّلام على أن سأل ربّه جلّ جلاله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، لأنّه سأل ذلك لحبّ المال نفسه وصرفه إلىٰ لذّات النفس وشهواتها، حاشاه من ذلك.

حكىٰ الزمخشري في ربيع الأبرار قال: لمّا وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لاستباحة أهل المدينة، ضمّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام إلىٰ نفسه أربعمائة منافية بحشمهنّ يعولهنّ إلىٰ أن تقوّض جيش مسلم، فقالت أمرأة منهنّ: ما عشت والله بين أبويّ بمثل ذلك التشريف (٣) *.

كفاه الأمر: إذا اقام به.

والمؤونة: الثقل والمشقّة.

---

(١) و(٢) (ج): ومن.

(٣) لم نعثر عليه في الكتاب.

تَبعاتِ المَكْسَبِ، اللّهُمَّ فاطْلِبْني بِقُدْرَتِكَ ما أطْلُبُ، وَأجِرْني بِعِزَّتِكَ مِمّا أرْهَبُ.

وكسب ـ من باب ضرب ـ كسباً واكتسب اكتساباً: طلب المعيشة، وفي الاكتساب مزيد اعتمال ناشئ عن اعتناء النفس بتحصيل الغرض. وسعيها في طلبه.

والاحتساب: إمّا افتعال من حسبه ـ من باب علم ـ حسباناً بالكسر، أي: ظنّه.

أو من حسبه ـ من باب قتل ـ حسباً وحسباناً بالضمّ أي: عدّه، أي: من غير أن يكون لي في ظنّ أو في حساب.

وروي عن الصادق عليه السّلام في قوله تعالى: «ويرزقه من حيث لايحتسب» قال: يبارك له فيما آتاه(١).

وعنه عليه السّلام: أنّ الله عزّوجل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لايحتسبون (٢).

وذلك أنّ العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه.

وفي رواية: من أتاه الله برزق لم يخط إليه برجله، ولم يمدّ إليه يده، ولم يتكلّم فيه بلسانه، ولم يشدّ إليه ثيابه ولم يتعرض له، كان ممّن ذكره الله في كتابه: «وَمَن يَتّقِ اللهَ يَجعل لَه مَخرجاً ويَرزُقه مِن حيث لايَحتسب»(٣).

قال بعضهم: ويحتمل أن يكون الاحتساب في الدعاء بمعنى الحساب، تلميحاً إلى قوله: «إنّ الله يرزق من يشاءُ بغيرِ حساب»(٤)، أي: بغير تقدير لكثرته، أو بغير استحقاق تفضّلاً منه، أو من غير أن يكون لأحد عليه حساب أو مطالبة، أو بغير

---

(١) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص ٣٥٧ ح ٤٦.
(٢) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص ٣٥٤ ح ٣٤.
(٣) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص ٣٥٦ ح ٤٣.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

....

تعب وكدّ، أو بغير حساب عليه في الآخرة.

والفاء من قوله: «فلا أشتغل»: سببيّة، ونصب المضارع بعدها بـ «أن» مضمرة وجوباً، لكونها مسبوقة بالدعاء، كقوله:

ربّ وفّقني فلا أعدلَ عن ... سنن الساعين في خير سنن

وأشتغل: مضارع اشتغلت(١) بالبناء للفاعل.

قال الأزهري: اشتغل بأمره فهو مشتغل بالبناء للفاعل (٢).

قال ابن فارس: ولايكادون يقولون: اشتغل، وهو جائز يعني بالبناء للفاعل(٣).

ومن هنا قال بعضهم: اشتغل بالبناء للمفعول لايجوز بناؤه للفاعل؛ لأنّ الافتعال إن كان مطاوعاً فلازم لاغير، وإن كان غير مطاوع فلابدّ أن يكون فيه معنى التعدّي، نحو: اكتسبت المال، واكتحلت، واختضبت، أي: كحلت عيني، وخضبت يدي، واشتغلت ليس بمطاوع وليس فيه معنى التعدّي.

وأُجيب بأنّه في الأصل مطاوع لفعل هُجِر استعماله في فصيح الكلام، والأصل أشغلته بالألف فاشتغل، مثل أحرقته فاحترق، وفيه معنى التعدّي؛ فإنّك تقول اشتغلت بكذا، والجارّ والمجرور في معنى المفعول.

وقد نصّ الأزهري على استعمال مشتغِل ومشتغَل (٤).

وفي نسخة ابن إدريس: «فلا أُشغل» بالبناء للمفعول مضارع شغلت به، وهي أحسن.

واحتمل الشيء ـ على افتعله ـ بمعنى: حمله.

والإصر بالكسر: الحمل الثقيل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه مكانه.

---

(١) (ج) اشتغل. (٢) و(٣) المصباح المنير: ص ٤٣١. (٤) المصباح المنير: ص ٤٣١.

....

وقيل: هو الثقل والشدّة.

والتبعات: جمع تبعة على وزن كلمة.

قال صاحب المحكم: التبعة والتباعة: ما أتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها، والتبعة والتباعة: مافيه إثم يتبع به(١)، إنتهىٰ.

وإرادة المعنىٰ الثاني هنا أنسب، وأكثر أهل اللغة لم يذكروا للتبعة إلّا المعنىٰ الأوّل.

والمكسب: مصدر ميمي بمعنىٰ الكسب. وفي هذه الفقرة دلالة على عزّة اكتساب المال من الوجه الذي يحلّ ويجمل، وأنّ المكاسب الطيّبة الجميلة قليلة عند الحرّ العادل، ومن هنا كان العالم العاقل في أكثر الأحوال مقلّاً؛ لأنّه لا يأخذ المال إلّا كما يجب وفي الوقت الذي يجب، والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث لايبالي فيما يتناول بارتكاب محظور، واستباحة محجور، وتناول محذور، واستنزال الناس عمّا في أيديهم بالمكر، ومساعدتهم علىٰ ارتكاب الشرّ طمعاً في نفعهم؛ ولهذا ما يوجد الكريم الفاضل والعالم العادل يتّهم جدّه ويشكو بخته، كما قال القائل.

لا تنكري إن كان أعسرفيكم ذوالمجد واستغنى لئيم المحتد
إنّ البزاة رؤوسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد

وقال أبوتمّام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنىٰ فالسيل حرب للمكان العالي(٢)

وقال آخر:

وحكومة الأيّام يسعد جاهل فيها ويشقىٰ العالم النحرير(٣)

قوله السّلام: «فاطلبني بقدرتك ما أطلب» أطلبه إطلاباً: أسعفه بما طلب.

---

(١) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٤٣. (٢) لم نعثر عليه

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص ٥١٨.

....

قال في الفائق: إطلاب الحاجة: إنجازها والإسعاف بها، يقال: طلبته فأطلبني أي: أسعفني، كما يقال: سألته فأسألني أي: أعطاني سؤلي(١).

وأجاره إجارةً: حفظه وأمنه.

ورهب رهباً ـ من باب تعب ـ: خاف، والاسم الرهبة. ومدار هذا الفصل على سؤال إلهامه عليه السّلام الإجمال في الكسب والطلب، وصونه عن تحمّل المشقّة وارتكاب المآثم فيهما.

وروىٰ ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع: ألا إنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لا تموت نفس حتّىٰ تستكمل رزقها، فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله؛ فإنّ الله تبارك وتعالىٰ قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً، فمن اتّقىٰ الله وصبر أتاه الله برزقه من حلّه، ومن هتك حجاب الستر وعجّل فأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال، وحوسب عليه يوم القيامة(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: كم من متعب نفسه مقتّر عليه، ومقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير(٣).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جدّاً.

ولا يتوهّم أنّه عليه السّلام سأل ترك الاكتساب مطلقاً، فإنّ ذلك لا يجوز، فقد تظافرت الأخبار عنهم عليهم السّلام أنّ أحد من لا يستجاب له رجل جلس في بيته وقال: يا ربّ ارزقني، فيقال: ألم آمرك بالطلب(٤).

---

(١) الفائق: ج ٣ ص ٦٩. (٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٠ ح ١. (٣) الكافي: ج ٥ ص ٨١ ح ٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥١١ ح ٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

اللهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحمَّدٍ وآلِهِ، وصُنْ وَجْهي بِاليَسارِ، وَلا تَبْتَذِلْ جاهي بِالإِقْتارِ فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيْ شِرارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطاني، وأُبْتَلي بِذَمِّ مَنْ مَنَعَني، وأَنْتَ مِنْ دونِهِمْ وَلِيُّ الإِعْطاءِ وَالمَنْعِ.

وعن عليّ بن عبدالعزيز قال: قال لي أبوعبدالله عليه السّلام: ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل علىٰ العبادة وترك التجارة، فقال: ويحه أما علم أنّ تارك الطلب لايستجاب له، إنّ قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا نزلت «ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب»، أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وآله، فأرسل إليهم فقال: ماحملكم على ماصنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله، الله تكفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: إنّه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب(١).

والروايات في هذا الباب أكثر من أن تحصىٰ *.

هذا الفصل من الدعاء أورده السيّد الرضي في نهج البلاغة، ونسبه إلى أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، إلّا أن بين الألفاظ اختلافاً يسيراً، وعبارة النهج: ومن دعاء له عليه السّلام: اللّهم صُن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار، فأسترزق طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وأبتلي بحمد من أعطاني، وأفتتن بذمّ من منعني، وأنت من وراء ذلك وليّ الاعطاء والمنع، إنّك على كلّ شيءٌ قدير.

صانه صوناً: حفظه ووقاه، وصان الرجل عرضه عن الدنس فهو صين، وصان الثوب: خلاف ابتذله.

والوجه هنا: بمعنىٰ الجاه، ومنه: كان لعليّ عليه السّلام وجه من الناس حياة فاطمة(٢).

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٤ ح ٥.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٩.

....

قال ابن الأثير: أي: جاه وعزّ فقدهما بعدها (١).

واليسار بالفتح: الغنىٰ والثروة.

وابتذله: امتهنه ولم يصنه.

والجاه: القدر والمنزلة والحرمة.

قيل: هو مقلوب من الوجه.

وقتر على عياله قتراً وقتوراً ـ من بابي ضرب وقعد ـ وأقتر إقتاراً وقتّر تقتيراً أي: ضيّق في النفقة، كلّ ذلك بمعنىً واحد.

والمراد به هنا: ضيق الرزق والفقر.

سأل عليه السّلام صون جاهه وعزّه باليسار، وعدم امتهان قدره وحرمته بالإقتار؛ لاستلزام الغنى احترام صاحبه عند عامّة الناس.

واستلزام الفقر مهانة المبتلىٰ به عندهم. وفي بعض الآثار: أحسنوا تعهّد المال فإنّه ما افتقر أحد قطّ إلّا أصابه ثلاث خلال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب من مروّته، والرابعة هي العظمىٰ وهي استخفاف الناس به.

وفي وصايا لقمان: يابنيّ أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم يكونا أمرّ من الفقر، فإنّ افتقرت فلا تحدّث الناس كيلا ينتقصوك (٢).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: لا تدعوا التجارة فتهونوا(٣).

وكان بعضهم يقول: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، ومن الذنب للمصرّ، ومن الحكم للمقرّ، وهو عندهم أرفع من السماء وأعذب من الماء، وأحلىٰ من الشهد وأزكىٰ من الورد، خطؤه صواب وسيّئته حسنة، وقوله مقبول

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٩.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٢ ح ٨، مع اختلاف يسير في العبارة. (٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٧ ح ٦.

....

وحديثه معسول، يغشى مجلسه ولا تمل صحبته، والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، ومن سحاب تموز، لايسأل عنه إن تخلّف ولا يسلّم عليه إن قدم، إذا غاب شتموه وإن حضر طردوه، وإن غضب ضعّفوه، مصافحته تنقض الوضوء، وقراءته تقطع الصلاة، أثقل من الأمانة، وأبغض من المبرم الملحف.

وكان ينسد لعروة الصعاليك:

ذريني للغنى أسعى فإنّي ... رأيت الناس شرّهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وان أمسى له حسب وخير
ويكرهه النديّ وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
وتلفي ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جمّ ... ولكن للغني ربّ غفور(١)

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قال لابنه محمّد: يا بنيّ إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه؛ فإنّ الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت(٢).

أمره عليه السّلام بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلاثة:

أمّا كونه منقصة للدين؛ فللاشتغال بهمّه وتحصيل مابه قوام البدن عن العبادة.

وأمّا كونه مدهشة للعقل؛ فلأنّه محلّ دهشة العقل وحيرته وضيق الصدر به، وهو ظاهر.

وأمّا كونه داعية للمقت؛ فلمقت الخلق وبغضهم لصاحبه، كما قيل:

الناس أعداء لكلّ مدقع ... صفر اليدين وإخوة للمكثر(٣)

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٢٤١- ٢٤٢ وفيه: «ويقصيه الندي».

(٢) نهج البلاغة: حديث ٣١٩ ص ٥٣١. (٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٢٠٧.

....

قال بعضهم: وربّما يقدح في عدالة الرجل إقلاله.

شهد بعض العدول المقلّين عند قاض بشهادة، فتوقّف في شهادته مع أنّه نسيج وحده في زهادته،فقال له بعضهم: أنّى لك في العدالة رجل مثله؟ قال: هو كذلك إلاّ أنّه رجل فقير والذي شهد به عظيم، فعجبوا من قوله. وفي هذا المعنىٰ قال بعضهم:

فصاحة سحبان وخطّ ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس فليس له قدر بمقدار درهم(١)

وقال بعض الأكابر: المال في هذا الزمان عزّ للمؤمن، وقال: المال سلاح المؤمن، وكان بين يديه دنانير يقلّبها، فقيل له: إنّك لتحبّها، فقال: لولا هذه لتمندل القوم بأعراضنا تمندلاً(٢).

وترك ابن المبارك دنانير وقال: اللّهم انّك تعلم أنّي لم أجمعها إلاّ لأصون بها حسبي وديني(٣).

وقال الحكماء: المال يرفع صاحبه وإن كان وضيع النسب قليل الأدب، وينصره وإن كان جباناً، ويبسط لسانه وإن كان عيّاً، به تظهر المروءة وتتمّ الرئاسة، يصلك إذا قطعك الناس، وينصرك إذا خذلك الأقربون، ولولاه مامدح كريم ولا صين حريم(٤).

وقال الشاعر:

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنىٰ ولم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر(٥)

---

(١) لم نعثر عليه.
(٢) لم نتحققه.
(٣) لا يوجد لدينا، الكتاب.
(٤) لم نتحققه.
(٥) أدب الدين والدنيا: ص١٤٦.

....

وقال جارالله الزمخشري:

لا تلمني إذا وقيت الأواقي فالأواقي لماء وجهي واقي (١)

وكان بعض المعروفين بالحرص إذا صارالدرهم في يده خاطبه وناجاه وحيّاه وفدّاه، وقال: بأبي أنت وأمّي كم من أرض قطعت، وكيس خرقت، وكم من خامل رفعت، ورفيع بمفارقتك إيّاه أخملت، لك عندي ألّا تعرى ولا تضحى ،ثمّ يلقيه في كيسه ويقول: اسكن على بركة اسم الله في مكان لا تزول عنه ولاتزعج(٢).

واعلم أنّ الغنىٰ المطلوب في الدعاء له عليه السّلام هو مادفع ضرورة الحاجة بحسب الاقتصاد والقناعة، وقام بأوامرالله تعالىٰ ومراضيه، من الحجّ والصدقات وصلة الرحم وما أشبه ذلك ، وهذا هوالغنىٰ المحمود الممدوح بقوله صلّىٰ الله عليه وآله: نعم المال الصالح للعبد الصالح(٣).

لا المفهوم المتعارف بين أرباب الدنيا من جمع المال وإدّخاره والا تّساع به فوق الحاجة؛ فإنّ على هذا الوجه مذموم، بل هو وبال على صاحبه.

قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: من آتاه الله منكم مالاً فليحسن فيه الضيافة، وليصل به القرابة، وليصبر فيه علىٰ النائبة، وليفك منه العاني والأسير، وليعطه ابن السبيل والفقير فتلك تمام المروّة وشرف الدنيا والآخرة(٤).

ثمّ الجاه أيضاً له اعتباران، فما أُريد لله والاستعانة به على أداء حقوق الله

(١) المستطرف: ج ٢ ص ٤٧.

(٢) لم نعثرعليه.

(٣) بحارالأنوار: ج ٧٣ ص ٦٢ و٧٢ ص ٦٠.

(٤) نهج البلاغة: خطبة ١٤٢ ص ١٩٨، مع اختلاف يسير في العبارة.

....

وطاعته، فهو الجاه المحمود الذي سأل الله حفظه عليه باليسار وعدم الإقتار، وهو الذي امتنّ الله سبحانه على الأنبياء، كقوله: «يا مريمُ إنّ الله يبشّركِ بكلمةٍ منه اسمُه المسيحُ عيسى بن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة»(١).

وما أُريد به الفخر والترؤس في الدنيا فهو المذموم.

وفي الحديث النبوي: إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقف بين يديه، فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله(٢).

قوله عليه السلام: «فأسترزق أهل رزقك». الفاء: للسببيّة، أي: فبسبب ابتذال جاهي بالإقتارأسترزق أهل رزقك، الذين من شأنهم أن يكونوا مرزوقين لا أن يُطلب منهم الرزق، وأستعطي شرار خلقك الذين ليسوا بأهل الاستعطاء،وظاهر أنّ الحاجة قد تدعو الى ذلك. والفعلان منصوبان، أمّا الأول فبأنّ مضمرة بعد فاء السببيّة وجوباً، لوقوعه جواباً للدعاء، وأمّا الثاني فبالعطف على الأوّل.

وفي بيانه عليه السلام لهذا السبب تاكيد للالتجاء بالله تعالى في إعادته من الفقر وصيانته عنه؛ إذ كان في استرزاق الخلق من الذلّ والخضوع للمطلوب منه، ومهانة النفس واشتغالها عن التوجّه إلى المعبود، مايجب أن يستعاذ بالله منه، ويضرع إليه في الوقاية عنه، وفي استعطاء الأشرار مايستلذّ معه ذوالمروّة طعم العلقم، ويستحلي مذاق الصبر وسمّ(٣) الأرقم.

وقد تواترت الروايات والآثار، وتطابقت الأخبار والأشعار، على ذمّ السؤال وكراهيّة بذل الوجه في الطلب إلى الناس، خصوصاً ممّن لم يكن معروفاً بالمعروف.

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ شيئاً لنفسه وأبغضه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٢) الجامع الصغير: ج ١ ص ٣٤، وفيه: «من عبيده فيقف». (٣) (ج): مسمّ.

....

لخلقه، أبغض لخلقه المسألة، وأحبّ لنفسه أن يُسأل، وليس شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من أن يُسأل، فلايستحي أحدكم أن يسأل الله من فضله ولو شسع نعله(١).

وروي عنه عليه السلام: إيّاكم وسؤال الناس؛ فإنّه ذلّ في الدنيا وفقر تعجّلونه، وحساب طويل يوم القيامة(٢).

وعن الحسين بن أبي العلاء قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: رحم الله عبداً عفّ وتعفّف وكفّ عن المسألة؛ فإنّه يتعجّل الدنيّة في الدنيا، ولايغني الناس عنه شيئاً(٣).

وفي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام: لويعلم السائل مافي المسألة ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المعطي مافي العطيّة ماردّ أحد أحداً(٤).

وفي وصيّة أميرالمؤمنين صلوات الله عليه لابنه الحسن عليه السلام: أكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب؛ فإنّك لن تعتاض ممّا تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً، وان استطعت أن لايكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل؛ فإنّك مدرك قسمك وآخذ سهمك، فإنّ اليسير من الله سبحانه أكرم وأعظم من الكثير من خلقه، وإن كان كلٌّ منه، وحفظ ما في يديك أحبّ إليّ من طلب ما في يد غيرك، ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس(٥).

وقال بعض السلف، من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرّق، فإن قضاها المسؤول استعبده بها، وإن ردّه عنها رجع حرّاً، وهما ذليلان،هذابذلّ اللؤم وذاك بذلّ الردّ(٦).

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٠ ح ٤، وفيه: «شسع نعل».

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٠ ح ١.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢١ ح ٦.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٠ ح ٢.

(٥) نهج البلاغة: ص ٤٠١ الرسائل ٣١.

(٦) عيون الأخبار: ج ٢ ص ١٣٩.

....

وفي الديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه:

كِد كَدّ العبد إن أحببت أن تصبح حرّاً   واقطع الآمال عن مال بني آدم طرّاً
لا تقل ذامكسب يزري فقصد الناس أزرى   أنت ما استغنيت عن غيرك أعلى الناس قدرا(١)

ومن الشعر المنسوب إلى الحسين عليه السلام:

إغن عن المخلوق بالخالق   تغن عن الكاذب بالصادق
واسترزق الرحمن من فضله   فليس غير الله من رازق(٢)

وانشد ابن الأعرابي:

أباهاني لا تسأل الناس والتمس   بكفيّك فضل الله والله أوسع
فلوسئل الناس التراب لأوشكوا   إذا قيل هاتوا أن يملّوا ويمنعوا(٣)

محمود الورّاق:

شاد الملوك قصورهم وتحصّنوا   من كلّ طالب حاجة أوراغب
فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن   ياذا الضراعة طالباً من طالب(٤)

سلم الخاسر:

إذا أذن الله في حاجة   أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم   ولكن سل الله من فضله(٥)

أحمدبن سيف الأنباري:

لموت الفتى خير من البخل للفتى   وللبخل خير من سؤال بخيل

---

(١) لايوجد لدينا الكتاب

(٢) البداية والنهاية: ج٨ ص٢٠٩.

(٣) عيون الأخبار: ج ٢ المجلّد الثالث ص١٨٨، وفيه: «أبا مالك».

(٤) عيون الأخبار: ج ٢ المجلّد الثالث ص١٨٧ المستطرف: ج ٢ ص٥٨.

(٥) المستطرف: ج ١ ص ١١٤ وج ٢ ص٥٨.

....

لعمرك ما شيء لوجهك قيمة ... فلا تلق إنساناً بوجه ذليل(١)

ولبعضهم:

إذا اظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعاً وريّاً

فكن رجلاً رجله في الثرى ... وهامة همّته في الثريّا

ولا تخضعن إذا ما افتقرت ... ولا تسأل الرزق ما عشت حيّا

فإنّ إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيّا(٢)

وحكي أن أبا تمّام حبيب بن أوس الطائي قصد البصرة منتجعاً، فلمّا وردها سأل عن شاعرها، فذكر له عبد الصمدبن المعذّل، فقال: أنشدوني شيئاً من شعره، فأنشد قوله:

لست تنفكّ طالباً لوصال ... من حبيبٍ أو طالباً لنوال

أيّ ماءٍ لحرّ وجهك يبقى ... بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال(٣)

فحوّل راحلته عنها ولم يدخلها.

وقريب من هذا المعنى قوله بعضهم في أبي الطيّب المتنبيّ:

أي فضلٍ لشاعر يطلب الفضل ... من الناس بكرة وعشيّاً

عاش حيناً يبيع بالكوفة ماءً ... وحيناً يبيع ماء المحيا(٤)

عبدالصمد بن المعذّل:

تكلّفني إذلال نفسي لعزّها ... وهان عليها أن أهون لتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن أكثم ... فقلت سليه ربّ يحيى ابن أكثما(٥)

القاضي عبدالعزيز الجرجاني:

---

(١) المستطرف: ج ٢ ص٥٨. (٢) الكشكول: ص٢٤٢. (٣) أدب الدين والدنيا: ص١٩٣.

(٤) لم نتحققه.

(٥) عيون الأخبار: ج ٢ المجلّد الثالث ص١٨٧.

....

يقولون لي فيك انقباض وإنّما رأوا رجلاً عن مورد الذلّ أحجما
ذا قيل هذا مورد قلت قد أرىٰ ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظما (١)

وأمّا سؤال من ليس أهلاً للمعروف ومن هو باللؤم موصوف، فهو أدهىٰ وأمرّ وأسوأ وأضرّ.

وقد روي أن في زبور داود عليه السّلام: ان كنت تسأل عبادي فاسأل معادن الخير ترجع مغبوطاً مسروراً، ولا تسأل معادن الشرّ ترجع ملوماً محسوراً(٢).

وفي الأثر: أنّ **الله تعالى اوحى إلى موسى عليه السلام:** لئن تدخل يدك في فم التنّين إلى المرفق خير من تبسطها إلى غنّي قد نشأ في الفقر(٣).

ومن كلامهم: لاشيء أوجع للأحرار من الرجوع إلى الأشرار.

وقيل لأعرابي: ماالسقم الذي لايبرأ والجرح الذي لايندمل؟ قال: حاجة الكريم إلى اللئيم (٤).

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها (٥).

وعنه عليه السّلام: ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند من تقطره(٦).

وأوصىٰ بعضهم ابنه فقال: لا تدنسّ عرضك، ولا تبذلنّ وجهك بالطلب إلى من إن ردّك كان ردّه عليك عيباً، وإن قضىٰ حاجتك جعلها عليك منّاً، واحتمل الفقر بالتنزّه عمّا في أيدي الناس، والزم القناعة بما قد قسم لك.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) ربيع الأبرار مخطوط: ص١١٨ باب الطلب.

(٣) المستطرف: ج ٢ ص٥٨، ربيع الأبرار مخطوط: ص ١٢١ باب الطلب.

(٤) المستطرف: ج ٢ ص٥٨.

(٥) نهج البلاغة: ص٤٧٩ الحكم ٦٦. (٦) وسائل الشيعة: ج ٦ ص٣٠٩ ح ١٤.

....

وقال رجل لابنه: إيّاك أن تريق ماء وجهك عند من لاماء في وجهه(١).

رأى الاصمعي كنّاساً يكنس كنيفاً، وهو ينشد:

وأُكرم نفسي إنّني إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحدٍ بعدي

قال: فقلت له، يا هذا إنّك والله لم تترك من الهوان شيئاً إلّا وقد فعلته بنفسك مع هذه الحرفة، فقال: بلىٰ والله انني صنتها عمّا هو أعظم من هذا من الهوان، قلت: وأيّ شئ هو؟ قال: سؤال مثلك، قال: فانصرفت عنه وأنا أخزى الناس.

وفي الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنَّ محمّد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرىٰ أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً افضل منه، حتّىٰ رأيت ابنه محمّدبن عليّ عليهما السّلام، فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأيّ شيءٍ وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيني أبوجعفر محمّد بن عليّ عليه السّلام، وكان رجلاً بادناً ثقيلاً، وهو متّكئ على غلامين أسودين أوموليين، فقلت في نفسي: سبحان الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة علىٰ هذه الحالة في طلب الدنيا، أما لأعظنّه، فدنوت منه فسلّمت عليه، فردّ عليّ ببهر(٢) وهو يتصابّ عرقاً، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة علىٰ هذه الحالة في طلب الدنيا، أرأيت لوجاءك أجلك وانت على هذه ما كنت تصنع؟ فقال: لوجاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عزّوجل، أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنّما كنت أخاف أن لوجاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني(٣).

---

(١) المستطرف: ج ٢ ص٥٨.

(٢) بالباء الموحّدة المضمومة: وهو تتابع النفس يعتري الانسان عند السعي الشديد والعدو.

(٣) الكافي: ج ٥ ص٧٣ ح ١.

....

وممّا جاء نظماً في هذا المعنىٰ قول عمر بن أحمد الباهلي:

ومن يطلب المعروف من غير أهله ... يجد مطلب المعروف غير يسير
إذا أنت لم تجعل لعرضك جنّةً ... من الذمّ سار الذمّ كلّ مسير(١)

وقال آخر:

وإذا بليت ببذل وجهك سائلاً ... فابذله للمتكرّم المفضال
إن الجواد إذا حباك بموعد ... أعطاك سلساً بغير مطال
ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضاً ولو نال المنىٰ بسؤال
وإذا السؤال مع النوال قرنته ... رجح السؤال وخفّ كلّ نوال(٢)

وقال آخر:

قطعي يدي بيدي أخفّ عليّ من ... مدّي إلى نذل لأخذ يديدا
غضب الإله عليّ إنّ أك راضياً ... ليدي بأن تمتاح من يده يداً(٣)

وقال آخر:

واسأل العرف إن سألت جواداً ... لم يزل يعرف الغنا واليسارا
فإذا لم تجد من الذلّ بدّاً ... فالق بالذلّ إن لقيت الكبارا
ليس إجلا لك الكبير بذلّ ... إنّما الذلّ أن تجلّ الصغارا(٤)

أبو شراعة العبسي:

إنّ الغنىٰ عن لئام الناس مكرمة ... وعن كرامهم أدنىٰ إلى الكرم(٥)

(١) انوار الربيع للمؤلف: ج٦ ص٩٥.
(٢) الكافي: ج٤ ص٢٥.
(٣) لم نتحققه.
(٤) بحارالأنوار: ج٩٦ ص١٦٠، المخلاة: ص١١، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.
(٥) لم نعثر عليه.

....

منصور الفقيه:

المـوت اسـهـل عـنـدي بين الـقـنـا والأسـنّـة
والخـيـل تجـري سـراعـاً مـقطّـعـات الأعـنّـة
مـن أن يـكـون لـنـذل عـلـيّ فضـل ومـنّـة (١)

قوله عليه السّلام: «فأفتتنَ بحمد من أعطاني» الفاء: عاطفة سببيّة مفيدة للتعقيب.

والافتتان هنا: بمعنىٰ الميل، من قولهم فتن المال الناس - من باب ضرب - فتوناً فافتتنوا أي: استماهم فمالوا.

والابتلاء: الإصابة بالمكروه، يروي ابتلاء بالبناء للمفعول، وأبتلي بالبناء للفاعل، فالأوّل من ابتلاه ابتلاءً، والثاني مطاوع بلاه فابتلىٰ هو، وفي بيان هذا السبب تأكيد آخر للإعاذة من الفقر الموجب لاسترزاق الخلق واستعطاء شرارهم؛ إذ كان ذلك مستلزماً للصرف عن الله تعالىٰ والتوجّه إلىٰ قبلتهم الحقيقيّة.

والواو من قوله: «وأنتَ»: للحال، أي: لا تبتذل جاهي بالإقتار، فيلحقني بسببه مايلحقني من المكاره المعدودة، والحال أنّك من دون الخلق وليّ الإعطاء والمنع.

ودون هنا: تفيد التجاوز والتخطّي، كما تقول لمن وهبته ملكاً: هذا لك من دون الناس، أي: لايتجاوز منك إلى غيرك.

ومن:ابتدائيّة.

والوليّ: فعيل بمعنى فاعل،من ولي الأمر: إذا قام به، أي: وأنت من دونهم القائم بالإعطاء والمنع.

---

(١) المستطرف: ج ١ ص ٧٠.

اللّهم صَلِ على محمدٍ وآلِهِ، وارزُقني صحّةً في عبادةٍ، وفراغاً في زَهادةٍ، وَعِلماً في استِعمالٍ، وَوَرعاً في إجْمالٍ.

قال ابن أبي الحديد: «ووليّ» المرتفع بأنّه خبر المبتدأ ويكون خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون «وليّ» هوالخبر، ويكون من دونهم جملة مركّبة من الجارّ والمجرور منصوبة الموضع على الحال(١)، إنتهىٰ.

قلت: الظاهر أنّ الوجه الثاني متعيّن؛ لأنّ فائدة الكلام لا تتمّ إلّا به، فتأمّله *.

الصحّة في البدن: حالة طبيعيّة تجري أفعاله معها على المجرىٰ الطبيعي، وقد استعيرت للمعاني، فقيل: صحّت الصلاة: إذا أسقطت القضاء، وصحّ العقد: إذا ترتّب عليه أثره، وصحّ الخبر: إذا طابق الواقع.

والعبادة: أقصىٰ غاية التذلّل والخضوع لله تعالى، ومنه: طريق معبّد اي: مذلّل.

وفي: ظرفيّة مجازيّة، بتشبيه ملابسة الصحّة للعبادة في الاجتماع معها بملابسة الظرف للمظروف، فتكون كلمة «في» استعارة تبعيّة.

ولك أنّ تعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من الصحّة والعبادة ومصاحبة احداهما للأُخرىٰ بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف واصطحابهما، فيكون الكلام استعارة تمثيليّة تركّب كلّ من طرفيها، لكنّه لم يصرّح من الألفاظ التي بإزاء المشبّه إلّا بلفظ «في»، فإنّ مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة، وماعداه تبع له يلاحظ معه في ضمن ألفاظ منويّة، فلا تكون كلمة «في» استعارة، بل هي على معناها الحقيقي.

ولك أن تشبّه العبادة بما يكون محلاً وظرفاً للشيء على طريقة الاستعارة بالكناية، ويكون ذكر كلمة «في» قرينةً وتخييلاً، وقس على ذلك مابعده.

---

(١) لم نعثر عليه.

....

سأل عليه السّلام أن تكون صحّته مستعملة في عبادته تعالى؛ حذراً من صرفها فيما ليس لله فيه رضىً.

في الحديث: صحّة الأبدان والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك (١).

والفراغ: خلاص الإنسان من المهمّات.

والمراد هنا: الفراغ من المهمّات الدنيويّة.

والزهادة: الزهد، وهو في اللغة: ترك الميل إلى الشيء لعدم الرغبة فيه، وفي الاصطلاح: هو بغض الدنيا والإعراض عنها.

وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة. وسيأتي الكلام عليه مبسوطاً في الروضة الثانية والعشرين إن شاء الله تعالى.

ولمّا كان الفراغ من دواعي الفساد وبواعث طموح النفس إلى راحة الدنيا، كما قيل:

إنّ الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أيّ مفسدة

سأل عليه السّلام أن يكون فراغه منوطاً بالزهادة، محاطاً بها أحاطة الظرف بالمظروف، حتّى لايكون شيء منه خارجاً عنها، فلا يشتغل بشيء من شهوات النفس الأمّارة، ولا يلتفت إلى مايصرفه عن قبلته الحقيقيّة.

والمراد بالعلم هنا: ما تعلّق بكيفيّة العمل؛ بدليل قوله: «في استعمال»، فإنّ العلم قسمان:

علم عقلي، كالعلم بذات الله سبحانه وأفعاله وصفاته، وهو مراد لنفسه.

---

(١) ربيع الأبرار مخطوط: ص١١٧ باب الصحّة والسلامة والعافية، وفيه: «صحّة الأبدان والأسماع والأبصار».

....

وعلم عملي، وهو المتعلّق بكيفيّة إعمال الطاعات وتروك المعاصي والسيّئات، وهو مطلوب للعمل به.

فالأوّل علم حرّ مطلق لا تعلّق له بالعمل، بل هو نتيجة العمل وثمرته ويسمّىٰ علم الوصول.

والثاني علم خادم مقيّد متعلّق بالعمل، وهو وسيلة العمل ومبدؤه، ويسمّىٰ علم السلوك .

ولايبعد أن يراد بالعلم المسؤول هنا المتعلّق بمعرفة الله تعالى ومايليق به، ومعرفة مايجب معرفته عقلاً وشرعاً، وهوالذي يجب التديّن به والاعتقاد له والعكوف عليه والمحافظة له، ثمّ العمل بمقتضاه إن كان المقصود منه العمل، فيصير بذلك عالماً ربّانياً، كما قال تعالى: «كُونوا رَبّانيّين»(١).

قال الأزهري: هم أرباب العلم الذين يعملون بما يعلمون، وبهما يتحقق كمال الدين وتمامه (٢).

كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: إنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به(٣).

وسرّ ذلك أنّ الانسان بالعلم يعرف واضع الدين وحدوده ، وأحكامه ولواحقه وشرائطه، ومداخله ومخارجه، ومصالحه ومفاسده، وبالعمل يحقّقه ويقيمه ويوجده، ويضع كلّ واحد من أجزائه في موضعه، ويخرجه من حيّز البطون إلى حيّز الظهور، فلولا العلم بطل العمل، ولولا العمل بطل العلم وصار بلا فائدة؛ ولهذا وردت الأخبار والآثار مستفيضة بالحث على العمل بالعلم،وذمّ العلم بدون العلم(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

(٢) شرح الكافي للمولىٰ محمّد صالح المازندراني: ج ٢ ص ٩، نقلاً عنه.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٠ ح ٤.

(٤) راجع شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٢ ص ٩.

....

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده إلى صاحب الدعاء علي بن الحسين عليه السّلام، أنّه قال: مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم مالا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتمّ؛ فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد به صاحبه إلّا كفراً، ولم يزدد من الله إلّا بعداً(١).

وعن أميرالمؤمنين عليه السّلام: إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون(٢).

وعنه عليه السّلام: من أخذ العلم من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهو حظّه(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب، كما يزلّ المطر عن الصفا(٤).

والورع: الكفّ عمّا لاينبغي، يقال: ورع عن المحارم يرع بكسرتين ورعاً بفتحتين ورعةً كعدة فهو ورع: أي كثيرالورع، و ورّعته عن الأمر توريعاً: كففته فتورّع.

وقد قسّموا ورع الأنفس على أربع درجات:

الأُولى: هي الورع عمّا يوجب التفسيق وسقوط العدالة، وهذه أدناها.

الثانية: ورع الصالحين، وهو التحرّج عمّا تتطرّق إليه شبهة الحرمة، وإن ساغ ذلك في الفتوىٰ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله: دع مايريبك إلى مالا يريبك(٥).

والثالثة: ورع المتّقين، وهو ترك المباح خوفاً من انتهائه إلى المحظور، مثل ترك التحدّث بأحوال الناس حذراً من أن ينجرّ إلى الغيبة.

---

(١) الكافي: ج ١ ص٤٤ ح ٤. (٢) الكافي: ج ١ ص٤٥ ح ٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص٤٦ ح ١، وفيه: «وعمل بعلمه ... فهي حظّه».

(٤) الكافي: ج ١ ص٤٤ ح ٣. (٥) الترمذي: ج ٤ ص٦٦٨.

....

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لايبلغ الرجل درجة المتقين حتّىٰ يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس(١).

الرابعة: ورع الصدّيقين، وهو ترك مالا يراد بتناوله القوّة علىٰ طاعة الله اويلمّ بصاحبه بعض خواطر المعصية.

كما يحكىٰ أن ذاالنون المصري كان محبوساً، فكان تبعث إليه امرأة صالحة بطعام تشتريه بغزلها، فكان يقاسي الجوع ولا يتناوله منه، ويقول: إنّه جاء علىٰ طبق حرام، يريد يد السجّان(٢).

ولم يكن بشر الحافي يشرب من الأنهار الكبار التي تحتفرها السلاطين؛ لأنّها حفرت بغير أجرة أو بأجرة دفعت من مال حرام (٣)

وقوله عليه السلام: «في إجمال» أي: في رفقٍ واقتصاد، من أجمل في الطلب: إذا رفق واقتصد ولم يفرط.

والمراد: ورعاً غير خارج عن الاقتصاد إلى حدّ الإفراط، فيخرج عن حقيقة الورع.

ولهذا قال بعض أهل التحقيق(٤): قد يشتبه الورع بالوسواس، وذلك كمن كان له ثوبان، أحدهما لم تلحقه نجاسة، والآخر لحقته فغسله، فيترك الصلاة في المغسول لأنّه مسّته نجاسة (٥)وكمن قبّل أحدٌ يده فيغسلها، ويقول: إنّ الخروج من(٦) عهدة التكليف يتوقّف على غسلها؛ لأنّ من الجائز أن يكون من مسّها نجساً.

---

(١) نهج الفصاحة: ص٥٢٥، الجامع الصغير: ج٢ ص٢٠٤، سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٤٠٩ ح٤٢/٥، مع اختلاف يسير فيها.

(٢) و(٣) إحياء علوم الدين: ج٢ ص٩٧، المحجّة البيضاء: ج٣ ص٢١٦.

(٤) راجع إحياء علوم الدين: ج٢ ص١١٢- ١١٣.

(٥) لم نعثر عليه. (٦) (ج): عن.

اللّهُمَّ اختِمْ بِعَفْوِكَ أجَلي، وَحَقِّقْ في رَجاءِ رَحْمَتِكَ أمَلي، وَسَهِّلْ إلىٰ بُلوغِ رِضاكَ سُبُلي، وَحسِّنْ في جَميعِ أحوالي عَمَلي.

وظاهر أنّ مثل ذلك من الوسواس، وإن عدّه بعض العامّة من باب الورع.

ورئي رجل بعرفات وبيده زبيبة، وهو ينادي ألا من ضاعت له زبيبة، فقيل له: أمسك فإنّ هذا من الورع الذي يمقت الله عليه(١)، والله أعلم *.

ختم الشيء يختمه ـ من باب ضرب ـ: أتمّه وأنهاه، وختمته به: جعلته خاتمةً له، وخاتمة كلّ شيء: آخره.

والمراد بالأجل هنا: مدّة العمر، ويطلق على وقت انقطاع الحياة كما تقدّم في أوائل الروضة الأولىٰ.

والغرض طلب حسن الخاتمة وسعادة العاقبة؛ لما تقرّر من أنّ كلّ من مات على شيء حكم له به خير وشرّ.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السّلام: أنّ من كتبه الله سعيداً، وإن لم يبق من الدنيا إلّا فواق ناقة، ختم له بالسعادة(٢).

وحققت حذره وأمله ـ من باب قتل ـ وأحققته احقاقاً وحقّقته تحقيقاً: إذا فعلت ما كان يحذره ويأمله.

والرجاء: تعلّق القلب بحصول أمر محبوب في المستقبل قريب الحصول لحصول أكثر أسبابه، والأمل أبعد منه.

ولذلك سأل عليه السّلام تحقيق الأمل الذي هو بعيد بالنسبة إلى الرجاء، وجعل الرجاء هو المأمول؛ وذلك لشدّة الإشفاق والخوف، حتّىٰ كأنّ الرحمة التي تعلّق قلبه بحصولها لم يحصل لديه أكثر أسبابها، فيرجوها بل يأمل رجاءها المستلزم لحصول أكثر أسبابها.

---

(١) لم نتحققه.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٥٤ ح ٣.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ في أوقاتِ الغَفْلَةِ، واسْتَعْمِلْني بِطاعَتِكَ في أيّامِ المُهْلَةِ، وَأَنْهَجْ لي إلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبيلاً سَهْلَةً أُكْمِلْ لي بِها خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

والسهل: خلاف الحزن، وهو ما غلظ من الأرض وصعب سلوكه، وسهل الطريق تسهيلاً: جعله سهلاً.

والسبل بضمّتين: جمع سبيل، وهو الطريق.

وفرّق بينهما: بأنّ السبيل أغلب وقوعاً في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلّا مقترناً بوصف أو إضافة تخلصه لذلك، كقوله تعالى: «يَهدي إلى الحقّ وإلى طريقٍ مستقيم»(١).

والمراد بالسبل: الطاعات والخيرات والأسباب التي يكتسب بها العبد الملكات الفاضلة الموصولة إلىٰ رضاه تعالى، وبتسهيلها: توفيقه للقيام بها من غير مشقّة وعسر، وهي استعارة مرشّحة.

والأحوال: جمع حال، والمراد بها هنا المعنىٰ اللغوي، وهو الوصف حالاً كان أو ملكة، فيعمّ الصحّة والمرض، والسرور والحزن، والحلم والغضب، وغير ذلك من الكيفيّات النفسانيّة راسخة كانت أو زائلةً.

وتحسين العمل: توفيقه لتأدية ماتوجبه المعرفة شرعاً أو عرفاً من الأعمال بأحسن جهاتها وبمقدار تمامها *.

نبه للأمر نبهاً ـ من باب تعب ـ: فطن له، ونبّهته له وعليه تنبيهاً: فطنّته.

والذكر: عبارة عن وجدان المذكور وحضوره في القلب.

وله لبّ هو المقصود، وقشور ثلاثة.

فالأ علىٰ ذكر اللسان، ثمّ ذكر القلب تكلّفا بحيث يحتاج إلى مراقبته حتّىٰ

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.

....

يحضر، ثمّ ذكره طبعاً بأن يتمكّن من القلب، بحيث يحتاج إلى تكلّف في صرفه عنه إلى غيره، ثمّ استيلاء المذكور وانمحاء الذكر والذاكر، بأن يفنى عن نفسه وذكره ولا يلتفت إلى قيامه أيضاً، ذاهباً إلى ربّه أوّلاً، ثمّ ذاهباً فيه بالاستغراق به آخراً؛ لو التفت إلى شيء من ذلك لكان معرضاً عن الله غير منفكّ عن الشرك الخفيّ، وهذه الحالة سمّاها العارفون بالفناء لأنّه «جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ»(١).

والغفلة عن الشيء: عدم حظوره بالبال.

وقيل: متابعة النفس علىٰ ماتشتهيه.

وقيل: إبطال الوقت بالبطالة.

وقد تقدمّ الكلام على كلّ من الذكر والغفلة مبسوطاً في الرياض السابقة(٢).

والمهلة بالضمّ: التأخير والإنظار، يقال: أمهلته إمهالاً ومهلّته تمهيلاً: أنظرته وأخرّت طلبه.

والمراد بأيّام المهملة: مدّة العمر وأيّام حياته في الدنيا.

واعلم أنّه لمّا كان غرض العناية الإلهيّة سوق كلّ ناقص إلى كماله، اقتضت عنايته سبحانه عدم معاجلة العباد بالعقاب والانتقام، والأخذ بالذنوب والمعاصي في هذه الحياة الدنيا، ليراجعوا التوبة ويرجعوا إلى الإنابة، فكأنّه سبحانه أنظرهم ببقائهم في الدنيا وأمهلهم مدّة حياتهم فيها؛ فلذلك عبّر عن مدّة العمر بأيّام المهلة.

ونهجت الطريق أنهجه -من باب منع- وأنهجته إنهاجاً: أوضحته وأبنته.

ومحبّة العبد لله تعالى قيل: هي إرادته لطاعته وامتثال أوامره ونواهيه.

---

(١) سورة الأسراء: الآية ٨١.

(٢) الذكر، ص ٤٥١ والغفلة، ص ١٩.

....

وقال المحقّقون: هي كيفيّة روحانيّة مترتّبة على تصوّر الكمال المطلق الذي فيه علىٰ الاستمرار، ومقتضية للتوجّه التامّ إلى حضرة القدس بلافتور وفرار.

وأمّا محبّته لغيره فكيفيّة تترتّب على تخيل كمال فيه من لذّة أو منفعة أو مشاكلة تخيّلاً مستمرّاً، كمحبّة العاشق لمعشوقه والمنعم عليه لمنعمه والوالد لولده والصديق لصديقه، وقد سلف الكلام على هذا المطلب في الروضة السادسة(١) مبسوطاً، فليرجع إليه.

والسبيل: تؤنّث وتذكّر.

قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنّثون السبيل والطريق والزقاق والسوق، وتميم تذكّر كلّ ذلك(٢)، وقد ورد التنزيل بلغة الحجاز، قال تعالى: «قُل هذه سَبيلي»(٣)؛ ولذلك جاء عليه السّلام بصفتها مؤنّثة وهي قوله «سهلة» بتاء التأنيث.

والكمال: التمام، وإكمال الشيء: إتمامه.

وفرّق بعضهم بينهما فقال: الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل؛ ولهذا كان قوله تعالى: «تِلكَ عَشرةٌ كاملةٌ» أحسن من تامّة؛ فإنّ التامّ من العدد قد علم، وإنّما نفى احتمال نقصٍ في صفاتها.

وقيل ثمّ يشعر بحصول نقص قبله، وكمل لايشعر بذلك.

وقال العسكري: الكمال: اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتمام: اسم للجزء الذي يتمّ به الموصوف؛ ولهذا يقال: القافية تمام البيت ولايقال: كماله، ويقولون: البيت بكماله أي: باجتماعه (٤).

ويؤيّد هذا المعنىٰ الرواية الأُخرىٰ في الدعاء: «واجمع لي بها خير الدنيا

(١) ج ٢، ص ٢٥٤.

(٢) المصباح المنير: ص ٣٤٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٤) الفروق اللغوية: ص ٣٢٤ رقم ١٥٠١.

....

والآخرة» بدل «أكمل لي».

والضمير من «بها» راجع إمّا إلى المحبّة أو السبيل.

واعلم أنّه ليس المراد بخير الدنيا ما يتبادر إلى أكثر الأذهان من المعنىٰ المشهور في العرف العام، وهو كثرة المال والقنيات الدنيوية، بل المراد به: ما كان وسيلة إلى خير الآخرة الذي هو السعادة الأُخروية كما قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وقد سئل عن الخير ما هو: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربّك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل سارع في الخيرات(١).

ولا يقلّ عمل مع التقوىٰ، وكيف يقلّ ما يتقبّل؟(٢).

فتراه عليه السّلام كيف حصر خير الدنيا في أمرين:

أحدهما: الاشتغال بمحو السيئات وإعدامها، وتدارك فارط الذنوب بالتوبة. فتسعد النفس بذلك لاكتساب الحسنات.

الثاني: الاشتغال باكتساب الحسنات والمسارعة في فعل الخيرات: ليفوز بالسعادة الأُخرويّة، ولا واسطة من الخير المكتسب بين هذين الأمرين.

ولمّا كانت محبته تعالى مستلزمة للتوجّه التامّ إلى حضرته المقدّسة من غير فتور ولا كلال، كانت سبباً لكمال خير الدنيا بهذا المعنىٰ، ولكمال خير الآخرة بالطريق الأولىٰ، والله أعلم.

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله عزّوجل: إذا أردت أن أجمع للمسلم خير

---

(١) نهج البلاغة: حكمة ٩٤ ص ٤٨٤. (٢) نهج البلاغة: حكمة ٩٥ ص ٤٨٤.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلىٰ أَحدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِني بِرَحْمَتِكَ عَذابَ النارِ.

الدنيا والآخرة جعلت له قلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وجسداً علىٰ البلاء صابراً، وزوجة مؤمنة تسرّه إذا نظر إليها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله(١) ».

الجارّ والمجرور من كاف التشبيه، وأفعل التفضيل في محلّ نصب على أنّه صفة لموصوف محذوف وهو مصدر منصوب بـ «صلّ»، والتقدير: صلّ على محمّد وآله صلاةً كائنةً كأفضل ماصلّيت فحذف المصدر ونابت صفته منابه، فهي ظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف وجوباً، وهذا هو المشهور في إعراب نحو ذلك.

وذهب سيبويه وابن هشام إلى غير ذلك، قال ابن هشام في شرح القطر: ليس ممّا ينوب عن المصدر صفته، نحو: «فكلا منها رغداً» خلافاً للمعربين، زعموا أنّ الأصل أكلاً رغداً، وأنّه حذف الموصوف ونابت صفته منابه وانتصبت انتصابه (٢).

ومذهب سيبويه أنّ ذلك إنّما هو حال من مصدر الفعل المفهوم منه، والتقدير: فكلا منها حال كون الأكل رغداً، ويدلّ على ذلك أنّهم يقولون: سير عليه طويلاً، فيقيمون الجارّ والمجرور مقام الفاعل، ولا يقولون: «طويل» بالرفع، فدلّ على أنّه حال لامصدر، وإلّا لجاز إقامته مقام الفاعل؛ لأنّ المصدر يقوم مقام الفاعل(٣)، إنتهىٰ.

وعلى هذا، فالجارّ والمجرور في محلّ نصب على الحاليّة، والتقدير: فصلّ على محمّد وآله حال كون الصلاة كأفضل ما صلّيت.

وما: موصول اسمي بمعنى التي، والعائد محذوف، وحذفه مطرّد كثير في باب

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٢٧ ح٢. (٢) شرح قطر الندى: ص٢٢٦. (٣) شرح قطر الندى: ص٢٢٦.

....

الصلة، والتقدير: كأفضل الصلاة التي صلّيتها على أحد من خلقك.

والواو من قوله: «وأنت مصلّ»: عاطفة، والجملة معطوفة على الموصول، وهي صلة لموصول محذوف، أي: وما أنت مصلّ، كقوله تعالى: «آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم»(١) أي: والذي أُنزل إليكم؛ لأنّ الذي أُنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا، وكذلك ما(٢) نحن فيه؛ لأنّ الصلاة التي صلاّها على أحد قبله غير الصلاة التي يصلّيها على أحد بعده، والعائد محذوف من قوله: «مصلّ»، والتقدير: والصلاة التي أنت مصلّيها على أحد بعده.

ويحتمل أن تكون «ما» مصدريّة، فلا تحتاج إلى عائد، والتقدير: كأفضل صلاتك على أحد، وتكون جملة قوله: «وأنت مصلّ» معطوفة على المصدر بتقدير «ما» المصدريّة، أي: وما أنت مصلّ.

وقد جوّز غير سيبويه كون صلة ما المصدريّة جملة اسميّة.

قال الرضي: وهو الحقّ وإن كان قليلاً(٣) كما في نهج البلاغة: بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية(٤).

وقال الشاعر:

أعلاقة أُمَّ الوليد بعدما ... افنان رأسكَ كالثغام المخلس(٥)

وسوّغ حذف ما المصدرية دلالة ماقبلها عليها.

على أنّ أبا الفتح قال به في قوله:

بآية يقدمون الخيل شعثاً ... كأنّ على سنابكها مدار

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) (ج) فيما.

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص٣٨٦.

(٤) نهج البلاغة: ص ٩٠، وفيه: «ثم عمرّ تم في الدنيا». (٥) مغني اللبيب: ص٤٠٩.

....

وأعلم أنّ الغرض من التشبيه في الصلاة هنا أن يختصّ نبيّنا وآله صلوات الله عليهم بأفضل صلاة مماثلة لأفضل الصلوات التي عمّت الخلق، فينطبق الكلام على القاعدة المقرّرة المشهورة من وجوب كون المشبّه به أقوى من المشبّه؛ إذ لا ريب أنّ الصلاة العامّة للكلّ من حيث العموم أقوى من الخاصّة بالبعض.

وهذا أولى وأنسب من قول بعضهم: إنّ التشبيه باعتبار التحقّق والظهور في المشبّه به.

قوله عليه السّلام: «وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» اقتباس من قوله تعالى: **«فمِن الناسِ مَن يقولُ رَبّنا آتِنا في الدُّنيا وماله في الآخرة من خَلاق * ومِنهم مَن يقولُ ربّنا آتِنا في الدُنيا حسنةً وفي الآخِرةِ حسنةً وقِنا عَذابَ النّارِ أولئك لهم نصيبٌ ممّا كسَبوا والله سَريعُ الحساب»** (١).

قيل: المراد بالحسنتين أمّا في الدنيا: فالصحّة، والأمن، والكفاية، والولد الصالح، والزوجة الصالحة، والنصر على الأعداء.

وأمّا في الآخرة: فالفوز بالثواب، والخلاص من العقاب.

وعن النّبي صلّى الله عليه وآله: من أوتي قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وآخرته، فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار(٢).

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء، وعذاب النار أمرأة السوء(٣).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠١ و٢٠٢. (٢) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص٢٩٨.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص٢١٦، أنوارالتنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١١٠، وفيه «المرأة السوء»، روح المعاني: ج ٢ ص ٩١، وفيه «المرأة السوء»، وقريب منه ما ورد في تفسير القرطبي: ج ٢ ص ٤٣٢.

....

وروىٰ ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام في هذه الآية: رضوان الله والجنة في الآخرة، والمعاش وحسن الخلق في الدنيا(١).

وقيل: الحسنة في الدنيا العمل النافع وهو الإيمان والطاعة، وفي الآخرة التنعمّ بذكرالله والأُنس به وبرضوانه(٢).

وعن قتادة: الحسنتان طلب العافية في الدارين(٣).

وقيل: هي في الدنيا فهم كتاب الله، وفي الآخرة الجنّة(٤).

وقيل: الأُولىٰ الجهاد، والثانية ثواب المجاهدين (٥).

وقيل: في الدنيا العلم والعبادة، وفي الآخرة الجنة(٦).

وقال مقاتل: الأُولىٰ الرزق الواسع، والثانية المغفرة والثواب(٧).

وقال عطيّة: الأُولىٰ العلم والعمل، والثانية الثواب والمساهلة في الحساب(٨).

وقيل: الأُولىٰ التوفيق والعصمة، والثانية النجاة والرحمة(٩).

وقيل: الأُولىٰ الولد الصالح، والثانية صحبة الأنبياء عليهم السلام والصالحين(١٠).

وقيل: الأُولىٰ المال والنعمة، والثانية تمام النعمة، وهو النجاة من العذاب والوصول دار الثواب(١١).

وقيل: الأُولى الاخلاص، والثانية الخلاص (١٢).

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧١ ح ٢.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٥ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٥ ص ١٨٩.

(٤) نفس المصدر السابق ، والقائل هوالحسن.

(٥) راجع كتب التفاسير ذيل الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

(٦) الدرّالمنثور: ج ١ ص ٢٣٤، والقائل هو الحسن.

(٧) و(٨) و(٩) و (١٠) راجع كتب التفاسر: ذيل الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

(١١)و(١٢) راجع كتب التفاسير ذيل الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

....

وقيل: الأُولىٰ والثانية كلاهما حسن العاقبة(١).

ومنشأ كثرة الأقوال في ذلك مجيءُ الحسنة منكّرة في حيّز الإثبات، فكلّ من المفسّرين حمل اللفظ على ماراَه أحسن أنواع الحسنة عقلاً أوشرعاً، وبالجملة: فهذه الكلمة جامعة لخيرات الدنيا والآخرة.

قال النظام النيسابوري: ويمكن أن يقال: التنوين للتعظيم، أي: حسنة أيّ حسنة، أو يريد حسنة توافق حال الداعي وحكمة المدعوّ، وفيه من حسن الطلب ورعاية الأدب ماليس في التصريح به؛ فإنّه لايكون إلّا مايشاء هو، أو يريد حسنة ماو إن كانت قليلة؛ فإنّ النظر إلىٰ المنعم لا الإنعام.

قليل منك يكفيني ولكن ... قليلك لايقال له قليل

ولكون دفع الضرر أهمّ من جلب النفع، صرّح بذلك في قوله: «وقنا عذابَ النار»(٢).

وقيل: معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدّية إلىٰ النار،(٣) والله أعلم.

هذا آخر الروضة العشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، وقد وفّق الله لإتمامه مع توزّع البال وتنوّع البلبال، ضحىٰ يوم الجمعة التاسع عشر من صفر، سنة احدىٰ ومائة وألف، ولله الحمد باطناً وظاهراً وأوّلاً وآخراً.

---

(١) راجع كتب التفاسير ذيل الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٢١٦ مع تقديم وتأخير.

(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ١ ص ١١٠.

الروضة الحادية والعشرون

وَكَانَ مِنْ دُعَآئِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اِذَا حَزَنَهُ اَمْرٌ وَاَهَمَّتْهُ الْخَطَايَا

اَللّٰهُمَّ يَا كَافِيَ الْفَرْدِ الضَّعِيفِ وَوَاقِيَ الْاَمْرِ الْمَخُوفِ فَرَدَتْنِي الْخَطَايَا
فَلَا صَاحِبَ مَعِي وَضَعُفْتُ عَنْ غَضَبِكَ فَلَا مُؤَيِّدَ لِي وَاَشْرَفْتُ عَلٰى
خَوْفِ لِقَآئِكَ فَلَا مُسَكِّنَ لِرَوْعَتِي وَمَنْ يُؤْمِنُنِي مِنْكَ وَاَنْتَ اَخَفْتَنِي
وَمَنْ يُسَاعِدُنِي وَاَنْتَ اَفْرَدْتَنِي وَمَنْ يُقَوِّيْنِي وَاَنْتَ اَضْعَفْتَنِي لَا يُجِيرُ
يَا اِلٰهِي اِلَّا رَبٌّ عَلٰى مَرْبُوبٍ وَلَا يُؤْمِنُ اِلَّا غَالِبٌ عَلٰى مَغْلُوبٍ وَلَا يُعِينُ
اِلَّا طَالِبٌ عَلٰى مَطْلُوبٍ وَبِيَدِكَ يَا اِلٰهِي جَمِيعُ ذٰلِكَ السَّبَبِ وَاِلَيْكَ الْمَفَرُّ
وَالْمَهْرَبُ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاَجِرْ هَرَبِي وَاَنْجِحْ مَطْلَبِي اَللّٰهُمَّ
اِنَّكَ اِنْ صَرَفْتَ عَنِّي وَجْهَكَ الْكَرِيمَ اَوْ مَنَعْتَنِي فَضْلَكَ الْجَسِيمَ
اَوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ اَوْ قَطَعْتَ عَنِّي سَبَبَكَ لَمْ اَجِدِ السَّبِيلَ اِلٰى
شَيْءٍ مِنْ اَمَلِي غَيْرَكَ وَلَمْ اَقْدِرْ عَلٰى مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ فَاِنِّي
عَبْدُكَ وَفِي قَبْضَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ لَا اَمْرَ لِي مَعَ اَمْرِكَ مَاضٍ
فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَآؤُكَ وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ سُلْطَانِكَ
وَلَا اَسْتَطِيعُ مُجَاوَزَةَ قُدْرَتِكَ وَلَا اَسْتَمِيلُ هَوَاكَ وَلَا اَبْلُغُ رِضَاكَ
وَلَا اَنَالُ مَا عِنْدَكَ اِلَّا بِطَاعَتِكَ وَبِفَضْلِ رَحْمَتِكَ اِلٰهِي اَصْبَحْتُ

وَاَمْسَيْتُ عَبْدًا دَاخِرًا لَكَ لَا اَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا اِلَّا بِكَ
اَشْهَدُ بِذٰلِكَ عَلٰى نَفْسِي وَاَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتِي وَقِلَّةِ حِيلَتِي فَاَنْجِزْ
لِي مَا وَعَدْتَنِي وَتَمِّمْ لِي مَا آتَيْتَنِي فَاِنِّي عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ
الضَّعِيفُ الضَّرِيرُ الْحَقِيرُ الْمَهِينُ الْفَقِيرُ الْخَائِفُ الْمُسْتَجِيرُ اَللّٰهُمَّ صَلِّ
عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا تَجْعَلْنِي نَاسِيًا لِذِكْرِكَ فِيمَا اَوْلَيْتَنِي وَلَا غَافِلًا
لِاِحْسَانِكَ فِيمَا اَبْلَيْتَنِي وَلَا آيِسًا مِنْ اِجَابَتِكَ لِي وَاِنْ اَبْطَاَتْ
عَنِّي فِي سَرَّاءَ كُنْتُ اَوْ ضَرَّاءَ اَوْ شِدَّةٍ اَوْ رَخَاءٍ اَوْ عَافِيَةٍ اَوْ بَلَاءٍ اَوْ
بُؤْسٍ اَوْ نَعْمَاءَ اَوْ جِدَةٍ اَوْ لَاْوَاءَ اَوْ فَقْرٍ اَوْ غِنًى اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَاجْعَلْ ثَنَائِي عَلَيْكَ وَمَدْحِي اِيَّاكَ وَحَمْدِي لَكَ فِي كُلِّ حَالَاتِي
حَتّٰى لَا اَفْرَحَ بِمَا آتَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا وَلَا اَحْزَنَ عَلٰى مَا مَنَعْتَنِي فِيهَا وَ
اَشْعِرْ قَلْبِي تَقْوَاكَ وَاسْتَعْمِلْ بَدَنِي فِيمَا تَقْبَلُهُ مِنِّي وَاشْغَلْ بِطَاعَتِكَ
نَفْسِي عَنْ كُلِّ مَا يَرِدُ عَلَيَّ حَتّٰى لَا اُحِبَّ شَيْئًا مِنْ سُخْطِكَ وَلَا اَسْخَطَ
شَيْئًا مِنْ رِضَاكَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَفَرِّغْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ
وَاشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ وَانْعَشْهُ بِخَوْفِكَ وَبِالْوَجَلِ مِنْكَ وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ
اِلَيْكَ وَاَمِلْهُ اِلٰى طَاعَتِكَ وَاَجْرِ بِهِ فِي اَحَبِّ السُّبُلِ اِلَيْكَ وَذَلِّلْهُ

بالرغبة فيما عندك ايام حياتي كلها واجعل تقواك من الدنيا زادي
والى رحمتك رحلتي وفي مرضاتك مدخلي واجعل في جنتك
مثواي وهب لي قوة احتمل بها جميع مرضاتك واجعل فراري
اليك ورغبتي فيما عندك والبس قلبي الوحشة من شرار خلقك
وهب لي الانس بك وباوليائك واهل طاعتك ولا تجعل لفاجر
ولا كافر علي منة ولا له عندي يدا ولا بي اليهم حاجة بل اجعل
سكون قلبي وانس نفسي واستغنائي وكفايتي بك وبخيار خلقك
اللهم صل على محمد واله واجعلني لهم قرينا واجعلني لهم
نصيرا وامنن علي بشوق اليك وبالعمل
لك بما تحب وترضى انك على كل
شيء قدير وذلك عليك يسير

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين(١).

الحمدلله غافر الخطايا ووافر العطايا، والصّلاة والسّلام على نبيّه طاهر السجايا وظاهر المزايا، وعلى أهل بيته سادة البرايا وساسة الرعايا.

وبعد فهذه الروضة الحادية والعشرون من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربّه السني عليّ الصدر الحسينيّ الحسنيّ، كفاه الله ما أهمّه وكشف كربه وهمّه.

---

(١) (ج): وبه ثقتي.

شرح الدعاء الواحد والعشرين

وكان من دعائه عليه السلام إذا حزنه أمرٌ وأهمّته الخطايا.

حزنه الأمرُ بالزاي والنون يحزنه ـ ممن باب قتل ـ: أهمّه، هذه لغة قريش، وتميم تعدّيه بالألف فتقول: أحزنه، قاله ثعلب(١) والأزهري(٢)، وعليها رواية «أحزنه» بالألف، ومنع أبو زيد استعمال الماضي من الثلاثي فقال: لايقال: حزنه، وإنّما يستعمل المضارع من الثلاثي فيقال: يحزنه كيقتله(٣).

وفي رواية «حزبه أمر» بالزاي والباء الموحّدة، يقال: حزبه الأمر ـ من باب قتل ـ: إذا أصابه واشتدّ عليه، ومنه: حوازب الخطوب جمع حازب وهو الأمر الشديد.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: حزبه أمر: إذا غشيه وعلاه(٤).

وفي الحديث: كان إذا حزبه أمر صلّى(٥).

قال ابن الأثير: أي: إذا نزل به مهمّ أو أصابه غمّ(٦).

وفي القاموس: حزبه الأمر: نابه واشتدّ عليه أو ضغطه(٧).

---

(١) المصباح المنير: ص١٨٣.
(٢) تهذيب اللغة: ج ٤ ص٣٦٥.
(٣) المصباح المنير: ص١٨٣.
(٤) ديوان الادب: ج ٢ ص٩٨.
(٥) و(٦) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص٣٧٧.
(٧) القاموس المحيط: ج ١ ص٥٤.

....

والاسم الحزابة بالضمّ، والحزب أيضاً كالمصدر.

وأهمّه الأمر بالألف: اقلقه، وهمّه همّاً ـ من باب قتل ـ مثله.

والخطايا: جمع خطيئة على فعيلة مهموزة اللام، اسم من خطئ يخطأ ـ من باب علم ـ: إذا أثم، وأصل الخطايا خطائي على فعائل فلمّا اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياءً؛ لأنّ قبلها كسرة، ثمّ استقلت والجمع ثقيل وهو معتلّ مع ذلك، فقلبت الياء ألفاً، ثمّ قلبت الهمزة الأولى ياءً لخفائها بين الألفين. قاله الجوهري(١).

تنبيه

في دعائه عليه السّلام عند إصابة الشدائد ونزولها إيذان بأنّ الدعاء سبب لصرفها وزوالها، وقد نصّ الله سبحانه على ذلك فقال: «أمّنْ يجيبُ المضطرّ إذا دعاهُ ويكشفُ السوء»،(٢) فوقف إجابة المضطرّ وكشف السوء على الدعاء.

وفي الصحيح عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام: الدعاء يدفع البلاء النازل ومالم ينزل(٣).

وعنه عليه السّلام: إنّ الدعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة، إنّ الدعاء ليردّ البلاء وقد أُبرم إبراماً(٤).

وفي الصحيح أيضاً عن أبي عبدالله عليه السّلام: هل تعرفون طول البلاء من قصره؟ قلنا: لا، قال: إذا أُلهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أنّ البلاء قصير(٥).

---

(١) الصحاح: ج ١ ص ٤٨. (٢) سورة النمل: الآية ٦٢. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٩ ح ٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٩ ح ٤. (٥) الكافي: ج ٢ ص ٤٧١ ب ٦ ح ١.

قال صلوات الله عليه:

اللّهُمَّ يـا كـافـيَ الـفَرْدِ الضَعيفِ، و واقِـي الأمْـرِ المخوفِ، أفْرَدَتْني الـخَطـايا فَـلا صـاحِبَ مـعَـي، وضَـعُفْـتُ عَـنْ غَـضَبِـكَ فـلاَ مُـؤَيِّدَ لي، وَأشْرَفْتُ عَـلىٰ خَوْفِ لِقـائِكَ فَلا مُسكّـنَ لِرُوْعَتي، وَمَـنْ يُؤْمُني مِـنْكَ وأنـتَ أخَـفْـتَني، وَمَـنْ يُساعِـدُني وأَنْـتَ أفْـرَدتني وَمَـنْ يُـقـوّيني وأنـتَ أضْعَفْتَني.

وفي الصحيح أيضاً عن أبي الحسن موسى عليه السّلام: ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عزّوجل الدعاء الاّ كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلاّ كان ذلك البلاء طويلاً، فعليكم بالدعاء والتضرّع إلى الله عزّوجلّ(١).

والأخبار في هذا المعنىٰ أكثر من أنّ تحصىٰ *.

كفىٰ: تكون بمعنىٰ أجزأ وأغنى، وبمعنى وقىٰ، فالأُولىٰ متعدّية لواحد كقوله: قليل منك يكفيني، والثانية متعدّية لاثنين كقوله تعالى: «وكَفَىٰ اللهُ المؤمنين القتالَ» (٢).

فإن جعلت قوله عليه السلام: «يا كافي الفرد الضعيف» من الأُولى، فالمعني: يا مجزئه ومغنيه عن كلّ صاحب ومؤيّد، وإن جعلته من الثانية فمعناه: يا واقي الفرد الضعيف كلّ مهمّ، فحذف المفعول للتعميم مع الاختصار، بقرينة أنّ المقام مقام المبالغة.

والفرد: المنفرد عن الأصحاب والأنصار، فلا صاحب له ولا ناصر. قال تعالى: «وكُلّهم آتِيهِ يوم القيامة فرداً»(٣) أي: وحيداً مفرداً لامال له ولا ولد ولا ناصر.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٧١ ب ٦ ح ٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٥. (٣) سورة مريم: الآية ٩٥.

....

والضعيف: من لاقوّة له، من الضعف بفتح الضاد في لغة تميم(١) وضمّها (٢) في لغة قريش(٣): بمعنى خلاف القوّة، لاخلاف الصحّة.

ووقاه الله السوء: صانه وحفظه منه، وهو متعدٍ لاثنين، ولم يذكر المفعول الأوّل في الدعاء للعلم به، فحذفه وأضاف الصفة الى المفعول الثاني، والتقدير، واقي العباد الأمر المخوف.

ويحتمل أن يكون ضمّن «واقي» معنى دافع، فعدّاه إلى مفعول واحد.

وأفردته إفراداً: صيّرته فرداً.

والفاء: للسببيّة، أي: فبسبب ذلك لاصاحب معي، وقس عليه مابعده.

قال بعضهم: يحتمل أن يكون معناه أنّي صرت بسبب الخطايا منفرداً غير مصاحب لأحد مشتغلاً بالتفكّر في أمرها، أولا صاحب معي مثلي في الخطايا، فلم يحكم لغيره بما حكم على نفسه ليكون صاحباً له، أو أفردتني عن مصاحبتك التي تنبغي.

وقال آخر: معناه أنّه انفرد بسبب الذنوب عن صالحي الأصحاب، فلا صاحب له من الصلحاء الأخيار؛ لأن المطلوب الصاحب الصالح لامطلق الصاحب.

وقيل: الصاحب كناية عن لطفه تعالى وتوفيقه، فكأنّ الخطايا كانت سبباً لعدم اللطف والتوفيق، أوأن الأصحاب قطعوا صحبته وبعدوا عنه وأفردوه بسبب الخطايا.

وفيه: أنّ الصاحب لايقطع صاحبه بسبب الذنب، بل يترفّق به وينصحه ليعود ويتوب، كما يحكى أنّ أخوين في السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل

---

(١)و(٣) المصباح: المنير: ص ٤٩٤. (٢) (ج): وبضمّها.

....

لأخيه الاتقطعه وتهجره؟ فقال: هو أحوج ماكان إليّ في هذا الوقت، وأنا حقيق بأن آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة، وأدعو له بالعود إلى ماكان عليه(١).

وفي الحديث: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل: كيف ينصره ظالماً؟ قال: يمنعه من الظلم(٢).

وقال بعض العارفين(٣): لا تقطع أخاك ولاتهجره عند الذنب بذنبه، فإنّه يركبه اليوم ويتركه غداً(٤).

وهو من الحديث: اتّقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته(٥).

وعلى هذا، فإرادة المعنى المذكور تؤذن بذمّ جميع أصحابه، و لايخفى مافيه.

والظاهر أنّ المراد: أنّ الخطايا جعلته منفرداً بتحمّلها وخوف عقوباتها، لاصاحب له يساعده على حمل أوزارها ولا دفع عقابها، فهو منفرد بهمّ نفسه، لابهمّ غيره ما أهمّه منها.

ونظير ذلك قوله عليه السّلام في الدعاء بعد صلاة الليل: «فاصحرني لغضبك فريداً»(٦)، وليس المراد بنفي الصاحب نفي المتّصف بالصحبة الظاهريّة؛ فإنّه خلاف الظاهر بل خلاف الواقع.

وضعف عن الشيءضعفاً مثل قرب قرباً: عجز عن احتماله فهو ضعيف.

وأيّده تأييداً: قوّاه، من آد يإيد أيداً: إذا قوي واشتدّ، أي: عجزت عن احتمال غضبك فلا مقويّ لي.

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣٣٦.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٤٠٥، وقريب منه ماورد في سنن الترمذي: ج ٤ ص ٥٢٣ ح ٢٢٥٥.

(٣) هو ابراهيم النخعي.

(٤) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣٣٦.

(٥) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣٣٦. والجامع الصغير: ج ١ ص ٩.

(٦) راجع الروضة الثانية والثلاثين.

....

وأشرف على الشيء إشرافاً: اطّلع عليه، وأشرف على الموت: أشفى.

والمراد بلقائه تعالى: المصير والبعث إليه والوقوف بين يديه. وبخوفه: خوف سوئه، أي: خوف سوء لقائك، وقيل: لقاؤه تعالى: ملاقاة حكمه يوم القيامة، وقيل: هو لقاء ثوابه أو عقابه.

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: «مَن كان يَرجو لِقاءَ اللهِ»(١): لقاؤه سبحانه: مثل للوصول إلى العاقبة، من تلقّي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء، مثلت تلك الحالة بحال عبد قدم على سيّده بعد عهد طويل، وقد أطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر، فإمّا أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله، أو بضدّ ذلك لما سخطه منها(٢).

وقيل: يرجو في الآية بمعنى يخاف، وإنّما استعمل الرجاء بمعنى الخوف؛ لأنّ الراجي يخاف أن لا يدرك ما يترجّاه.

وسكّنت الشيء تسكيناً: جعلته ساكناً بعد حركته.

والروع: الفزع والخوف، راعه الشيء روعاً -من باب قال- أفزعه، والروعة: الفزعة، وتسكين الروعة عبارة عن إزالة الخوف، وإيقاع التسكين على الروعة مجاز حكمي، والأصل إيقاعه على نفس المرتاع لاضطرابها من الفزع.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: سكنت نفسي بعد الاضطراب(٣).

فأوقعه على الروعة لتلبّسها بالمرتاع، كما يقال: آمن الله خوفه.

والواو من قوله: «ومن يؤمنني»: استئنافية، وفي قوله: «وأنت أخفتني»: حاليّة.

ومن: للاستفهام الإنكاري، والمعنى فيه على النفي وما بعده مني، أي: لا يؤمنني منك أحد والحال أنّك أنت المخيف لي.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٥. (٢) تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٤٠. (٣) أساس البلاغة: ٣٠٤.

لايُجيرُ يا إلهي إلّا رَبٌّ عَلىٰ مَربُوبٍ، وَلا يؤمِنُ إلّا غالِبٌ عَلىٰ مَغلُوبٍ، وَلايُعينُ إلّا طالِبٌ عَلىٰ مَطْلُوبٍ، وبيَدِكَ يا إلهي جَميعُ ذَلِكَ السَّبَبِ، وإلَيْكَ المفَرُّ والمَهْرَبُ، فَصَلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وأجِرْ هَرَبي، وأنْجِحْ مَطْلَبي.

قيل: إخافته تعالى هو ما تضمّنته آيات الوعيد، كما قال سبحانه: «ذلك يخوّفُ الله بهِ عبادَه يا عبادِ فاتّقونِ»(١)، وهو محتمل، غير أنّ الظاهر أنّ إسناد كلّ من الأخافة والإفراد والإضعاف إليه سبحانه من باب الغناء عن ملاحظة الوسائط ومشاهدة الأفعال، والترقّي عن مقام الصفات إلى ملاحظة الذات؛ ألا تراه أسند أوّلاً إفراده إلى الخطايا لكون ارتكابها سبباً لانفراده، و الإضعاف إلى الغضب، والإخافة إلى سوء اللقاء، فلاحظ الوسائط والأفعال والصفات، ثمّ أعرض عن ذلك وقطع النظر عنه، واستأنف الكلام راقياً إلى الذات فقال: «ومن يؤمنني منك وأنت أخفتني».

ونظير ذلك ماورد في الدعاء النبوي صلّى الله عليه وآله: وأعوذ بك منك(٢).

وفي الكلام العلوي: وفرّوا إلى الله من الله(٣).

وقد تقدّم الكلام منّا على ذلك مبسوطاً، فليرجع إليه(٤) *.

أجرت فلاناً على فلان: إذا أغثته منه ومنعته عنه.

وكلمة «على» تفيد الاستعلاء والقدرة والتسلّط، كأنّه أغاثه ومنعه منه قادراً على كفّه عنه، متسلّطاً عليه في المنع منه.

والمستثنىٰ في الفقرات الثلاث مابعد إلّا والظرف جميعاً؛ فإنّ الحصر في كلّ منها مقصود، أي: لايجير أحدٌ على أحد إلّا ربّ على مربوب، وقس عليه ما بعده.

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٦.

(٢) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٦١ ح ٣٥٦٦.

(٣) نهج البلاغة: خطبة ٢٤ ص ٦٦.

(٤) يراجع الروضة الخامسة، والثانية عشر.

....

وفيه شاهد لمن أجاز استثناء شيئين من شيئين بأداة واحدة بلاعطف مطلقاً، سواء كان المستثنى منها مذكورين أو مقدّرين، ومثله في التنزيل «وما نَراكَ اتّبعكَ إلاّ الّذينَ هُم أراذِلُنا باديَ الرأي»(١)؛ إذ التقدير: وما نراك اتّبعك أحد في حالة إلاّ أراذلنا في بادي الرأي.

وقال المانعون: المستثنى إنّما هو الأوّل، والثاني معمول لمحذوف، والتقدير في الآية: اتّبعوك في بادي الرأي. وعلى هذا فالظرف في الدعاء متعلّق بمحذوف، والتقدير: لايجير إلاّ ربّ يجير على مربوب.

وقال بعضهم: إنّ الظرف يتّسع فيه، فيجوز فيه مالا يجوز في غيره، فجاز تعلّقه بما قبل إلاّ، وإن لم يجز عمل ما قبلها إذا تمّ فيما بعدها في غير الظرف.

وممّا لايكاد يقضى منه العجب قول بعض الشارحين المترجمين هنا: إنّ قوله: «على مربوب» متعلّق بقادر مقدّر ونحوه؛ لأنّ تعدية أجار بـ(على)غيرمذكورفي كتب اللغة، إنتهى.

وكأنّه لم يسمع قوله تعالى: «قُلْ من بيدهِ ملكوتُ كُلِّ شيءٍ وهو يجيرُ ولايجارُ عليه إنّ كنتم تعلمونَ»(٢). نسأل الله الهداية إلى سواء السبيل.

قال بعض أكابر السادة: معنى قوله عليه السّلام: «لايجير يا إلهي إلاّ ربّ على مربوب» أنّه لايمضي ولاينفذ إلاّ إجارة ربّ على مربوب، فإذا أجار ربٌّ أحداً وخفره فلا يكون لمربوب من مربوبيه أن ينقض(٣) عليه خفارته وأمانه.

ومنه الحديث: ويجير عليهم أدناهم(٤)، أي: إذا أجار أدنى رجل من المسلمين كافراً وآمنه، جاز ذلك على جميع المسلمين لاينقص(٥) احد عليه جواره.

---

(١) سورة هود: الآية ٢٧. (٢) سورة المؤمنون: الآية ٨٨. (٣)(ج) ينقص.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٣١٣. (٥)(ج): ينتقص.

....

وقوله عليه السّلام: «ولايؤمن إلّا غالب على مغلوب» أي: لاينفذ إلّا أمان الغالب على المغلوب، فإذا آمن غالب أحداً فلا يكون لأحد من مغلوبيه أن ينقض(١) ويردّ عليه أمانه.

وقوله: «ولايعين إلّا طالب على مطلوب» من أعانه على كذا أي:سلّطه عليه وملخص المعنى: أنّ الطلب سبب التسلّط على المطلوب؛ لأنّ الدعاء من أسبابَ حصول البغية ونيلها، إنتهىٰ كلامه.

قلت: لايخفىٰ من سياق الكلام أنّ هذه الفقرات الثلاث كالتعليل لمتلوّها من الفقرات الثلاث، التي هي قوله عليه السّلام: «ومن يؤمنني منك وأنت أخفتني إلى آخرها ...»، فإنّه لـمّا نفى المؤمّن والمساعد والمقوّي له، حال كونه سبحانه هوالمخيف والمفرد والمضعف له، أراد أن يبيّن وجه ذلك كالمستدل عليه بقوله: «لا يجيريا إلهي الّا ربّ على مربوب»، فهو استئناف تعليلي، فيكون تقدير المعنى: لأنّه لايستطيع أن يمنع من أحد، ويقوى على الإجارة والإغاثة منه، إلّا قادر عليه مالك له كالربّ من المربوب، فإنّه قادر على أنّ يمنع ويغيث منه دون العكس؛ إذ لايستطيع أن يمنع مربوب من ربّ ويغيث منه لعدم قدرته عليه، وكذلك لايستطيع أن يؤمن إلّا غالب من مغلوب لقهره وتسلّطه عليه، ولا يستطيع أن يعين إلّا طالب علىٰ مطلوب لقدرته عليه، فإذا كنت أنت الربّ ومن سواك مربوب، وأنت الغالب ومن سواك مغلوب، وأنت الطالب ومن عداك مطلوب، فمن يجيرني عليك ومن يؤمنني منك ومن يعينني عليك. هذا مايقتضيه سوق العبارة من المعنى.

وماذكره السيّد المشار إليه وإن كان في نفسه معنى صحيحاً لاغبار عليه، لايقتضيه المقام اقتضاءً أوّلياً ولايناسبه مناسبة تامّة.

---

(١) (ج): ينقص.

....

فإن قلت: ما معنى كونه سبحانه طالباً وكون من عداه مطلوباً؟

قلت: يجوز أن يكون طلبه تعالىٰ لمن سواه عبارة عن حكمه برجوعه إليه وحسابه وجزائه على أعماله، فمثّلت تلك الحال بحال الطالب للشيء المريد لحصوله لديه.

ويجوز أن يكون طلبه سبحانه لخلقه تمثيلاً لاقتداره عليهم، وأنّهم في قبضة حكمه متىٰ شاء أخْذهم فَعَل لايفوته منهم فائت ولاينجو منه هارب؛ فإنّ الطالب إذا كان في غاية الاقتدار على المطلوب، والمطلوب تحت قدرته وحكمه، كان مقتدراً عليه في كلّ وقت وعلى كلّ حال، لا يتصوّر أن يعجزه طلباً أويفوته هرباً،فهو كقوله تعالى: «والله مِن وَرائهم مُحيطٌ»(١).

وفي دعاء الصحيفة المروي عن النبي صلّى الله عليه وآله: «وسبحانه من بارّما أطلبه، وسبحانه من طالب ما أدركه»(٢).

وفي دعاء الرهبة وهو الدعاء الخمسون من الصحيفة الكاملة «اللّهم إنّك طالبي إن أناهربت».

وكثيراً مايقرن الطالب في وصفه تعالى بالغالب إشارة إلى هذا المعنى، كما وقع في دعاء الجوشن الكبير:« يا غالب يا طالب»(٣)، وفي دعاء المشلول: «يا طالب يا غالب يا من لايفوته هارب»(٤).

وما وقع في بعض التراجم الفارسيّة: من أنّ معنى قوله عليه السّلام: «ولايعين إلّا طالب على مطلوب»: أنّه لايعين على المطلوب إلّا الطالب له، ولـمّا كانت العبادة مطلوبة لله سبحانه لم يكن المعين عليها غيره، فهو رجم بالغيب وتخيّل فاسد بلا ريب.

---

(١) سورة البروج: الآية ٢٠.

(٢) لم نعثرعليه.

(٣) بحارالأنوار: ج ٩٤ ص ٣٩٤.

(٤) بحارالأنوار: ج ٩٥ ص ٣٩٩.

....

قوله عليه السّلام: «وبيدك جميع ذلك السبب» أي: في قدرتك و تصرّفك.
وذلك: إشارة إلى ما تقدّم ذكره من الإجارة والأمان والإعانة.

والسبب: اسم لما يتوصّل به إلى المقصد، وهو عطف بيان لذلك، ولمّا كان المشار إليه من الأمور المذكورة أسباباً يتوصّل بها إلى النجاة من سخطه تعالى، بيّنه بعطف السبب عليه إيضاحاً له، كقوله تعالى: «ذٰلك الكتابُ»(١) في بعض الوجوه.

وقوله: «وإليك المفرو المهرب» أي: إليك الفرار والهرب، وهما مصدران ميميّان بمعنى، وعطف الثاني على الأوّل من عطف الشيء على مرادفه، نحو: «عوجاً ولا أمتاً»(٢)، وفائدته التأكيد؛ لأنّ ذكر الشيء مرّتين يفيد التأكيد.

قال بعض العارفين: اعلم أنّ فرار العبد إلى الله تعالىٰ على مراتب: فأوّلها: الفرار من بعض آثاره الى بعض، كالفرار من أثر غضبه إلى أثر رحمته، كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرّع إليه: «ربّنا ولا تُحمّلنا مالا طاقةَ لَنا به وأعفُ عنّا واغفِرلَنا وارْحَمنا»(٣) الآية، فكأنّهم لم يروا إلّا الله تعالىٰ وأفعاله، ففرّوا من بعضها إلى بعض.

الثانية: أن يفنى العبد عن مشاهدة(٤) الأفعال، ويترقّى في درجات القرب والمعرفة إلى مصادر الأفعال وهي الصفات، فيفرّ من بعضها إلى بعض، كما ورد عن زين العابدين عليه السّلام: «اللّهم اجعلني أُسوة من قد أنهضته بتجاوزك عن مصارع المجرمين فأصبح طليق عفوك من أسر سخطك»(٥).

والسخط والعفو صفتان، فاستعاذ باحداهما من الأُخرىٰ.

الثالثة: أن يترقّى عن مقام الصفات إلى ملاحظة الذات، فيفرّ منها إليها،

---

(١) سورة البقرة:الآية ٢. (٢) سورة طه: الآية ١٠٧. (٣) سورة البقرة:الآية ٢٨٦.
(٤) (ج) بمشاهدة. (٥) راجع الروضة التاسعة والثلاثين.

....

كقوله تعالى: «لا مَلجأ مِن اللهِ إلاّ إليهِ»(١)، وكالوارد في الدعاء في القيام إلى الصلاة: «منك وبك ولك وإليك»(٢)، أي: منك بدء الوجود وبك قيامه ولك ملكه وإليك رجوعه، ثمّ أكّد ذلك بقوله: «لاملجأ ولامنجى ولامفرّ منك إلاّ إليك».

وقد جمع الرسول صلّى الله عليه وآله هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى: «وأسجد واقترب»(٣)، فقال في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك(٤) فأستعاذ أوّلاً ببعض أفعاله من بعض، ثمّ ترقّى إلى مصادرها فاستعاذ ببعض صفاته من بعض، ثمّ ترقّى إلى ملاحظة الذات فاستعاذ به منه.

فهذه ثلاث مراتب للفرار إلى الله تعالى، والمرتبة الثالثة هي أوّل مقام الوصول إلى ساحل العزّة، ثمّ للسباحة في لجّة الوصول إلى درجات لا تتناهى، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «وأجر هربي» إيقاع الإجارة على الهرب مجاز عقلي؛ فإنّ الإجارة إنّما تكون للهارب لا للهرب، ولكن جعلها للهرب لتلبّسه، به، نحو: آمن خوفي.

وأنجحت مطلبه إنجاحاً: قضيت حاجته.

وفي الأساس: أنجح الله طلبتك فنجحت (٥).

وفي القاموس: النجاح بالفتح والنجح بالضمّ: الظفر بالشيء، نجحت الحاجة كمنع وأنجحت وأنجحها الله، وأنجح زيد: صار ذانجح(٦) *.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٨. (٢) راجع الروضة الثانية والثلاثين.

(٣) سوة العلق: الآية ١٩.

(٤) سنن النسائي: ج٨ ص٢٨٤ باب ٦٣ الاستعاذة برضاء الله.

(٥) أساس البلاغة: ص٦١٩. (٦) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٥١.

اللّهُمَّ إنّكَ إنْ صَرَفْتَ عَنّي وَجْهَكَ الكريمَ، أو مَنعْتَني فَضْلَكَ الجَسيْمَ، أوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ، أوْ قَطَعْتَ عَنّي سَبَبَكَ، لمْ أجِدِ السَبيْلَ إلىٰ شيءٍ مِنْ أمَلي غَيْرِكَ، ولَمْ أقْدِرْ علىٰ ما عِنْدَكَ بِمعونَةِ سِواكَ، فَإنّي عَبْدُكَ وَفي قَبْضَتِكَ، ناصِيَتي بيَدِكَ، لاأمْرَلي مَعَ أمْرِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدلٌ فيَّ قضاؤُكَ، ولاقُوَّةَ لي علىٰ الخُروجِ مِنْ سُلْطانِكَ، وَلا أسْتَطيْعُ مُجاوَزَةَ قُدْرَتِكَ، وَلا أسْتَميْلُ هَواكَ، وَلا أبْلُغُ رِضاكَ، وَلا أنالُ ما عِنْدَكَ إلّا بِطاعَتِكَ، وَبِفَضْلِ رَحْمَتِكَ.

صرفه صرفاً ـمن باب ضربـ: ردّه وقلبه، وصرف الوجه فيمن يجوز عليه ذلك كناية عن الاستهانة والسخط؛ لأنّ مَن أكرم إنساناً ورضي عنه أقبل بوجهه عليه، ومن استهان به وسخط عليه صرف وجهه عنه، ثمّ كثروا شتهر حتّى صار الإقبال عبارة عن الإكرام والإحسان، وصرف الوجه عبارة عن الإستهانة والسخط، وإن لم يكن ثَمّ إقبال ولاصرف، ثمّ جاء فيمن لايجوز عليه ذلك مجرّداً، فجاء الإقبال بمعنى الرضا والإحسان في نحو: وأقبل عليّ بوجهك ذي الجلال والإكرام(١)، وصرف الوجه بمعنى الاستهانة والسخط، كما في عبارة الدعاء، وكلاهما مجاز عمّا وقعاً كناية عنه فيمن يجوز عليه الإقبال والصرف. هكذا حقّقه الزمخشري في نظير هذه العبارة.

وهو تصريح منه بأنّ الكناية يعتبر فيها صلوح إرادة الحقيقة وإن لم ترد، وأنّ الكنايات قد تشتهر حتّى لا تبقىٰ تلك الجهة ملحوظة، وحينئذٍ تلحق بالمجاز، ولايجعل مجازاً إلّا بعد الشهرة؛ لأنّ جهة الانتقال إلى المعنى المجازي أوّلاً غير واضحة بخلاف المعنى المكنّى عنه.

واستشكل بماذكره في قوله تعالى: «بل يداهُ مبسوطتان»(٢) «والسماواتُ

---

(١) مفتاح الفلاح: ص٨٢. (٢) سورة المائدة الآية ٦٤.

....

مطويّاتٌ بيمينهِ»(١)، «الرحمٰنُ على العَرشِ استوىٰ»(٢) ونحو ذلك، أنّها كلّها كنايات مع امتناع المعنى الحقيقي قطعاً(٣).

وأجاب صاحب الكشف بأنّه لمّا كان هذا المجاز متفرّعاً على الكناية، جاز أن يسمّى مجازاً وأن يسمّى كنايةً(٤).

والجسيم في الأصل: العظيم الجسم، ثمّ استعمل في المعاني فقيل: أمر جسيم أي: عظيم.

قال في الأساس: ومن المجاز: أمر جسيم، وهو من جسيمات الخطوب(٥).

وحظرته حظراً ـ من باب قتل ـ: منعته، ومنه: «وما كانَ عطاءُ ربِّكَ محظوراً»(٦) أي: ممنوعاً.

قال في النهاية: وكثيراً ما يرد في الحديث ذكر المحظور ويراد به الحرام، وقد حظرت الشيء: إذا حرّمته وهو راجع إلى المنع(٧).

وفي الأساس: حظر عليه كذا: حيل بينه وبينه، وهذا محظور: غير مباح(٨).

وقال الجوهري: الحظر: الحجر، وهو خلاف الإباحة، والمحظور: المحرّم(٩).

وما وقع في بعض التعاليق من أنّ الحظر بالتسكين بمعنى المنع، وأمّا الحظر بمعنى ضدّ الإباحة فبالتحريك، لا أصل له، بل هو بالمعنيين بالسكون، لم يفرّق بينهما أحد، كيف؟ وأحد المعنيين أصل الآخر.

والسبب في اللغة: الحبل، ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلى المطلوب، والمراد بسببه تعالىٰ هنا: رحمته وفضله، كما قال عليه السّلام في الدعاء بعد صلاة الليل:

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧. (٢) سورة طه: الآية ٥.

(٣) تفسير الكشاف: ج٣ ص٥٢ نقلاً بالمضمون. (٤) صاحب الكشف: لا يوجد لدينا كتابه.

(٥) أساس البلاغة: ص٩٤. (٦) سورة الاسراء: الآية ٢٠.

(٧) النهاية لابن الاثير: ج ١ ص٤٠٥. (٨) أساس البلاغة: ص١٣٢ (٩) الصحاح: ج ٢ ص٦٣٤.

....

«خرجت من يدي أسباب الوصلات إلّا ماوصله رحمتك»(١)، أي: فاتتني الأسباب التي يتوصّل بها إلى السعادات الأُخرويّة إلّا السبب الذي هو رحمتك، ويحتمل أن يكون المراد به جميع ما يتوصّل به إلى قربه تعالى ونيل الزلفى لديه.

ووجد مطلوبه يجده ـ من باب وعد ـ وجوداً ووجداناً بالكسر: أدركه وظفر به، وفي لغة لبني عامر: يجده بضمّ الجيم، ولا نظير له في باب المثال.

والمراد بالسبيل هنا: الوسيلة، عبّر عنها بالسبيل لتوجّه النفس إليها وكونها موصلة إلى المطلوب.

والأمل: بمعنى المأمول، من باب إطلاق المصدر على المفعول، كاللفظ بمعنى الملفوظ.

وغير: أداة استثناء بمعنى إلّا، ونصبها إمّا على الاستثناء، أو على البدل من المستثنىٰ منه وهو السبيل؛ لأنّها تعرب إعراب الاسم التالي لـ «إلّا». وذهب بعضهم إلى أنّ الفتحة فيها فتحة بناء؛ لإضافتها إلى المبني.

وقدرت على الشيء أقدر ـ من باب ضرب ـ: قويت عليه وتمكّنت منه.

والمعونة: اسم من أعانه أي: ساعده، ووزنها مفعلة بضمّ العين، وبعضهم يجعل الميم فيها أصليّة ويقول: وزنها فعولة، مأخوذة من الماعون وهو فاعول من المعن بمعنى العطاء، ومنهم من يقول: الماعون أصله المعونة، والألف عوض عن الهاء.

وسوى: بمعنى غير التي هي صفة، أي: بمعونة أحد غيرك.

والفاء: بمعنى لام التعليل، أي: لأنّي عبدك، والعبد: المملوك.

قال سيبويه: هو في الأصل صفة، قالوا: رجل عبد، ولكنّه استعمل استعمال الأسماء(٢).

---

(١) راجع الروضة الثانية والثلاثون.

(٢) الكتاب لسيبويه: ج ١ ص ٣٥٤.

....

وفي قبضتك: أي في ملكك، وأصله من القبض وهو الإمساك باليد. وقد تقدّم الكلام عليه مبسوطاً في الروضة السادسة (١).

والناصية: الشعر المسترسل في مقدّم الرأس.

قال الطبرسي: سمّي شعر مقدّم الرأس ناصية لا تصاله بالرأس، من قولهم: ناصى يناصي مناصاة: إذا وصل(٢).

وفي تفسير النيسابوري: الناصية: شعر الجبهة، وقد يسمّى مكان الشعر ناصية(٣).

وقال الأزهري: الناصية عند العرب: منبت الشعر في مقدّم الرأس لا الشعر، وإنما تسميّه العامّة باسم منبته(٤)، إنتهى.

وهو الصحيح، يدلّ على ذلك أنّهم سمّوا كلّ موضع من الرأس باسم يخصّه، فقالوا لمقدّم الرأس: ناصية، وللبياضين الذين يكتنفانها: نزعتان، ولمؤخّر الرأس: قفا، ومابين النزعتين والقفا: جانبان، ولما أحاط به ذلك: وسط الرأس، لكنّهم استعلموا الناصية في شعر مقدّم الرأس استعمالاً فاشياً تسميةً له باسم محلّه، فقالوا: جزّ ناصيته وأخذَ بناصيته.

ومعنى ناصيتي بيدك: أنّي تحت قدرتك وتسخيرك، فهو تمثيل لقدرته سبحانه عليه يصرفه كيف يشاء غير مستعص عليه، كما قال تعالى: «ما من دابّةٍ إلّا هو آخذٌ بناصِيَتها»(٥) أي: إلّا هو مالك لها قادر عليها يصرفها على مايريد بها.

قال المفسّرون: هو تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل، وكان العرب إذا أسر

(١) ج ٢ ص ٢٢٢.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ٥١٣.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٣ ذيل: آية ١٥ من سورة العلق.

(٤) تهذيب اللغة: ج ١٢ ص ٢٤٤.

(٥) سورة هود: الآية ٥٦.

....

الأسير فأرادوا إطلاقه والمنّ عليه جزّوا ناصيته، فكان علامة لقهره(١).

قوله عليه السّلام: «لا أمرلي مع أمرك» قال بعضهم: معناه لا أمرلي مخالفاً لأمرك أو موافقاً أيضاً إذا كنت أنت الآمر أولاأمر لي بحيث أكون مستقلاً بأسبابه، فلا يدلّ على نفي فعل العبد، إنتهى.

ويحتمل أن يراد بالأمر المنفي مايريده من الأُمور، و بأمره تعالى خلاف النهي، وهو ظاهر.

ومضى الأمر مضياً: نفذ.

والحكم: مصدر حكم الحاكم عليه بكذا: إذا قضى عليه به، وأصله المنع، كأنّه منعه من خلافه فلم يقدر على الخروج منه، أي: نافذ فيّ حكمك، لا أستطيع ردّه ولا الخروج منه.

والقضاء: إمّا بمعنى المقضي؛ إذ قد يقال: هذا قضاء الله أي: مقضيّه، أو بمعنى الأمر، من قضى بمعنى: أمر، كقوله تعالى: «وقضى ربّك الا تعبدوا إلاّ إيّاه»، أو بمعنى سطر ماكان ومايكون في اللوح المحفوظ بالقلم الإلهي. وعلى كلّ تقدير لمّا كان العدل عبارة عن التوسّط في الأفعال والأقوال بين طرفي الإفراط والتفريط، وكان ماقضاه الله تعالى وحكم بوقوعه عليه، أو أمره به ونهاه عنه، أي: ما سطره ما كان أو يكون من شأنه في اللوح المحفوظ، جارياً على وفق الحكمة، والنظام الأكمل، لاجرم كان قضاؤه فيه -بأيّ معنى حملته عليه- غير منسوب إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط، بل كان على حاقّ الوسط منها وهوالعدل.

والسلطان: قدرة الملك وموضع تسلّطه، أي: لا أستطيع الخروج من قدرتك ومن حيطة ملكك، كما قال تعالى: «يا معشرَ الجنّ والإنسِ إنِ استطعتم أن تنفذوا

---

(١) الا تفسير الكبير للفخر الرازي: ج١٨ ص١٣، تفسير روح المعاني: ج١٢ ص٨٣.

....

مـن أقطـارِ السماواتِ والأرضِ فانفـذوا لا تـنفذونَ إلّا بسلطانٍ»(١) أي: إن قدرتم على أن تهربوا مـن قضـائي، وتخرجـوا مـن ملكوتي ومـن أقطـار سـمـاواتي وأرضي، فانفذوا وخلّصوا أنفسـكم من عقابي، وأنّى لكم ذلـك؟ وأنتم لا تقدرون على النفوذ الّا بسلطان وقوة وقهر، وليس لكم شيءمن ذلك.

وجاوزت الشيءمجاوزةً وتجاوزتـه: تعـدّيته، أي: لا أستطيـع أن أتعـدّى قدرتك وأستعصي عليها، بل أنت قادرعلى ما تريد منّي، سواء كان محبوبةً لي أو مكروهاً.

واستماله اسـتمالةً: استـعطفه، أي: طلب مـيله إليه أي: محبّته، من مال إليه: بمعنى أحبّه.

والهوى مقصوراً: مصـدر هويتـه ـمن باب تعـبـ: إذا أحببـتـه، والمعنى: لاأقدر على استعطاف محبّتك وجعلها مائلة إليّ.

وبلغ مراده بلوغاً ـمن باب قعدـ: أدركه ووصل إليه.

ومحبّته ورضاه تعالى عبارة عن إرادته.

قـال بعض المحقّقين: ويشـبه أن يـكون الرضـا أعمّ مـن المحبّـة؛ لأنّ كلّ محبّ راض عمّا أحبّه، ولا ينعكس.

ونال مطلوبه يناله نيلاًـ من باب تعبـ نيلاً: أدركه.

والمراد بما عنده سبحانه: خزائـن رحمته الدنيـويّة والأُخرويّة، المشارإليهـا بقوله تعـالى: «ما عِـندَكُم يـنـفـدُ وما عندَ الله باقٍ»(٢)، أي: لانـفاد لـه، أمّا الاخروية فظاهرة، وأمّـا الـدنـيوية فحيـث كانت موصولـة بالأُخرويّة ومسـتـتبعة بهـا، فـقد انتظمت في سمت الباقيات الصالحات.

وقوله عليه السّلام: «إلّا بطاعتك» استثناء مفرّغ من محذوف عام، اي: بـشيء

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٣. (٢) سورة النحل: الآية ٩٦.

إلهي أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ عَبْداً داخِراً لَكَ، لا أَمْلِكُ لِنَفْسي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلّا بِكَ، أَشْهَدُ بِذلِكَ عَلىٰ نَفْسي، وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتي وَقِلَّةِ حيلَتي، فَأَنْجِزْلي ما وَعَدْتني، وَتَمِّمْ لي ما آتَيْتَني، فَإِنّي عَبْدُكَ المِسْكينُ المُسْتَكينُ، الضَعيفُ الضريرُ الحَقيرُ، المَهينُ الفَقيرُ، الخائفُ المُسْتَجيرُ.

من الأشياء إلّا بطاعتك وبفضل رحمتك، أي: بإبتداء إحسانها الكائن بلاعلّة.

ولمّا كان السبب في الفوز بمحبّة الله سبحانه ورضاه، ونيل ما عنده من السعادات، أمرين: أحدهما: العمل الذي يترتّب عليه الأجر والجزاء.

والثاني: محض التفضّل الذي يكون عن مزيد رحمته.

حصر عليه السّلام أسباب الفوز بذلك في الطاعة التي يستعدّ بها المطيع لدرك بغيته من الله تعالى، وفي فضل رحمته الذي يؤتيه من يشاء. وقدّم الطاعة لأنّها كما تكون سبباً لاستعداد العبد لنيل الأجر والجزاء، تكون سبباً لإفاضة الرحمة المقتضية للتفضّل من غير استحقاق، كما قال تعالى: «إنّ رحمةَ الله قريبٌ مِن المحسِنين»(١)، والله أعلم *.

«أصبح» و«أمسى» يكونان تامّين بمعنى وصلنا إلى الصبح والمساء ودخلنا فيهما، ويكونان ناقصين، ولهما حينئذٍ معنيان: أحدهما: أن يكونا بمعنى صار مطلقاً، من غير اعتبار الوقتين اللذين يدلّ عليهما تركيب الفعل أعني الصبح والمساء، بل باعتبار الزمن الذي يدلّ عليه صيغة الفعل أعني الماضي فيهما، أوالحال أو الاستقبال في مضارعهما، فيكونان لإفادة الانتقال من حال إلى حال مجرّداً عن ملاحظة الوقت، ومنه قوله تعالى: «فأصبَحتم بِنعمتِهِ إخواناً»(٢).

والثاني: أن يكونا بمعنى كان في الصبح وكان في المساء، فيقترن في هذا المعنى

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

....

مضمون الجملة أعني مصدر الخبر مضافاً إلى الاسم، بزماني الفعل أعني الذي يدلّ عليه تركيبه والذي يدلّ عليه صيغته، فمعنى أصبح زيد أميراً: أنّ إمارة زيد مقترنة بالصبح في الزمن الماضي.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّ بعض الفضلاء صرّح في نظير هذه العبارة من الدعاء، أنّ أصبح وأمسى محتملة للمعاني الثلاثة، فقال: أصبح وأمسى إمّا تامّة، أو بمعنى صار، أو لاقتران مضمون الجملة بهذين الوقتين، إنتهى.

ولايخفى أنّ احتمال كونهما هنا بمعنى صار باطل؛ أمّا اوّلاً: فلو قصد هذا المعنى لاكتفى بأحد الفعلين عن الآخر؛ إذهما بمعنى واحد على هذا المعنى.

وأمّا ثانياً: فلأنّ المقصود بإيراد الفعلين الاستمرار، أي: كلّ صباح ومساء، وكونهما بمعنى صار ينتفي معه هذا الغرض، فلم يبق إلّا احتمال المعنيين الآخرين.

وقد تقدّم في شرح دعاء الصباح في الروضة السادسة(١) أنّ مثل هذا الكلام في الدعاء إنشاء في صورة الخبر، فالمقصود به الإقرار لله سبحانه بالعبوديّة صباحاً ومساءً لا الإخبار عن كونه دخل في الصباح والمساء حال كونه عبداً، ولا أنّ عبوديّته مقترنة بالصبح والمساء في الزمن الماضي، فتنبّه.

وقوله: «عبداً» إمّا حال إنّ جعلت أصبحت وأمسيت تامّين، أو خبر إن جعلتهما بمعنى الكون في الصبح والمساء، على التنازع فيهما.

وداخراً: صفة لعبد، أي: ذليلاً صاغراً.

قال في القاموس: دخر كمنع وفرح دخوراً ودخراً: صغر وذلّ(٢).

وذلك: إمّا صفة بعد صفة، أو حال من عبد لتخصّصه بالوصف..

---

(١) ج ٢ ص ١٧٥.

(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٢٨.

....

وجملة: «لا أملك» إمّا خبر ثان لأصبحت وأمسيت، أو حال من فاعلهما، أو مستأنفة.

واللام من قوله: «لنفسي»: إمّا متعلّقة بأملك، أو بمحذوف وقع حالاً من نفعاً، أي: لا أقدر لأجل نفسي على جلب نفعٍ ما، ولا على دفع ضرٍّ ما.

وقوله: «إلّا بك» استثناء مفرّغ، أي: بشيء إلّا بك، أي: بمشيئتك أو بقدرتك، وفيه إقتباس من قوله تعالى: «قُل لا أملِكُ لِنفسي نفعاً ولاضرّاً إلّا ما شاءَ اللهُ»(١).

وقال النيسابوري: احتجّت الأشاعرة بهذه الآية في مسألة خلق الأعمال، قالوا: الإيمان نفع والكفر ضرّ، فوجب أن لا يحصلا إلّا بمشيئة الله تعالى. وأجابت المعتزلة بأنّ المراد: لا أملك لنفسي من النفع والضرّ إلّا قدرما شاء الله أن يقدرني عليه ويمكنني منه(٢).

وقال أمين الإسلام أبوعلي الطبرسي: في هذا الاستثناء دلالة على فساد مذهب المجبرة؛ لأن الأعمال لوكانت مخلوقة لله لما صحّ الاستثناء منها؛ لأنّ أحداً لايملك عندهم شيئاً(٣).

قوله عليه السلام: «أشهد بذلك على نفسي» فصل الجملة لكمال انقطاعها عمّا قبلها، واختار الفعليّة لإفادة التجدّد والمضارع لإفادة الاستمرار، أي: أقرّ وأعترف على نفسي بما ذكرت من كوني لم أزل عبداً داخراً لك لاأقدر لنفسي على نفع ولاخرّ واعترف بالشيء اعترافا: أقرّبه على نفسه.

والقوّة: تطلق على كمال القدرة، وعلى شدّة الممانعة، ويقابلها الضعف. ولمّا

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص١٩٦. (٣) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص٥٠٧.

....

كان كلّ ذي قوّة غيره سبحانه ضعيفاً عادم القوّة من نفسه، فهو في ذلّ الضعف وأمرّ العجز، وجب الاعتراف له تعالى بضعف القوّة وعدمها؛ إذ كانت قوّته انّما تتحقّق فيه بمفهوميها منه سبحانه.

والحيلة: الحذق في تدبير الأُمور، وهو إعمال الفكر وتقليبه حتى يهتدي إلى المقصود.

والمراد بالقلّة هنا: العدم، وكثيراً مايعبّر بها عنه، فيقال: قليل الخير أي: لايكاد يفعله.

والاعتراف له سبحانه بقلّة الحيلة، من حيث استحقاق العبد العجز لذاته عن جلب منافعه ودفع مضارّه، فهو لا يستطيع من نفسه أن يدبّر أُموره ويعلم مرغوبه ومحذوره، كما قيل:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى   فأوّل مايجبني عليه إجتهاده(١)

وأنجز له وعده إنجازاً إذا وفى له به.

قال الزمخشري في الأساس: أنجز وعده إنجازاً ونجز الوعد وهو ناجز: إذا حصل وتمّ، ومنه: ونجز الكتاب، ونجزت حاجته(٢).

والمراد بما وعده: ما وقع الوعد به منه سبحانه من إجابة دعوة الداعي إذا دعاه وإجابة المضطرّ وكشف السوء، وبتتميم ما آتاه: إبقاؤه عليه وعدم زواله وتغييره، ومنه: الدعوة التامّة أي: التي لايدخلها تغيير بل باقية إلى يوم النشور، أو جعله تامّاً **لانقص فيه ولاعيب، ومنه: كلمات الله التامّة أي: التي ليس في شيء منها نقص ولا عيب.**

والمسكين: من المسكنة، وهي الذلّة والافتقار، وهو مفعيل من السكون.

والمستكين: اسم فاعل من استكان. واختلفوا فيه فقيل: هو من الكون؛ لأنّه

---

(١) (ج): إحتياجه.   (٢) أساس البلاغة: ص٦١٩.

....

يقال: استكان: إذا ذلّ وخضع، أي: صار له كون خلاف كونه، كما يقال: استحال: إذا تغيّر من حالٍ إلى حال، إلّا أنّ استحال عامّ في كلّ حال، واستكان خاصّ بالتغيّر والذلّ.

وقال آخرون: إنّه افتعل من السكون، وزيدت الألف لإشباع الفتحة.

وقال أبوعلي الفارسي في قوله تعالى: «وما ضعُفوا وما استَكانوا»(١): لاأقول: إنّه افتعلوا من السكون وزيدت الألف، لكنّه عندي استفعلوا مثل استقاموا، والعين حرف علّة؛ ولذا ثبت في اسم الفاعل نحو: مستكين، وفي نحو: يستكين، على أنّه يجوز أن يكون من الزيادات اللازمة، كما قالوا: مكان، وهو مفعل من الكون، ثمّ قالوا: أمكنة وأماكن وتمكّن واستمكن، على توهّم أصالة الميم للزومه وثباته في جميع متصرّفاته(٢).

والضعيف: المتّصف بالضعف، وضعف الإنسان باعتبار خلقته، وباعتبار عجزه من مخالفة هواه وعدم قدرته على مقاتلة دواعيه، أمّا الأوّل فظاهر بالنسبة إلى كثير من المخلوقات بل الحيوانات؛ ولهذا اشتدّ احتياجه إلى التعاون والتمدّن والأغذية والأدوية والمساكن والملابس والمراكب والذخائر والمعاملات، إلى غير ذلك من الضرورات.

وأمّا الثاني فأظهر؛ ولهذا لايصبر عن الشهوات ولايتحمّل مشاقّ الطاعات.

والضرير: فعيل بمعنى مفعول، من الضرّ بالضمّ وهوالفاقة والفقر وسوء الحال والشدّة.

قال الأزهري: كلّما كان من سوء حال وفقر وشدّة في بدن فهو ضرّ بالضمّ،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

(٢) لم نعثرعليه.

....

وماكان ضدّ النفع فهوبفتحها(١).

وقيل: هو بالضمّ اسم، وبالفتح مصدر.

وذلّ ذلاً - من باب ضرب -: هان فهو ذليل، والاسم الذلّ بالضمّ والذلّة بالكسر.

وحقر الشيء بالضمّ حقارةً: هان قدره فلا يعبأ به فهو حقير.

والمهين: فعيل من المهانة.

قال في الأساس: مهن مهانةً: حقر فهو مهين(٢).

وقال الطبرسي: المهين: الضعيف الحقير، وقيل: المهين: الفقير الذي يمتهن نفسه في جميع مايحتاج إليه، ليس له من يكفيه أمره(٣)، إنتهى.

والفقير: فعيل بمعنى فاعل، يقال: فقر يفقر - من باب تعب -: إذا قلّ ماله واحتاج.

قال ابن السرّاج: ولم يقولوا: فقر بالضمّ، استغنوا عنه بافتقر(٤).

قال بعضهم: وليس الفقر عند أهل التحقيق الفاقة وقلّة المال، بل هو الحاجة إلى الله تعالى والاستغناء به عن غيره، وهذا المعنى هو المراد هنا.

والخائف: فاعل من خاف يخاف خوفاً وخيفةً و مخافةً وعرّفوا الخوف بأنّه توقّع حلول مكروه أو فوات محبوب، فمعنى الخائف هنا: الخائف من حلول عقابك وفوات ثوابك.

واستجاره: طلب منه أن يجيره، أي: يؤمنه ممّا يخاف، فهو مستجير، أي: المستجير بك منك *.

---

(١) تهذيب اللغة: ج ١١ ص ٤٥٦.

(٢) أساس البلاغة: ص ٦٠٩.

(٣) مجمع البيان: ج ١٠ - ٩ ص ٥١.

(٤) المصباح المنير: ص ٦٥٤.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا تَجْعَلني ناسِياً لِذِكْرِكَ فيما أوليتني ،وَلا غافِلاً لإحْسانِكَ فيما أبْلَيْتني، وَلا آيساً مِنْ إجابَتِكَ لي وَإنْ أبْطأتْ عَنّي، في سَرّاءَ كُنْتُ أو ضَرّاءَ أو شِدَّة أوْ رَخاءٍ، أو عافِيَةٍ أوْ بَلاءٍ، أو بُؤْسٍ أوْ نَعْماءَ، أوْ جِدَةٍ أوْ لأواءَ، أوْ فَقْرٍ أوْ غِنىً.

النسيان: نقيض الذكر، وقد يطلق على الترك ، أي: لاتجعلني غير حافظ أوتاركاً لذكرك .

وقوله: «فيما أوليتني» متعلّق بقوله: «ناسياً»، أو بـ «ذكرك » وفي: ظرفيّة مجازيّة.

وما: اسم موصول، والعائد محذوف أي: فيما أوليتنيه.

وأوليته معروفاً: أعطيته إيّاه.

والغفلة: غيبة الشيءعن البال، وقد تستعمل في ترك الشيءإهمالاً وإعراضاً، كما في قوله تعالى: «وهُم في غَفلةٍ مُعرِضون»(١)، وعدّى غافلاً باللام وحقّه أن يعدّى بـ «عن» فيقال: غفلت عنه؛لتضمينه معنى النسيان، وباب التضمين واسع جدّاً، ومنه قوله تعالى: «الرَّفَثُ إلى نِسائِكم»(٢)، ضمّن الرفث معنى الإفضاء فعدّاه بـ «إلى» مثل «وقدأفضى بَعضُكم إلىٰ بَعض»(٣)، وإنّما أصل الرفث أن يتعدّى بالباء، يقال: رفث فلان بامرأته أي: لاتجعلني غافلاً عن شكر إحسانك، كما وقع في نسخة أُخرىٰ.

والإبلاء: الإنعام والإحسان، ومنه حديث: من أبلى فذكر فقد شكر(٤).

وحديث كعب: ما أعرف أحداًابلاهِالله أحسن ممّا أبلاني(٥).

قال القتيبي: يقال من الخير: أبليته، ومن الشرّ: بلوته أبلوه بلاءً(٦).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١. (٢) سورة البقرة الآية ١٨٧.

(٣) سورة النساء: الآية ٢١. (٤) و(٥) و(٦) النهاية لابن الأثير: ج١ ص ١٥٥.

....

وتعقبه ابن الأثير بانّ الإبلاء يكون في الخير والشرّ من غير فرق بين فعليهما، ومنه: «نبلوكم بالشرّ والخيرِ فتنةً»(١).

وأصل البلاء والإبلاء: الاختبار والامتحان، بلوته وأبليته وابتليته جميعها بمعنى، وهو تعالى يبلو بالخير لامتحان الشكر، وبالمكروه لامتحان الصبر، وعلى هذا، فقوله عليه السّلام: **«فيما أبليتني» يجوز أن يكون بمعنى الخير، وأن يكون بمعنى المكروه.**

لايقال: ذكر الإحسان يعيّن كونه بمعنى الخير.

لأنّا نقول: كونه بمعنى المكروه أيضاً يستلزم الإحسان؛ لأنّه إذا قوبل بصبر جميل استلزم ثواباً جزيلاً، كما قال تعالى: «وبَشِّرِ الصّابِرين»(٢) الآية، وظاهر أن سبب الإحسان إحسان.

والآيس: اسم فاعل من أيس يأس- من باب علم-.

قال ابن السكيت: آيست منه آيس(٣) يأساً: لغة في يئست منه أيأس يأساً، ومصدرهما واحد(٤).

وقال صاحب المحكم: وأمّا يئس وأيس فالأخيرة مقلوبة عن الأُولى لأنّه لامصدر لأيس، ولايحتجّ بأياس اسم رجل؛ فإنّه فعال من الأوس وهو العطاء، كما يسمّى الرجل عطيّة وهبة(٥).

ولكنّ صاحب القاموس جعل الأياس مصدراً لأيس، فقال: إيس منه كسمع: قنط(٦) إنتهى.

ويشهد له ماورد في شعر لبعض عاد، وهو:

«ما زلت أحفر سدّ عاد جاهدا ... حتّى بلغت القعر بعد يأس»

ويروى لمجنون ليلى:

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٥٥. (٢) سورة البقرة: الآية ١٥٥. (٣) (ج) أيس.
(٤) و(٥) تاج العروس: ج ٤ ص ١٠٣. (٦) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٩٩.

يقولون عن ليلى غنيت وإنما بي اليأس عن ليلى وليس بي الصبر
وإنّي لأهواها وإنّي لآيس هوى وإياس كيف ضمّهما الصدر

و«إن» من قوله عليه السّلام: «وإن أبطأت عنّي»: شرطيّة وصليّة، وجوابها محذوف اعتماداً على دلالة ماقبله عليه، أي: إن أبطأت عنّي فلاتجعلني آيساً، والجملة معطوفة على أُخرى مثلها، أي: إنّ لم تبطئ عنّي وإن أبطأت عنّي، وقد اطّرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة، فإنّ الشيء إذا تحقق مع المنافي فلئن يتحقّق مع عدمه أولى، وعلى هذه النكتة يدور ما في إن الوصليّة ولو الوصليّة من التأكيد، وقد مرّ تحقيقه في الرياض السابقة.

والسرّاء: المسرّة والخير.

والضرّاء: الشدّة والنقص في الأموال والأنفس.

قال الطيبيّ في قوله: «يحمدون الله في السرّاء والضرّاء»: أي في جميع الأحوال، قوبل الضرّ بالسرور لمزيد النعيم، والمقابلة الحقيقية للسرور والحزن (١).

وقال الجوهري: السراء: الرخاء، وهو نقيض الضرّاء (٢).

وأعلم أنّ السرّاء والضرّاء والبأساء والنعماء كلها أسماء مؤنثة من غير تذكير، والظرف من قوله: «في سرّاء» مستقرّ متعلّق بمحذوف خبر لكنت قدّم عليها جوازاً.

قال بعضهم: أحسن ما يستشهد به على جواز تقديم خبر كان عليها ببيت العروض:

اعلموا أني لكم حافظ شاهداً ما كنت أو غائباً

وجملة «كنت» حال من مفعول لاتجعلني، نحو: أضرب به قام أو قعد. والتقدير كنت في سرّاء أو ضرّاء، أي: كائناً على كلّ حال، هذا قول الجمهور.

---

(١) لايوجد لدينا كتابه

(٢) الصحاح: ج ٢ ص ٦٨٣.

....

وقال الرضي: قيل: إنّ الماضي في نحو قولهم: «اضربه قام أوقعد» حال، ويجب تجرّده عن «قد» ظاهرة ومقدّرة، والأولى أنّه شرط لا حال، أي: إن قام أوقعد، ولوكان حالاً لسمع معه قد أو الواو، كما في غيره من الماضي الواقع حالاً (١).

والدليل على أنّه شرط إفادة الماضي في مثل ذلك معنى المستقبل، وما ذلك إلّا لتضمّن معنى الشرط، ومفهوم كلامه أنّ الجملة على تقدير الشرط لا تكون حالاً، وهو خلاف ما نصّ عليه ابن هشام، حيث قال: ويجوز في الجملة الشرطيّة أن تقع حالاً إذا شرط فيها الشيء ونقيضه، نحو: لأضربنه إن ذهب وإن مكث(٢)، إنتهى.

على أنّهم صرّحوا بأنّه إنّما وجب ترك الواو في جملة الحال من نحو: اضربه قام أوقعد؛ لأنّها في قوّة فعل الشرط، أي: اضربه إن قام أو قعد.

وما وقع لبعضهم من أنّ قوله: «في سرّاء» متعلّق بكائن مقدّر حال من لا تجعلني، و«كنت» مبيّن وموضّح للمحذوف، فيه: أنّ متعلّق الظرف الواجب الحذف لايحتاج إلى مبيّن وموضح، وأنّ المفسّر يجب أن يكون مثل المحذوف صورة كما نصّوا عليه، فجعل كنت مفسّراً لا وجه له.

والشدّة بالكسر: اسم من الاشتداد، يقال: هو في شدّة من العيش أي: في ضيق وقلّة.

والرخاء بالمدّ: اتّساع العيش.

والعافية: السلامة من جميع المكروهات الظاهرة والباطنة في الدين والدنيا.

والبلاء هنا: بمعنى المكروه؛ لمقابلته للعافية.

والبؤس بالضمّ: الفقر وشدّة الحاجة، يقال: بئس ـ من باب سمع ـ بؤساً

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢١٣.

(٢) لم نعثر عليه.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاجْعَلْ ثَنائي عَلَيْكَ وَمَدْحي إِيّاكَ وَحَمْدي لَكَ في كُلِّ حالاتي، حَتّى لاأفرَحَ بِما آتَيْتَني مِنَ الدُّنيا، وَلا أَحْزَنَ عَلىٰ مامَنعْتَني فيها، وأَشْعِرْ قَلْبي تَقْواكَ ، وَاسْتَعْمِلْ بَدَني فيما تَقْبَلُهُ مِنّي، وَاشْغَلْ بِطاعَتِكَ نَفْسي عَنْ كُلِّ مايَرِدُ عَلَيَّ، حَتّى لاأُحبّ شَيْئاً مِنْ سُخْطِكَ وَلا أَسْخَطَ شَيْئاً مِنْ رِضاكَ .

بالضمّ: إذا اشتدّت حاجته.

والنعماء بالفتح والمدّ والنعمى بالضمّ والقصر: النعمة.

قال صاحب المحكم: النعيم والنعماء والنعمى والنعمة كلّه(١) الخفض والدعة والمال(٢).

والجدة كالعدة: الغنى، يقال: وجد يجدوجداً بالضمّ والكسر لغة وجدةً أي استغنى.

واللأواء: الشدّة وضيق المعيشة.

والفقر: عبارة عن فقد ماهو محتاج إليه، أمّا فقد مالايحتاج إليه فلا يسمّىٰ فقراً.

والغنى بالكسر والقصر: اليسار ووفور المال، وفي رواية: و«غناء» بالفتح والمدّ وهو الإكتفاء، يقال: ليس عنده غناء أي: ما يغتني به أي: يكتفي *.

الثناء لغةً: وصف الشيء بخيرٍ أو شرٍّ.

ومنه الحديث: من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنّة، ومن أثنيتم عليه شرّاً وجبت له النار(٣).

وخصّ عرفاً بالخير.

قيل: نشر المحامد باللسان، وقيل: وصف الشيء بما يشعر بتعظيمه.

---

(١) (ج): كلّها.

(٢) المحكم لابن سيده: ج ٢ ص ١٣٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ج ٢ ص ١٥٥.

....

والمدح: الوصف بالجميل الاختياري وغيره ذاعلم كان الموصوف أولا، فتقول: مدحته على حسنه كما تقول: مدحته على إحسانه، وتقول: مدحت هذا الدرّ الثمين كما تقول: مدحت هذا الحرّ الأمين.

والحمد: الوصف بالجميل الاختياري على قصد التعظيم.

وقال الزمخشري: الحمد والمدح أخوان(١).

فقيل: يعني من جهة الاشتقاق الكبير.

وقيل: بل بمعنى الترادف؛ لقوله في الفائق: الحمد: هو المدح والوصف بالجميل(٢).

وضعّف بأنّ الاستعمال لايساعده بل يشهد بخلافه، وقد قسّموا الحمد إلى لغوي وهو ما تقدّم، وإلى عرفي وهو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً، أعمّ من أن يكون فعل اللسان أو الأركان.

وإلى قولي وهو حمد اللسان وثناؤه على الحقّ ما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه.

وإلى فعلي وهو الإتيان بالأعمال البدنيّة ابتغاءً لوجه الله.

وإلى حالي وهو الذي يكون بحسب الروح والقلب كالاتّصاف بالكمالات العلميّة والعمليّة والتخلّق بالأخلاق الإلهيّة.

والظرف من قوله: «في كلّ حالاتي»: مستقرّ في محلّ نصب على أنّه مفعول ثانٍ لاجعل؛ لأنّه بمعنى صيّر المتعدّي إلى مفعولين.

وحتّى: تعليليّة مرادفة لكي، أي: اجعلني مشغولاً بثنائك ومدحك وحمدك دائماً؛ كي لايداخلني فرح بما منحتني من الدنيا، ولا حزن على مامنعتني فيها، وفي

(١) تفسير الكشاف: ج ١ ص٨. (٢) الفائق: في غريب الحديث ج ١ ص ٣١٤.

....

رواية: «منها» وهو الأنسب.

قوله عليه السّلام: «وأشعر قلبي تقواك » أي: غَشّ قلبي بتقواك وألبسه إيّاها.

قال في الأساس: أشعره شرّاً: غشّاه به(١).

والإشعار: إلباس الشعار، وهو الثوب الذي يلي الجسد والدثار فوقه.

قالوا: سمّي شعاراً لأنّه يلي شعر الجسد، يقال: أشعره الشعار: إذا ألبسه إياه.

قال صاحب المحكم: قال بعض الفصحاء: أشعرت نفسي ثقيل أمره وثقيل طاعته، فاستعمله في العرض(٢)، إنتهى.

ويجوز أن يكون معنى أشعر قلبي تقواك : خالطه بها، من قولهم أشعره سناناً: إذا خالطه به، أو ألزق بقلبي تقواك ، من قولهم: أشعر الرجل همّاً وأشعر الهمَّ قلبه: إذا لزق به كلزوق الشعار، وكلّ هذه المعاني راجعة إلى الشعار من حيث اتّصاله وملابسته لبدن الإنسان. وإنما خصّ القلب بإشعاره التقوىٰ؛ لأنّه مركزها الذي إذا ثبتت فيه وتمكّنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء، فهو الذي عليه مدارها ومنه عيارها، ولاعبرة بما يظهر من آثارها على سائر الجوارح دونه؛ ولذلك أضافها سبحانه إلى القلوب، فقال: «ومن يعظّم شَعائرِ الله فإنّها من تَقوىٰ القلوبِ»(٣).

قوله عليه السّلام: «واستعمل بدني فيما تقبله منّي» أي: في العمل الذي تقبله منّي وقبول الله تعالى عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه سبحانه أو يثيب عليه، والأوّل الذّ عند العارفين من الثاني.

شبّه الفعل من العبد بالهديّة، وإثابة الله تعالى عليه ورضاه بالقبول، ومدار القبول على الاخلاص في العمل، حتّى قيل: إنّ طلب القبول كناية عن جعله مقروناً بالإخلاص.

---

(١) اساس البلاغة: ص ٣٣١.

(٢) المحكم لابن سيدة: ج ١ ص ٢٢٥. (٣) سورة الحج: الآية ٣٢.

....

قوله عليه السّلام: «واشغل بطاعتك نفسي» إلى آخره، سأل عليه السّلام أن يجعل سبحانه نفسه مستغرقة في طاعته تعالى، متوجّهة بكليّتها عن كلّ ما يوجب الالتفات عن حضرته المقدّسة، من الاهتمام بعلائق أحوال الدنيا الواردة عليه من خير وشرّ؛ ليكون هواه وإرادته فيما أراده الله تعالى وقدّره وقضاه،فلا يحبّ إلّا ما أحبّه الله، ولا يسخط إلّا ما سخط الله، وهو مقام الرضا بالقضاء. ووجه كون شغل النفس بالطاعة عن كلّ وارد عليها علّة وسبباً للرضا والتسليم: أنّ النفس إذا كانت مستغرقة في طاعته سبحانه، معرضة عن الالتفات إلى غيره، حصل لها الزهد الحقيقي في الدنيا، فيقرب من الحقّ فتحصل له مرتبة اليقين بالله وبكماله وحسن فعاله، واليقين يوجب المحبّة فيحصل له الرضا، لأنّ الرضا لازم للمحبّة وتابع لها.

وبالجملة: السالك إذا اشتغل بما يعنيه وترك مالا يعنيه حقيقةً، وصل إلى مقام المشاهدة الذي هو عين اليقين، وإذا وصل إلى هذا المقام استولت على قلبه المحبّة التامّة، وإذا حصلت له المحبّة ثبت في مقام الرضا، فيرضى بكلّ ما صدر ويصدر منه تعالى، كما هو شأن المحبّ مع محبوبه، فلا يحبّ شيئاً ممّا سخطه، ولا يسخط شيئاً ممّا أحبّه، بل يستقبل أحكامه بالفرح، ولا يكون لنفسه معها مقترح، وأهل الرضا يرون من الرضا أن لايذمّ شيئاً ولايعيبه، ولا يتسخّط ما أراده وفجّر موادّه، ولايزري على ما أبدعه وخلقه وصنعه، بل يشاهد الصانع في جميع ماصنعه، بل لاينبغي أن يقول العبد: هذا يوم شديد الحرّ،ولا هذا يوم شديد البرد، ولا يقول: الفقر بلاء ومحنة، ولا العيال همّ وتعب، والاحتراق كدّ ونصب، ولايعقد بقلبه من ذلك مالايفوه بلسانه، بل يرضى القلب ويسلّم اللسان، وتطيب الروح وتسكن النفس، ويستسلم الفعل بوجود حلاوة القضاء والتقدير، واستحسان محكم التدبير.

قال أنس بن مالك: خدمت النبيّ صلّى الله عليه وآله عشر سنين، ما قال

اللّهُمّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَفَرِّغْ قَلْبي لِمَحَبَّتِكَ وَاشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ، وَانْعَشْهُ بِخَوفِكَ وَبِالوَجَلِ مِنْكَ، وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إلَيْكَ، وَأمِلْهُ إلى طاعَتِكَ، وَأجْرِ بِهِ في أحَبِّ السُّبُلِ إلَيْكَ، وَذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فِيما عِنْدَكَ أيّامَ حَياتي كُلِّها.

لشيء فعلته: لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته، ولا قال لشيء كان: ليته لم يكن، ولا لشيء لم يكن: ليته كان، وكان يقول لوقضي لكان(١).

وقد تقدّم في الرياض السابقة كلام في الرضا، وسيأتي إن شاء الله تعالى تمام الكلام عليه *.

وقد تقدّم الكلام على محبّة العبد للّه تعالى ومحبته سبحانه للعبد في الروضة السادسة(٢) بما يغني عن إعادته هنا.

والمراد بتفريغ قلبه لمحبّته جعله خالياً عن محبّة غيره، بحيث لايكون لغير محبّته مدخل فيه ولا إلمام نزول به، بل تكون محبّته مستفرغة عن الالتفات والاشتغال بغيرها.

ولمّا كانت المحبّة الصادقة مستلزمة لمحبّة ذكر المحبوب وملازمته بحيث لايصبر عنه لحة، سأل عليه السّلام أن يشغل قلبه بذكره الذي هو ملزوم لمحبّته الصادقة، ثمّ لمّا كان من لوازم صدق المحبّة الرهبة والرغبة والإنقياد والطاعة وسلوك سبيل الرضا، سأل عليه السّلام سائر لوازمها ليتمّ له صدق محبّته.

وبيان ذلك: أنّ المحبّة مع تصوّر هيبة المحبوب تقتضي الرهبة والخوف والوجل منه، ومع تصوّر رحمته ورأفته تقتضي الرغبة إليه والطمع فيما عنده، ومع تحرّي موافقته والإذعان له تقتضي طاعته والانقياد له والسعي في سبيل مرضاته، ولمّا كان ثمرة الخوف الجهد في اكتساب الخيرات، والمبادرة إلى سلوك طريق المبرّات،

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص٣٣٦.
(٢) ج ٢ ص ٢٥٥.

....

والسعي في تلافي مافات، سأل عليه السّلام إنعاش قلبه به، أي: تداركه به ممّا تورّط فيه من الذنوب والتقصير.

قال الزمخشري في الأساس: نعشته فانتعش: إذا تداركته من ورطة(١).

والوجل بالتحريك: الفزع والخوف.

والرغبة إلى الله تعالى: الابتهال إليه، والضراعة له، والمسألة منه.

وأمله إلى طاعتك: أي اصرفه إليها واعدل به نحوها، أو اجعله مائلاً إليها أي: محبّاً لها، من مال إليه: بمعنى أحبّه.

وأجر به: أي اجعله جارياً وساعياً في السبيل التي هي أحبّ السبيل إليك، والمراد بها الطرق الموصلة إليه تعالى.

ولمّا كانت سبيل الهدى متفاوتة بتفاوت العلم به سبحانه والمعرفة له تعالى، سأل عليه السّلام أن يسلك به أعظم السبل المحبوبة له المرضيّة عنده.

وذلّل الدابّة تذليلاً: راضها حتّى سهلت وانقادت.

ولمّا كان القلب جامحاً عن الرغبة في الآجل طامحاً إلى الرغبة في العاجل، شبّهه بالدابّة الجموح، فاستعار له التذليل، وسأل أن يجعله سهلاً منقاداً في سلوك طريق الزهد عن المقتنيات الفانية، راغباً فيما عندالله من الرغائب الباقية.

وقوله عليه السّلام: «ايّام حياتي كلّها» متعلّق بجميع الأفعال المذكورة على طريق التنازع.

ولمّاكانت الكمالات البشريّة قد تزول بعدم المحافظة؛ ولذلك قال العارفون الخائفون: «رَبّنا لا تُزغْ قُلوبَنا بَعَد إذْ هَدَيْتَنَا» (٢) سأل عليه السّلام أن يجعل ذلك مستمراً أيّام حياته كلّها، والله أعلم *.

---

(١) أساس البلاغة: ص ٦٤٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨.

وَاجْعَلْ تَقْوَاكَ مِنَ الدُّنْيا زادِيْ، وَإِلى رَحْمَتِكَ رِحْلَتِي، وفي مَرضاتِكَ مَدْخَلي، واجْعَلْ في جَنَّتِكَ مثواي، وَهَبْ لي قُوَّةً أَحْتَمِلُ بِها جَميعَ مَرْضاتِكَ، وَاجْعَلْ فِرارِيَ اِلَيْكَ، وَرَغْبَتي فيما عِنْدَكَ .

التقوى في اللغة: بمعنى الاتّقاء، وهو اتّخاذ الوقاية من المحذورات، وتاؤها منقلبة عن واو.

وعند أهل الحقيقة: هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته.

وقيل: هي وقاية النفس عمّا يضرّ في الآخرة من اعتقاد وعمل وخلق، وقد سبق الكلام عليها مبسوطاً.

والزاد: الطعام الذي يتّخذ للسفر، ولمّا كان الزاد إنما يعدّ لتقوى به الطبيعة على الحركات الحسّية، وكانت تقوى الله تعالى ممّا تقوى به النفس على الوصول إلى جنابه المقدّس، استعار لها لفظ الزاد، لما بين المعنيين من تمام المشابهة الذي يقرب معه اتّحاد المتشابهين، وبحسب قوّة المشابهة يكون حسن الاستعارة، وقد نطق التنزيل المجيد بهذه الاستعارة، حيث قال سبحانه: «وتَزوّدوا فإنّ خيرَ الزادِ التقوىٰ»(١).

قال بعض العارفين: ليس السفر من الدنيا أهون من السفر في الدنيا، وهذا لابدّ له من زاد، فكذا ذلك بل يزداد؛ فإنّ زاد الدنيا يخلّصك عن عذاب منقطع موهوم، وزاد الآخرة ينجيك من عذاب أبديّ معلوم، زاد الدنيا يوصلك إلى متاع الغرور، وزاد الآخرة يبلغك دارالسرور، زادالدنيا سبب حظوظ النفس، وزاد الآخرة سبب الوصول إلى عتبة الجلال والقدس.

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى وأبصرت بعد الموت من قد تزوّدا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنّك لم ترصد كما كان أرصدا(٢)

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ٢ ص ٤١٢.

....

والرحلة بالكسر: اسم من الارتحال: قيل: وقد تضمّ، والصواب أنّها بالكسر الارتحال، وبالضمّ الوجه الذي تقصده، يقال: قربت رحلتنا بالكسر أي: ارتحالنا، وأنت رحلتنا بالضمّ أي: المقصد الذي نقصد ونرتحل إليه، رحل القوم - من باب منع - وارتحلوا وترّحلوا: ساروا. واستعار عليه السّلام لفظ الرحلة للانتقال إلى دارالآخرة والمصير إليها؛ لأنّ الرحلة عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بقدم الجسم، والانتقال إلى الآخرة عبارة عن قطع المراحل المعقولة بقدم العقل، فكان بينهما أتمّ المشابهة.

والمرضاة الرضا، قال تعالى: «ابتغاءَ مرضاةِ الله»(١) أي: رضاه.

والمدخل: مصدر ميمي بمعني الدخول، يقال: دخلت الدار ونحوها دخولاً، - من باب قعد - ومدخلاً: إذا صرت داخلها.

وفي: ظرفيّة مجازيّة.

والمثوى: المنزل، من قولهم: ثوى بالمكان يثوي ثواءً بالمدّ. إذا أقام.

وفي هذه الفقرات الأربع من البديع مراعاة النظير ويسمّى بالتناسب، وهو أن يجمع المتكلّم بين لفظين أو ألفاظ متناسبة المعاني، كقوله تعالىٰ: «والشمسَ والقمَر والنجومَ مسخّراتٍ بأمرهِ»(٢)، فالشمس والقمر والنجوم متناسبة معنى، من حيث اشتراكها في وصف مشهوربه وهو الإنارة، والتناسب في الدعاء جمعه عليه السّلام بين الزاد والراحلة والمدخل والمثوى. ومن ألطف شواهد هذا النوع قول بعضهم في آل الرسول عليهم السّلام:

أنتم بنو طه ون والضحىٰ ... وبنو تبارك والكتاب المحكم

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

وَألبِسْ قَلْبِي الوَحْشَةَ مِنْ شِرارِ خَلْقِكَ، وهَب لي الأُنْسَ بِكَ وَبِأوْليائِكَ وَأهْلِ طاعَتِكَ.

وبنو الأباطح والمشاعر والصفا والركن والبيت العتيق وزمزم

فإنّه أحسن التناسب في البيت الاوّل بين أسماء السور، و في الثاني بين الجهات الحجازيّة.

والقوّة: تعود إلى كمال القدرة، ويقابلها الضعف، والمراد سؤال إفاضة قوّة على استعداده؛ ليقوى بذلك على قهر النفس الأمّارة بالسوء، ويستعدّ للقيام بجميع مراضي الحقّ عزّ شأنه.

وقد تقدّم الكلام على الفرار إليه سبحانه والرغبة فيما عنده في أوائل هذه الروضة *.

الوحشة من الناس: الانقطاع والنفور وبُعد القلوب من المودات.

ورجل شرّ: أي ذوشرّ وقوم أشرار وشرار، والشرّ: السوء والفساد والظلم.

والأُنس بالضمّ: اسم من أنس به ـ من باب علم ـ: إذا سكن إليه ولم ينفر عنه.

والمراد بشرار خلقه: أعداؤه وأهل معصيته كما تقتضيه المقابلة. وهم طبقات: فمنهم: الكافر، ومنهم: المبتدع، ومنهم: أهل المعصية التي فيها إضرار الخلق كالظلم وشهادة الزور، ومنهم: أهل الذنوب التي لايتعدّى ضررها كشرب الخمر وترك الصلاة وكلّ هؤلاء يجب النفور عنهم وعدم السكون إليهم؛ لأنّ النفس سريعة الميل إلى الشرور، فتميل إلى طبع الصاحب سريعاً، فتستعدّ لصدور ما يصدر عنه من المنكرات.

وبالعكس من ذلك إذا كان الجليس والأنيس وليّاً لله مطيعاً له، زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة؛ ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المرء مع دين خليله وقرينه(١).

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٢ ح ١٠، وفيه: على دين خليله.

....

وقد عقد الراغب في كتاب الذريعة باباً للحثّ على مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار، فقال: حقّ الإنسان أن يتحرّى بغاية جهده مصاحبة الأخيار؛ فهي قد تجعل الشرّير خيّراً، كما أنّ مصاحبة الأشرار قد تجعل الخيّر شرّيراً قال بعض الحكماء: من صحب خيّراً أصابته بركته، فجليس أولياء الله لايشقى وإن كان كلباً، ككلب أصحاب الكهف حيث قال تعالى: «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد»؛ ولهذا أوصت الحكماء بمنع الأحداث من مجالسة السفهاء وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لا تصحب الفاجر فيزيّن لك فعله ويودّ لو أنّك مثله. وقيل: جالسوا من يذكّركم الله رؤيته، ويزيدكم من خير نطقه. وقالوا: إيّاك ومجالسة الأشرار؛ فإنّ طبعك يسرق من طبعهم وأنت لا تدري، بل قد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: مثل الجليس الصالح كمثل الداري إن لم يحدك من عطره يعلقك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرقك بناره يؤذك بدخانه، وقال عليه الصّلاة والسّلام: المرء على دين خليله، فلينظر امرئ من يخالّ، أي: يجذبه خليله إلى دينه. ومن قوّة هذا المعنى في النفوس شاع على الألسنة قول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن يقتدي

وليس إعداء الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط بل بالنظر إليه، فالنظر إلى الصور يؤثر في النفوس أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور؛ فإنّ من دامت رؤيته لمسرور سرّ أو لمحزون حزن، وليس ذلك في الإنسان فقط بل في الحيوانات والنبات، فالجمل الصعب قد يصير ذلولاً بمقارنة الجمال الذلل، والذلول قد يصعب بمقارنة الصعاب، والريحانة الغضّة تذبل لمجاورة الذابلة؛ ولهذا يلتقط أصحاب الفلاحة الرمم عن الزروع لئلاّ تفسدها، ومعروف أنّ الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة إذا قربت منها، وذلك ممّا لا ينكره ذو تجربة، وإذا كانت هذه الأشياء قد بلغت من قبول التأثير هذا المبلغ فما الظنّ بالنفوس البشريّة التي موضوعها لقبول صور الأشياء

....

خيرها وشرّها، فقد قيل: سمّي الإنس إنساً لأنّه يأنس مايراه إنْ خيراً وإنْ شرّاً (١).

وهذه جملة كافية في هذا المعنى. والأخبار فيه كثيرة جدّاً.

فمن ذلك ما روي عن عيسى بن مريم عليهما السلام أنّه قال: صاحب الشرّ يعدي، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن(٢).

وقال لقمان لابنه: يا بنيّ من يشارك الفاجر يتعلّم من طرقه، ومن يقارن قرين السوء لا يسلم(٣).

وعن أميرالمؤمنين عليه السّلام: لاينبغي للمرء المسلم أن يواخي الفاجر؛ فإنّه يزيّن له فعله، ويحبّ أن يكون مثله، ولايعينه على أمر دنياه ولا معاده ومدخله ومخرجه من عنده شين عليه(٤).

وعنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: انظروا من تحادثون، فإنّه ليس من أحد ينزل به الموت إلّا مثل له أصحابه إلى الله، إن كانوا خياراً فخياراً، وإن كانوا شراراً فشراراً، وليس أحد يموت إلّا تمثّلتُ له عند موته(٥).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم، فتصيروا عند الناس كواحد منهم(٦).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه (٧) ✽.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٩٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٠ ح ٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٤١ ح ٩.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٦٤٠ ح ٢.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٦٣٨ ح ٣. (٦) و(٧) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٢ ح ١٠.

وَلا تَجْعَلْ لِفاجِرٍ وَلا كـافِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً، وَلالَهُ عِنْدي يَداً، وَلابي إلَيْهِمْ حاجَةً، بَلِ اجْـعَلْ سُكُـونَ قَلْبي وأُنْسَ نَفْسي، وَاسْتِغْنـائي وكفايَتي، بِكَ وَبخِيارِ خَـلْقِك، أللّهُمَّ صَلِّ عَـلىٰ مُحَـمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلني لَهُـم قَريناً، وَاجْعَلني لَهُمْ نَصيراً.

فجر العبد فجوراً ـ من باب قعد ـ: عصى وفسق وكذب وزنى، فهو فاجر.

قال الزمخشري في الفائق: وأصل الفجر: الشقّ، وبه سمّي الفجر كما سميّ فلقاً، والعاصي فاجر لأنّه شاقّ لعصا الطاعة(١).

وعرّفوا الفجور بأنّه هيئة حاصلة للنفس، بها تباشر أُموراً على خلاف الشرع والمروّة.

وكفر بالله يكفر ـ من باب قتل ـ كفراً وكفراناً بضمّهما: جحده، وأصل الكفر: التغطية والستر، يقال: الليل كافر؛ لأنّه يستر الأشياء بظلمته، وفلان كفر النعمة: إذا سترها ولم يشكرها.

والكفر في الشرع: عبارة عن جحد ما أوجب الله تعالى معرفته، من توحيده وعدله ومعرفة نبيّه وماجاء به من أركان الشرع، فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً.

وقيل: هو إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وآله به.

والمنّة: النعمة، اسم مِن مَنّ عليه: بمعنى أنعم، أو مِن مَنّ عليه: بمعنى عدّدله ما فعله معه من الصنائع، مثل أن يقول: أعطيتك وفعلت لك، وهو تكرير وتعيير تنكسر منه القلوب؛ فلهذا نهىٰ الشارع عنه بقوله: «لا تُبطِلوا صَدقاتِكم بالمنِّ والأذىٰ»(٢)، ومنه قولهم: المنّة تهدم الصنيعة، وكلا المعنيين محتمل هنا.

واليد: النعمة والإحسان، سميّت باسم الجارحة لأنّ العطاء يكون بها.

---

(١) الفائق ج٣ ص٩٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

....

قال في الأساس: ومن المجاز: لفلان عندي يد (١).

والباء من قوله: «بي»: للإلصاق، مثلها في قولهم: به داء.

والضمير من قوله: «إليهم»: عائد إلى الفجّار والكفّار، والجمع مفهوم من اقتضاء النكرة في سياق النفي للعموم.

وقدّم الفاجر على الكافر لأنّ الفاجر أكثر؛ لأنّه يعمّ الكافر وغيره، واقتداءً بالقرآن المجيد حيث قدّم الوصف بالفجور على الوصف بالكفر، فقال: «ولا يَلِدوا إلّا فاجراً كفّاراً»(٢)، هذا.

ولمّا كانت النعمة والإحسان ممّا يستعبد الإنسان، والحرّ يصعب عليه أن يستعبد بالبرّ من غير الفاجر والكافر فكيف بهما، سأل عليه السّلام أن ينزّهه عن منّة الفاجر والكافر وإحسانهما، ولا يضطرّه إلى الحاجة إليهما، وأيضاً فإنّ القلوب مجبولة على حبّ من احسن إليها والميل إلى من أنعم عليها، كما قال أبوالطيّب:

وكلّ امرىءٍ يُولي الجميل محبّب وكلّ مكانٍ ينبت العزّ طيّب(٣)

فسأل عليه السّلام أن لا يجعل لفاجر ولا كافر عليه نعمةً وإحساناً لئلاّ يميل قلبه إلى واحد منهما، وأن لايكون له إليهم حاجة فيضطرّ إلى التواضع لهم واستعطافهم.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لو أُهدي إليّ كراع لقبلت وكان ذلك من الدين، ولو أنّ كافراً أو منافقاً أهدى إليّ وسقاً ما قبلت وكان ذلك من الدين، أبى الله تعالى لي زبد الكافرين والمنافقين وطعامهم (٤).

قال بعض العلماء: الزبد بسكون الباء الموحّدة: الرفد والعطاء(٥)، وإنّما لم يقبل

(١) أساس البلاغة: ص٧١١. (٢) سورة نوح: الآية ٢٧.

(٣) ديوان أبي الطيّب المتنبي: ص٣٥٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢١٥، الكافي: ج٥ ص١٤١ ح٢. (٥) مرآة العقول: ج١٩ ص١١٧.

....

هديّتهم لأنّ للهديّة موضعاً من القلب،كما قال عليه السّلام تهادوا تحابّوا(١)، ولايجوز أن يميل بقلبه إلى كافر أو منافق.

وعنه صلّى الله عليه وآله: لاتجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة؛ فإنّي أجد فيما أوحيت: لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله (٢) الآية، وهو صريح فيما ذكر.

وعن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: اتّقوا الله وصونوا دينكم بالورع، وقوّوه بالتقيّة والاستغناء بالله، إنّه من خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه على دينه، طلباً لما في يديه من دنياه، أخمله الله ومقته عليه ووكله إليه،فان هوغلب على شيء من دنياه فصار إليه منه شيء نزع الله البركة منه، ولم يؤجره على شيء ينفقه في حجّ ولاعتق ولابرّ (٣).

وهذا الحديث رواه شيخ الطائفة في أوائل كتاب المكاسب من التهذيب بطريق حسن أو صحيح(٤).

قوله عليه السّلام «بك وبخيار خلقك» ظرف مستقرّ أي: كائناً بك، وهو مفعول ثان لاجعل.

ومعنى سكون القلب وأُنس النفس به تعالى: الاطمئنان إلى كرمه وعطائه، والابتهاج بمشاهدة أنوار كبريائه. ولمّا كان الإنسان مدنياً بالطبع فلم يكن له بدّ من معاشرة أبناء جنسه ومعاونتهم سأل عليه السّلام أن يجعل ذلك بخيار خلقه احترازاً عن شرارهم، كما ورد في دعاء آخر: اللّهم إنّي أسألك الغنى عن شرار الناس(٥).

وفي الحديث: أنّ رجلاً قال لأبي عبدالله عليه السّلام: جعلت فداك ادع الله أن يغنيني عن خلقه، قال: إنّ الله قسم رزق من شاء على يدي من شاء، ولكن

---

(١) الخصال: ص٢٧ ح٩٧.
(٢) تفسير الكشاف: ج ٤ ص٤٩٧.
(٣) و(٤) تهذيب الاحكام: ج٦ ص ٣٣٠ ح٣٥.
(٥) الكافي: ج ٢ ص٥٨٧ ح٢٥.

وَأمْنُنْ عَليَّ بِشَوْقٍ إلَيْكَ ، وَبِالْعَمَلِ لَكَ بِما تُحِبُّ وَتَرْضىٰ ، إنَّكَ علىٰ كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، وَذلكَ عَلَيْكَ يَسيرٌ.

سل الله أن يغنيك عن الحاجة التي تضطرّك إلى لئام خلقه(١).

قوله عليه السّلام: «واجعلني لهم قريناً واجعلني لهم نصيراً» القرين الصاحب والخليل المقارن الذي يتبع أمر صاحبه ويوافقه عليه، من قرنت الشيء بالشيء: إذا شددته إليه ووصلته به، فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح.

والنصير: الناصر وهو المؤيّد والمقوّي، فعيل بمعنى فاعل.

وفي الحديث: من حقّ المؤمن على المؤمن النصرة له على من ظلمه(٢).

والفرق بين القرين والنصير: أنّ القرين قد يضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبياً غير مقارن *.

الشوق لغةً نزاع النفس الى الشيء وعرفاً قيل: هواحتياج القلب إلى لقاء المحبوب.

وقال النصير الطوسي قدّس سرّه في بعض رسائله: الشوق إدراك لذّة المحبّة اللازمة لفرط الإرادة الممتزجة بألم المفارقة، وهو في حال السلوك بعد اشتداد الإرادة يكون ضرورياً، وربّما كان حاصلاً قبل السلوك ، وذلك إذا حصل الشعور بكمال المطلوب ولم تنضمّ إليه القدرة على السير وقلّ الصبر على المفارقة، قال: وكلّما ترقّى السالك في سلوكه كثر الشوق وقلّ الصبر، حتّى يصل إلى المطلوب فتخلص حينئذ لذّة نيل الكمال(٣) من الألم وينتفي الشوق(٤).

وقد يُسمّي أرباب الطريقة مشاهدة المحبوب شوقاً، باعتبار أنّ المشاهِد طالب لمرتبة الإتحاد وهو لم يصل إليها بعد. وأتبع طلب الشوق بطلب العمل؛ لأنّ العمل من لوازم الشوق الصادق، فإنّ من صدق شوقه إلى محبوب أجهد نفسه فى الأعمال

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٦ ح ١.
(٢) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٥٤٥ - ٥٤٦ ح ١٠.
(٣) في (ج) الكلام.
(٤) لم نتحققه.

....

الموصلة إليه، وبالغ فيما يحبّه ويرضاه ويكون عمله له بمقدار قوّة شوقه إليه، فسأل عليه السّلام العمل له تعالى ممّا يحبّ ويرضى؛ ليتمّ صدق شوقه إليه، ويصل إلى لذّة الوصل الخالصة من ألم الفراق.

قوله عليه السّلام: «إنّك على كلّ شيءٍ قدير وذلك عليك يسير» تعليل للدعاء، ومزيد استدعاء للإجابة.

والمراد بالشيء هنا: الممكن موجوداً كان أو معدوماً؛ بقضيّة اختصاص تعلّق القدرة به، كما مرّ بيانه في اوّل الروضة الثانية(١).

والقادر: هوالذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، والقدير: الفعّال لكلّ مايشاء؛ ولذلك لم يوصف به غيرالباري تعالى، ومعنى قدرته على الممكن الموجود حال وجوده: أنّه إن شاء إبقاءه أبقاه عليه؛ فإنّ علّة الوجودهي علّة البقاء، وقد مرّ تحقيقه في الروضة الأُولىٰ في شرح قوله عليه السّلام: «وفتح لنا أبواب العلم بربوبيّته»(٢)، وإن شاء إعدامه أعدمه، ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه: أنّه إن شاء إيجاده أوجده، وإن لم يشأ لم يوجده.

وقوله: «وذلك عليك يسير» أي: ما ذكر من المسؤولات عليك هيّن لاصعوبة فيه؛ لاستغنائك عن الأسباب وتحقّق قدرتك التّامّة، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الحادية والعشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، وقد وفّق لإ تمامها واجتلاء بدر تمامها عصر يوم الخميس لتسع خلون من شهر ربيع الأوّل من شهور سنة احدى ومائة وألف.

بقلم مؤلّفها العبد عليّ الصدر الحسيني، كان الله له وبلّغه أمله.

---

(١) ج ١ ص ٤٣٦.

(٢) ج ١ ص ٣٢٠.

الروضة الثانية والعشرون

وكان من دعائه عليه السلام عند الشدة والجهد وتعسر الأمور

اللهم إنك كلفتني من نفسي ما أنت أملك به مني وقدرتك
عليه وعلي أغلب من قدرتي فأعطني من نفسي ما يرضيك عني
وخذ لنفسك رضاها من نفسي في عافية اللهم لا طاقة لي
بالجهد ولا صبر لي على البلاء ولا قوة لي على الفقر فلا تحظر علي
رزقي ولا تكلني إلى خلقك بل تفرد بحاجتي وتول كفايتي وانظر إلي وانظر
لي في جميع أموري فإنك إن وكلتني إلى نفسي عجزت عنها ولم أقم
ما فيه مصلحتها وإن وكلتني إلى خلقك تجهموني وإن ألجأتني
إلى قرابتي حرموني وإن أعطوا أعطوا قليلا نكدا ومنوا علي طويلا
وذموا كثيرا فبفضلك اللهم فأغنني وبعظمتك فانعشني وبسعتك
فابسط يدي وبما عندك فاكفني اللهم صل على محمد وآله
وخلصني من الحسد واحصرني عن الذنوب وورعني عن المحارم
ولا تجرئني على المعاصي واجعل هواي عندك ورضاي فيما يرد
علي منك وبارك لي فيما رزقتني وفيما خولتني وفيما أنعمت به
علي واجعلني في كل حالاتي محفوظا مكلوءا مستورا ممنوعا معاذا

مجازاً اللّهم صل على محمد وآله واقض عني كل ما ألزمتنيه و
فرضته علي لك في وجه من وجوه طاعتك أو لخلق من خلقك
وإن ضعف عن ذلك بدني ووهنت عنه قوتي ولم تنله مقدرتي
ولم يسعه مالي ولا ذات يدي ذكرته أو نسيته هو يا رب مما قد
أحصيته علي وأغفلته أنا من نفسي فأده عني من جزيل عطيتك و
كثير ما عندك فإنك واسع كريم حتى لا يبقى علي شيء منه تريد أن
تقاصني به من حسناتي أو تضاعف به من سيئاتي يوم ألقاك يا
رب اللّهم صل على محمد وآله وارزقني الرغبة في العمل لك لآخرتي
حتى أعرف صدق ذلك من قلبي وحتى يكون الغالب علي الزهد
في دنياي وحتى أعمل الحسنات شوقاً وآمن من السيئات فرقاً
وخوفاً وهب لي نوراً أمشي به في الناس وأهتدي به في الظلمات
وأستضيء به من الشك والشبهات اللّهم صل على محمد وآله وارزقني
خوف غم الوعيد وشوق ثواب الموعود حتى أجد لذة ما أدعوك
له وكآبة ما أستجير بك منه اللّهم قد تعلم ما يصلحني من أمر
دنياي وآخرتي فكن بحوائجي حفياً اللّهم صل على محمد وآل محمد

وارزقني الحقّ عند تقصيري في الشكر لك بما انعمت عليّ في
اليسر والعسر والصحة والسقم حتى اتعرّف من نفسي روح الرضا
وطمانينة النفس مني بما يجب لك فيما يحدث في حال الخوف و
الامن والرضا والسخط والضرّ والنفع اللهم صلّ على محمد وآله
وارزقني سلامة الصدر من الحسد حتى لا احسد احدا من خلقك
على شيء من فضلك وحتى لا ارى نعمة من نعمك على احد من
خلقك في دين او دنيا او عافية او تقوى او سعة او رخاء الا
رجوت لنفسي افضل ذلك بك ومنك وحدك لا شريك لك اللهم
صلّ على محمد وآله وارزقني التحفظ من الخطايا والاحتراس
من الزلل في الدنيا والآخرة في حال الرضا والغضب حتى اكون بما
يرد عليّ منهما بمنزلة سواء عاملا بطاعتك مؤثرا لرضاك على ما
سواهما في الاولياء والاعداء حتى يأمن عدوي من ظلمي وجوري و
ييأس وليي من ميلي وانحطاط هواي واجعلني ممن يدعوك مخلصا
في الرخاء دعاء المخلصين المضطرين لك في الدعاء انك حميد
مجيد

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

الحمد لله الكافي كلّ بلاء ومحذور، المدعوّ عند الشدة والجهد وتعسّر الأُمور، والصّلاة والسّلام على نبيّه المبعوث بالكتاب المسطور، وعلى أهل بيته أهل البيت المعمور.

وبعد فهذه الروضة الثانية والعشرون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الثاني والعشرين من صحيفة سيّد العابدين صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربّه السني عليّ صدرالدين الحسيني الحسنيّ، أفاض الله عليه سجال الآلاء وكفاه كلّ جهد وبلاء.

شرح الدعاء الثاني والعشرين

وكانَ مِن دُعائِهِ عَليهِ السّلامُ عِنْد الشِدّةِ وَالجهدِ وتعسُّرِ الأُمور:

اعلم أنّ الله جلّ شأنه امتحن عباده في هذه الدار بالخير والشرّ، والنفع والضرر، والغنى والفقر، والقوّة والعجز، والسّراء والضرّاء، والشدّة والرخاء، ليعلم العبد علماً يقيناً أنّه عبد مدبّر ناقص ضعيف، فيتبرّأ من حول نفسه وقوّتها، ويعتصم بحول مولاه وقوّته، فإذا حصل له الخير حمده وشكره واعترف بإحسانه وذكره، وإذا ألمّ به شرّ وأصابه دعاه باضطراره فأجابه، ليعلم أنّه العبد الذي دعا مولاه فلبّاه وسأله فأعطاه، ويصير ذلك ذريعة إلى توجّه نفسه بكليّتها إليه، والاعتماد في كلّ أحواله عليه، ولذلك كان الدعاء أوثق مايستعصم به من الآفات، وأمتن مايؤمن به من النكبات، وأعظم مايتوسّل(١) به أولوا الألباب إلى ربّ الأرباب.

وفي كلام بعضهم: الدعاء مفتاح الحاجات، ومستروح أصحاب الفائقات(٢) وملجأ المضطرين، ومتنفّس المكروبين، وكان من سنن الأنبياء والمرسلين وعبادالله الصالحين، إذا نزل بأحدهم كرب وبلاء، فزع إلى الدعاء، وهذا معنى

---

(١) (خ) يتوصّل.

(٢) (ج) النائبات.

اللّهُمَّ إنَّكَ كلَّفْتَنِي مِنْ نَفْسي ما أنْتَ أمْلَكُ بِهِ مِنّي، وَقُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ أغْلَبُ مِنْ قُدْرَتي، فَأعْطِنِي مِنْ نَفْسِي مايُرْضيكَ عَنّي، وَخُذْ لِنَفْسِكَ رِضاها مِنْ نَفْسِي فِي عافِيَةٍ.

قول أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: إذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع (١). ولأجل هذا كان سيّدالعابدين وأشرف الموحّدين سلام الله عليه، يدعو بهذا الدعاء عند الجهد والبلاء، فيقول: (٢) *.

كلّفته الأمر تكليفاً: حمّلته إيّاه على مشقّة، من الكلفة بالضمّ وهي المشقّة، وسمّي أمرالله تعالى ونهيه تكليفاً، لما فيه من قهرالوهم والقوى البدنيّة عن مقتضيات طباعها، وفي ذلك كلفة على النفس المتعلّقة بالبدن.

و«من» في قوله: «من نفسي»: مبيّنة لـ «ما» من قوله: «ما أنت أملك به منّي»: والتقدير: كلّفتني ما أنت أملك به منّي من صلاح نفسي.

قال الرضيّ: إنّما جاز تقديم «من» المبيّنة على المبهم في نحو «عندي من المال ما يكفي»؛ لأنّ المبهم الذي فسّر بـ «من» التبيينيّة مقدّم تقديراً، كأنّك قلت: عندي شيء من المال ما يكفي (٣).

ولمّا كان التكليف إنّما يتعلّق بالأفعال دون الذوات، كان قوله: «من نفسي» على تقدير مضاف، أي: من صلاح نفسي كما ذكرنا.

وملكت الشيء -من باب ضرب-: احتويته قادراً على الاستبداد به، فمعنى «أملك به منّي» أقدر على الاستبداد به منّي، وعدّاه بالباء لتضمينه معنى أولى، وفي نسخة «له» وهو الأصل. ولمّا كان العبد مكلّفاً بصلاح نفسه وتطهيرها من

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٤ ص ١٠٩٤ ح ٤.

(٢) أي بدأ بالدعاء. (٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢٢.

....

دنس المعاصي، بسلوك سبيل الطاعة، وتحرّي رضوانه، وتجنّب سخطه، ووقايته لها من الهلاك السرمدي والعذاب الأبدي، بالقيام بالطاعات وأجتناب الشهوات، وكانت قدرته على ذلك مستندة إلى قدرته تعالى؛ إذهي مستندة جميع الموجودات، وكلّ قدرة تنتهي إلى قدرته التي لاقدرة فوقها، كان سبحانه أقدر على صلاح نفس عبده منه، وقدرته تعالى على العبد وعلى ما كلّفه به أغلب من قدرة العبد، كيف؟ **وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً إلّا به، وكلّ موجود فهو في تصريف ملكه** وقدرته.

والفاء من قوله «فاعطني»: فصيحة، أي: إذا كان الأمر كذلك فاعطني من نفسي ما يرضيك عنّي، أي: أفض على نفسي قوّة أستعدّ بها ما يرضيك عنّي.

وخذ لنفسك رضاها من نفسي أي: اقهرها بصرفها عن التفاتها إلى غيرك حتّى ترضى. ولما كان هذا المعنى ربّما وصل إلى حدّ تشتغل فيه النفس المدبّرة للبدن عن النظر في صلاح البدن وتدبيره، فيؤدّي إلى انحلال القوى البدنيّة واختلال حركاتها وعدم ضبطها، فيفسد البدن أو يختلّ الذهن، كما وقع لكثير من المحبّين والعارفين.

سأل عليه السّلام أن يكون ذلك في عافية، ويحتمل أن يكون الغرض من هذا القيد، أنّه عليه السّلام لمّا سأل أخذه تعالى لنفسه رضاها من نفسه، وكان ذلك عامّاً لكونه في عافية أو بلاء، خشي أن يكون ذلك إظهاراً للتجلّد، وإيذاناً بطاقة تحمّله لجميع مايكون فيه رضاه سبحانه من عافية وبلاء، فاحترز عن البلاء بقوله: «في عافية».

كما يحكى أنّ ابن الفارض لمّا أنشدّ قوله:

وبما شئت في هواك اختبرني فاختياري ماكان فيه رضاكا

ابتلى بحصرالبول، فأمر أن يحمل ويطاف به على مكاتب الأطفال، وجعل

اللّهُمَّ لا طاقَةَ لي بِالجَهْدِ، وَلاصبرلي عَلى البَلاءِ، وَلاقُوَّةَ لي عَلى الفَقْرِ، فَلا تَحْظُرْ عَلَيَّ رِزْقي، وَلاَ تَكِلْني إلى خَلْقِكَ، بَلْ تَفَرَّدْ بِحاجَتي، وَتَوَلَّ كِفايَتي، وَانْظُرْ إلَيَّ، وَانْظُرْ لي في جَميعِ أُموري.

يقول: ادعوا لعمّكم الكذّاب(١).

وقريب من هذا المعنى ما روي عن الصادق عليه السّلام، أنّه قال لإسحاق بن عمّار حين أمره باستخارة: لتكن استخارتك في عافية؛ فإنّه ربّما خير للرجل في قطع يده وموت ولده وذهاب عقله (٢).

وقال بعضهم: التقييد بقوله «في عافية» لدفع أن يكون رضاه سبحانه بغير العافية مع الاستحقاق، والله أعلم إنتهى. وشرط الاستحقاق لاحاجة إليه.

وقال شيخنا البهائي قدّس سرّه في المفتاح في معنى ماورد في الدعاء «وخذ لنفسك رضاها من نفسي»: أي أجعل نفسي راضية بكلّ مايرد عليها منك (٣) *.

الطاقة: اسم من أطقت الشيء إطاقة أي: قدرت عليه فأنا مطيق، مثل الطاعة اسم من أطاع. وعينها واو؛ لأنها من الطوق وهو القدرة وخبر لـ«الى» ويجوز أن يكون بالجهد فيتعلّق بمحذوف.

ولي: تبيين؛ أو صفة لطاقة.

والباء: للاستعلاء بمعنى على، أي: على الجهد، نحو: من ان تأمنه بقنطار، أي: عليه.

والجهد بالفتح: المشقّة، وجهد الرجل فهو مجهود، ويقال: أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهداً شديداً، وجهد عيشهم بالكسر -من باب ضرب- : أي نكد واشتدّ، والجهد بالضمّ في لغة الحجاز وبالفتح في غيرها: الوسع والطاقة وقيل:

---

(١) المحجّة البيضاء: ج٧ ص٢٣٦. إلا أنّ الحكاية منقولة عن سمنون.

(٢) الكافي: ج٣ ص٣٧٢ ح٧ وفيه: «ذهاب ماله». (٣) مفتاح الفلاح: ص٢١٠.

....

المضموم هو الطاقة، والمفتوح هوالمشقّة والجهد بالفتح أيضاً: المبالغة والغاية، وهو مصدر من جهد في الأمر جهداً ـ من باب نفع ـ: إذا طلب واستقصى حتّى بلغ غايته في الطلب، وإرادة هذا المعنى محتملة هنا.

وفي رواية «بالجهد» مضموماً، قال بعض المترجمين: ومعناه غيرواضح.

قلت: هي لغة في الجهد بالفتح بمعنى المشقّة، حكاها النووى في شرح مسلم، قال: وفيه فأصابهم قحط وجَهد، بفتح الجيم، أي: مشقّة شديدة وحكي ضمّها (١) إنتهىٰ.

والبلاء هنا: اسم من ابتلاه الله بكذا أي: أصابه بما يكرهه ويشقّ عليه.

والفقر: فقدان الكفاف.

وحظره حظراً ـ من باب قتل ـ: منعه، والمراد به المبالغة في التضييق والتقليل.

ووكلت فلاناً إلى فلان ـ من باب وعد ـ ألجأته إليه وفوضّت أمره إليه فجعلته متوكّلاً ومعتمداً عليه، ومنه: لا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ أبداً(٢).

قال بعض العلماء: من اعتقد جزماً أو ظنّاً بأنّ نفسه أو أحداً غيرالله تعالى ممّن ينسب إليه التأثير والقدرة، هو المتمكّن من الفعل وأنّه تامّ القدرة على تحصيل مراده، فإنّ ذلك من أقوى الأسباب المعدّة لأن يفيض الله تعالى على قلبه صورة الاعتماد على المعتمد فيه والمتوكّل عليه، وهذا معنى وكله الله إلى نفسه أو إلى خلقه(٣) إنتهىٰ.

وتفرّد بالأمر: انفرد به ولم يشاركه فيه غيره، ومعنى تفرّده تعالى بحاجته أن لايجعل بينه واسطة في قضائها، بل يقضيها له ابتداء من غير إمداد وإعانة من الخلق.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي: ج ١٧ ص ٣١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٨١، ح ١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ١ ص ٣١٢.

فَإنَّكَ إنْ وَكَلْتَني إلىٰ نَفسي عَجَزْتُ عَنْها وَلَمْ اُقِمْ ما فيهِ مَصْلَحَتُها، وَإنْ وَكَلْتَني إلىٰ خَلْقِكَ تَجَهَّموني، وَإنْ ألْجَأْتَني إلىٰ قَرابَتي حَرَموني، وَإنْ اَعْطَوا اَعْطَوا قَليلاً نَكِداً، وَمَنّوا عَلَيَّ طَويلاً، وَذَمّوا كَثيراً.

تولّى امره: قام به دون غيره، وكفاه مؤنته كفايةً: قام مقامه فيها وأغناه عن تجشّم القيام بها.

ونظرالله تعالى إلى عبده مجاز عن رحمته له وإحسانه إليه؛ وقد مرّ بيانه، ونظر له: رحمه ورثى له(١) وأعانه، ونظر في الأمر، تفكّر وتدبّر فيه.

قال بعض ائمّة اللغة: النظر إذا استعمل بـ «إلى» يكون بمعنى الرؤية، وباللام بمعنى الرحمة، و بـ «في» بمعنى الفكر، وبـ «بين» بمعنى الحكم، كقولك: نظرت بين القوم أي: حكمت بينهم (٢)إنتهى.

فإن جعلت النظر من قوله عليه السّلام: «وانظر إليّ في جميع أموري» بمعنى الرحمة والإعانة، كان المعنى وارحمني وأعنّي في جميع أموري، وإن جعلته بمعنى الفكر والتدبّر فالمراد به هنا لازمه وهو الاعتناء والاهتمام؛ فإنّ الفكر والتدبير في الأمر إنّما يكون عن اعتناء واهتمام به، فالمعنى وانظر لأجلي في جميع أموري، وكلا الجارّين متعلّق بانظر.

الفاء: للتعليل.

وعجزت عنها: أي عن القيام بشأنها.

وأقام الأمر: أدّاه كاملاً، ومنه إقامة الحدود.

والمصلحة: واحدة المصالح، يقال: في هذا الأمر مصلحة أي: خير.

وتجهّمه وجهمه كمنعه: استقبله بوجه كريه، من قولهم: رجل جهم الوجه.

---

(١) (الف وج) رثى.

(٢) لم نعثر عليه.

....

قال في القاموس: الجهم الوجه ككتف: الوجه الغليظ المجتمع السمج(١).

وقال الزمخشري في الأساس: وجه جهم: غليظ كثير اللحم ضيّق الخلقة وهو الباسر الكريه، وتجهّمت الرجل وجهّمته: إذا استقبله بوجه مكفهّر.

وقيل: هو أنّ تغلظ له في القول، يقول: تجهّمني بما أكره وجهّمني به(٢) إنتهىٰ.

وألجأته إلى كذا إلجاءً. اضطررته إليه.

وحرمني معروفه -من باب ضرب- حرماً وحرماناً بكسرهما: منعني، وفلان محروم غير مرزوق.

وقليلاً: صفة لموصوف محذوف، وهو إمّا مفعول به أو مصدر، أي: شيئاً قليلاً، أو عطاءً قليلاً.

والنكد ككتف والنكد بفتحتين مثل بطل: العسر الذي لاخير فيه، وبالوجهين وردت الرواية في الدعاء وبهما قرئ قوله تعالى: «والّذي خَبثَ لايَخرُج إلّا نَكِداً»(٣)، يقال: نكد عيشهم -من باب تعب- إذا اشتدّ ولم يهنأ.

وعطاء منكود أيضاً: قليل غيرمهنّأ.

وطويلاً يحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً وأن يكون ظرفاً، أي: منّاً طويلاً، أو زمناً طويلاً، ويحتمل أن يكون حالاً من المنّ أي: منّوا عليّ المنّ حال كونه طويلاً.

وكثيراً: إمّا مفعول مطلق أي: ذمّاً كثيراً، أوحال أي: حال كون الذّم كثيراً.

ومدار هذا الفصل من الدعاء على بيان أنّ الله سبحانه إذا لم يتوّل أمر عبده وكفايته بنفسه، لم يقم بأمره أحد سواه ولم يكفه مؤونته غيره، فهو إن وكله إلى نفسه وفوّض أمره إليها، كان عاجزاً ضعيفاً عن القيام بشؤونها ومايصلحها.

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٩٢.

(٢) أساس البلاغة: ص١٠٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٨.

فَبِفَضْلِكَ اللّهُمَّ فَأغْنِني، وَبِعَظَمَتِكَ فانْعشني، وَبِسَعَتِكَ فَابْسُطْ يَدي، وَبِما عِنْدَكَ فَاكْفِني.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده إلى ابن أبي يعفور، قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول وهو رافع يده إلى السماء: ربّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً لا أقلّ من ذلك ولا أكثر، قال: فما كان بأسرع من أن تحدر الدموع من جوانب لحيته، ثمّ أقبل عليّ فقال: يا ابن أبي يعفور إنّ يونس بن متّي وكله الله عزّوجلّ إلى نفسه أقلّ من طرفة عين فأحدث ذلك الذنب، فقلت: فبلغ به كفراً أصلحك الله؟ قال: لا، ولكنّ الموت على تلك الحال هلاك (١) إنتهى.

وإن وكله إلى غير نفسه من أجنبيّ استثقله وعبس في وجهه، أو قريب فإمّا أن يمنعه معروفه كالأجنبيّ، أو تعطفه عليه للقرابة فيمنحه قليلاً حقيراً، أو يمنّ عليه طويلاً ويذمّه كثيراً؛ وذلك لما جبلت عليه الأنفس من الشحّ والبخل، لأنّ الشحّ غريزة في النفس مقتضية للحرص على المنع وحبّ المال وبغض الإنفاق؛ ولذلك قال تعالى: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئك هُم المفلحون»(٢) *.

الفاء: فصيحة، أي: إذا كان الأمر كذلك فبفضلك أي: بإحسانك لا بغيره فأغنني.

والباء: متعلّقة بأغنني، وأصل الكلام أغنني بفضلك، ثمّ قدّم الجارّ والمجرور على الفعل لإفادة القصر، ثمّ أُدخل عليه الفاء لإفادة، معنى السببيّة فصار بفضلك فأغنني، والمعنى: أنّ إغنائي ينبغي أن يكون مسبّباً عن فضلك ولازماً له، وقس عليه مابعده، وإنّما جاز عمل مابعد الفاء فيما قبلها هنا مع أنّها للسببيّة، وهو ممتنع في غير هذا الموضع؛ لوقوعها في غير موقعها فهي كالزائدة.

وقول بعضهم إنّ «بفضلك» متعلّق بمحذوف، أي: عاملني بفضلك فأغنني،

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٨١ ح ١٥. (٢) سورة الحشر: الآية ٩.

اللّهمّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وخلِّصْني مِنَ الحَسَدِ، وَاحْصُرْني عَنِ الذُنوبِ، وَوَرِّعْني عَنِ المَحارِمِ، وَلا تُجَرِّئْني عَلىٰ المَعاصِي، وَاجْعَلْ هُوايَ فيما عِنْدَكَ وَرِضايَ فيما يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكَ، وَبارِكْ لي فيما رَزَقْتَني، وَفيما خَوَّلْتَني، وَفيما أنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ.

وكذا يقدّر للباقي بعظمتك، وبسعتك، وبما عندك، متعلّقات؛ لكون الأفعال بعدها مسبّبه عنها، ليس بشيء؛ فإنّ هذا التقدير الذي ذكره يفوت معه معنى القصر، المقصود من تقديم الظرف على متعلّقه.

ونعشه الله نعشاً ـ من باب منع ـ: رفعه ونعشه أيضاً: تداركه من مهلكة، ونعشه الله وأنعشه: سدّ فقره، ونعش الربيع الناس: أغاثهم.

وعظمته تعالى عبارة عن بلوغ قوّة اُلوهيّته، التي هي شدّة وجوده، إلى اللا تناهي بل وراء اللا تناهي.

وسعته تعالى عبارة عن كثرة مقدوراته التي لا نهاية لها.

وبسط اليد هنا كناية عن التوسعة في الخير والجدة.

وما عنده تعالى عبارة عن خيرات الدنيا والآخرة.

والكفاية هنا: بمعنى الغنى، أي: بما عندك فأغنني، ومنه: «و كفى اللهُ المؤمنينَ القِتالَ»(١) أي: أغناهم عنه *.

خلص الشيء من التلف خلوصاً ـ من باب قعد ـ وخلاصاً ومخلصاً: سلم ونجى، ويعدّى بالتضعيف فيقال: خلّصه تخليصاً أي: سلّمه ونجّاه.

والحسد: تمنّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد.

وحصره حصراً ـ من باب قتل ـ: منعه وحبسه، والمراد به هنا حسم أسباب الذنوب بعدم الإعداد لها.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٥.

....

والورع بالتحريك: الكفّ عن محارم، يقال: ورع يرع بكسرتين ورعاً بفتحتين ورعةً مثل عدة فهو ورع، وورعته عن الأمر توريعاً: كففته فتورّع هو.

والمحارم: جمع محرم كجعفر، أو محرمة بفتح الراء وضمّها بمعنى الحرمة لا يحلّ انتهاكها.

وجرأ على الشيء جرأة مثل ضخم ضخامة واجترأ عليه: أسرع بالهجوم عليه من غير توقّف، والاسم الجرأة على وزن غرفة، وجرّأته عليه بالتشديد فتجرّأ هو، أي: لا تجعلني مرتكباً للمعاصي من غير مبالاة، والغرض طلب التوفيق لتركها والاحتراز منها.

والهوى مقصوراً: إرادة النفس، يكون في الخير والشرّ.

والرضا: سرور القلب.

وقوله: «فيما يرد عليّ منك» أي: يتّصل بي من حكمك ويجري عليّ من قضائك.

قال أهل العرفان: بداية الرضا من جملة المقامات يكتسبها العبد اكتساباً، ونهايته من جملة المقامات يكتسبها العبد اكتساباً، ونهايته من جملة الأحوال يوجبها الله تعالى إيجاباً، ومن حلّي بالرضا فقد لقي بالترحيب الأوفى وأكرم بالتقريب الأعلى، ولايكاد العبديرضىٰ عن الله حتّى يرضى الله عنه، كما قال الله تعالى: «رَضيَ اللهُ عنهم ورَضُوا عَنه»(١)، فإذا كان العبد راضياً عن الله علم به أنّ الله راضٍ عنه.

قال موسى عليه السّلام: إلهي دلّني على عمل إذا عملته رضيت، قال: إنّك لاتطيق ذلك يا موسى، فخرّ موسىٰ ساجداً متضرّعاً مخبتاً، فأوحى الله إليه يا ابن

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٩.

وَاجْعَلْني في كُلِّ حالاتي مَحْفُوظاً مَكْلوءً، مَسْتوراً مَمْنوعاً، مُعاذاً مُجاراً.

عمران إنّ رضاي في رضاك بقضائي(١).

قال بعضهم: الرضا: استقبال الأحكام بالفرح.

وقال آخر: الرضا: باب الله الأعظم وجنّة الدنيا ومسرح العارفين.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام، قال: الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أوكره، لم يقض الله عزّوجلّ له فيما أحبّ أو كره إلّا ما هو خير له(٢)، وقد سبق مزيد كلام على الرضا في الرياض السابقة.

والبركة: النماء والزيادة، وبارك الله فيه: زاد فيه و أنماه فهو مبارك ، والأصل مبارك فيه.

وخوّله الله مالاً بالتضعيف: أعطاه.

وقال الجوهري: خوّله الله الشيء: أي ملّكه إيّاه(٣).

وفي القاموس: خوّله الله المال: أعطاه إيّاه مفضّلاً(٤).

وكأنّه لاحظ فيه اشتقاقه من الخول بفتحتين، وهو ما أعطاك الله من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية.

وأنعم الله عليه: أفاض عليه نعمته، يقال: أنعمها الله عليه وأنعم بها عليه، وعرّفت النعمة بأنّها المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير *.

حفظه حفظاً ـ من باب علم ـ: منعه من الضياع والتلف، وصانه عن الابتذال.

وكلأه الله يكلأه مهموزاً بفتحتين كلاءً بالمدّ والكسر: حرسه ورعاه، والمراد

(١) بحارالأنوار: ج ١٣ ص٣٥٨ ح٦٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٠ ح ٣.

(٣) الصحاح: ج ٤ ص ١٦٩٠. (٤) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٧٢ وفيه: متفضّلاً.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاقْضِ عَنّي كُلَّ ما أَلْزَمْتَنيهِ وفَرَضْتَهُ عَلَيَّ لَكَ، في وَجْهٍ مِنْ وُجوهِ طاعَتِكَ، أَوْ لِخَلْقٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَإِنْ ضَعُفَ عَنْ ذٰلِكَ بَدَني، وَوَهَنَتْ عَنْهُ قُوَّتي، وَلَمْ تَنَلْهُ مَقْدُرَتي، وَلَمْ يَسَعْهُ مالي، وَلا ذاتُ يَدي، ذَكَرْتُهُ أَوْ نسيتُهُ، هُوَ يا رَبِّ مِمّا قَدْ أَحْصَيْتَهُ عَلَيَّ، وَأَغْفَلْتُهُ أنا مِنْ نَفْسي، فَأَدِّهِ عَنّي مِنْ جَزيلِ عَطِيَّتِكَ، وَكَثيرِ ما عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ واسِعٌ كَريمٌ، حَتّىٰ لايَبْقىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ، تُريدُ أَنْ تُقاصَّني بِهِ مِنْ حَسَناتي، أَوْ تُضاعِفَ بِهِ مِنْ سَيِّئاتي، يَوْمَ أَلْقاكَ يا رَبِّ.

حفظه وحراسته من أسباب الهلاك والنقصان في الدين والبدن، بما يخلقه ويفيض عليه من الأسباب المعدّة للحفظ والحراسة.

وسترت الشيء ستراً ـ من باب قتل ـ: أخفيته، وستر الله عليه: أخفى مساويه عن الخلق فلم يطّلع عليها غيره.

ومنع فلان جاره: حماه من أن يضام، وقد منع فلان: صار ممنوعاً محمياً.

وعاذ بالله يعوذ عوذاً: اعتصم واستجار، وأعاذه الله: عصمه، وأجاره يجيره إجارةً: آمنه ممّا يخاف وحماه منه *.

قضيت الحجّ والدين: أدّيته، قال تعالى: «فإذا قَضيتُم مَناسِكَكُم»(١) أي: أديتموها، فالقضاء هنا بمعنى أداء، كما في قوله تعالىٰ «فإذا قَضيتُمُ الصلاةَ»(٢) أي: أدّيتموها، واستعمل الفقهاء القضاء في العبادة التي تفعل خارج وقتها المحدود شرعاً، والأداء إذا فعلت في وقتها المحدود، وهو مخالف للوضع اللغوي، لكنّه اصطلاحي للتمييز بين الوقتين، والقضاء مصدر في الكلّ، والمراد به في الدعاء معناه اللغوي وهو الأداء، أي: وفّقني لأداء كلّ ما ألزمتنيه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٠. (٢) سورة النساء: الآية ١٠٣.

....

وفرضته عليّ: يقال: ألزمته العمل أي: أوجبته عليه فالتزمه هو، وفرض الله الأحكام ـ من باب ضرب ـ: أوجبها، قيل: هو عطف تفسيري لألزمتنيه.

و«لك»: ظرف لغو متعلّق بفرضته، أو مستقرّ حال من مفعول فرضت، أي: كائناً لك أو لخلق من خلقك.

والوجه والجهة بمعنى، والهاء عوض من الواو، أي: في جهة من جهات طاعتك والظرف مستقرّ حال من الظرف.

والضعف بالضمّ والفتح: خلاف القوّة والصحّة، ضعف ضعفاً مثل قرب قرباً، وضعف ضعفاً ـ من باب قتل ـ مثله، ومنهم من يجعل المفتوح في الرأي: والمضموم في البدن.

وذلك: إشارة إلى كلّ ما ألزمه وفرضه عليه أي: عن أدائه.

وهن يهن ـ من باب وعد ـ: ضعف، فهو واهن في الأمر والعمل والبدن، ووهنته: أضعفته، يتعدّى ولايتعدّى، فهو موهون البدن والعظم.

والأجود أن يتعدّى بالهمزة فيقال: أوهنته، والوهن بفتحتين: لغة في المصدر، و وهن يهن بكسرتين لغة.

قال أبوزيد: سمعت من الأعراب من يقرأ «فما وهنوا» بالكسر (١).

ونلت الشيء أناله نيلاً: بلغته.

والمقدرة مثلّثة الدال: القدرة والغنى واليسار وذات اليد، عبارة عمّا يملك من مال وأثاث.

وقوله: «ذكرته أو نسيته» جملتان حاليّتان، أي: ذاكراً كنت له أو ناسياً. والكلام في قوّة الشرط، أي: إن ذكرته أو نسيته؛ ولذلك وجب ترك الواو وتجرّد

(١) المصباح المنير: ص ٩٣٠.

....

الماضي عن «قد» ظاهرة ومقدّرة. وقد تقدّم الكلام على ذلك مستوفى في الروضة التي قبل هذه، فليرجع إليه(١).

وقول بعضهم: جملة «ذكرته» بيان لـ «ما» في «كلّ ما ألزمتنيه»، أو خبر مبتدأ محذوف، وتقديره: سواء ذكرته أو نسيته، خبط صريح.

والضمير من «هو» عائد إلى المفروض الذي هو بصدد سؤال تأديته عنه، المقيّد بضعف بدنه، ووهن قوّته عنه، وعدم نيل قدرته عنه، وسعة ماله وذات يده له ذاكراً له كان أو ناسياً، وهو مبتدأ خبره الظرف المستقرّ من قوله: «ممّا قد أحصيته»، أي: هو كائن ممّا قد أحصيته، والجملة مستقلّة لامحلّ لها من الإعراب، مقرّرة لمضمون ماقبلها من عدم الأداء. وماقيل: من أنّها حاليّة، يدفعه أنّ المبتدأ إذا كان ضمير صاحب الحال وجب كون الجملة بالواو، نحو: جاءني زيد وهو راكب، ولايجوز هو راكب، كما نقله الرضي عن الأندلسي ولم يحك فيه خلافاً، قال: ولعلّ ذلك لكون هذه الجملة في معنى المفرد سواء؛ إذ المعنى جاءني زيد راكباً، فصدّرت بالواو إيذاناً من أوّل الأمر بكون الحال جملة وإن أردت معنى المفرد(٢) إنتهى.

والجملة في الدعاء لم تصدّر بالواو باتّفاق النسخ.

وأحصيت الشيء: حفظته وعلمته، أي: أحطت به كمّاً وكيفاً وزماناً ومكاناً وعدّاه بـ «على» لتضمينه معنى أثبت، أي: أحصيته مثبتاً له عَليّ.

وأغفلت الشيء إغفالاً: تركته إهمالاً من غير نسيان.

وقوله: «من نفسي» متعلّق بأغفلته، أي: تركته إهمالاً من قبل التفريط الناشئ من نفسي، لاموجب له غير ذلك يعني به إغفاله إيّاه قبل أن يضعف عنه بدنه وتهن عنه قوّته، إلى غير ذلك من الأسباب التي لايقدر معها الآن على أدائه.

---

(١) ص ٤٧٢.
(٢) شرح الكافية في الفقة: ج ١ ص ٢١١.

....

وقول بعضهم: الفعلان تنازعا في قوله: «من نفسي»، خبط، وجملة «وأغفلته» حال من مفعول أحصيت بإضمار «قد» أو بدونه على الخلاف المشهور، كقوله تعالى: «أحصاهُ اللهُ ونسوه»(١)، فقوله: «ونسوه» حال من مفعول أحصى كما صرّح به المعربون(٢).

وقوله عليه السّلام: «فأدّه عنّي» جواب الشرط، والفاء رابطة للجواب، وماقيل: من أنّها للسببيّة، جهل صريح.

وأدّاه تأديةً: أوصله وقضاه.

وجزل الحطب جزالة مثل ضخم ضخامة لفظاً ومعنى، فهو جزل مثل ضخم، ثمّ استعير في العطاء فقيل: أجزل له في العطاء إذا أوسعه.

وعطاء جزيل: أي واسع، والظرف لغو متعلّق بأدّه، أو مستقرّ حال من مفعول أدّه، أي كائناً من جزيل عطيّتك وكثير ما عندك من الفضل والإحسان.

والفاء من قوله: «فإنّك»: للتعليل.

والواسع: الذي وسع غناه كلّ فقير ورحمته كلّ شيْ.

والكريم: ذوالجود، وقيل: المقتدر على الجود، وقيل: العليّ الرتبة، ومنه كرائم المواشي، وقيل: الغافر للذنوب.

وحتّى: بمعنى كي التعليليّة متعلّقة بأدّه، أي: فأدّه كي لايبقى.

وقاصصته مقاصّةً -من باب قاتل-: إذا كان عليه دين مثل ماله عليك فجعلت الدين في مقابلة الدين، والاسم القصاص مأخوذ من اقتصاص الأثر، ويجب ادغام الفعل والمصدر واسم الفاعل، يقال: قاصّه مقاصّة كما يقال: سارّه مسارّة ونحو ذلك.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٦.

(٢) لم نتحققه.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني الرَّغْبَةَ في العَمَلِ لَكَ لِآخِرَتي، حَتّىٰ أعْرِفَ صِدْقَ ذٰلِكَ مِنْ قَلْبي، وَحَتّى يَكُونَ الغالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدَ في دُنْيايَ، وَحَتّىٰ أعْمَلَ الحَسَناتِ شُوْقاً، وَآمَنَ مِنَ السَّيِّئاتِ فَرَقاً وَخَوْفاً.

وتضاعف: أي تزيد، من ضاعفت الشيءوضعفته و أضعفته إذا زدت عليه مثله إلى ما زاد؛ لأنّ الضعف زيادة غير محصورة.

ويوم لقائه تعالى عبارة عن يوم الجزاء.

قال التفتازاني في شرح الكشاف: لانزاع في امتناع ملاقات الله على الحقيقة(١)، لكنّ القائلين بجواز الرؤية يجعلونها مجازاً عنها بحيث لامانع، كما في حقّ الكفّار والمنافقين، وأمّا من لايجوّز الرؤية فيفسّرها بما يناسب المقام، كلقاء الثواب خاصّة، والجزاء مطلقاً والعلم المحقّق المشبّة بالمشاهدة والمعاينة *.

رزق الرغبة في العمل له تعالى عبارة عن جذب القلب بالهداية إلى إرادته ومحبّته والمواظبة عليه.

واللامان من قوله: «لك ولآخرتي»: متعلّقان بالعمل، ولايلزم منه تعلّق حرفي جرّ بمعنى واحد بمتعلّق واحد من غير إبدال وهوغير جائز؛ لأنّ اللام الأُولى متعلّقة بالعمل المطلق، والثانية متعلّقة بالعمل المقيّد بـ «لك»، فلا اتّحاد في المتعلّق. أو اللام الأُولى للبيان كما في سقيا لك، والثانية للتعليل فلا اتّحاد في معنى الحرفين.

ويحتمل أن يكون قوله: «لآخرتي» متعلّقاً بـ«ارزقني»،ويحتمل أن يكون حالاً من العمل أي حال كونه لآخرتي، وأيّاً ماكان فالمقصود به الاحترازعن كون العمل لله لأجل الدنيا، كما نشاهده من اتّخاذ كثيرمن الناس شعار الصالحين وأعمالهم ذريعة إلى إقبال الدنيا عليهم، ونيل مطالبهم منها، ونجاح مساعيهم فيها،

---

(١) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

....

وإليه الإشارة بقوله تعالى: «مَن كانَ يُريدُ حَرثَ الآخرةِ نَزِدْ لَه في حَرْثِهِ ومَن كان يُريدُ حَرثَ الدُنيا نُؤتِهِ منها ومالَه في الآخرةِ مِن نَصيب»(١)، ومثله قوله تعالى: «مَن كانَ يريدُ العاجِلةَ عَجّلنا لَه فيها ما نشاءُ لمن نُريد ثُمّ جَعلنا لَه جَهنّمَ يَصلٰها مَذموماً مدحوراً.ومَن أرادَ الآخِرةَ وسَعىٰ لَها سَعيَها وهومُؤمنٌ فأُولئك كانَ سَعيُهم مَشكوراً»(٢).

روي عن ابن عبّاس: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: معنى قوله تعالى: «من كان يريد العاجلة» الآية، من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه، لايريد به وجه الله والدار الآخرة، عجّل له ما يشاء الله عزّوجل من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة، وذلك أن الله سبحانه يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة، فيستعمله في معصية الله فيعاقبه عليه(٣).

قال أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان: فإن قيل: هل يجوز أن يريد المكلّف بعمل العاجل والآجل معاً؟ فالجواب: نعم، إذا جعل العاجل تبعاً للآجل، كالمجاهد في سبيل الله يقاتل لإعزاز الدين ويجعل الغنيمة تبعاً (٤).

وقال النظام النيسابوري في تفسيره: ذكر الله سبحانه صنفين من الناس قاصد خيرات الدنيا وقاصد خيرات الآخرة، وهاهنا ثلاثة أقسام أُخر:

الأوّل: أن يكون طلب الآخرة راجحاً، فقيل: إنّه غير مقبول أيضاً؛ لماروي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال حكايةً عن ربّ العزّة: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه. وقيل: يعارض المثل بالمثل ويبقي القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة، فيقع في حيّز القبول.

الثاني: أن يكون طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين.

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٠.
(٢) سورة الاسراء: الآية ١٨-١٩.
(٣) تفسير نورالثقلين: ج ٣ ص ١٤٥.
(٤) مجمع البيان: ج ٥-٦ ص ٤٠٧.

....

الثالث: أن يكون طلب الدنيا راجحاً، واتّفقوا على أنّ هذين القسمين أيضاً لايقبلان، إلّا أنّهما على كلّ حال خير من الرياء المحض(١) إنتهىٰ.

وحتّى: بمعنى كي التعليليّة أي: كي أعرف صدق ذلك من قلبي، و«ذلك» إشارة إلى ماذكر من الرغبة في العمل للّه لأجل الآخرة، ومافيه من البعد إيذان ببعد منزلته وعلوّ طبقته.

ومن قلبي: متعلّق بأعرف، أو بمحذوف حال من ذلك أي: كائناً من قلبي والغرض أن يجد من نفسه صدق الرغبة في العمل لله لطلب الآخرة، وصدق الرغبة في العمل إنّما يتحقّق بصدق الرغبة في المعمول له، فكأنّه عليه السّلام سأل حصول الاعتقاد الجازم واليقين القاطع بالأُمور الأُخرويّة؛ لتصدق رغبته في العمل لها؛ فإنّ الأُمور الموعودة من متاع الآخرة، وما أعدّه الله تعالى لعبادة العالمين له، الراغبين فيما عنده من الخيرات الباقية، أُمور خفيت حقايقها على أكثر البصائر البشريّة، فترى كثيراً منهم لايخطر في باله أن يكون في الآخرة أمر زائد على هذه اللذّات البدنيّة الحاضرة، فهو يرغب في العمل لها ويجتهد في تحصيلها؛ إذ لايتصوّر وراءها أكثر منها، ثمّ إن صدّق بها على سبيل الجملة تصديقاً لوعد الكريم، فإنّه لايتصوّر كثير تفاوت بين الموعود به والحاضر، بحيث يرجح ذلك التفاوت عند ترك الحاضر لما وعد به، بل يكون ميل طبعه إلى الحاضر، وتوهم كونه أنفع وأولى به أغلب عليه، فيكون صدق رغبته فيه أتمّ، وإن تيقّن بعقله أنّ الأولىٰ به والأنفع له والأبقى هو متاع الآخرة، فتارةً يطرأ على ذلك اليقين غفلة عنه ونسيان له، بسبب الاشتغال باللذّات الحاضرة والانهماك فيها، وتارةً لاتحصل الغفلة الكليّة، بل يكون الوهم المذكور قويّاً فيعارض ذلك اليقين، بحيث يوجب في مقابلته شبهةً وشكّاً، فلا تصدق معه الرغبة

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج ٢ ص٤٤٧.

....

في العمل للآخرة والسعي لها، فسأل عليه السّلام أن يجذب قلبه بالهداية إلى الرغبة في العمل الموجب للفوز الأُخروي، بحيث لايعتريه في صدق الرغبة فيه جهل ولاوهم ولا غفلة ولا شبهة.

والغلبة: القهر والاستيلاء، يقال: غلبه ـ من باب ضرب ـ غلباً وغلبا بالتسكين والتحريك فهو غالب له، وإنّما عدّاه بـ «على» لتضمينه معنى الاستيلاء، أي: حتّى يكون المستولى عليّ الزهد في الدنيا؛ فإنّ من صدقت رغبته في الآخرة والعمل لها غلب عليه الزهد في الدنيا ومتاعها؛ ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحبّ الدنيا وتولاّها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماشٍ بينهما، كلّما قُرب من واحد بعد عن الآخر، وهما بعد ضرّتان إن أرضيت إحداهما سخطت الأُخرى (١).

وبيان ذلك: أنّ الطالب لاحداهما بقدر توجّهه في طلبها وإمعانه في تحصيلها تكون غفلته عن الأُخرى وبُعده وانقطاعه عنها.

والزهد: فضيلة تحت العفّة، وهو لغةً: ترك الميل إلى الشيء، واصطلاحاً: إعراض النفس عن الدنيا وطيّباتها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة وقيل: هو أن يخلو قلبك ممّا خلت منه يدك.

والحسنات: ماندب إليه الشارع.

والسيّئات: ما نهى عنه.

وقوله: «شوقاً وفرقاً وخوفاً» يحتمل المصدريّة والحاليّة والمفعول لأجله، أي: فأشتاق شوقاً وأفرق فرقاً وأخاف خوفاً، أو مشوقاً وفرقاً وخائفاً، أولاجل الشوق

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٨٦. الحكم ١٠٣.

وَهَبْ لي نُوراً أَمْشي بِهِ في النـاس، وَأَهْـتَـدي بِـهِ في الظُّلُـماتِ، وَأَسْتَضيءُ بِهِ مِنَ الشَكِّ وَالشُّبُهاتِ.

ولأجل الفرق والخوف.

والفرق بالتحريك: الخوف، يقال: فرق فرقاً ـ من باب تعب ـ فهو فرق ككتف، وعطف الخوف عليه من باب عطف الشيء على مرادفه للتأكيد، وقيل: هو عطف تفسيريّ.

والمراد بالشوق: الشوق إلى ثواب الله تعالىٰ وبالخوف: الخوف من عقابه.

قال بعض العلماء: إنّ الشوق والخوف إذا بلغا إلى حدّ الملكة، فإنّهما يستلزمان دوام الجدّ في العمل والإعراض عن الدنيا، ومبدؤهما تصوّر عظمة الخالق، وبقدر ذلك يكون تصوّر عظمة وعده ووعيده؛ وبحسب قوّة ذلك التصوّر يكون قوّة الشوق والخوف، وهما بابان عظيمان لجنّة النعيم، ونهجان واضحان للوصول إلىٰ رضىٰ الرّب الكريم(١).

فإن قلت: ما معنى الأمن من السيّئات لإجل الخوف؟

قلت: معناه عدم ارتكاب السيّئات؛ فإنّ من لا يرتكب السيّئات خوفاً من العقاب عليها فإنّه آمن من عقابها، فهو من باب إطلاق اللازم على الملزوم.

وفي نسخة ابن إدريس رحمه الله: «وأفرّ من السيّئات» بدلاً من آمن، وهو أظهر*.

فيه تلميح إلى قوله تعالى في سورة الإنعام: «أَوَ مَنْ كانَ مَيتاً فأحيَيناهُ وجَعلنا له نوراً يَمشي به في الناسِ كمَن مثله في الظُلماتِ لَيسَ بِخارجٍ منها»(٢).

قيل: المراد بالنور الإيمان، وقيل: العلم، وقيل: الحجج البيّنة والآيات، وقيل: نورالقرآن، والأقوال متقاربة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣ ص٤١٥.

(٢) سورة الانعام: الآية ١٢٢.

....

وعن أبي جعفر عليه السّلام: «نوراً يمشي به في الناس» إماماً يؤتمّ به، «كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» قال: الذي لايعرف الإمام إنتهى(١) وسمّي الإيمان والعلم والحجّة والقرآن والإمام نوراً، لأنّ الناس يهتدون بذلك ويبصرون به من ظلمات الكفر والجهل وحيرة الضلالة، كما يهتدي بسائر الأنوار المحسوسة في الظلمات المحسوسة.

والمراد بالناس في قوله تعالى: «يمشي به في الناس»، وكذلك في الدعاء، عامّة الناس، أي: يمشي مستضيئاً به فيهم فيميّز بعضهم من بعض، أي: يميّز بين المحقّ والمبطل والمهتدي والضالّ منهم.

وقيل: المراد بهم الكمّل من الناس، وهم أُولوا العلم والأخلاق الفاضلة والاعتقادات الصائبة، فيمشي مستضيئاً بذلك النور فيهم آمناً من جهتهم ولا يمكنهم أن يعترضوا عليه.

وقيل: يمشي به دليلاً وهادياً لهم إلى سبيل الحقّ، حتّى يصلوا في سيرهم إلى الله تعالى منتهى منازلهم ومستقرّ إقامتهم ودار مقامتهم.

وجملة «يمشي» في الآية و «أمشي» في الدعاء، إمّا مستأنفة لا محلّ لها من الإعراب، والاستئناف مبنيّ على سؤالٍ نشأ من الكلام، كأنّه قيل: فماذا يصنع أوتصنع بذلك النور؟ فقال: يمشي أو أمشي به في الناس، وإمّا صفة لقوله نوراً، فهي في محلّ نصب على الوصفيّة.

والمراد بالظلمات الاعتقادات الزائفة أو الجهالات أو محدثات البدع، سميّت ظلمات لأنّ صاحبها لايهتدي لطريق الحقّ فهو كمن يمشي في الظلم المحسوسة فلايهتدي للطريق ولا يأمن من أن ينال مكروهاً، وإنّما وحّد النور وجمع الظلمات

(١) تفسير نورالثقلين: ج ١ ص ٧٦٣.

أللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني خَوْفَ غَمِّ الوَعيدِ، وَشَوْقَ ثَوابِ الْمُوعُودِ، حَتّى أجِدَ لَذَّةَ ما أدْعُوكَ لَهُ، وَكَآبَةَ ما أسْتَجيرُ بِكَ مِنْهُ.

لأنّ الحقّ واحدٌ والباطل أكثر من أن يحصىٰ.

الشّك: الارتياب وهو خلاف اليقين، وأصله اضطراب القلب والنفس.

والشبهات: جمع شبهة، وهي ما يتوهّم كونه حقّاً من الأمور الباطلة، لتصوير الوهم لها في صورة الحقّ، فتشبه الحقّ توهّماً وليست به؛ ولذلك سميّت شبهة، وقيل: هي عبارة عمّا يشبه الحقّ ممّا يحتجّ به؛ ولهذا يسمّي المتكلّمون مايحتجّ به أهل الحقّ دليلاً، ومايحتجّ به أهل الباطل شبهة.

وفي كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: وإنّما سميّت الشبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ، فأمّا أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى، وأمّا أعداء الله فدعاؤهم الضلال ودليلهم فيها العمى(١).

و«من» في قوله: «من الشكّ والشبهات»: إمّا بمعنى في، أي: في الشكّ والشبهات نحو«إذا نُودي للصّلاةِ مِن يَومِ الجُمُعَة»(٢)، أو للبدل أي: أستضيءُ به بدل الشك والشبهات، أو ابتدائيّة بتضمين أستضيءُ معنى أمتنع أو أتخلّص، أي: أستضيءُ به ممتنعاً او متخلّصاً من الشّك والشبهات، والله أعلم*.

الغمّ في الأصل: التغطية والستر، ومنه الغمام، سميّ به الكرب والحزن؛ لأنّه يستروجه اللذة ويغطّي على السرور، وقيل: لأنّه يخفي الروح؛ وذلك أنّ الغمّ إذا وقع لزمه تكاثف الروح القلبي؛ للبرد الحادث عند انطفاء الحرارة الغريزيّة، لشدّة أنقباض الروح واختفائه، فيحسّ في القلب بانفعال شبيه بالعصر والمرس؛ ولذلك فسّر بعضهم الغمّ بأنّه مايلحق الإنسان بحيث يغمّ قلبه، كأنّه

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ٣٨ ص٣٩. (٢) سورة الجمعة: الآية ٩.

....

يضيق عليه ويقرب أن يغمى عليه. وفرّق بينه وبين الهمّ بأنّ الهمّ مايقدر الإنسان على إزالته كالإفلاس مثلاً، والغمّ مالايقدر على إزالته كفوت المحبوب، وقيل: الغمّ شامل الجميع أنواع لمكروهات، والهمّ بحسب مايقصده.

والوعيد: يطلق على التخويف والتهديد، فقيل: هومصدر وعده بالشرّ.

قال الفيومي في المصباح: قالوا في الخير: وعده وعداً، وفي الشرّ: وعده وعيداً، فالمصدر فارق(١).

وقيل: هو اسم من الإيعاد.

قال الفارابي في ديوان الأدب: الوعيد اسم من أوعده يوعده إذا خوّفه وتهدّده (٢)

ويطلق تارةً على العذاب الموعود، ومنه قوله تعالى: «كُلٌّ كذَّبَ الرُّسُل فحقَّ وَعِيد»(٣).

قال المفسّرون: أي: فوجب وحلّ عليهم عقابي وعذابي الموعود به، مثل قوله: «فَحَقَّ عِقابِ» (٤)(٥).

وكلّ من المعنيين محتمل هنا، والموعود: يحتمل أن يكون اسم مفعول صفة لمحذوف، أي: ثواب الخير الموعود، ويحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الوعد.

قال صاحب المحكم: هومن المصادر التي جاءت على مفعول كالمخلوق والمرجوع(٦).

فإن حملت الوعيد على معنى التهديد فالأنسب حمل الموعود على أنّه مصدر، وإن

---

(١) المصباح المنير: ص٩١٦.
(٢) ديوان الأدب للفارابي: ج٣ ص٢٣٦.
(٣) سورة ق: الآية ١٤.
(٤) سورة ص: الآية ١٤.
(٥) راجع روح المعاني: ج٢٣ ص ١٧١ وج ٢٦ ص١٧٧. وتفسير الكشاف: ج ٤ ص٧٦ وص ٣٨٢.
(٦) المحكم في اللغة: ج ٢ ص٢٣٦.

....

حملته على معنى العذاب والعقاب فالأنسب حمله على أنّه اسم مفعول.

وحتّى: تعليليّة.

وأجد: من الوجدان، وهو إدراك الشيء بالقوى الباطنة، وتسمّى مدركاتها وجدانيّات.

واللذة إدراك ونيل لماهو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك، وهي حسّية وعقليّة، فالحسّية ما استند إلى إحدى الحواسّ الظاهرة أو الباطنة، كطعم الحلاوة عند حاسّة الذوق، والنور عند البصر، وحضور المرجوّ عند الوهميّة، والأُمور الماضية عند القوّة الحافظة تلتذّ بتذكّرها، والعقليّة ما استند إلى القوّة العاقلة؛ إذ لاشكّ أنّ للقوّة العاقلة كمالاً وهو إدراكها المجرّدات اليقينيّة، وأنّها تدرك هذا الكمال وتلتذّ به وهو اللذّة العقليّة. إذا عرفت ذلك، فلا شكّ أنّ من جملة ما يدعو له عليه السّلام ماتتعلّق به اللذّة العقليّة، بل هو أعظم واهمّ ممّا تتعلّق به اللذّة الحسّية عند مثله عليه السّلام، سواء كان في هذه النشأة أو في النشأة الأُخرويّة، وعلى هذا فينبغي تعميم الوجدان بإدراك ما عدا الحواسّ الخمس الظاهرة. سواء كان بالحواسّ الباطنة أو بالقوّة العاقلة؛ ليشمل الوجدان اللذّة العقليّة التي هي أعظم اللذّات.

فقد صرّح أرباب العرفان بأنّ ألذّ ثمار الجنّة هي المعارف الإلهيّة، والنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام، وذلك من العقليّات الصرفة(١).

والكآبة: تغيّر النفس وانكسارها من شدّة الهمّ والحزن، كأب كآبة ـ من باب علم ـ واكتأب اكتئاباً فهو كئيب ومكتئب.

واستجار به: طلب أن يحفظه فأجاره، وهذه الحالة التي سألها عليه السّلام هي

---

(١) المحجّة البيضاء: ج ٨ ص ٣٩.

أللّهُمَّ قَدْ تَعْلَمُ ما يُصْلِحُني، مِنْ أمْرِ دُنْيايَ وَآخِرتي فَكُنْ بِحَوائجي حَفِيّاً.

التي أشار إليها أميرالمؤمنين صلوات الله عليه في خطبته التي وصف فيها المتّقين بقوله: فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها يعذّبون(١).

قال بعض العلماء: وهو إشارة إلى أنّ العارف الموقن وإن كان في الدنيا بجسده، فهو في مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنّة وسعاداتها وأحوال النار وشقاوتها، كالذين شاهدوا الجنّة بعين حسّهم وتنعموا فيها، وكالذين شاهدوا النار وعذّبوا فيها، وهي مرتبة عين اليقين(٢) أو حقّ اليقين أو مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد، والله أعلم *.

كلمة «قد» لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الاستجابة، كما في قوله تعالى: «قَد يَعلمُ ما أنتُم عليه» (٣).

قال الزمخشري: دخلت «قد» لتأكيد العلم ويرجع ذلك إلى تأكيد الوعيد، وقيل: هي في ذلك للتقليل، أي: تقليل متعلّق الفعل، أي: أنّ ما هم عليه هو أقلّ معلوماته سبحانه، وعلى هذا فمعناها في الدعاء: أنّ ما يصلحني أقلّ معلوماتك، والغرض أنّه عندك حقير وعليك يسير (٤).

والدنيا: اسم لهذه الحياة لدنوّها وبُعد الآخرة عنها.

وروى الصدوق في كتاب العلل عن أميرالمؤمنين عليه السّلام: سميّت الدنيا دنيا لأنّها أدنى من كلّ شيء وسمّيت الآخرة آخرة لتأخرّها(٥)، إنتهى.

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٠٣ الخطب ١٩٣.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٣ ص٤١٦.
(٣) سورة النور: الآية ٦٤.
(٤) تفسير الكشاف: ج٣ ص٢٦٠.
(٥) علل الشرائع ص٢. وفيه «وسميّت الآخرة آخرة لأنّ فيها الجزاء والثواب».

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْني الحقَّ عِنْدَ تَقْصيري في

قال بعض أكابر السادة في تعليقته: ودنيا لا تنوّن لأنّها لا تنصرف (١).

قال ابن الجوزي في تقويمه: والعامّة تقول دنياً منوّنة، وفي القاموس: الدنيا نقيض الآخرة، وقد تنون، والجمع دني.

ولعلّه عنى بذلك استعمال العامّة لها بالتنوين(٢) إنتهى.

قلت: لم يعن صاحب القاموس بذلك استعمال العامّة ولو عناه لنبّه على أنّه عامّي، وإنّما عنى ماحكاه ابن الأعرابي من تنوينها على وجه الشذوذ، وأشار إلى الشذوذ بـ «قد» التقليليّة، وقد تقدّم في الروضة التاسعة أنّ الدماميني قال في شرح التسهيل: حكى ابن الأعرابي صرف الدنيا على وجه الشذوذ، ولايمكن أن تكون الألف للتأنيث مع الصرف، فتجعل إذا ذاك للإلحاق(٣).

وقال السيوطي في مزهر اللغة: روى ابن الأعرابي دنيا منوّناً شبّهوه بفعلل،(٤) إنتهىٰ.

وحفى به ـ من باب علم ـ حفاوةً: اعتنى به و بالغ في برّه وإكرامه فهو حفيّ به، ومنه قوله تعالى: «قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنّه كان بي حفيّا»(٥) أي: معتنياً باراً مبالغاً في الشفقة عليّ والإكرام لي، ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء، ومنه إحفاء الشارب أي: استيصاله، والاحفاء في المسألة أي: الإلحاح فيها*.

الحقّ في اللغة: هو الثابت الذي لايسوغ إنكاره، ويجيء في الاصطلاح لمعان: لموجد الشيء على الحكمة، ولما يوجد عليها، واعتقاد الشيء على ما هو عليه، وللفعل أو

(١) شرح الصحيفة الكاملة السجّادية للسيّد الداماد: ص٢٣٣.

(٢) أي: كلام ابن الجوزي.

(٣)و(٤) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٥) سورة مريم: الآية ٤٧.

الشُكْرِ لَكَ، بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي اليُسْرِ وَالعُسْرِ، وَالصِحَّةِ وَالسقَمِ، حَتّىٰ أَتَعرَّفَ مِنْ نَفْسي رَوْحَ الرِضا، وَطُمَأنينَةَ النَّفْسِ مِنّي بِما يُجِبُ لَكَ، فِيما يَحْدُثُ في حالِ الْخَوْفِ وَالأَمْنِ، والرضا وَالسُخْطِ، والضَرِّوالنَفْعِ.

القول الواقع بحسب ما يجب وفي وقت يجب، وكلّ مايجب لله أو لخلقه، كما يقال: الله حقّ، والإيمان به حقّ وفعله حقّ، وقوله حقّ، وهذا حقّ الله، أو حقّ زيد، والمراد به هنا مايجب لله عليه من التسليم لأمره والإذعان لحكمه سبحانه.

وقصّر في الأمر تقصيراً: توانىٰ فيه، أي: لم يبادر إلى القيام به ولم يهتمّ بشأنه، والظرف من قوله: «عند تقصيري» إمّا لغو متعلّق بارزقني، أو مستقرّ حال من الحقّ، أي: كائناً عند تقصيري.

والباء: للسببيّة، أي: بسبب ما أنعمت.

وعلىٰ وفي: كلاهما متعلّق بأنعمت.

وعطف العسر على اليسر والسقم على الصحّة للتعميم، باعتبار كلّ صادر عنه تعالىٰ من رخاء وشدّة؛ إذ الشدائد اللاحقة من نعمه أيضاً؛ فإنّها متى قوبلت بجميل الصبر أوجبت جزيل الأجر، كما قال سبحانه: «و بَشّرِ الصابِرينَ»(١)، وظاهر أنّ أسباب النعم نعم. والمعنى: ألهمني الاعتراف بالحقّ من التسليم لأمرك والإذعان لحكمك الجاري على وفق الحكمة، حال عدم قيامي بما يجب لك من الشكر على نعمك عليّ في حالتي اليسر والعسر والصحّة والسقم.

وتعرّفت ما عنده: تطلّبت حتّى عرفت.

والروح بالفتح: الراحة.

والرضا: سرور القلب بمرّ القضاء، أي: جريانه.

والطمأنينة: فعليلة بضمّ الفاء وتشديد اللام الأُولى، كما نصّ عليه بحرق(٢) في

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

(٢) (ج- الف) يحرق.

....

شرحه الصغير للاميّة ابن مالك،(١) قيل: هي مصدر، وقيل: اسم.

قال الجوهري: اطمأنّ الرجل اطمئناناً وطمأنينة أي: سكن(٢).

وقال الفيومي في المصباح: اطمأنّ القلب: سكن ولم يقلق، والاسم الطمأنينة(٣).

وقال أبو حيّان في الارتشاف: وشذّ في اطمأنّ واقشعرّ واشرأبّ طمأنينةً وقشعريرةً وشرابيبةً، وقيل: هي أسماء وضعت موضع المصدر،(٤) إنتهى.

قال بعضهم: والأصل في اطمأنّ الألف مثل احمارّ واسوادّ، لكنّهم همزوا فراراً من الساكنين على غير قياس، وقيل بدليل قولهم: طأمن الرجل ظهره بالهمز على فأعل، ويجوز تسهيل الهمزة فيقال: طامن، ومعناه: حناه وخفضه(٥).

و «من» و«الباء» من قوله: «منّي بما يجب لك»: متعلّقان بالرضا والطمأنينة على سبيل التنازع، ويحتمل أن يكون قوله: «منّي» بياناً للنفس.

وفي: ظرفيّة مجازيّة، أو للسببيّة متعلّقة بيجب.

وحدث الشيء حدوثاً ـ من باب قعد ـ: تجدّد وجوده فهو حادث وحديث، ومنه يقال: حدث به عيب إذا تجدّد وكان معدوماً. والمعنى: كي أعرف من نفسي راحة الرضا واطمئنان نفسي بالذي يجب لك، من التسليم لأمرك والإذعان لحسن قضائك في جميع ما يتجدّد من الشؤون في حال الشدّة والرخاء.

واعلم أنّ مدار هذا الفصل من الدعاء على طلب مقام الرضا والتسليم في جميع الأحوال عند التقصير في الشكر على جميع الأحوال؛ فإنّ الشكر على البلاء كالشكر على النعمة حال فوق الرضا، وهو حقّ لاريب فيه؛ إذا كان الشكر يستلزم الرضا

---

(١) و(٤) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) الصحاح: ج٦ ص٢١٥٨.

(٣) و(٥) المصباح المنير: ص٥١٧.

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي سَلامَةَ الصَّدْرِ مِنَ الْحَسَدِ، حَتّىٰ لا أَحْسُدَ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ عَلىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِكَ، وَحَتّىٰ لا أَرىٰ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِكَ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، في دينٍ أَوْ دُنيا، أَوْ عافِيَةٍ أَوْ تَقْوىٰ، أَوْ سَعَةٍ أَوْ رَخاءٍ، إِلّا رَجَوْتُ لِنَفْسي أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ، بِكَ وَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ.

دون العكس، فسأل عليه السّلام الاعتراف بالحقّ من التسليم لحسن تدبير الله تعالىٰ له في جميع أحواله، والإذعان لحكمة أحكامه الجاريّة عليه، إذا حصل منه تقصير في الشكر على ذلك، حتّى تكون نفسه راضية مطمئنّة بذلك لا ساخطة قلقة.

وما قيل: من أن المراد بالحقّ الشكر، والمعنى: ارزقني الشكر عند تقصيري في الشكر، فظاهر العبارة يأباه، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

ويحتمل أن يراد بالحقّ عند التقصير في الشكر معرفة أنّ ما يجب الشكر عليه صادر عنه سبحانه؛ لتكون قائمة مقام الشكر، كما روي أنّ موسى عليه الصّلاة والسّلام قال: يا ربّ كيف أشكرك وشكري لك نعمة أُخرى توجب عليّ الشكر لك، فأوحى الله تعالى إليه: إذا عرفت أنّ النعم منّي رضيت منك بذلك شكراً (١).

فيكون عليه السّلام أراد بالحقّ هذه المعرفة القائمة مقام الشكر. وهذا المعنى قريب من المعنى الأوّل الذي ذكرناه ومستلزم له، وإن كان ذلك أوفق بالفاظ الدعاء وأشدّ التياماً بمدلول تمام الفصل *.

سلم سلامة: خلص من الآفات.

والمراد بالصدر: القلب، من إطلاق المحلّ على الحال؛ لأنّ القلب محلّه الصّدر

---

(١) المحجّة البيضاء: ج ٧ ص ١٥١ - ١٥٢. وإحياء علوم الدين: ج ٤ ص ٨٥، ونحو ذلك ماورد في الكافي: ج ٢ ص ٩٨ ح ٢٧.

....

وهو مجاز مشهور، ومنه «وليبتَلي اللهُ ما في صُدورِكم»(١)، «وما تخفي صُدورُهم أكبَر(٢)»، «واللهُ عَليمٌ بذاتِ الصُدورِ»(٣)، أي: اجعل قلبي خالصاً من آفة الحسد، كي لاأحسد أحداً كائناً من كان.

وهمزة أحد قيل: أصليّة، فهو اسم موضوع لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه المفرد والمثنّىٰ والمجموع والمذكّر والمؤنّث. وقيل: مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد، وعمومه لوقوعه في حيّز النفي.

ومن خلقك: متعلّق بمحذوف صفة لأحد، أي: كائناً من خلقك.

ومن: لبيان الجنس، وفائدته تأكيد العموم؛ لدلالته على التعميم بالقياس إلى الجنس دون طائفة مخصوصة.

وقوله: «إلّا رجوت» إستثناء مفرّغ من أعمّ الأحوال أو أعمّ الأوقات، محلّه النصب على الحاليّة من فاعل أرى، بإضمار قد أو بدونها على الخلاف المشهور، أي: لا أرى نعمة في حالٍ من الأحوال أو وقت من الأوقات إلّا حال كوني راجياً لنفسي أفضل من ذلك.

قول بعضهم: الاستثناء في «إلّا رجوت» منقطع؛ لأنّه اخراج لما دخل في حكم دلالة المفهوم؛ إذ التقدير: لا يعرض لي عارض في وقت رؤية النعمة إلاّ رجاء أفضل ذلك، خبط واضح وغلط فاضح، وجهل بمعرفة النحو والإعراب، والله الهادي إلى سبيل الصواب.

تنبيـــه

دلّ قوله عليه السّلام: «وحتّىٰ لاأرى نعمة» إلى آخره أنّ ترجّي وتمنّي الإنسان مثل نعمة غيره أو أفضل منها ليس من الحسد المذموم، بل يستحبّ ذلك

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤. (٢) سورة ال عمران: الآية ١١٨. (٣) سورة التغابن: الآية ٤.

....

وقد صرّح العلماء بهذا المعنى.

قال بعضهم: اعلم أنّه إذا أنعم الله علىٰ أخيك بنعمة، فإن أردت زوالها فهذا هوالحسد المحرّم الذي ذمّه الله في غيرموضع من كتابه المجيد، فقال: «أمْ يَحسُدونَ الناسَ علىٰ ما آتـٰهـمُ اللهُ مِن فَضْلِه»(١)، وقال: «وَدَّ كَثيرٌ مِن أهلِ الكتابِ لَو يَرُدّونَكم مِن بَعد إيمانِكم كُفّاراً حَسَداً مِن عِند أنفُسِهم»(٢)، إلى غير ذلك من الآيات، وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقّة من النفاسة، وليست بحرام لقوله تعالى: «وفي ذٰلك فَلْيَتنافَسِ المُتَنافِسون»(٣)، وقد تكون واجبة إذا كانت النعمة دينيّة واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة، وقد تكون مندوبة في نحو الإنفاق في سبيل الله وتشهّي العلم والتعليم.

وقال الراغب في الذريعة: الذي ينال الإنسان بسبب خير يصل إلى غيره على سبيل التمنّي أن يكون له مثله فهو غبطة، وإذا كان مع ذلك سعي منه في أن يبلغ هو مثل ذلك من الخير أو ما هو فوقه فمنافسة، وكلاهما محمودان، وإن كان مع ذلك سعي في إزالتها فحسد، قال عليه الصلاة والسّلام: المؤمن يغبط والمنافق يحسد، فحمد الغبطة، وقال تعالى: «وفي ذٰلك فَلْيَتَنافَسِ المُتنافِسون»(٤)، فحثّنا على التنافس إذ هو الباعث لنا على طلب المحاسن، وذلك كقوله تعالى: «سارِعُوا إلىٰ مَغفِرةٍ مِن رَبّكم»(٥)، إنتهى كلام الراغب (٦).

وقال النظام النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان: قد يطلق الحسد على المنافسة، ومنه قوله صلّى الله عليه وآله: لاحسد إلّا في اثنين، رجل آتاه الله

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٩.
(٣) (٤) سورة المطففين: الآية ٢٦.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.
(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٨٢.

....

مالاً فهو ينفقه في سبيل الله، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلّم الناس. وعلى هذا يكون الحسد مراتب أربع:

الأُولى: أنّ يحبّ زوال النعمّة من المحسود وإن لم تحصل له، وهذه أخبث المراتب.

الثانية: أن يحبّ زوالها عنه وإليه كرغبته في داره الحسنة أو امرأته أو ولايته، فالمطلوب بالذات حصولها، فأمّا زوالها فطلوب بالعرض.

الثالثة: أن لايشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحبّ زوالها كلي لا يظهر التفاوت بينهما.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم يحصل فلا يحبّ زوالها عنه، وهذا الأخير هو المعفوّ عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين.

والثالثة منها مذموم وغير مذموم، والثانية أخفّ، و الأُولى أخبث، قال الله تعالى: «ولا تَتَمنّوا ما فَضّلَ اللهُ بهِ بَعضَكم على بَعضٍ»(١)، تمنّيه لمثل ذلك غير مذموم، وتمنيه لعين ذلك مذموم(٢)، إنتهىٰ.

بك ومنك: الباء للاستعانة أو السببيّة، ومن: ابتدائية، وكلاهما متعلّق برجوت، أو بمحذوف منصوب على الحال من ذلك، أي: كائناً بك ومنك.

و وحدك: أي: منفرداً غير مشفوع بك غيرك، واختلف فيه على مذاهب، فقال سيبويه، هو معرفة موضوع موضع النكرة (٣)

وقال أبوعلي الفارسي: هو مصدر منصوب على أنّه مفعول مطلق للحال المقدّرة، والتقدير: منفرداً وحدك أي: انفرادك، فهو وإن قام مقام الحال منتصب على

(١) سورة النساء: الآية ٣٢.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص١٢٨.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٠١.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني التَحَفُّظَ مِنَ الخَطايا، وَالاحْتِراسَ مِنَ الزَلَلِ، في الدُنيا وَالآخِرَةِ، في حالِ الرِضا وَالغَضَب، حَتّىٰ أكُونَ بِما يَرِدُ عَلَيَّ مِنْهُما بِمَنْزِلَةٍ سَواءٍ، عامِلاً بِطاعَتِكَ، مُؤْثِراً لِرِضاكَ عَلىٰ ماسِواهُما، في الأوْلياءِ وَالأعْداءِ، حَتّىٰ يأمَنَ عَدُوّي مِنْ ظُلْمي وَجَوْري، وَيَايَسَ وَليّ مِنْ مَيْلي وَانْحِطاطِ هَوايَ.

المصدريّة، كما ينتصب على الظرفيّة ما قام مقام خبر المبتدأ من الظروف، نحو: زيد قدّامك، ولايعرب اعراب ماقام مقامه (١).

وقال يونس(٢)و هشام: إنّه منصوب انتصاب الظرف فيجري مجرى عنده، والأصل في جاء زيد وحده على وحده، حذف الجار ونصب على الظرف(٣)

وبنوتميم يعربونه بإعراب الاسم الأوّل (٤).

وقوله: «لاشريك لك» جملة حاليّة مؤكّدة لما قبلها، والله أعلم.

التحفّظ: الاحتراز والتوقّي.

قال الزمخشري في الأساس: عليك بالتحفّظ من الناس وهو التوقّي (٥).

والاحتراس مثله.

والزلل: أصله في القدم، يقال: زلّ يزلّ -من باب ضرب- زللاً إذا زلقت قدمه ولم يثبت، ثمّ استعمل في القول والرأي.

قال في الأساس: ومن المجاز: زلّ في قوله ورأيه زلّةً وزللاً، وأزلّه الشيطان عن الحقّ واستزلّه(٦)، إنتهىٰ.

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٠٢.

(٢) لسان العرب: ج ٣ ص ٤٤٩. والمصباح المنير. ص ٨٩٤.

(٣) تفسير روح المعاني: ج ٨ ص ١٥٨. (٤) المصباح المنير: ص ٨٩٤.

(٥) أساس البلاغة: ص ١٣٣. (٦) أساس البلاغة ص ٢٧٤.

....

وقوله: «في الدنيا والآخرة» أي: في أُمور الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: «لعلّكُم تتفكّرون * في الدُّنيا والآخِرة» (١) أي: في الأُمور المتعلّقة بهما.

وقوله: «في حال الرضا والغضب» ظرف مستقرّ حال من مفعول ارزقني، أي حال كوني في حال الرضا وحال كوني في حال الغضب؛ أو لغو متعلّق بالاحتراس والتحفّظ على سبيل التنازع.

والباء من قوله: «بما يرد عليّ»: للملابسة، والظرف مستقرّ حال من الضمير في أكون، أي: حال كوني ملبّساً بما يرد عليّ منهما، أي: من الرضا والغضب، قيل: أو من أُمور الدنيا وأُمور الآخرة، وليس بشيء.

وقول بعضهم: «بما يرد» متعلّق بأكون، خبط.

والباء من قوله: «بمنزلة»: للظرفيّة متعلّق بمحذوف وهو خبر أكون، أي: كائناً في منزلة سواء، أي: مستوية.

وسواء: اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة؛ ولذلك يستوي فيه المذكّر والمؤنّث والمفرد والمثنّى والجمع.

قال تعالى: «تعالَوا إلىٰ كَلِمةٍ سَواءٍ بَيننا وبَينكم»(٢)، «في أربعةِ أيّامٍ سَواء للسائلين»(٣). وهو من قولهم: استوى القوم في المال إذا لم يفضل أحد منهم على الآخر فيه، والغرض الاتّصاف بالعدل وسلامة النفس من الآفات، المقتضيين لمراعاة الحقّ واتّباعه في حال الرضا والغضب وعدم التجاوز عنه إلى الباطل، كما هو مقتضى الحميّة الجاهليّة.

وقوله: «عاملاً بطاعتك» خبر ثان لأكون.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٩ و٢٢٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٤. (٣) سورة فصّلت: الآية ١٠.

....

ومؤثراً: خبر ثالث له، وهو اسم فاعل من آثره بالمدّ، أي: فضّله واختاره وقدّمه.

قال بعضهم يحتمل أن يكون المعنى مؤثراً لرضاك كائناً أو الكائن على ما سوى رضاي وغضبي، ويحتمل تضمين مؤثراً معنى مرجّحاً فيفيد معناها، إنتهى.

قلت: لا داعي إلى هذا التقدير والتضمين؛ فإنّ الإيثار يتعدّى بـ «على»؛ لأنّه بمعنى التفضيل والتقديم.

قال تعالى: «تاللهِ لَقَد آثَرَكَ اللهُ عَلينا»(١)، «ويُؤثِرون على أنْفُسِهم»(٢). ثم تقديره «الكائن» ليس بصحيح؛ فإنّ الجارّ والمجرور إذا لم يكن لغواً فهو بعد المعرفة المحضة حال وبعد النكرة المحضة(٣) صفة، فلايجوز أن يقدّر في نحو «جَاءَني صاحبك على الفرس» الكائن على الفرس، بل كائناً على الفرس.

وقوله: «على ماسوى رضاي وغضبي» ليس بشيء بل الضمير من سواهما عائد إلى الرضا والطاعة، أي: مؤثراً لرضاك وطاعتك على ما سواهما، فهو من باب حذف المعطوف مع العاطف لدليل، ودليل التقدير هنا ضمير المثنّى ودليل المقدّر قوله: «عاملاً بطاعتك»، وحذف المعطوف مع العاطف ليس بعزيز، فقد وقع كثيراً في فصيح الكلام، ومنه قوله تعالى: «لايَستَوي مِنكم مَن أنْفَقَ مِن قَبل الفَتح وقاتَلَ»(٤)، أي: ومن أنفق من بعده، دليل التقدير أن الاستواء إنّما يكون بين شيئين، ودليل المقدّر «أُولئكَ أعْظمُ دَرجَةً مِن الّذين أنْفَقُوا مِن بَعد وقاتَلوا»(٥).

وقوله تعالى: «لانُفرِّقُ بينَ أحدٍ من رُسلهِ»(٦) أي: بين أحد وأحد، أو بين أحد

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩١. (٢) سورة الحشر: الآية ٩. (٣) في (ج) حال أو صفة.

(٤) و(٥) سورة الحديد: الآية ١٠. (٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

....

من رسله وبين الله؛ بدليل «ويُريدونَ أن يُفرِّقوا بينَ اللهِ ورسله»(١)، ومنه قوله تعالى أيضاً: «لا يَنفعُ نَفساً إيمانها لم تَكن آمَنتْ مِن قَبل أو كَسَبَت في إيمانِها خيراً»(٢)، أي: لا ينفع نفساً إيمانها وكسبها، وهي من قبيل اللف التقديري. وبهذا التقدير تندفع شبهة المعتزلة، من تمسّكهم بالآية على أنّ مجرّد الإيمان بدون أن يكون فيه كسب خيرٍ ليس بنافع.

وحمل على هذا الباب آيات أخرىٰ، قال الشريف المرتضى: من عادتهم أن يحذفوا ماتكون قوّة الدلالة عليه وسوقها إليه مغنيين عن النطق، وفي القرآن، وفصيح كلام العرب وأشعارها أمثلة كثيرة لذلك لاتحصىٰ، فمنه قوله تعالىٰ: «وإذ آتَينا موسىٰ الكِتابَ والفُرقانَ»(٣)، وقد ذكر في الآية وجوه أوضحها أنّه تعالى أراد: آتينا موسى الكتاب ومحمّد الفرقان؛ لأنّه لمّا عطف الفرقان على الكتاب الذي اوتيه موسى عليه السّلام، وعلمنا أنّه لا يليق به؛ لأنّ الفرقان ليس ممّا أُوتيه موسى عليه السّلام، وجب أنّ يقدّر ما يطابق ذلك(٤)، إنتهىٰ.

قوله عليه السّلام: «في الأولياء والأعداء» متعلّق بـ «مؤثراً»، أي: مقدّماً لرضاك وطاعتك على ما سواهما في معاملة الأولياء والأعداء، أي: لا أُعامل أحداً منهم إلّا بما فيه طاعتك ورضاك، فلا أميل لوليّ ولا أحيف على عدوّ تبعاً لهوى نفسي.

ومن قال: إنّ قوله: «في الأولياء» خبر رابع لأكون بعد قوله بمنزلة سواء وعاملاً ومؤثراً، ويحتمل أن يكون في الأولياء محلّه محلّ على ما سواهما، فقد خبط خبط عشواء، والله المستعان.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٠.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.
(٣) سورة البقرة: الآية ٥٣.
(٤) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٢٥٨ نقلاً بالمضمون.

....

قوله عليه السّلام: «حتّى يأمن عدوّي من ظلمي وجوري إلى آخره»، تعليل لطلب كونه مؤثراً لرضاه تعالى وطاعته في الأولياء والأعداء، أي: كي يأمن عدوّي ممّا يخافه من ظلمي له وجوري عليه بسبب العداوة، ويأيس وليّي ممّا يطمع فيه من ميلي معه وانحطاط هواي إليه بسبب الولاية.

روي يأيس من أيس من باب تعب بتقديم الهمزة، وييأس من باب تعب أيضاً بتقديم الياء، وهما لغتان، وبعضهم يقول: الأُولى مقلوبة من الثانية، وقد تقدّم.

وانحطاط الهوى عبارة عن سرعة ميله وانحداره نحو من يهواه؛ من قولهم: حطّت الناقة في سيرها وانحطّت إذا أسرعت.

قال الزمخشري في الأساس: ناقة حطوط: سريعة السير، وحطّت في سيرها وانحطّت، وحطّ في هواه وانحطّ، ويقال: أكل من حلوائهم فانحطّ في أهوائهم(١).

وقال الكميت:

حطوطاً في مسرّته و مولّى إلى مرضاة خالقه سريعاً(٢)

وقال ابن الأثير في النهاية في حديث سبيعة الأسلمي: فحطّت إلى الشابّ أي: مالت إليه ونزلت بقلبها نحوه(٣)، إنتهى.

وخفي هذا المعنى على بعضهم، فحمل الانحطاط على معنى القلّة والنقص، من انحطّ السعرإذا نقص، وزعم أنّ المعنى حتّى يأيس وليّي من قلّة هواي ونقصانه في الحقّ.

وقال آخر: هو من حططت الشيءإذا أنزلته فانحطّ، والمعنى حتّى يأيس وليّي

(١) و(٢) أساس البلاغة: ١٣١.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٠٢ وفيه: «إلى السلب».

وَاجْعَلْني مِمَّنْ يَدْعُوكَ مُخْلِصاً في الرَخاءِ، دُعاءَ المُخْلِصِينَ المُضْطَرّينَ لَكَ في الدُعاءِ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ.

من نزول هواي في الأمر الباطل الذي يوافقه. وكلّ ذلك وإن كان في نفسه معنى صحيحاً، لكنّه غير مقصود بهذا اللفظ عندالعرب، ولا يريدون به إلّا المعنى الذي ذكرناه أوّلاً، وحمله على غير ذلك جهل بمصطلحاتهم ومواقع ألفاظهم، والله أعلم *.

هذا سؤال للتوفيق للدعاء في جميع الأوقات؛ لأنّه ـ مع كونه عبادة ـ ينفع صاحبه إذا دعا عند نزول البلاء وحال الاضطرار، ويوجب كشفه سريعاً، كما وردت بذلك أخبار كثيرة؛ ويسمّى التقدّم في الدعاء. وقد عقد له ثقة الإسلام في الكافي باباً، وروي فيه بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: من تقدّم في الدعاء استجيب له إذ نزل به البلاء، وقيل: صوت معروف، ولم يحجب عن السماء، ومن لم يتقدّم في الدعاء يستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: إنّ هذا الصوت لانعرفه(١).

وبسند حسن أو صحيح عنه أيضاً عليه السلام، قال: من تخوف بلاء يصيبه فتقدّم فيه في الدعاء لم يره الله عزّوجلّ ذلك البلاء أبداً(٢).

وعنه أيضاً عليه السّلام قال: إنّ الدعاء في الرخاء يستخرج الحوائج في البلاء(٣).

وعنه عليه السّلام: من سرّه أن يستجاب له في الشدّة فليكثر الدعاء في الرخاء(٤).

وعنه عليه السّلام قال: كان جدّي يقول: تقدّموا في الدعاء؛ فإنّ العبد إذا كان دعّاء فنزل به البلاء قيل: صوت معروف، وإذا لم يكن دعّاء فنزل به

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٧٢ ح ١.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٧٢ ح ٢.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٧٢ ح ٣.
(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٧٢ ح ٤.

....

البلاء فدعا، قيل: أين كنت قبل اليوم(١).

وعن أبي الحسن الأوّل قال: كان عليّ بن الحسين عليه السّلام يقول: الدعاء بعد ما ينزل البلاء لاينتفع به(٢).

قوله عليه السّلام: «إنّك حميد مجيد» تعليل لدعائه تعالى وسؤاله، أو لاستدعاء توفيقه لدعائه في كلّ حال.

والحميد: قيل: فاعل مايستوجب الحمد، وقيل: هو المحمود المثنيّ عليه، والله تعالى هو الحميد بحمده لنفسه أزلاً، وبحمد عباده له أبداً.

ويرجع هذا إلى صفات الجلال.

والعلوّ والكمال منسوباً إلى ذكر الذاكرين له، فإنّ الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال.

والمجيد: قيل: الجميل أفعاله، وقيل: الكثير أفضاله، وقيل: ألذي لايشارك فيه من أوصاف المدح.

وقال في المقصد الأسنى: هو الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونواله، فكان شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمّي مجداً،(٣) وهو الماجد أيضاً، ولكنّ المجيد أدلّ على المبالغة، فكأنّه يجمع معنى اسم الجليل والوهّاب والكريم(٤)، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثانية والعشرين من رياض السالكين،وقد وفقّ الله تعالى للفراغ من تسويدها ضحىٰ يوم الخميس سلخ شهر ربيع الثاني من سنة احدىٰ ومائة وألف، ولله الحمد.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٧٢ ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٧٢ ح ٦.

(٣) (ج) مجيداً.

(٤) المقصد الأسنى للغزالي: ص ٨٨.

فهرس الموضوعات

الروضة الثالثة عشرة

نصّ الدعاء الثالث عشر في طلب الحوائج الى الله تعالى ٥
خطبة وديباجة الروضة الثالثة عشرة
في بيان معنى الحوائج ٩
في أنّ الممكنات زوج تركيبي والكامل المطلق هو الله سبحانه ١٢
المعنى اللغوي والشرعي للبيع ١٤
في بيان معنى الامتنان ١٥
في معنى الإفناء ١٦
في بيان معنى الوسائل ١٧
في معنى الانقطاع ١٨
في بيان معنى الغناء ١٩
في معنى المظنّة ٢٠
في بيان معنى «قصر عنها جهدي» ٢٣
كشف الغموض عن نسبة الخطأ والزلة للمعصوم (ع) ٢٤
في معنى الانتباه والغفلة ٢٧
اطلاق الكرم على الجود ٣٠
معنى قوله عليه السلام: «ويدك بالعطايا أعلى من كل يد» ٣٢

استعمال «حمل» في المعاني ٣٣
نسبة السماع الى الله سبحانه وكيفية توجيهه ٣٤
في معنىٰ «حسن التقدير» ٣٦
في أنّ الواسع من اسمائه تعالى ٣٧
معنىٰ السجود والحكمة من اختتام الدعاء فيه ٣٩

الروضة الرابعة عشرة

نصّ الدعاء الرابع عشر اذا اعتُدي عليه ٤٣
خطبة وديباجة الروضة الرابعة عشرة ٤٥
معنىٰ قوله تعالى: «فأعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم» ٤٧
معنىٰ الأنباء ٤٨
في بيان معنى الحدّ ٥٢
في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «وعجزاً عما يناويه» ٥٢
معنىٰ قوله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء» ٥٤
في معنىٰ التسويغ ٥٥
في معنىٰ الصنيعة ٥٧
حصر الشكوىٰ الى الله تعالى دون الخلق ٥٩
فى معنى الفتنة ٦٠
القنوط من إنصاف الله تعالىٰ كفر ٦١
ماتوعّد الله به الظالمين ٦٣

تنبيهان:

الأوّل: رضاء العبد بما يكره ٦٥
الثاني: الرضا بالشيء لاينافي الدعاء ٦٦

في بيان معنىٰ الخيرة ٦٧
في معنىٰ الخصم ٦٨
إطلاق الرغبة على الشره والحرص ٦٩
في أنّ معنىٰ القلب: العقل ٧٠
في معنى: «وأنت على كلّ شيء قدير» ٧١

الروضة الخامسة عشرة

نصّ الدعاء الخامس عشر اذا مرض اونزل به كرب و بلية ٧٥
خطبة وديباجة الروضة الخامسة عشرة ٧٧
في معنىٰ المرض والبليّة ٧٩
ترادف البدن والجسد بمعنىٰ واحد ٨٠
في بيان معنىٰ طيّبات الرزق ٨٢
معنىٰ قوله تعالىٰ: «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا ...» ٨٣
في بيان معنىٰ التمحيص ٨٤
في معنىٰ التخفيف ٨٧
في معنىٰ قديم النعمة ٨٩
بيان معنى قوله عليه السلام «ما كتبه لي الكاتبان من زكي الأعمال» ٩٠
معنىٰ التفكّر ٩١
معنىٰ الصنيعة ٩٢
معنىٰ حلاوة العافية ٩٤
في بيان معنىٰ برد السلامة ٩٥
الإحسان من الله تفضل ٩٦
فوائد تحقّق اسم «الوهاب» في النفس ٩٧

الروضة السادسة عشرة

نصّ الدعاء السادس عشر اذا استقال من ذنوبه ١٠١
خطبة وديباجة الروضة السادسة عشرة ١٠٦
في بيان معنىٰ الاستقالة ١٠٧
في معنىٰ الرحمة ١٠٨
في معنىٰ الخاطئون ١٠٩
نسبة الوجود الى جوده سبحانه ١١٠
في معنىٰ اتساع رحمته تعالى لكل شيء ١١١
في أنّ عفوه تعالى يغلب على الذنوب ١١٣
ان الله سبحانه هو الغني المطلق ١١٧
الشفاعة عند المعتزلة ١١٨
في بيان معنىٰ لبيك وسعديك ١٢٠
في معنى قوله تعالى: «ثمّ ارجع البصر كرّتين» ١٢١
في معنىٰ قوله عليه السلام: «انا الذي أوْقَرَتِ الخطايا
ظهره» ١٢٢
في معنى أهل ١٢٤
معنى البكاء ١٢٥
تعريف التوكّل ١٢٧
معنى وصف نفسه تعالى ١٢٩
إيراد المحقق الطوسي في الخوف والخشية ١٣٠
ما قاله العارفون في الهيبة ١٣٢
معنىٰ العائبة ١٣٥
معنىٰ السواة ١٣٦

في معنىٰ الحسد	١٣٧
في معنىٰ الرشد	١٣٩
في معنىٰ الشكر	١٤٠
في بيان معنى الدعوة	١٤١
الغاية من وجود الخلق	١٤٣
استعمال سبحان في مقام التعجّب	١٤٤
في معنىٰ الأناة	١٤٥
في أنّ عفوه تعالىٰ أحبّ إليه من عقوبته	١٤٦
في بيان معنىٰ الآثار	١٤٧
بحث في التفضيل	١٤٨
في بيان معنىٰ التوبيخ	١٥١
هداية: إنّ توبيخ النفس باب من أبواب المرابطة	١٥٢
في بيان معنىٰ الرّق	١٥٤
الفرق بين الذنب والخطيئة	١٥٥
في معنى الانتحاب	١٥٦
في معنىٰ الآفاق	١٥٧
في معنىٰ «استوجب مغفرتك»	١٥٨
في معنىٰ «وطول تضرّعي»	١٦١
العصمة فيض الهي	١٦٢
في بيان معنىٰ المغفرة	١٦٣
في بيان معنى البشرىٰ	١٦٤
في بيان معنىٰ الآيات	١٦٦

* * *

الروضة السابعة عشرة

نصّ الدعاء السابع عشر اذا ذكر الشيطان	١٧١
خطبة وديباجة الروضة السابعة عشرة	١٧٤
بحث في حقيقة وجود الشياطين وعدمها	١٧٥
في بيان معنى نزغات الشيطان	١٨٧
في معنىٰ المكائد	١٨٨
في معنىٰ الغرور	١٩٠
استعانة العبد بالله لطرد الشيطان	١٩٢
في معنىٰ الستر	١٩٣
في معنىٰ التولية	١٩٤
في بيان معنىٰ التقى	١٩٥
توصية بعض الصالحين في الحذر من الشيطان	١٩٧
في معنىٰ «واشرب قلوبنا»	١٩٩
في بيان معنى الولع	٢٠٠
اطلاق الولد علىٰ الذكر والأُنثىٰ	٢٠١
في معنىٰ الجار	٢٠٢
في معنىٰ الحصن	٢٠٣
في بيان معنىٰ «اخلص لك بالوحدانية»	٢٠٥
في حقيقة العبودية	٢٠٦
في بيان معنىٰ العقدة	٢٠٧
في معنى الجند	٢٠٨
في بيان معنى النظم	٢٠٩
في معنى الخاتم	٢١٠

في معنىٰ السيّد ٢١١
في بيان معنىٰ الصالحين ٢١٤
الاختلاف في معنىٰ آمين ٢١٥

الروضة الثامنة عشرة

نصّ الدعاء الثامن عشر اذا دفع عنه ما يحذر ٢١٩
خطبة وديباجة الروضة الثامنة عشرة ٢٢٠
في معنى الحمد ٢٢١
هداية: ابتلاء المؤمن من كرامة الله تعالى به ٢٢٣
اختلاف المعنىٰ في ظلّ و بات ٢٢٥
في معنىٰ العاقبة ٢٢٦

الروضة التاسعة عشرة

نصّ الدعاء التاسع عشر عند الاستسقاء ٢٢٩
خطبة وديباجة الروضة التاسعة عشرة ٢٣٠
في كيفيّة الاستسقاء ٢٣١
في معنىٰ الغيث ٢٣٣
في معنىٰ الآفاق ٢٣٤
فائدة إشهاد الملائكة ٢٣٥
في بيان معنىٰ النفع ٢٣٧
في معنىٰ الأقوات ٢٣٩
في معنىٰ «أغاث الله الخلق برحمته» ٢٤٢
في بيان معنى المرع ٢٤٣
في بيان معنى المهيض ٢٤٤

في معنى الأنهار ٢٤٦
فائدة: اختلاف المذاهب في التسعير ٢٤٧
في معنى الامصار ٢٤٨
في معنىٰ «وتدرُّبه الضّرع» ٢٤٩
في بيان معنىٰ الظّل ٢٥٠
في معنىٰ البركات ٢٥٢

الروضة العشرون

نصّ الدعاء العشرين في مكارم الأخلاق ٢٥٥
خطبة وديباجة الروضة العشرون ٢٦١
في بيان معنى المكارم ٢٦٣
تنبيه: في أنّ الخلق هل هو غريزي أم كسبي ٢٦٤
في تعريف الأيمان ٢٦٦
تبصرة: إختلاف الطوائف في زيادة ونقصان الأيمان ٢٧٠
تتمة: كلام نفيس لبعض المحققين في الايمان ٢٧٢
تنبيه: ان الاسلام يصدق عليه مجرّد الاقرار باللسان ٢٧٤
تبصرة: في نيّة الإخلاص في العمل ٢٨١
إرشاد: قول بعض العارفين في النيّة ٢٨٢
فائدة في أنّ النطق لا تعلّق له بالنية ٢٨٤
تبصرة: بطلان العبادة اذا قصد بفعلها تحصيل الثواب ٢٨٦
في أن عون الله للعبد بقدر نيته ٢٨٩
في معنى: «وصحّح بما عندك يقيني» ٢٩٠
في معنىٰ: «واستصلح بقدرتك ما فسد مني» ٢٩١
في بيان معنىٰ الفتنة ٢٩٣

في بيان معنىٰ الابتلاء	٢٩٤
في بيان معنى العجب	٢٩٦
في معنى الخير	٢٩٧
في بيان معالي الأخلاق	٢٩٩
في بيان معنى الفخر	٣٠١
في بيان معنى الدرجة	٣٠٢
في معنى الهدىٰ	٣٠٧
في معنى الحق	٣٠٨
بحث في تعريف الشك	٣٠٩
تحقيق في اسم المشبّه	٣١٢
في بيان معنى الدعة	٣١٤
في بيان معنىٰ الشنان	٣٢٠
في أنّ أفعال المؤمنين محمولة علىٰ الصحة	٣٢١
في معنىٰ الأرحام	٣٢٣
في معنىٰ المداراة	٣٢٤
في معنىٰ الأمنة	٣٢٥
تنبيهات: في اضافة مدخول «من» الى فقرات من الدعاء	٣٢٦
تقارب المكر والخديعة في المعنىٰ	٣٢٨
تركّب القوة الغضبية مع العقل	٣٣١
في بيان معنىٰ التسديد	٣٣٢
في بيان معنىٰ الهجران والقطيعة	٣٣٣
في معنىٰ الحلية	٣٣٥
تعريف التقوىٰ	٣٣٦
تحقيق في ان الفضائل ملكات متوسطة	٣٣٧

الفرق بين الغيظ والغضب	٣٤٠
في بيان قوله عليه السلام: «وإصلاح ذات البين»	٣٤٣
في معنىٰ «وإفشاء العارفة وستر العائبة»	٣٤٦
في معنىٰ «لين العريكة وخفض الجناح»	٣٤٧
في معنىٰ قوله عليه السلام: «وترك التعيير»	٣٥٠
في بيان معنىٰ الحق	٣٥٣
في بيان معنى استكثار الشرّ	٣٥٤
في بيان معنىٰ ولزوم الجماعة	٣٥٨
في معنىٰ البدع	٣٦١
في بيان معنى الجعل	٣٦٣
الكسل من صفات الجاهل	٣٦٤
في معنىٰ سبيله تعالىٰ	٣٦٥
معنىٰ الفتنة	٣٦٦
في معنىٰ التمنّي والتظنّي	٣٦٨
التفكّر لغةً وحقيقة	٣٦٩
في بيان معنىٰ الفحش	٣٧٢
المعنىٰ العرفي للغيبة	٣٧٤
تنبيهات: في تحريم الغيبة وموارد تجويزها	٣٧٥
في بيان معنىٰ الحمد	٣٧٨
تنبيه في تبديل السيئات بالحسنات	٣٨٠
في معنى الطغيان	٣٨٢
في بيان معنىٰ الهدىٰ	٣٨٤
في بيان معنى الالهام	٣٨٥
في ان خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت لفظة التقوىٰ	٣٨٦

في معنىٰ «و وفقني للتي هي أزكىٰ» ٣٨٧
في معنىٰ الطريقة المثلىٰ ٣٨٨
في معنىٰ الاقتصاد ٣٨٩
في معنى الرشاد ٣٩٠
في معنىٰ المرصاد ٣٩١
في بيان معنىٰ الهلاك ٣٩٤
تعريف الحزن ٣٩٥
في معنىٰ العافية ٣٩٦
في معنى المؤونة ٣٩٧
في معنى «وأدرأعني بلطفك» ٣٩٨
في بيان معنىٰ الكفاية ٤٠٠
تعريف الصدق ٤٠١
في معنىٰ الكدّ ٤٠٢
في معنىٰ السَّرف ٤٠٤
في بيان معنىٰ الملكة ٤٠٥
في معنىٰ الكسب ٤٠٧
في معنىٰ التبعات ٤٠٩
في بيان معنى الوجه ٤١١
ماقيل في المال ٤١٤
في معنى قوله عليه السلام: «واسترزق أهل رزقك» ٤١٦
أبيات منسوبه الى أمير المؤمنين والى الحسين صلوات الله
عليهما ٤١٨
في معنىٰ الافتتان والابتلاء ٤٢٣
في معنىٰ العبادة ٤٢٤

تعريف الزهد ٤٢٥
العلم الواجب معرفته ٤٢٦
تحقيق في الورع وأقسامه ٤٢٧
في معنى الرجاء ٤٢٩
في معنى الحال ٤٣٠
العناية الالهيه لا تقتضي الانتقام ٤٣١
في بيان معنى السبيل ٤٣٢
في معنى «وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» ٤٣٦

الروضة الحادية والعشرون

نصّ الدعاء الحادي والعشرين اذا أحزنه أمر ٤٤١
خطبة وديباجة الروضة الحادية والعشرون ٤٤٤
في معنى الحزن ٤٤٥
تنبيه أنّ الدعاء سبب لزوال الشدائد ٤٤٦
في بيان قوله عليه السلام: «يا كافيَ الفرد الضعيف» ٤٤٧
في معنى الوقاية ٤٤٨
شرح لبعض الروايات ٤٤٩
في معن الروع ٤٥٠
في معنى قوله عليه السلام: «ولا يعين الاّ طالب على مطلوب» ٤٥٣
في معنى السبب ٤٥٥
ثلاث مراتب للفرار الى الله ٤٥٦
في معنى صرف الوجه ٤٥٧
في معنى الجسيم ٤٥٨
في بيان معنى الناصية ٤٦٠

في معنىٰ القضاء ٤٦١
الرضا أعمّ من المحبّة ٤٦٢
في معنىٰ الداخر ٤٦٤
في معنىٰ قوله عليه السلام: «أشهد بذلك على نفسي» ٤٦٥
الاعتراف لله بقلّة الحيلة ٤٦٦
في معنىٰ قوله تعالى: «وما ضعفوا وما استكانوا» ٤٦٧
الفقر هو الحاجة الى الله ٤٦٨
في معنىٰ الغفلة ٤٦٩
في معنىٰ الآيس ٤٧٠
في معنىٰ السّراء والضرّاء ٤٧١
في معنىٰ الغنىٰ ٤٧٣
تعريف الحمد ٤٧٤
في معنىٰ الإشعار ٤٧٥
في معنىٰ قوله عليه السلام: «واشغل بطاعتك نفسي» ٤٧٦
تحقيق في المحبّة ٤٧٧
تعريف التقوىٰ ٤٧٩
في بيان معنىٰ الارتحال ٤٨٠
معنىٰ شرار الخلق والنهي عن مصاحبتهم ٤٨١
معنىٰ الكافر والفاجر ٤٨٤
الشوق إدراك لذّة المحبّة ٤٨٧
في معنىٰ قوله عليه السلام: «إنّك على كلّ شيء قدير» ٤٨٨

الروضة الثانية والعشرون

نصّ الدعاء الثاني والعشرين عند الشدّة والجهد

وتعسّر الأُمور ٤٩١

خطبة وديباجة الروضة الثانية والعشرين ٤٩٤

في معنىٰ الكلفة ٤٩٦

طلب الأُمور في عافية ٤٩٧

في معنىٰ الجهد ٤٩٨

في معنىٰ البلاء والفقر ٤٩٩

في معنىٰ التجهّم ٥٠١

في معنىٰ الحسد ٥٠٣

ما قاله أهل العرفان في الرضا ٥٠٤

في معنىٰ «انعم الله عليه» ٥٠٥

في معنىٰ الاستعاذة بالله ٥٠٦

في معنىٰ احصىٰ ٥٠٨

في معنى الجزيل ٥٠٩

في معنىٰ قوله تعالى: «من كان يريد العاجلة» ٥١١

في بيان معنىٰ الغلبة ٥١٣

في معنىٰ الفرق والخوف ٥١٤

في معنىٰ قوله تعالى: «نوراً يمشي به في الناس» ٥١٥

في معنىٰ الشبهات ٥١٦

اطلاق الوعيد على التخويف والتهديد ٥١٧

في معنىٰ اللذة ٥١٨

في معنىٰ التقصير ٥٢١

في معنىٰ الصدر ٥٢٣

تنبيه في ترجّي الانسان نعمة غيره ٥٢٤

في بيان معنىٰ الزلل ٥٢٧

في معنى الايثار ٥٢٩
في معنىٰ قوله تعالى: «واذ آتينا موسى الكتاب والفُرقان» ٥٣٠
في معنىٰ قوله عليه السلام: «حتى يأمن عدوّي من ظلمي
وجوري» ٥٣١
في السؤال للتوفيق للدعاء ٥٣٢
في معنىٰ قوله عليه السلام: «إنّك حميد مجيد» ٥٣٣

فهرس فواتح الجمل من أدعية الصحيفة

فواتح الأدعية **الصفحة**

الدعاء الثالث عشر

اللهم يا منتهى مطلب الحاجات ...	١٢
و يا من لا يبيع نعمه بالأ ثمان ...	١٤
و يا من يستغنى به ولا يستغنى عنه ...	١٥
و يا من لا تُفني خزائنه المسائل ...	١٦
و يا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين ...	١٨
تمدّحت بالغناء عن خلقك وانت أهل الغنى ...	١٩
فمن حاول سّد خلّته من عندك ...	١٩
اللّهم ولي اليك حاجة قد قصر عنها جهدي ...	٢٣
ثم انتبهت بتذكيرك لي من غفلتي ...	٢٧
وقلت سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجاً ...	٢٨
فقصدتك يا الهي بالرغبة واوفدت عليك ...	٢٩
وعلمت أنّ كثيرما اسألك يسير...	٢٩
وإن كرمك لايضيق عن سؤال أحد ...	٣٠
اللهم فصل على محمدوآله واحملني بكرمك ...	٣٣
فما أنا بأول راغب رغب اليك فاعطيته ...	٣٣
اللّهم صل على محمد وآله وكُن لدعائي مجيباً ...	٣٤

ولا تقطع رجائي عنك ولا تبت سببي منك ... ٣٤

وتولّني بنجح طلبتي وقضاء حاجتي ... ٣٥

وصلّ على محمد وآله صلوة دائمةً ... ٣٦

ومن حاجتي يا ربّ كذا وكذا ٣٧

فضلك آنسني واحسانك دلّني ... ٣٩

الدعاء الرابع عشر

يا من لا يخفىٰ عليه أنباء المتظلّمين ... ٤٨

ويا من قربت نصرته من المظلومين ... ٤٩

قد علمت يا الهي ما نالني من فلان ... ٥٠

اللّهم فصلّ على محمد وآله وخذ ظالمي ... ٥٢

اللّهم وصل على محمد وآله ولا تسوّغ له ظلمي ... ٥٥

اللّهم صل على محمّد وآله وأعدني عليه ... ٥٦

اللّهم صلّ على محمد وآله وعوضني من ظلمه لي ... ٥٧

اللّهم فكما كرّهت الي أنّ أُظلم فقني من أن أظلم ٥٩

اللّهم لا اشكو الى احد سواك ... ٥٩

فصل على محمد وآله وصل دعائي بالاجابة ... ٦٠

اللهم لا تفتني بالقنوط ... ٦٠

وعرّفه عما قليل ما أوعدت الظالمين ... ٦٣

اللّهم صل على محمد وآله و وفقني لقبول ماقضيت ... ٦٤

اللّهم وإن كانت الخيرة لي من عندك ... ٦٧

واعذني من سوء الرغبة وهلع أهل الحرص ٦٩

وصوّر في قلبي مثال ما أذخرت لي ... ٦٩

آمين رب العالمين ٧٠

انّك ذوالفضل العظيم وانت على كل شي ء قدير ٧١

الدعاء الخامس عشر

اللّهم لك الحمد على مالم أزل اتّصرف فيه ... ٧٩
فما أدري يا الهي أيّ الحالين احق بالشكر... ٨١
اوقت الصحة التي هنّأتني فيها ٨٢
تخفيفاً لما ثقُل على ظهري من الخطيئات ... ٨٧
وفي خلال ذلك ما كتب لي الكاتبان ... ٩٠
اللهم فصلّ على محمد وآله وحبب اليّ ... ٩٣
وأوجدني حلاوة العافية ... ٩٤
انّك المتفضل بالاحسان المتطوّل ... ٩٦

الدعاء السادس عشر

اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون ... ١٠٧
يا انس كل مستوحشٍ غريب ... ١٠٩
انت الذي وسعت كل شي ء رحمة ... ١١١
وانت الذي عفوه أعلى من عقابه ... ١١٣
وانت الذي عطاؤه أكثرمن منعه ... ١١٤
وانت الذي لا يرغب في جزاء من اعطاه ... ١١٧
وانا يا الهي عبدك الذي أمرته بالدعاء ... ١٢٠
انا الذي اوقرت الخطايا ظهره ... ١٢٢
وانا الذي بجهله عصاك ... ١٢٢
هل انت يا الهي راحمٌ من دعاك ... ١٢٤
أم انت متجاورعمّن عفرّلك وجهه ... ١٢٦

الهي لا تخيّب من لا يجد معطياً غيرك ... ١٢٧
الهي فصل على محمد وآله ولا تعرض عني ... ١٢٨
انت الذي وصفت نـفسـك ـ بالرحمة ... ١٢٨
قد تري يا الهي فيض دمعي من خيفتك ١٣٠
كلّ ذلك حياءً مني بسوء عملي ... ١٣٢
يا الهي فلك الحمد فكم من عائبة سترتها ... ١٣٤
ثم لم ينهني ذلك عن أن جريت الى سوء ... ١٣٧
فمن اجهل مني يا الهي برشده ... ١٣٨
ومن أبعد غوراً في الباطل وأشد اقداماً ... ١٤٠
سبحانك ما أعجبَ ما اشهد به ... ١٤٤
واعجب من ذلك أناتك عني وابطاؤك ... ١٤٥
بل أنا يا الهي أكثر ذنوباً واقبح ... ١٤٧
وانما اوبّخ بهذا نفسي طمعاً في ... ١٥٠
اللهم و هـذه رقبتي قد ارقّتها الذنوب ... ١٥٤
يا الهي لو بكيت اليك حتى تسقط اشفارُ... ١٥٥
وان كنت تغفرلي حين استوجب مغفرتك ... ١٥٨
الهي فإذ تغمّدتني بسترك فلم تفضحني ... ١٦٠
اللهم صل على محمدٍ وآله وقني من المعاصي ... ١٦٢
ان ذلك لا يضيق عليك في وسعك ... ١٦٦

الدعاء السابع عشر

اللهم انّا نعوذ بك من نزغات الشيطان ... ١٨٦
وأن يُطمع نفسه في اضلالنا ... ١٩٠

اللّهم اخسأه عنا بعبادتك، واكبته ... ١٩١
اللهم صلّ على محمد وآله، واشغله عنا ... ١٩٣
اللهم صلّ على محمد وآله، وامتعنا من الهدى ... ١٩٤
اللهم لا تجعل له في قلوبنا مدخلاً ... ١٩٦
اللهم وما سوّل لنا من باطل فعرّفناه ... ١٩٦
اللّهم واشرب قلوبنا انكار عمله ... ١٩٩
اللّهم صلّ على محمد وآله، وحول سلطانه ... ١٩٩
اللّهم صلّ على محمّد وآله، واجعل آبائنا ... ٢٠٠
اللّهم واعمم بذلك من شهد لك بالربويّه ... ٢٠٤
اللّهم احلل ما عقد وافتق ما رتق ... ٢٠٧
اللّهم واهزم جنده وابطل ... ٢٠٨
اللّهم اجعلنا في نظم اعدائه، واعزلنا ... ٢٠٩
اللّهم صلّ على محمّد خاتم النبيين ... ٢١٠
واسمع لنا ما دعونا به، واعطنا ... ٢١٣

الدعاء الثامن عشر

اللهم لك الحمد على حسن قضائك ... ٢٢١
فلا تجعل حظي من رحمتك ما عجّلت لي ... ٢٢٢
وان يكن ما ظللت فيه او بتّ فيه ... ٢٢٥
فغير كثير ما عاقبته الفناء ... ٢٢٦

الدعاء التاسع عشر

اللهم اسقنا الغيث، وانشر علينا رحمتك ... ٢٣٢
وامنن على عبادك بإيناع الثمرة ... ٢٣٤

تحيي به ما قدمات، وترد به ما قدفات ... ٢٣٨
سحاباً متراكماً هنيئاً مريئاً ... ٢٣٩
اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريعاً ... ٢٤٢
اللهم اسقنا سقياً تسيل منه الظّراب ... ٢٢٤
اللّهم لا تجعل ظلّه علينا سموماً ... ٢٥٠
اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد وارزقنا من ... ٢٥٢

الدعاء العشرون

اللّهم صلّ على محمد وآله، وبلغ بايماني ... ٢٦٦
اللّهم وفر بلطفك نيتي، وصحح ... ٢٨٩
اللّهم صلّ على محمّدٍ وآله، واكفني ما يستغلني ... ٢٩٢
وأغنني وأوسع عليّ في رزقك، ولا ... ٢٩٣
اللّهم صلّ على محمّدٍ وآله ولا ترفعني في الناس ... ٣٠٢
اللّهم صلّ على محمّد وآله، ومتّعني بهدى صالح ... ٣٠٧
وعمّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك ... ٣١١
اللّهم لا تدع خصلة تعاب مني الا أصلحتها ٣١٤
اللّهم صلّ على محمد وآل محمد، وابدلني من بغضةِ ٣١٩
اللّهم صلّ على محمد وآله، واجعل لي يداً على ... ٣٢٨
اللّهم صلّ على محمد وآله، وسددني لأن اعارض ... ٣٣٢
اللّهم صلّ على محمدٍ وآله، وحلّني بحلية الصالحين ... ٣٣٥
اللّهم صلّ على محمّد وآله واجعل أوسع رزقك ... ٣٦٣
اللهم واجعلني أصول بك عند الضرورة ... ٣٦٥
اللهم اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمنّي ... ٣٦٨
اللّهم صلّ على محمدٍ وآله، ولا أُظلمنّ ... ٣٨٠

اللهم الى مغفرتك وفدتُ والى عفوك ... ٣٨٢
اللّهم وأنطقني بالهدى وألهمني التقوى ... ٣٨٤
اللّهم صلّ على محمد وآله، ومتعني بالاقتصاد ... ٣٨٩
اللّهم خذ لنفسك من نفسي ما يخلّصها ... ٣٩٢
اللّهم أنت عدّتي ان حزنت، وانت منتجعي ... ٣٩٤
اللّهم صلّ على محمد وآله، وادرأعني بلطفك ... ٣٩٨
اللّهم صلّ على محمد وآله، وتوّجني بالكفاية ... ٤٠٠
اللّهم صلّ على محمّد وآله، وامنعني من السرف ... ٤٠٤
اللّهم صلّ على محمد وآله، واكفني مؤنة الاكتساب ... ٤٠٦
اللّهم صلّ على محمد وآله، وصن وجهي باليسار ... ٤١١
اللّهم صلّ على محمد وآله، وارزقني صحة في عبادة ... ٤٢٤
اللّهم اختم بعفوك أجلي، وحقّق في رجاء رحمتك ... ٤٢٩
اللّهم صلّ على محمد وآله، ونبهني لذكرك ٤٣٠
اللّهم صلّ على محمد وآله كافضل ماصلّيت على احدٍ ... ٤٣٤

الدعاء الواحد والعشرون

اللّهم يا كافي الفرد الضعيف، و واقي الأمر المخوف ... ٤٤٧
لا يجيريا الهي الا ربٌّ على مربوب ... ٤٥١
اللّهم انك ان صرفت عني وجهك الكريم ... ٤٥٧
الهي اصبحت وامسيت عبداً داخراً لك ... ٤٦٣
اللّهم صلّ على محمد وآله، ولا تجعلني ناسياً لذكرك ... ٤٦٩
اللّهم صلّ على محمد وآله، واجعل ثنائي ... ٤٧٣
اللّهم صلّ على محمد وآله، وفرّغ قلبي لمحبتك ... ٤٧٧
واجعل تقواك من الدنيا زادي ... ٤٧٩

وألبس قلبي الوحشة من شرار خلقك ... ٤٨١
ولا تجعل لفاجر ولا كافر علي منّة ... ٤٨٤
وامنن علي بشوق اليك ، و بالعمل لك ... ٤٨٧

الدعاء الثاني والعشرون

اللّهم انك كلفتني من نفسي ما أنت أملك به منيّ ... ٤٩٦
اللّهم لاطاقة لي با لجهد، ولا صبرلي على البلاء ... ٤٩٨
فانك ان وكلتني الى نفسي عجزت عنها ... ٥٠٠
فبفضلك اللهم فأغنني ... ٥٠٢
اللّهم صلّ على محمد وآله، وخلّصني من الحسد ... ٥٠٣
واجعلني في كل حالاتي محفوظاً مكلوءً ... ٥٠٥
اللّهم صلّ على محمد وآله، واقض عني كلّ ما ألزمتنيه ... ٥٠٦
للّهم صلّ على محمد وآله، وارزقني الرغبة ... ٥١٠
وهب لي نوراً أمشي به في الناس ... ٥١٤
اللّهم صلّ على محمد وآله، وارزقني خوف غم الوعيد ... ٥١٦
اللّهم قد تعلم ما يصلحني ... ٥١٩
اللّهم صلّ على محمد وآل محمد، وارزقني الحق عند تقصيري ... ٥٢٠
اللّهم صلّ على محمّد وآله، وارزقني سلامة الصدر ... ٥٢٣
اللّهم صلّ على محمّد وآله، وارزقني التحفظ من الخطايا ... ٥٢٧
واجلعني ممن يدعوك مخلصاً في الرخاء ... ٥٣٢

فهرس الآيات

(٢) سورة البقرة

رقم الآية		الصفحة
٢	ذلك الكتاب	٤٥٥
٣	يؤمنون بالغيب	٢٦٧
٢٢	وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم	٢٣٦
٢٨	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً	٢٨
٣٢	لاعلم لنا الا ما علمتنا	١٥١
٤٩	وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم	٣١٨
٥١	و واعدنا موسى	١٨٩
٥٣	واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان	٥٣٠
٦١	ضربت عليهم الذلة والمسكنة	٣٦٦
٦٧	اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين	١٢٣
٦٨	لافارض ولا بكرعوان بين ذلك	١٣٢
١٠٩	ودّ كثيرمن أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداًمن عند انفسهم	٥٢٥
١٤٤	قدنرى تقلب وجهك في السماء	١٣٠
١٥٥	وبشر الصابرين	٤٧٠و٥٢١
١٧٨	يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى	٢٦٧

١٨٧	الرفث الى نسائكم	٤٦٩
١٩٠	لا يحب المعتدين	٤٧
١٩٤	فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم	٤و٣٣٥
١٩٥	ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة	٢٦٦
١٩٦	تلك عشرة كاملة	٤٣٢
١٩٧	الحج اشهر معلومات	١٣٣
١٩٧	وتزودوا فان خير الزاد التقوىٰ	٤٧٩
٢٠٠	فاذا قضيتم مناسككم	٥٠٦
٢٠٧	ابتغاء مرضاة الله	٤٨٠
٢١١	وكم آتيناهم من آية	١٣٤
٢١٩	لعلكم تتفكرون	٥٢٨
٢٢٠	في الدنيا والآخرة	٥٢٨
٢٢٤	ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبرّوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس	٣٤٥
٢٣٧	وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم	٣٤٠
٢٥٧	الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات	١٩٨و٢٧٢
٢٦٠	ولكن ليطمئن قلبي	٢٧١
٢٦٤	يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى	٢٩٨
٢٦٤	لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ	١٥و٤٨٤
٢٦٨	الشيطان يعدكم الفقر	١٩٠
٢٧٦	يمحق الله الربا	٢٩٨
٢٨٥	لانفرق بين أحد من رسله	٥٢٩

٢٨٦	لا يكلف الله نفساً الا وسعها	٣٠
٢٨٦	ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا	١٢٧
٢٨٦	ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا	٤٥٥

(٣) سورة آل عمران

٨	ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذهديتنا	٢٩٩و٤٧٨
٢١	فبشرهم بعذاب أليم	١٦٤
٣١	ويغفرلكم ذنوبكم	٣٨٦
٣٧	ان الله يرزق من يشاء بغير حساب	٤٠٧
٤٥	يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة	٤١٦
٥٤	ومكروا ومكرالله والله خيرالماكرين	٣٢٩
٦٤	تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم	٥٢٨
٧٧	ولا ينظراليهم	٣٦٧
٧٩	كونوا ربانيين	٤٢٦
١٠٣	فاصبحتم بنعمته اخواناً	٤٦٣
١٠٣	وكنتم على شفا حفرة من النارفانقذكم منها	٨٣
١١١	وان يقاتلوكم يولّوكم الأدبارثم لا ينصرون	١٩٤
١١٨	وما تخفي صدورهم أكبر	٥٢٤
١٢٠	وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً	٣٨٦
١٣٣	وسارعوا الى مغفرة من ربكم	٥٢٥
١٣٣	اعدت للمتقين	٣٨٧
١٣٤	والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين	٣٤٠

١٤٦	وما ضعفوا وما استكانوا	٤٦٧
١٥١	سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب	٣٦٨
١٥٤	أمنة نعاساً	٣٢٥
١٥٤	وليبتلي الله ما في صدوركم	٥٢٤
١٦٧	يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون	٢٧٨
١٨٦	وان تصبروا وتتقوافإن ذلك من عزم الأُمور	٣٨٦
١٩٤	ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك	١٢٧

(٤) سورة النساء

١	يا أيها الناس اتقوا ربكم	١٩٥
٣	فانكحواماطاب لكم من النساء	٥٤
٩	وليخش الذين لوتركوامن خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم	٢٤
١٤	ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً	
	خالداًفيها وله عذاب مهين	١٥٩
١٧	انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة	
	ثم يتوبون من قريب	١٢٣و١٥٨
٢١	وقد أفضى بعضكم الى بعض	٤٦٩
٣٢	ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض	٥٢٦
٣٢	واسئلوا الله من فضله	٢٠
٣٥	ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما	٢٨٩
٤٨	ويغفرما دون ذلك لمن يشاء	١١٨
٥٤	أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله	٥٢٥
٥٨	ان الله يامركم ان تؤدّوا الامانات الى اهلها واذا	
	حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل	٣٤٠

١٠٣	فاذاقضيتم الصلاة	٥٠٦
١١٧	ان يدعون من دونه الا اناثاً	٤٠٤
١٢٣	ليس بأمانيكم ولا أماني اهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً	١١٨
١٢٤	ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أُنثى	٢٠٤
١٥٠	ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله	٥٣٠

(٥) سورة المائدة

٢	شنآن قوم	٣٢٠
٢٥	رب اني لا أملك الانفسي واخي	١٥١
٢٧	انما يتقبل الله من المتقين	٣٨٦
٦٤	وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان	٣٢
٦٤	بل يداه مبسوطتان	٤٥٧
٨٤	ومالنا لا نؤمن بالله	٢٩٦
٨٩	من اوسط ماتطعمون اهليكم	٢١٣
١١٠	اذ ايدتك بروح القدس	٦٨
١١٩	رضي الله عنهم و رضوا عنه	٥٠٤

(٦) سورة الأنعام

١	خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون	١٣٧
٣١	وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم	١٥٥
٨٢	الذين امنوولم يلبسوا ايمانهم بظلم	٢٦٧

١٢٢	اومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى	
	به فى الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها	٥١٤
١٢٢	نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات	
	ليس بخارج منها	٥١٥
١٥٨	لاينفع نفس ايمانها لم تكن امنت من قبل	
	او كسبت فى ايمانها خيرا	٥٣٠
١٦٠	من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة	
	فلا يجزى الامثلها وهم لايظلمون	١١٧

(٧) سورة الأعراف

٤	وكم من قرية	١٣٤
١٢	انا خيرمنه خلقتني من ناروخلقته من طين	٢٠٦
١٣	فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبرفيها	٣٠٦
٣٨	ادخلوا في أمم	٣٣٦
٥٤	والشمس والقمروالنجوم مسخرات بأمره	٤٨٠
٥٦	وادعوه خوفاً وطمعاً	٢٨٦
٥٦	ان رحمت الله قريب من المحسنين	٤٩و٤٦٣
٥٧	حتى اذا اقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلدٍ	
	ميت فانزلنا به الماء	٤٣٤
٥٨	والذي خبث لايخرج الا نكدا	٥٠١
٩٦	ولوان اهل القرى آمنواواتقوا الفتحنا عليهم	
	بركات من السماء والارض	٢٥٢
١٥٠	وألقىٰ الألواح	٣٦٨
١٥٥	ان هي الا فتنتك	١٥١

١٥٦	ورحمتي وسعت كل شيء	١١٢
١٦٩	يأخذون عرض هذا الادنى و يقولون سيغفرلنا	١٨٩
١٧٩	اولئك هم الغافلون	٢٨١
١٨٨	قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله	٤٦٥
١٩٩	خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين	٣٣٠
٢٠٠	واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه	
	هو السميع العليم	١٧٤
٢٠١	ان الذين اتّقوا اذا مسهم طائف من الشيطان	
	تذكروا فاذا هم مبصرون	١٨٧و١٩٩
٢٠٢	واخوانهم يمدّونهم فى الغى ثم لا يقصرونَ	١٨٧

(٨) سورة الأنفال

١	واصلحوا ذات بينكم	٣٤٣
١	فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله	
	ورسوله ان كنتم مؤمنين	٣٤٥
٢	واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايماناً	٢٧١و٢٧٢
١١	اذ يغشيكم النعاس امنة منه	٣٢٥
٤٦	وتذهب ريحكم	٣٤٨
٦٣	لوانفقت ما في الأرض جميعاً ما الفت	
	بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم	٢٣٧و٣٤٣

(٩) سورة التوبة

٤	ان الله يحب المتقين	٣٨٦
٧	كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند و رسوله	٢٨

٢٩	حتى يعطوا الجزيه عن يد	٣٢٨
٣٤	فبشرهم بعذاب اليم	١٦٤
٤٩	وان جهنم لمحيطة بالكافرين	١٨٣
١١٨	لاملجأ من الله الا اليه	٤٥٦

(١٠) سورة يونس

١٢	واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه اوقاعداً او قائماً	٨٥
٣٧	وما كان هذا القرآن ان يفترى	١٤٨
٦٣و٦٤	الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة	١٦٥و٣٨٦
٨٩	فاستقيما ولاتتبعان	٢٩٦

(١١) سورة هود

٧	ليبلوكم ايكم احسن عملاً	٢٨٥
٢٧	ومانراك اتبعك الاالذين هم اراذلنا بادي الرأي	٤٥٢
٥٢	وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يُرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم	٢٤٩
٥٦	ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها	٤٦٠
٧٤	وامطرنا عليهم حجارة من سجيل	٢٥١
٨٠	لوان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد	٣٣١
٨٨	وما اريدان اخالفكم الى ما انها كم عنه	٣٣٤
١١٢	فاستقم كما أُمرت	٣١٠

١١٤ ان الحسنات يذهبن السيئات ٨٨

(١٢) سورة يوسف

١٧ وما انت بمؤمن لنا ٢٦٧
٣٧ ذلكما مما علّمني ربيّ ١٣٢
٤٢ اذكرني عند ربك ٢٥
٤٢ فلبث في السجن بضع سنين ٣٢
٧٦ كذلك كدنا ليوسف ٣٢٩
٨٥ تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً
او تكون من الهالكين ٥٩
٨٦ قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ٥٩
٨٩ هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ١٢٣
٩١ تالله لقد اثرك الله علينا ٥٢٩
١٠٨ قل هذه سبيلي ٤٣٢

(١٣) سورة الرعد

٦ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ١٤٢
١٢ يريكم البرق خوفاً وطمعاً ١٢٧
٢٩ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٢٦٨

(١٤) سورة ابراهيم

٥ وذكّرهم بأيام الله ٨٩
٧ لئن شكرتم لازيدنكم ٢٢٢
٢٢ وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم

فاستجبتم لي ١٤٢و٢٠٠
٣٤ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ٣٨٠

(١٥) سورة الحجر

٣٤ فاخرج منها فانك رجيم ٢٢٦
٣٦ انظرني الى يوم يبعثون ١٨٠
٣٧ قال انك من المنظرين ١٨٠
٣٨ الى يوم الوقت المعلوم ١٨٠
٣٩ فبعزتك لاغوينّهم أجمعين ١٩١و٢١٣
٤٠ الا عبادك منهم المخلصين ١٩١
٤٢ إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان ١٨٦

(١٦) سورة النحل

١٨ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ١١٤
٤٥ افأمن الذين مكروا السيئات ٣٢٩
٥٣ ثم اذا مسّكم الضّرفإليه تجئرون ١٠٨
٩٣ ولتسئلن عما كنتم تعملون ٢٩٢
٩٦ ماعندكم ينفدوما عندالله باق ٤٦٢
٩٨ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ١٨٦
١٠٦ وقلبه مطمئن بالايمان ٢٦٧
١٢٨ ان الله مع الذين اتّقوا ٣٨٦

* * *

(١٧) سورة الاسراء

٩	ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم	٦٦
١٨	من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنّم يصلاها مذموماً مدحوراً	٥١١
١٩	ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهومؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا	٥١١
٢٠	وماكان عطاء ربّك محظوراً	٤٥٨
٢٣	وقضىٰ ربّك الا تعبدوا الا إيّاه	٤٦١
٤٥	واذاقرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً	١٩٣
٨١	جاء الحق وزهق الباطل	٤٣١

(١٨) سورة الكهف

١٨	وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد	٤٨٢
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه	٢٨١
٢٨	أغفلنا قلبه عن ذكرنا	٢٨١
٥١	ما أشهدتهم خلق السموات والأرض	٢٣٥
٥١	ماكنت متخذ المضلّين عضدا	١١٠
٦٦	هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا	٣٣٢
٧٠	لا تسئلني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكرا	٣٣٢
٧٤	نفساً زكية	٣٨٧
٧٧	فانطلقا حتى اتيا أهل قرية استطعما أهلها	

	فأبوا أن يضيّفوهما	٢٣
٨١	خيراً منه زكاة	٣٨٧

(١٩) سورة مريم

٢٥	وهزّي اليك بجذع النخلة	٢٦٦
٤٧	قال سلام عليك سأستغفر لك ربيّ انه كان بي حفيّا	٥٢٠
٧١	وان منكم إلّا واردها	٣٩١
٧٢	ثم ننجي الذين اتقوا	٣٨٧
٩٥	وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً	٤٤٧

(٢٠) سورة طه

٥	الرحمن على العرش استوىٰ	٤٥٨
٢١	سنعيدها سيرتها الأُولى	١٢٦
٣٩	وألقيت عليك محبة منّي	٣٦٨
٤٥	إنّا نخاف أن يفرط علينا	١١٩
٥٠	ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدىٰ	١١٢
٦٣	ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ	٣٨٨
٦٨	لاتخف انك انت الأعلى	١١٣
٨١	كلوا من طيبات ما رزقناكم	٨٢
٨١	ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي	٣٦٧
٩٠	ياقوم إنما فُتنتم به	١٥٠
١٠٧	عوجاً ولا أمتا	٤٥٥
١٢٠	فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلّك على شجرة الخلد وملك لايبلىٰ	١٩٠

١٣١	ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وابقىٰ	٢٩٤

(٢١) سورة الأنبياء

١	وهم في غفلة معرضون	١٣٩و٤٦٩
٣٥	ونبلوكم بالشر والخير فتنة	٦٠و٤٧٠
٨٥	واسماعيل وادريس وذا الكفل كلّ من الصابرين	٣٤٢
٩٠	كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً	٢٨٦
١١٢	قال رب احكم بالحق	٦٢و١٢٧

(٢٢) سورة الحج

٣٢	ومن يعظّم شعائرالله فانّها من تقوى القلوب	٤٧٥

(٢٣) سورة المؤمنون

٨٨	قل مَن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون	٤٥٢
٩٩و١٠٠	ربّ ارجعون لعلّي اعمل صالحاً فيما تركت	١٥٣

(٢٤) سورة النور

١	سورة انزلناها	١٣٥
٢١	مازكىٰ منكم من أحد	٩٠
٣٥	نورعلى نوريهدي الله لنوره من يشاء	٢٧٣
٦٤	قد يعلم ما أنتم عليه	٥١٩

(٢٥) سورة الفرقان

٤٤	إن هم إلّا كالأنعام بل هم اضل سبيلاً	٢٨١
٦٤	والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً	٢٥٥
٦٧	والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً	٣٥١و٣٩٠
٧٠	فأُولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات	٣٨٠

(٢٦) سورة الشعراء

٣٩	وقيل للناس هل أنتم مجتمعون	١٢٤
٤٤	فالقوا حبالهم	٣٦٨
٨٧	ولا تخزني يوم يبعثون	٦٢
١٥١	ولا تطيعوا أمر المسرفين	٤٠٥
٢٢٧	وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون	٦٣

(٢٧) سورة النمل

١٤	وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم	٢٦٩
٣٣	والأمر اليك	١٥٥
٥٨	واذا بُشّر أحدهم بالأُنثىٰ ظلّ وجهه مسوّداً	١٦٤
٦٢	أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء	٦٤و٤٤٦

(٢٨) سورة القصص

١٣	فرددناه الى أُمه	٣٢٥
١٥	فوكزه فقضىٰ عليه	١٣٥

٢٤	ربِّ اني لما انزلت إليّ من خيرفقير	٢٣
٣٢	اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء	٢٤١
٧٠	وله الحمد في الأُولىٰ والآخرة	١٩٣

(٢٩) سورة العنكبوت

٥	من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآتٍ	١٥٩و٤٥٠
٤٦	آمنّا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم	٤٣٥

(٣٢) سورة السجدة

٢٦	أولم يهدِ لهم	٣٨٥

(٣٣) سورة الأحزاب

٢٥	وكفى الله المؤمنين القتال	٤٤٧و٥٠٣
٣٣	انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا	٢١١و٢١٢
٧٠	يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً	٣٨٦
٧١	يصلح لكم اعمالكم	٣٨٦

(٣٤) سورة سبأ

١٢	ومن الجن من يعمل بين يديه	١٧٦

(٣٥) سورة فاطر

٦	ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا	٢٠٥
٩	والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه	

	الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها	٢٣٤
١٥	يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد	١٩
٢٨	انما يخشى الله من عباده العلماء	١٣٠
٤٣	ولا يحيق المكر السيء الا بأهله	٣٢٩
٤٥	ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجلٍ مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعبادة بصيرا	١٢٠

(٣٦) سورة يس

١٢	ونكتب ماقدموا وآثارهم	١٤٧
٣٩	والقمر قدرناه منازل	١٢٦
٦٦	فاستبقوا الصراط	١٢٦

(٣٨) سورة ص

١٤	فحقّ عقاب	٥١٧
٢١	وهل أتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب	٦٨
٢٢	اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض	٦٨
٤٨	واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار	٣٤٢
٨٣	الا عبادك منهم المخلصين	١٨٦

(٣٩) سورة الزمر

١٦	ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون	٤٥١

١٧	فبشّر عبادي	١٦٤
٦٧	والسماوات مطويّات بيمينه	٤٥٧

(٤٠) سورة غافر

٧	ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً	١١١
٦٠	ادعوني استجب لكم	٢٠و١٢٠

(٤١) سورة فصّلت

١٠	في أربعة أيام سواء للسائلين	٥٢٨
٣٠	ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون	٣١٠
٥١	واذا مسّه الشر فذو دعاءٍ عريض	٢٤٣

(٤٢) سورة الشورى

١٧	الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان	٣٣٨
٢٠	من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب	٥١١
٢٧	ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض	٢٩٤
٣٠	وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير	١١٣
٣٠	فبما كسبت ايديكم	١٥٥
٤٠	وجزاء سيئة سيئة مثلها	٤٧و٣٣٥

* * *

(٤٣) سورة الزخرف

١٩	وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا	٤٠٣

(٤٥) سورة الجاثية

٢٣	أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضلّه الله على علمٍ وختم على سمعه	١٩٩

(٤٦) سورة الأحقاف

١٥	اركبوا فيها	٢٣٩
٢٨	ذلك إفكهم	١٣٣
٢٩	واذ صرفنا اليك نفرا من الجن	١٧٦
٣٠	يهدي الى الحق والى طريق مستقيم	٤٣٠

(٤٧) سورة محمّد

٢٢	فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطّعوا ارحامكم	٢٠٢

(٤٨) سورة الفتح

١	انا فتحنا	١٥١
٢٦	وكانوا أحق بها وأهلها	١٢٤
٢٩	رحماء بينهم	٣٢٧

* * *

(٤٩) سورة الحجرات

٩	وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	٢٦٧
١٢	ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً	٣٧٥
١٣	ان اكرمكم عندالله اتقاكم	٣٨٦
١٤	ولما يدخل الايمان في قلوبكم	٢٦٧
١٤	قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا	٢٦٨

(٥٠) سورة ق

١٤	كل كذب الرسل فحقّ وعيد	٥١٧

(٥١) سورة الذاريات

٥٦	وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون	١٤٣و٢٩٣

(٥٣) سورة النجم

٤٢	وان الى ربك المنتهى	١٣

(٥٥) سورة الرحمن

٧	والسماء رفعها و وضع الميزان	٣٣٨
٣٣	يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان	٤٦١

٦٠ هل جزاء الاحسان الا الاحسان ٣٥٠

(٥٦) سورة الواقعة

٢ ليس لوقعتها كاذبة ٩٥

١٠ والسابقون السابقون ٣٤٩

١١ اولئك المقربون ٣٤٩

٩٤ وتصلية جحيم ٢٧٥

٩٥ انّ هذا لهو حق اليقين ٢٧٥

(٥٧) سورة الحديد

١٠ لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ٥٨

١٠ لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل

اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ٥٢٩

(٥٨) سورة المجادلة

١ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ٣٤

٦ احصاه الله ونسوه ٥٠٩

٢٢ اولئك كتب في قلوبهم الايمان ٢٦٧

(٥٩) سورة الحشر

٩ ويؤثرون على انفسهم ٥٢٩

٩ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ٥٠٢

* * *

(٦٢) سورة الجمعة

٩	اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة	٥١٦
١٠	فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله	٨٣و٨٤

(٦٤) سورة التغابن

٤	والله عليم بذات الصدور	٥٢٤

(٦٥) سورة الطلاق

٢و٣	ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب	٣٨٦و٤٠٧و٤١١
٣	ويرزقه من حيث لايحتسب	٤٠٧
٣	ومن يتوكل على الله فهو حسبه	١٢٨

(٦٦) سورة التحريم

٨	نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم	٢٧٣

(٦٧) سورة الملك

٤	ثم ارجع البصر كرتين	١٢١
٣٠	قل أرايتم أن اصبح ماؤكم غوراً	٢٥٠

(٦٨) سورة القلم

٤	وانك لعلى خلق عظيم	٣٣٠

(٦٩) سورة الحاقه

٧ سبع ليال وثمانية ايام حسوماً ٢٥١

(٧١) سورة نوح

٢٧ ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً ٤٨٥

(٧٢) سورة الجن

١٦ لاسقيناهم ماءً غدقاً ٢٣٣

١٦ وان لواستقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءً غدقاً ٣٥٩

٢٠ قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احداً ٤٠٤

(٧٤) سورة المدّثر

٥٦ هو أهل التقوى ٩٧

(٧٦) سورة الإنسان

٢١ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ٢٣٣

(٧٨) سورة النبأ

٢١ ان جهنّم كانت مرصاداً ٣٩١

٢٢ للطاغين مآبا ٣٩١

(٧٩) سورة النازعات

٣٦ وبرّزت الجحيم لمن يرىٰ ١٨٣

(٨٠) سورة عبس

١٥	بأيدي سفرة	٢٣٦
١٦	كرامٍ بررة	٢٣٦

(٨٣) سورة المطففين

٢٦	وفي ذلك فليتنافس المتنافسون	٥٢٥
٣٦	هل ثُوِّب الكفار ما كانوا يفعلون	١٢٥

(٨٤) سورة الانشقاق

٢٤	فبشرهم بعذاب اليم	١٦٤

(٨٥) سورة البروج

٢٠	والله من ورائهم محيط	٤٥٤

(٨٩) سورة الفجر

٥	هل في ذلك قسم لذي حجر	١٢٥
١٤	ان ربك لبالمرصاد	٣٩١و٣٩٢
٢١	كلا اذا دُكت الأرض دكاً دكاً	٤٠٢
٢٢	وجاء ربّك والملك صفاً صفاً	٤٠٢

(٩٠) سورة البلد

١٠	وهديناه النجدين	١٤١

* * *

(٩١) سورة الشمس

٥ والسماء وما بنٰها ٥٤
٩ قد أفلح من زكاها ١٥٢
١٠ وقد خاب من دسّاها ٢٦٥

(٩٤) سورة الشرح

٣ الذى انقض ظهرك ١٣١

(٩٦) سورة العلق

٦ ان الانسان ليطغىٰ ٢٩٤و٣٨٢
٧ ان رآه استغنى ٢٩٤و٣٨٢
١٦ واسجد واقترب ٤٥٦

(١٠٠) سورة العاديات

٩ اذا بعثرما في القبور ١٨٤
١٠ وحصّل مافي الصدور ١٨٤

(١٠٢) سورة التكاثر

٥ كلا لوتعلمون علم اليقين ١٨٤
٥ لوتعلمون علم اليقين ٢٧٥
٦ لترونّ الجحيم ١٨٤و٢٧٥
٧ ثم لترونّها عين اليقين ١٨٤و٢٧٥

* * *

(١٠٤) سورة الهمزة

٦	نارالله الموقدة	١٨٣
٧	التى تطلع على الافئدة	١٨٣

(١٠٨) سورة الكوثر

١	انا اعطيناك	١٥١

(١١٤) سورة الناس

١	قل أعوذ بربّ النّاس	١٨٦

فهرس الأحاديث

حرف الألف

القائل		الصفحة
النبي (ص):	آفة الحسب الافتخار	٣٠٢
الصادق (ع):	اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع . . .	٤٨٦
الصادق (ع):	اتقوا الله وكونوا اخوة بررة . . .	٣٢٧
في الحديث:	اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه . . .	٤٤٩
جبرئيل (ع):	اتيتك يا محمد بمكارم الأخلاق اجمعها . . .	٣٣٠
في الحديث:	احترزوا من الناس بسوء الظن	٣٢١
الصادق(ع):	اذا اتهم المؤمن أخاه انماث . . .	٣٢١
حديث قدسي:	اذا اردت ان اجمع للمسلم خير الدنيا . . .	٤٣٣
الصادق(ع):	اذا اردت ان تعلم اشقي الرجل ام سعيد . . .	٣٥٢
الامام علي (ع):	اذا اشتد الفزع فالى الله المفزع	٤٩٦
الصادق (ع):	اذا دعيت لصلح بين اثنين . . .	٣٤٥
الصادق (ع):	اذا صعد ملكا العبد المريض الى السماء . . .	٩٣
الامام علي (ع):	اذا علمتم فاعملوا . . .	٤٢٧
الامام علي (ع):	اذا كانت لك الى الله حاجة . . .	٢٦٦
السجاد(ع):	اذا كان يوم القيامة جمع الله . . .	٣٣٥
النبي (ص):	اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد . . .	٤١٦

المعصوم (ع):	استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان . . .	١٠
النبي (ص):	استقيموا ولن تحصوا	٣١٠
الباقر (ع):	اشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأوصياء . . .	٢٢٣
النبي (ص):	اصلاح ذات البين أفضل من . . .	٣٤٥
المعصوم (ع):	اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه	١٠
النبي (ص):	اعوذ بعفوك من عقابك . . .	٤٥٦
النبي (ص):	أفضل الأعمال أحمزها	٢٨٤
الصادق (ع):	افضل العبادة ادمان التفكر . . .	٣٧١
الصادق (ع):	اقرب مايكون العبد من ربه . . .	٣٩
النبي (ص):	أقرب مايكون العبد من ربه . . .	٣٩
الصادق (ع):	اكتب بسم الله الرحمن الرحيم خطبة رسول الله . . .	٣٥٩
النبي (ص):	اكثر ماتلج به امتي الجنة تقوى الله . . .	٣٠٠
الامام علي (ع):	اكرم نفسك عن كل دنيّة . . .	٤١٧
النبي (ص):	الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة . . .	٣٣٤
النبي (ص):	الا إن الروح الأمين نفث في روعي . . .	٤١٠
موسى (ع):	الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت . . .	٥٠٤
المعصوم (ع):	التمسوا الحوائج على الفرس الكميت . . .	١٠
النبي (ع):	الظوا بياذا الجلال والاكرام	٩٧
السجاد (ع):	اللّهم اجعلني اسوة من قد انهضته . . .	٤٥٥
في الحديث:	اللهم اعط كل منفق خلفاً	٣٩٥
النبي (ص):	(في علي وفاطمة والحسنين (ع)) اللهم إن هؤلاء . . . آل محمّد . . .	٢١٢
عنهم (ع):	اللهم اني اسألك الغنى عن شرار الناس	٤٨٦
في الحديث:	اللّهم اني أعوذ بك من دعاء لايسمع	٣٤

السجاد(ع):	اللّهم ان يكن الندم توبة اليك ...	١٦٢
الامام علي (ع):	اللّهم صن وجهي باليسار...	٤١١
النبي (ص):	(في علي وفاطمة والحسنين (ع)) اللهم ان هؤلاء اهل بيتي ...	٢١١
النبي (ص):	(في علي وفاطمة والحسنين(ع)) اللّهم هؤلاء اهلي ...	٢١٢
النبي (ص):	اما والذي نفسي بيده أنها لكما نزلت ...	١١٨
النبي (ص):	انا سيد ولد آدم ولا فخر	٣٠٢
الصادق (ع):	ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس ...	٣٦٢
الباقر(ع):	ان اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً	٣٠١
الامام علي (ع):	ان اقل ما يلزمكم الله ان ...	١٤٠
الصادق (ع):	ان الايمان افضل من الاسلام ...	٢٧٩
الصادق (ع):	ان الايمان حالات ودرجات ...	٢٧٢
الصادق(ع):	ان الايمان عشر درجات ...	٢٧١
الامام علي (ع):	ان الايمان يبدو لمظة في القلب ...	٢٧٣
الباقر(ع):	إن البشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة ...	١٦٥
النبي (ص):	ان التواضع يزيد صاحبه رفعة ...	٣٠٦
الصادق (ع):	ان الخلق الحسن يميث الخطيئة ...	٣٠١
الصادق(ع):	ان الدعاء في الرخاء ...	٥٣٢
السجاد (ع):	ان الدعاء والبلاء ليترافقان ...	٤٤٦
الصادق (ع):	ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ...	٢٩٧
في الخبر:	ان الشيطان قال يارب ان عبادك يحبونك ...	١٩٣
المعصوم(ع):	ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	١٧٧
الصادق (ع):	ان العالم اذا لم يعمل بعلمه ...	٤٢٧

الصادق (ع):	ان العلم الدائم القليل على اليقين افضل ...	٢٧٩
الصادق (ع):	ان الله اذا احب عبداً غته بالبلاء غتاً	٢٢٣
الباقر(ع):	ان الله اذا كان من امره ان يكرم عبداً ...	١١٨
النبي (ص):	ان الله تبارك وتعالى احب شيئاً لنفسه ...	٤١٦
الصادق (ع):	ان الله تبارك وتعالى يعلم مايريد العبد ...	٣٨
في الأثر:	ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لئن تدخل يدك ...	٤٢٠
في الحديث:	ان الله تعالى طيب لايقبل الاطيباً	٢١٢
الصادق (ع):	ان الله تعالى لم يجعل للمؤمنين اجلاً ...	٣١٣
النبي (ص):	ان الله حرم من المسلم دمه ...	٣٢١
الصادق (ع):	ان الله عزوجل اوحى الى نبي من الأنبياء ...	٥٠
الصادق (ع):	ان الله عزوجل جعل ارزاق المؤمنين ...	٤٠٧
الصادق (ع):	ان الله عزوجل يعلم حاجتك وماتريد ...	٣٨
الصادق (ع):	ان الله قسم رزق من شاء على يدي ...	٤٨٦
الصادق (ع):	ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء ...	٢٢٣
الصادق (ع):	ان الله وكل بالاسعار ملكاً يدبرها بأمره	٢٤٨
السجاد (ع):	ان الله وكل ملكاً بالسعر يدبره بأمره	٢٤٧
في الحديث (ع):	ان الله يمهل ولا يهمل	١٢٠
الامام علي (ع):	ان المرض يحط السيئات ويحتها حت الاوراق	٨٤
في الخبر:	ان المريض يخرج من مرضه نقياً ...	٨٥
الصادق (ع):	ان رسول الله صلى الله عليه وآله رفع رأسه ...	٩٢
الصادق (ع):	ان رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح فنظر الى شاب ...	٢٧٧
النبي (ص):	ان صاحب الخلق الحسن له ...	٣٠٠

في الحديث:	انصر أخاك ظالماً اومظلوماً . . .	٤٤٩
النبي (ص):	انظروا من تحادثون . . .	٤٨٣
النبي (ص):	ان عظيم البلاء يكافي به عظيم الجزاء . . .	٢٢٤
الصادق (ع):	ان في الجنة منزلة لا يبلغها عبد . . .	٢٢٤
الصادق (ع):	ان في السماء ملكين موكلين بالعباد . . .	٣٠٦
الامام علي (ع):	ان كل مترئس في هذة الدنيا . . .	١٣
الامام علي (ع):	ان كمال الدين طلب العلم والعمل به	٤٢٦
حديث قدسي:	ان كنت تسأل عبادي فاسأل معادن الخير . . .	٤٢٠
السجاد (ع):	ان لسان ابن آدم يشرف . . .	٣٥٧
المعصوم (ع):	ان لله عباداً خلقهم لحوائج الناس	١٠
الصادق (ع):	ان لله عباداً في الأرض من خالص عباده . . .	٢٢٣
في الخبر:	ان لله ملكاً ينادي يا فاعل الخير . . .	٣٥٥
النبي (ص):	انما الاعمال بالنيات	٢٨٢و٢٨٤
الصادق (ع):	انما المؤمن بمنزلة كفة الميزان . . .	٢٢٤
النبي (ص):	ان مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح . . .	٢١٢
الصادق (ع):	ان محمد بن المنكدر كان يقول ما كنت ارى علي بن الحسين . . .	٤٢١
الباقر (ع):	ان من احب عباد الله الى الله . . .	٢٩٨
حديث قدسي:	ان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه . . .	١١٥
الصادق (ع):	ان من كتبه الله سعيداً . . .	٤٢٩
النبي (ص):	انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات . . .	١١٩
اليسع (ع):	انه قد وهن العظم وضعف الجسم . . .	٣٤١
حديث قدسي:	اني جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم	١٨٥
الصادق (ع):	اني لاركب في الحاجة التي كفاها الله . . .	٨٤

الصادق (ع):	اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ...	٢٩٧
الباقر(ع):	اياكم والتفكر في الله ...	٣٧١
النبي (ص):	اياكم والغيبة فان الغيبة اشد في الزنا ...	٣٧٥
الصادق(ع):	اياكم وسؤال الناس ...	٤١٧
النبي (ص):	ايكم يحب أن يصح فلا يسقم ...	٨٦
الرضا (ع):	الايمان فوق الاسلام بدرجه، والتقوى ...	٢٧٩
الصادق (ع):	الايمان وقر في القلوب ...	٢٦٨

حرف الباء

الكاظم (ع):	(في رجلين يتسابان) البادي منهما أظلم ...	٣٧٨
المعصوم (ع):	بالعدل قامت السماوات والأرض	٣٣٨
النبي (ص):	البيعان بالخيار مالم يتفرقا	٣٦١

حرف التاء

الامام علي (ع):	تخليص النية من الفساد أشد ...	٢٨٣
المعصوم(ع):	تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ...	٣٧٠
النبي (ص):	تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق	٣٧١
الامام علي (ع):	التفكر يدعو الى البر والعمل به	٣٧٠
المعصوم (ع):	تهادوا تحابوا	٤٨٦

حرف الثاء

النبي (ص):	ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس ...	٣٥٥
الامام علي (ع):	ثلاث موبقات نكث الصفقة ...	٣٥٩

حرف الجيم

النبي (ص):	الجار الى اربعين داراً	٢٠٢
الامام علي (ع):	جعل الله ما كان في شكواك حطاً ...	٨٦

حرف الحاء

الباقر (ع):	حد الجوار اربعون داراً من كل جانب ...	٢٠٢
الصادق (ع)	حد اليقين ان لا تخاف مع الله شيئاً ...	٢٩١
في الخبر:	الحزم سوء الظن بالناس ...	٣٢١
الصادق (ع):	الحزم مساءة الظن	٣٢١
المعصوم (ع):	حسن الملكة نماء وسوء الملكة شؤم	٤٠٥
الامام علي (ع):	الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة	٤٣٦
المعصوم (ع):	حسنوا اخلاقكم	٢٦٤
الامام علي (ع):	حق و باطل ولكل أهل ...	٣٥٣
الصادق (ع):	حمى ليلة كفارة لما قبلها وما بعدها	٨٥

حرف الدال

السجاد (ع):	الدعاء يدفع البلاء النازل ومال ينزل	٤٤٦
النبي (ص):	دع ما يريبك الى ما لا يريبك	٤٢٧

حرف الراء

الصادق (ع):	رأس طاعة الله الصبر و الرضا ...	٦٥
الصادق (ع):	رب لا تكلني الى نفسي طرفة عين ...	٥٠٢
الصادق (ع):	رحم الله عبداً أعف وتعفف ...	٤١٧

الصادق (ع): رضوان الله والجنة في الآخرة ... ٤٣٧

حرف الزاي

السجاد(ع): الزهد عشرة اجزاء اعلى درجة الزهد ... ٦٥

حرف السين

الصادق (ع): سئل النبي صلى الله عليه وآله ما كفارة الاغتياب ... ٣٧٦

الصادق(ع): سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن جماعة من امته ... ٣٥٨

النبي (ص): سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر... ٣٧٨

الامام علي (ع): سميت الدنيا دنيا لأنها ادنى ... ٥١٩

حرف الشين

النبي (ص): شيبتني سورة هود ٣١٠

حرف الصاد

عيسى (ع): صاحب الشريعدي ... ٤٨٣

السجاد(ع): الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ... ٦٥و٥٠٥

في الحديث: صحة الابدان والابصار يسأل الله العباد ... ٤٢٥

الصادق (ع): صدقة يحبها الله اصلاح بين الناس ... ٣٤٥

العسكري (ع): الصراط المستقيم في الدنيا هو... ٣٣٩

حرف الضاد

الامام علي (ع): ضع امر اخيك على احسنه ... ٣٢١

الحسن (ع): ضقت ضيقاً شديداً وكان عطاي من معاويه ... ٢٥

حرف الطاء

الامام علي (ع):	الطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار عجز	٣٢١
النبي (ص):	طوبى لمن تواضع	٣٠٥

حرف العين

الحسين (ع):	عاد امير المؤمنين عليه السلام سلمان الفارسي ...	٨٧
الصادق (ع):	العباد ثلاثة قوم عبدوا الله عزوجل ...	٢٨٧
ابوالحسن (ع):	العجب درجات منها ان يزين للعبد ...	٢٩٧
الصادق (ع):	عليك بالدعاء وأنت ساجد ...	٣٩

حرف الفاء

الامام علي (ع):	فاعل الخير خير منه ...	٣٥٥
النبي (ص):	فتب الى الله يا حبيب	١١٣
الامام علي (ع):	فهم والجنة كمن قد رآها ...	٥١٩
الامام علي (ع):	فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير أهلها	٤٢٠

حرف القاف

الصادق (ع):	قال الله عزوجل لداود عليه السلام يا داود ...	٢٩٧
النبي (ص):	(في رجل الح في المسألة) قد اوجب ان ختمه ...	٢١٥
الصادق (ع):	قنطرة على الصراط لا يجوزها ...	٣٩٢
الباقر (ع):	قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله رقى يستشفى بها ...	١٧

حرف الكاف

الصادق (ع):	كان ابي يقول اتقوا الظلم ...	٥٠
في الحديث:	كان اذا حزبه أمر صلى ...	٤٤٥
الصادق (ع):	كان جدي يقول تقدموا في الدعاء ...	٥٣٢
الرضا (ع):	كان علي بن الحسين عليه السلام يقول الدعاء ...	٥٣٣
المعصوم (ع):	كفى بالمرء فتنة ان يشار اليه بالأصابع ...	٣٠٤
الصادق (ع):	كل ذنب عمله عبد وان كان عالماً ...	١٢٣
الامام علي (ع):	كم من متعب نفسه مقتر عليه ...	٤١٠

حرف اللام

النبي (ص):	لا الفين احدكم متكئاً ...	٣٨٠
في الحديث:	لا أُحصي ثناءً عليك ...	٣٧٩
الصادق (ع):	(لابي بصير) لا اما انك ان أصبت ...	٣٦٢
الصادق (ع):	لا بد للعبد من خالص النية ...	٢٨١
النبي (ص):	لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة ...	٤٨٦
الصادق (ع):	لا تدعوا التجارة فتهونوا	٤١٢
الرضا (ع):	لا تستكثروا كثير الخير ...	٣٥٤
الامام علي (ع):	لا تصحب الفاجر فيزين لك فعله ...	٤٨٢
الصادق (ع):	لا تصحبوا اهل البدع ولا تجالسوهم ...	٤٨٣
النبي (ص):	(لعائشة) لا تقولي ذلك فان الله لا يحب الفحش ...	٣٧٣
النبي (ص)	لا حسد الا في اثنين ...	٥٢٥
الامام علي (ع):	لا خير فيمن لا يغضب اذا أُغضب ...	٣٣١

النبي (ص):	لايبلغ الرجل درجة المتقين . . .	٤٢٨
الصادق(ع):	لايزال الدعاء محجوباً حتى يصلى عل محمد وآل محمّد	٣٦
الامام علي (ع):	لاينبغي للمرء المسلم ان يواخي الفاجر. . .	٤٨٣
الصادق(ع):	لتكن استخارتك في عافية . . .	٤٩٨
النبي (ص):	للفرس سهمان	٣٦١
الامام علي (ع):	لن يرغب المرء عن عشيرته . . .	٣٢٣
النبي (ص):	لواهدي الي كراع لقبلت . . .	٤٨٥
الصادق(ع):	لوجرى المعروف على ثمانين كفاً . . .	٢٩٨
الامام علي (ع):	لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً	٢٧١
النبي (ص):	لولا ان الشياطين يحومون . . .	١٩٦
في الخبر:	لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم . . .	١٨٥
الباقر(ع):	لو يعلم السائل ما في المسألة . . .	٤١٧
الصادق (ع):	لو يعلم المؤمن ماله في الاجر. . .	٢٢٤
الامام علي (ع):	ليس الخيران يكثرمالك و ولدك . . .	٤٣٣
الرضا(ع):	ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم . . .	٣٧١
الصادق (ع):	ليس يعني اكثركم عملاً ولكن اصوبكم . . .	٢٨٥
في الحديث:	ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة . . .	١١٣
في الحديث:	لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات	٣١٤

حرف الميم

الصادق (ع):	ما احب الله قوماً الا ابتلاهم	٢٢٣
السجاد(ع):	ما احب ان لي بذلّ نفسي حمرالنعم . . .	٣٤١
الامام علي (ع):	ما أرى شيئاً أضربقلوب الرجال . . .	٣٠٥

الامام علي (ع):	ماء وجهك جامد يقطره ...	٤٢٠
النبي (ص):	(لابي الدرداء) ماسألني احد من قبلك ...	١٦٥
الامام علي (ع):	ما عبدتك خوفاً من نارك ...	٢٨٥
الامام علي (ع):	مالابن آدم والفخر اوله نطفة ...	٣٠١
الامام علي (ع):	مالابن آدم والفخر وانما اوله ...	٣٠١
الكاظم (ع):	ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن ...	٤٤٧
الصادق (ع):	ما من جرعة يتجرعها العبد احب الى الله ...	٣٤١
النبي (ص):	ما من مسلم عرض له مرض ...	٨٤
في الخبر:	مايزال الاوصاب والمصائب بالعبد	٨٥
النبي (ص):	ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة ...	٣٠٠
النبي (ص):	مثل الجليس السوء كمثل القين ...	٤٨٢
النبي (ص):	المرء على دين خليله ...	٤٨٢
النبي (ص):	المرء على دين خليله وقرينه	٤٨٣
النبي (ص):	المرء مع دين خليله وقرينه	٤٨١
النبي (ص):	المسعّر هو الله	٢٤٧
النبي (ص):	معنى قوله تعالى (من كان يريد العاجله) ...	٥١١
السجاد (ع):	مكتوب في الانجيل: لا تطلبوا علم مالا تعلمون ...	٤٢٧
النبي (ص):	المكر والخديعة في النار	٣٢٩
الامام علي (ع):	من آتاه الله منكم مالاً فليحسن ...	٤١٥
النبي (ص):	من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً ...	٢٦٤
في الحديث:	من اثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ...	٤٧٣
النبي (ص):	من احب السبيل الى الله تعالى ...	٣٤٠
الامام علي (ع):	من اخذ العلم من اهله وعمل به نجا ...	٤٢٧
الباقر (ع):	من افتى الناس برأيه ...	٣٦٢

النبي (ص):	من اوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً . . .	٤٣٦
الصادق (ع):	من تخوف بلاء يصيبه فتقدم فيه في الدعاء . . .	٥٣٢
في الخبر:	من تطيب لله جاء يوم القيامة . . .	٢٨٢
الصادق (ع):	من تقدم في الدعاء استجيب له . . .	٥٣٢
النبي (ص):	من تواضع لله رفعه . . .	٣٠٦
الصادق (ع):	من دعا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله . . .	٣٦
النبي (ص):	من رأى موضع كلامه من عمله . . .	٣٥٦
الصادق (ع):	من سرّه ان يستجاب له في الشدة . . .	٥٣٢
في الحديث:	من سن سنة حسنة فله أجرها . . .	٣٤٩
الصادق (ع):	من صحة يقين المرء المسلم . . .	٢٩١
الصادق (ع)	من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه . . .	٥٠
النبي (ص):	من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه	٣٥٠
الصادق (ع):	من فارق جماعة المسلمين قدر شبر . . .	٣٥٩
النبي (ص):	من كانت لأخيه قبله مظلمة في عرض . . .	٣٧٦
الصادق (ع):	من كانت له الى الله حاجة فليبدأ بالصلاة . . .	٣٧
النبي (ص):	من كان على الحق وان كانوا عشرة	٣٥٨
الامام علي (ع):	من كان له مال فاياكم والفساد . . .	٣٥١
الصادق (ع):	من كظم غيظاً ولو شاء ان يمضيه . . .	٣٤١
الباقر (ع):	من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه . . .	٣٤١
النبي (ص):	من لم يحسب كلامه من عمله . . .	٣٥٦
الامام علي (ع):	من لم ينفعه الحق يضره الباطل	٣٠٩
الامام علي (ع):	من نصب نفسه للقياس لم يزل . . .	٣٦٢
في الحديث:	من ينوالدنيا تعجزه	٥٤

* * *

حرف النون

النبي (ص):	نعم المال الصالح للعبد الصالح	٤١٥
في الحديث:	نعمتان مجهولتان الامن والعافيه	٨٩
الباقر(ع):	(نوراً يمشي به في الناس) اماماً يؤتم به ...	٥١٥
النبي (ص):	نية المؤمن خيرمن عمله	٢٨٤

حرف الهاء

في الحديث:	الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من ...	٣٠٨
الصادق (ع):	هل تعرفون طول البلاء من قصره ...	٤٤٦
الامام علي (ع)	هوالذي يتأله اليه ...	١٣

حرف الواو

النبي (ص):	وأعوذ بك منك	٤٥١
الامام علي (ع):	والزموا السواد الأعظم ...	٣٥٨
الامام علي (ع):	وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق ...	٥١٦
حديث قدسي:	وان من عبادي المؤمنين لا يصلح لهم ...	١١٦
الامام علي (ع):	واني متكلم بعدة الله وحجته ...	٣١٠
النبي (ص):	وسبحانه من بارما أطلبه ...	٤٥٤
حديث قدسي:	وعزتي وجلالي لاأخرج عبداًمن الدنيا ...	١١٩
حديث قدسي:	وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن ...	٢١
الامام علي (ع):	وفروا الى الله من الله	٤٥١

الامام علي (ع):	ولا يقنطنك ابطاء اجابته ...	٣٢
الامام علي (ع):	ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك ...	١٤٩
في الحديث:	ومن يستغن بالله وعطائه يغنه الله	٢٩٣
الصادق (ع):	ويحه أما علم ان تارك الطلب ...	٤١١

حرف الياء

لقمان (ع):	يا بني اكلت الحنظل وذقت الصبر...	٤١٢
الامام علي (ع):	يا بني اني اخاف عليك الفقرفاستعذ بالله ...	٤١٣
الكاظم (ع):	يا بني عليك بالجد	٢٥
لقمان (ع):	يا بني من يشارك الفاجريتعلم طرقه ...	٤٨٣
موسى (ع):	يا رب كيف اشكرك وشكري لك نعمة ...	٥٢٣
حديث قدسي:	يا عبادي لوأن اولكم واخركم ...	١٦
النبي (ص):	يا معشرمن أسلم بلسانه ولم يخلص ...	٢٦٨
الصادق (ع):	يبارك له فيما آتاه	٤٠٧
الصادق (ع):	يبتلى المؤمن على قدرايمانه وحسن اعماله	٢٦٨
الصادق(ع):	يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل ...	٣٢٧
النبي (ص):	يعذب الله اللسان بعذاب ...	٣٥٦
الصادق (ع):	يعني الائمة وولايتهم ...	٢١٢
النبي (ص):	يقول الله عزّوجل للملك الموكل بالمؤمن ...	٩٣
الباقر(ع):	يقول: لاشربنا قلوبهم الايمان ...	٣٨٩
الصادق (ع):	اليقين يوصل العبد الى كل حال سني ...	٢٧٨
الباقر(ع):	يوضع على جهنم صراط أدق ...	٣٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله، وصلّى الله على محمّدٍ نبيّ الله، وعلى آله آل الله

لقد قامت مؤسّستنا ـ بفضل الله ومنّه ـ بنشاطاتٍ واسعة في مجال نشر المعرفة وإحياء التراث العلمي الإسلامي، فإلى روّاد العلم سرد بعضها، سائلين الباري عزّ شأنه قبول الأعمال والوصول إلى درجة الكمال، إنّه سميعٌ متعال.

١ ـ اُصول الفقه (٤ أجزاء): للشيخ المظفّر.
٢ ـ الأمالي: للشيخ المفيد.
٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: للسيّد محسن الخرّازي.
٤ ـ بحوث في الملل والنِحل (٦ أجزاء): للشيخ جعفر السبحاني.
٥ ـ بداية الحكمة: للعلّامة الطباطبائي.
٦ ـ بداية المعارف (جزءان): للسيّد محسن الخرّازي.
٧ ـ التمهيد في علوم القرآن (٦ أجزاء): للشيخ محمّد هادي معرفة.
٨ ـ التوحيد: للشيخ الصدوق.
٩ ـ جامع الأثر: للسيّد حسن آل طه.
١٠ ـ الخصال (جزءان): للشيخ الصدوق.
١١ ـ الخلاف (٦ أجزاء): للشيخ الطوسي.
١٢ ـ دروسٌ في علم الاُصول (جزءان): للشهيد الصدر.
١٣ ـ الذخيرة: للسيّد المرتضىٰ.
١٤ ـ رجال النجاشي: للنجاشي.
١٥ ـ الرسائل التوحيدية: للعلّامة الطباطبائي.

١٦ـالرسائل العشر: للشيخ الطوسي.
١٧ـرسالة في صلاة الجمعة: للشهيد الثاني.
١٨ـصيانة القرآن من التحريف: للشيخ محمّد هادي معرفة.
١٩ـالعروة الوثقى (٦ أجزاء): للسيّد الطباطبائي.
٢٠ـالعقائد الجعفرية: للشيخ الطوسي.
٢١ـفرائد الأُصول: للشيخ الأنصاري.
٢٢ـالفوائد المدنية: للمحدّث الأسترآبادي.
٢٣ـقاموس الرجال: للشيخ التستري.
٢٤ـكشف اللثام (١١ جزء): للفاضل الهندي.
٢٥ـكمال الدين وتمام النعمة (جزءان): للشيخ الصدوق.
٢٦ـكنز الدقائق (١١ جزء): للميرزا محمّد المشهدي.
٢٧ـمجمع الفائدة والبرهان (١٤ جزء): للمحقّق الأردبيلي.
٢٨ـمخالفة الوهّابية للقرآن: عمر عبدالسلام.
٢٩ـمختلف الشيعة (٩ أجزاء): للعلّامة الحلّي.
٣٠ـجواهر الكلام (٣٠ جزء) للشيخ النجفي.
٣١ـمستدرك سفينة البحار (١٠ أجزاء): للشيخ عليّ النمازي الشاهرودي.
٣٢ـمعاني الأخبار: للشيخ الصدوق.
٣٣ـمفاهيم القرآن (جزءان): للشيخ جعفر السبحاني.
٣٤ـالمقنعة: للشيخ المفيد.
٣٥ـمنازل الآخرة: للمحدّث القمّي.
٣٦ـالمنطق: للشيخ المظفّر.
٣٧ـمَن هو المهديّ عليه السلام: للشيخ أبوطالب التجليل التبريزي.
٣٨ـالميزان (٢٠ جزء): للعلّامة الطباطبائي.
٣٩ـالوهّابية في الميزان: للشيخ جعفر السبحاني.

٤٠ ـ ترجمة تفسير الميزان (٢٠ جزء): للعلّامة الطباطبائي.

٤١ ـ الوسائل ومستدركها(٢٢جزء): للشيخ الحرّ العاملي والميرزا النوري.

٤٢ ـ مفتاح الكرامة (٢٦ جزء): للسيّد جواد الحسيني العاملي.

٤٣ ـ الدروس التمهيديّة في القواعد التفسيريّة: للسيفي المازندراني.

٤٤ ـ شرح عروة الوثقى (٦ جزء): للمرتضى الحائري.

٤٥ ـ فقه الرضا عليه‌السلام (المنسوب للإمام الرضا عليه‌السلام).

٤٦ ـ ينابيع الأحكام (٥ جزء): للسيّد الموسوي القزويني.

٤٧ ـ بدايع البحوث: للسيفي المازندراني.

٤٨ ـ مباني فقه الفعّال: للسيفي المازندراني.